شرح عقود الجمان في المعاني والبيان

تأليف

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

المتوفى ٩١١ هـ

تحقيق

د. إبراهيم محمد الحمداني   د. أمين لقمان الحبار

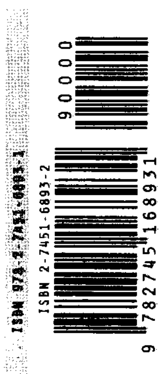


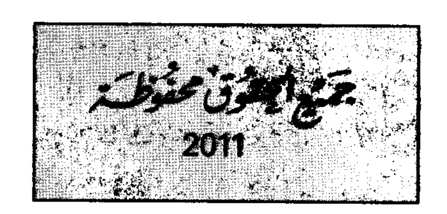
Title : ŠARḤ ʿUQŪD AL-JUMĀN FĪ AL-MAʿĀNI WAL-BAYĀN

Classification: Rhetoric
Author : Jalāluddīn al-Sayūṭi
Editor : Dr .Ibrahīm Muḥammad al-Ḥamdāni
Dr. Amīn Luqmān al-Ḥabbār
Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Pages : 480
Size : 17* 24
Year : 2011
Printed in : Lebanon
Edition : 1st

الكتاب : شرح عقود الجمان
في المعاني والبيان

التصنيف : بلاغة وبديع وبيان
المؤلف : جلال الدين السيوطي
المحقق : د. إبراهيم محمد الحمداني
ود. أمين لقمان الحبّار
الناشر : دار الكتب العلميـــة - بيروت
عدد الصفحات : 480
قياس الصفحات: 24 *17
سنة الطباعة : 2011
بلد الطباعة : لبنـــان
الطبعة : الأولى





بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه الغرِّ الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

لعلَّ الرغبة في الكشف عن التراث العربي كان دافعاً للبحث في كنوزه التي كُشِفَ عن بعضها، ومازال بعضها الآخر بين الكشف والاختفاء قائماً، ولا ريب أنَّ بدايات نشر هذا التراث وإخراج كنوزه في نهايات القرن التاسع عشر الميلادي ركَّز اهتمامه على أمَّات كتب التراث العربي التي شكلت البدايات الأولى للنهضة الثقافية العربية وبدايات حركة النشر عند العرب فظهرت كتب التفاسير والفقه والعبادات وتدوين الحديث، كما شمل هذا الاهتمام المؤلفات التي عنيت بعلوم العربية بنحوها وصرفها وأدبها وبلاغتها وهكذا.

وأخذت حركة النشر اتجاهين: اتجاه خدم تراث الأمة خدمةً عظيمةً بإخراج هذه الكنوز منضبطةً محققةً تحقيقاً علمياً خدمها على شكل كبيرٍ من الأهمية بضبط نصوصها وترميم ما تلف منها بفعل الطبيعة وتقادم الزمن وعبث العابثين، فنهض مجموع من علماءِ الأمة من المحققين الذين كان هاجسهم إعادة نشر وإحياء تراث هذه الأمة والكشف عن إضاءات كانت مناراً للتائهين وسط العتمة والمشككين بريادة أسلمت زمام أمرها لفعل التشتت والهرولة خلف بهرجة زائفة تحت شعارات واهية بفعل الحداثة المزعومة والانسلاخ عن الجذور، فكانت هذه النهضة التي سعت أولاً لجمع هذا التراث وإخراجه وبعثه من جديد فأصبح عبد السلام محمد هارون ومحمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر ومحمد أبو الفضل إبراهيم وهلال ناجي ونوري حمودي القيسي وأحمد مطلوب ورضوان الداية وفايز الداية وغيرهم كثير نجوماً لامعة في سماء الثقافة العربية واقترنت أسماؤهم بأسماء الأصمعي والجاحظ وابن سلام والطبري وابن الأثير وغيرهم من نجوم الأمة.

أما الاتجاه الثاني: الذي أثر بشكل أو آخر في حركة نشر التراث العربي والذي

عمد إلى إخراج هذه المؤلفات ونشرها كما هي وتحويلها من المخطوط إلى المطبوع دونما تحقيق، ولا ريب أنَّ هذا الاتجاه قد جعل كثير من المخطوطات تخرج من صناديقها وتعود إلى رفوف المكتبات وكأنَّ شيئاً لم يكن، ومن هذه المؤلفات كان كتاب (شرح عقود الجمان في المعاني والبيان) للعلامة الجليل الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى (٩١١هـ).

ولا ريب أنَّ الحديث يطول عن السيوطي ودوره في في إغناء التراث العربي وما قدمه لعلوم العربية من خدمة كبيرة، وما مؤلفاته التي تنوعت بين تفسير القرآن وعلومه والحديث ومصطلحه والفقه والعبادات والتراجم والنحو والصرف والبلاغة إلا دليل على عطاء هذا العالم الجليل.

ويتجلى هذا الكتاب الذي نحققه في أهميته البالغة للدرس البلاغي العربي كونه أحد أهم المؤلفات البلاغية التي ظهرت في القرن التاسع الهجري بعد سلسلة من الكتب، فقد بدأ عهد جديد للبلاغة ابتداءً بكتاب (مفتاح العلوم) للسكاكي (٦٢٦هـ) الذي كان نقطة تحول في الدراسات البلاغية العربية، وما تبعه من مؤلفات نسجت على منواله بين تلخيصه أو شرحه نحو (التلخيص) و(الإيضاح) للخطيب القزويني (٧٣٩هـ)، وشروح التلخيص نحو (عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح) للسبكي (٧٧٣هـ)، و(مختصر السعد) للتفتازاني (٧٩٢ هـ)، و(الأطول) لابن عربشاه (٩٤٣هـ)، و(معاهد التنصيص على شواهد التلخيص) للعباسي (٩٦٣هـ)، و(مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح) لأبي العباس المغربي (١١٢٨ هـ)، وتوالت المؤلفات في ذات الاتجاه، لكننا لم نجد من جعل من التلخيص منظومة شعرية كما فعل السيوطي فينظم أرجوزة في البلاغة في ألف بيت سماها (عقود الجمان) ضمنها (تلخيص) المفتاح للقزويني وزاد عليها في بعض المواضع:

لخصت فيها ما حوى التلخيص مع ضمّ زيادات كأمثال اللمع

ويرى أنَّ هذه الأرجوزة بحاجة إلى شرح وتعليق فيخرجها في كتاب سماه (شرح عقود الجمان في المعاني والبيان)، يقول ((هذا تعليق لطيف لينتفع به من حلِّ أرجوزتي التي نظمتها في علم المعاني والبيان، وسميتها (عقود الجمان) إذ لم يتسع وقتي لكتابة شرحٍ عليه كما أرتضيه مع إلحاح قارئيه على ذلك فنجزت لهم هذه العجالة لتعينهم على فهم مقاصدها، وبالله أستعين في مصادر الأمور ومواردها)).

ولما وقع الكتاب بين أيدينا بنشرتين: الأولى النشرة المطبوعة بمطبعة شرف موسى

في مصر بخان أبي طاقية سنة ألف وثلاثمائة واثنتين للهجرة. والثانية: نشرة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٥٨هـ ١٩٣٩م رأينا أنَّ هاتين النشرتين قاصرتان تماماً عن إعطاء هذا الكتاب مكانته الحقيقية في المكتبة البلاغية العربية حتى ضاع ذكر هذا الكتاب عند المتخصصين لسوء نشره وقِدَمِ النشرة، فضلاً عن أنَّ هاتين النشرتين قاصرتان عن إيصال قارئها إلى محتوى الكتاب، فرأينا من الضروري تحقيق الكتاب تحقيقاً علمياً وإعادة نشره من جديد ليأخذ الكتاب مكانته الحقيقية بين كتب البلاغة المعروفة.

فبدأت رحلة البحث عن مخطوطات الكتاب فوقعت بين أيدينا ثلاث مخطوطات إحداها: نسخة منسوخة ومطابَقة على نسخة المؤلف المحفوظة في مكتبة أوقاف بغداد، والنسخة المنسوخة بعد وفاة المؤلف بأربع وثمانين سنة والمحفوظة في مكتبة أوقاف بغداد أيضاً، والنسخة الثالثة عثرنا عليها في مكتبة أوقاف الموصل. كما تمكنا من الحصول على نسخة ناقصة عبر الشبكة الدولية للمعلومات (الأنترنت) بواسطة موقع (ملتقى أهل الحديث).

فعمدنا إلى إخراج هذا الكتاب النفيس الذي نعدّه أوّل منظومة بلاغية مشروحة يتمّ نشرها لمؤلّف واحد، ونتمنى أن نكون قد وفقنا في إخراج هذا العمل، وإن كان كلّ عمل لا يمكن أنّ يظهر كاملاً فإنّنا نحسبنا قد وقعنا في أخطاء نتمنى أن نجد من يدلّنا عليها وينقد هذا التحقيق نقداً بناءً نصحح به ما سهونا عنه في قادم الطبعات إن شاء الله.

وأخيراً فإنّنا نقدّم خالص الشكر ووافر التقدير إلى كلّ من ساعد في إخراج هذا العمل بدءاً بالمؤسسة العلمية التي ننتمي إليها المتمثلة في جامعة الموصل وكلية التربية وقسم اللغة العربية فيها على التشجيع الذي لاقيناه في إخراج هذا الكتاب. كذلك لا ننسى أن نوجه شكرنا لموظفي دائرة لتعليم الإسلامي ومكتبة أوقاف بغداد ومكتبة أوقاف الموصل لمساعدتهم في الحصول على النسخ المخطوطة. ولكلّ من أعان بنصح نقدم خالص شكرنا وعظيم امتناننا.

المحققان

العراق - الموصل

في ٢٠٠٨/١١/٧

ترجمة المؤلف

ربما نجد أنّه من غير المجدي أن نقوم بالبحث في المصادر على ترجمة لجلال الدين السيوطي، إذ لا يمكن مقارنة مثل هذا العمل مهما بلغ من البحث والتمحيص بما فعله السيوطي نفسه عندما ترجم لنفسه وتحدّث بإسهاب عن حياته في مراحلها المختلفة، وقد آثرنا أنّ نقدّم للقارئ ترجمة المؤلف كما ذكرها في كتابه (حسن المحاضرة) مع ما يناسب هذا من الإيجاز[1].

١ - اسمه ونسبه:

هو عبد الرحمن بن الكمال أبو بكر بن محمد سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي صلاح أيوب بن ناصر الدين محمد ابن الشيخ همام الدين الهمام الخضيري الأسيوطي.

كان جده الأعلى همام الدين من أهل الحقيقة، ومن مشايخ الطرق الصوفية، ومن دونه كانوا من أهل الوجاهة والرياسة، منهم من ولي الحكم ببلده، ومنهم من ولي الحسبة بها، ومنهم من كان تاجراً في صحبة الأمير شيخون، وبنى مدرسةً بأسيوط، ووقف عليها أوقافاً، ومنهم من كان متمولاً، ولا يعرف منهم من خدم العلم حقَّ الخدمة إلا والده وهو من فقهاء الشافعية.

وأمّا نسبته بالخضيري، فيقول إنّها ربما تعود إلى الخضيرية، محلة ببغداد، ويروي من يثق به أنّ والده يذكر أنَّ جده الأعلى كان أعجمياً أو من الشرق، فالظاهر أنَّ النسبة إلى المحلة المذكورة.

٢ - مولده ونشأته:

وكان مولده بعد ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة. وحُمل في حياة أبيه إلى الشيخ محمد المجذوب، وهو رجل من كبار الأولياء بجوار المشهد النفيسي، فبرّك عليه، ونشأ يتيماً، فحفظ القرآن وله دون ثماني سنين ثمَّ حفظ العمدة، ومنهاج الفقه والأصول، وألفية ابن مالك، وشرع في الاشتغال بالعلم، من مستهل سنة

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: ٢/٢٨١ - ٢٩٣.

أربع وستين، فأخذ الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ، وأخذ الفرائض عن العلامة فرد زمانه الشيخ شهاب الدين الشارمساحيّ، وقرأ عليه في شرحه على المجموع، وأُجيز بتدريس العربية في مستهل سنة ست وستين وثمانمائة.

وقد ألف في هذه السنة، فكان أول شيء ألفه شرح الاستعاذة والبسملة، وأوقف عليه الشيخ شيخ الإسلام علم الدين البُلْقيني، فكتب عليه تقريظاً، ولازمه في الفقه إلى أن مات، فلازم ولده فقرأ عليه إلى أن أجازه في التدريس والإفتاء سنة ست وسبعين وثمانمائة.

فلما توفي البلقيني سنة ثمان وسبعين وثمانمائة لزم شيخ الإسلام شرف الدين المناوي، فقرأ عليه قطعة من المنهاج، وسمعه عليه في التقسيم إلا مجالس فاتته، وسمع دروساً من شرح البهجة، ومن حاشية عليها، ومن تفسير البيضاوي.

ولزم في الحديث والعربية الشيخ الإمام العلامة تقي الدين الشبلي الحنفي، فواظبه أربع سنين، وكتب له تقريظاً على شرح ألفية ابن مالك وعلى جمع الجوامع في العربية، وشهد له غير مرة بالتقدم في العلوم بلسانه.

ولزم الشيخ العلامة محيي الدين الكافيجي أربع عشرة سنة؛ فأخذ عنه الفنون من التفسير والأصول والعربية والمعاني وغير ذلك؛ وكتب له إجازة عظيمة.

وحضر عند الشيخ سيف الدين الحنفي دروساً عديدة في الكشاف والتوضيح وحاشيته عليه، وتلخيص المفتاح، والعَضد. وشرع في التصنيف في سنة ست وستين وثمانمائة، وتجاوزت مؤلفاته إلى ثلاثمائة كتاب سوى ما غسلته ورجعت عنه.

وسافر إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور، وأفتى من مستهل سنة إحدى وسبعين. وعقد إملاء الحديث من مستهل سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة.

ورزق السيوطي التبحر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع؛ على طريقة العرب والبلغاء، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة. وأما مشايخه في الرواية سماعاً وإجازة فكثير، وعِدَّتهم نحو مئة وخمسين؛ ولم يكثر من سماع الرواية لاشتغاله بما هو أهم وهو قراءة الدراية.

٣ – مصنفاته:

صنف السيوطي مؤلفات عديدة في مختلف العلوم وهي:

١ – فن التفسير ومتعلقاته والقراءات

الإتقان في علوم القرآن، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ترجمان القرآن في التفسير، المسند، أسرار التنزيل يسمى الأزهار في كشف الأسرار، لباب النقول في أسباب النزول، مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، المهذب فيما وقع في القرآن من المُعَرَّب، الإكليل في استنباط التنزيل، تكملة تفسير الشيخ جلال الدين المحلي، التحبير في علوم التفسير، حاشية على تفسير البيضاوي، تناسق الدرر في تناسب السور، مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، مجمع البحرين ومطلع البدرين في التفسير، مفاتيح الغيب في التفسير، الأزهار الفائحة على الفاتحة، شرح الاستعاذة والبسملة، الكلام على أول الفتح، ، وهو تصدير ألقيته لما باشرت التدريس بجامع شيخون بحضرة شيخنا البلقيني، شرح الشاطبية، الألفية في القراءات العشر، خمائل الزهر في فضائل السور، فتح الجليل للعبد الذليل في الأنواع البديعية المستخرجة من قوله تعالى ((الله ولي الذين امنوا...)) الآية، وعدتها مائة وعشرون نوعاً، القول الفصيح في تعيين الذبيح، اليد البسطى في الصلاة الوسطى، معترك الأقران في مشترك القرآن.

٢ – فن الحديث ومتعلقاته:

كشف المغطى في شرح الموطا، إسعاف المبطا في رجال الموطا، التوشيح على الجامع الصحيح، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود، شرح ابن ماجه، تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، شرح ألفية العراقي، الألفية وتسمى نظم الدرر في علم الأثر وشرحها يسمى قطر الدرر، التهذيب في علم الزوائد على التقريب، عين الإصابة في معرفة الصحابة، كشف التلبيس عن قلب أهل التدليس، توضيح المدرك في شرح المستدرك، اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، النكت البديعات على الموضوعات، الذيل على القول المسدد، القول الحسن في الذب عن السنن، لب الألباب في تحريرالأنساب، تقريب العزيب، المدرج إلى المدرج، تذكرة المؤتسي بمن حدَّثَ ونسي، تحفة النابه بتلخيص المتشابه، الروض المكلل والورد المعلل في المصطلح، منتهى الآمال في شرح حديث إنما الأعمال، المعجزات والخصائص النبوية، شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، البدور

السافرة عن أمور الآخرة، ما رواه الواعون في أخبار الطاعون، فضل موت الأولاد، خصائص يوم الجمعة، منهاج السنة ومفتاح الجنة تمهيد الفرْش في الخصال الموجبة لظل العرش، بزوغ الهلال في الخصال الموجبة للظلال، مفتاح الجنة في الاعتصام بالسنة، مطلع البدرين فيمن يؤتى الأجرين، سهام الإصابة في الدعوات المجابة، الكلم الطيب، القول المختار في المأثور من الدعوات والأذكار، الطب النبوي، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة، الفوائد الكامنة في إيمان السيدة آمنة، ويسمى أيضاً التعظيم والمنة في أنَّ أبوي النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة، المسلسلات الكبرى، جياد المسلسلات، أبواب السعادة في أسباب الشهادة، أخبار الملائكة، الثغور الباسمة في مناقب السيدة آمنة، مناهج الصفا في تخريج أحاديث الشفا، الأساس في مناقب بني العباس، در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة، زوائد شعب الإيمان للبيهقي، لمُّ الأطراف وضمُّ الأتراف، إطراف الأشراف بالإشراف على الأطراف، جامع المسانيد، الفوائد المتكاثرة في الأخبار المتواترة، الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة، تخريج أحاديث الدرة الفاخرة، تخريج أحاديث الكفاية يسمى تجربة العناية، الحصر والإشاعة لأشراط الساعة، الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة، زوائد الرجال على تهذيب الكمال، الدر المنظم في الاسم المعظم، جزء في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، من عاش من الصحابة مئة وعشرين، جزء في أسماء المدلسين، اللُّمع في أسماء مَنْ وضع، الأربعون المتباينة، درر البحار في الأحاديث القِصار، الرياضة الأنيقة في شرح أسماء سيد الخليقة، المرقاة العليَّة في شرح الأسماء النبوية، الآية الكبرى في شرح قصة الإسرا، أربعون حديثاً من رواية مالك عن نافع عن ابن عمر، فهرس المرويات، بغية الرائد في الذيل على مجمع الزوائد، أزهار الآكام في أخبار الأحكام، الهبة السنية في الهيئة السنية، تخريج أحاديث شرح العقائد، فضل الجَلَد، الكلام على حديث ابن عباس: ((احفظ الله يحفظك)) هو تصدير ألقيته لمَّا وليت درس الحديث بالشيخوخة، أربعون حديثاً في فضل الجهاد، أربعون حديثاً في رفع اليدين في الدعاء، التعريف في آداب التأليف، العشاريات، القول الأشبه في حديث ((مَنْ عرف نفسه عرف ربه))، كشف النقاب عن الألقاب، نشر العبير في تخريج أحاديث الشرح الكبير، من وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة، ذم زيارة الأمراء، زوائد نوادر الأصول للحكيم الترمذي، تخريج أحاديث الصحاح يسمى فلق الصباح، ذم المكس، آداب الملوك.

٣ - فن الفقه ومتعلقاته:

الأزهار الغضة في حواشي الروضة، الحواشي الصغرى، مختصر الروضة يسمى القنية، مختصر التنبيه يسمى الوافي، شرح التنبيه، الأشباه والنظائر، اللوامع والبوارق في الجوامع والفوارق، نظم الروضة يسمى الخلاصة، شرحه يسمى الخصاصة، الورقات المقدمة، شرح الروض، حاشية على القطعة للأسنوي، العذب السلسل في تصحيح الخلاف المرسل، جمع الجوامع، الينبوع فيما زاد على الروضة من الفروع، مختصر الخادم؛ يسمى تحصين الخادم، تشنيف الأسماع بمسائل الإجماع، شرح التدريب، الكافي، زوائد المهذب على الوافي، الجامع في الفرائض، شرح الرحبيِّة في الفرائض، مختصر الأحكام السلطانية للماوردي.

٤ - الأجزاء المفردة في مسائل مخصوصة على ترتيب الأبواب:

الظفر بقلوع الظفر، الاقتناص في مسألة النماص، المستطرفة في أحكام دخول الحشفة، السلالة في تحقيق المقر والاستحالة، الروض الأريض في طهر المحيض، بذل العسجد لسؤال المسجد، الجواب الحزم عن حديث التكبير جزم، القذاذة في تحقيق محل الاستعاذة، ميزان المعدلة في شأن البسملة، جزء في صلاة الضحى، المصابيح في صلاة التراويح، بسط الكف في تمام الصف، اللمعة في تحقيق الركعة لإدراك الجمعة، وصول الأماني بأصول التهاني، بلغة المحتاج في مناسك الحاج، السلاف في التفصيل بين الصلاة والطواف، شدُّ الأثواب في سد الأبواب في المسجد النبوي، قطع المجادلة عند تغيير المعاملة، إزالة الوهن عن مسألة الرهن، بذل الهمة في طلب براءة الذمة، الإنصاف في تمييز الأوقاف، أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب، الزهر الباسم فيما يزوج فيه الحاكم، القول المضي في الحنث في المضي، القول المشرق في تحريم الاشتغال بالمنطق، فصل الكلام في ذم الكلام، جزيل المواهب في اختلاف المذاهب، تقرير الإسناد في تيسير الاجتهاد، رفع منار الدين وهدم بناء المفسدين، تنزيه الأنبياء عن تسفيه الأغبياء، ذم القضاء، فضل الكلام في حكم السلام، نتيجة الفكر في الجهر بالذكر، طي اللسان عن ذم الطيلسان، ، تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك، أدب الفتيا، إلقاء الحجر لمن زكى سباب أبي بكر وعمر، الجواب الحاتم عن سؤال الخاتم، الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة، فتح المغالق من أنت طالق، فصل الخطاب في قتل الكلاب، سيف النظار في الفرق بين الثبوت والتكرار.

٥ - فن العربية ومتعلقاته:

شرح ألفية ابن مالك، يسمى البهجة المرضية في شرح الألفية، الفريدة في النحو والتصريف والخط، النكت على الألفية والكافية والشافية والشذور والنزهة، الفتح القريب على مغني اللبيب، شرح شواهد المغني، جمع الجوامع، شرحه يسمى همع الهوامع، شرح الملحة، مختصر الملحة، مختصر الألفية ودقائقها، الأخبار المروية في سبب وضع العربية، المصاعد العليَّة في القواعد النحوية، الاقتراح في أصول النحو وجدله، رفع السِّنة في رفع الزنة، الشمعة المضيئة، شرح كافية ابن مالك، در التاج في إعراب مشكل المنهاج، مشكلة ضربي زيداً قائماً، السلسلة الموشحة، الشهد، شذا العرف في إثبات المعنى للحرف، التوشيح على التوضيح، السيف الصقيل في حواشي ابن عقيل، حاشية على شرح الشذور، شرح القصيدة الكافية في التصريف، قطر الندا في ورود الهمزة ندا، شرح تصريف العزي، شرح ضروريّ التصريف لابن مالك، تعريف الأعجم بحرف المعجم، نكت على شرح الشواهد للعيني، فجر الثمد في إعراب أكمل الحمد، الزند الوريّ في الجواب عن السؤال السكندري.

٦ - فن الأصول والبيان والتصوف:

شرح لمعة الإشراق في الاشتقاق، الكوكب الساطع في نظم جمع الجوامع، شرحه، شرح الكوكب الوقاد في الاعتقاد، نكت على التلخيص يسمى الإفصاح، عقود الجمان في المعاني والبيان، شرحه، شرح أبيات تلخيص المفتاح، مختصره، نكت على حاشية المطول لابن الفنري رحمه الله تعالى، حاشية على المختصر، البديعية، شرحها، تأييد الحقيقة العليّة وتشييد الطريقة الشاذلية، تشييد الأركان في ليس في الإمكان أبدع مما كان، درج المعالي في نصرة الغزالي على المنكر المتغالي، الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال، مختصر الإحياء، المعاني الدقيقة في معرفة الحقيقة، النقاية في أربعة عشر علماً، شرحها، شوارد الفوائد، قلائد الفرائد، نظم التذكرة ويسمى الفلك المشحون، الجمع والتفريق في الأنواع الأدبية.

٧ - فن التاريخ والأدب:

تاريخ الصحابة، طبقات الحفاظ، طبقات النحاة: الكبرى والوسطى والصغرى، طبقات المفسرين، طبقات الأصوليين، طبقات الكتاب، حلية الأولياء، طبقات الشعراء العرب، تاريخ الخلفاء، تاريخ مصر هذا، تاريخ معجم شيوخي الكبير يسمى حاطب

ليل وجارف سيل، المعجم الصغير ويسمى المنتقى، ترجمة النووي، ترجمة البلقيني، الملتقط من الدرر الكامنة، تاريخ العمر، وهو ذيل على إنباء الغمر، رفع الباس عن بني العباس، النفحة المسكية والتحفة المكية، على نمط عنوان الشرف، درر الكلم وغرر الحكم، ديوان خطب، ديوان شعر، المقامات، الرحلة الفيومية، الرحلة المكية، ، الرحلة الدمياطية، الرسائل إلى معرفة الأوائل، مختصر معجم البلدان، ياقوت الشماريخ في علم التاريخ، الجمانة، رسالة في تفسير ألفاظ متداولة، مقاطع الحجاز، نور الحديقة من نظم القول، المجمل في الرد على المهمل، ، المنى في الكنى، فضل الشتاء، مختصر تهذيب السماء للنووي، الأجوبة الزكية عن الألغاز السبكية، رفع شأن الحبشان، أحاسن الأقباس في محاسن الاقتباس، تحفة المذاكر في المنتقى من تاريخ ابن عساكر، شح بانت سعاد، تحفة الظرفاء باسماء الخلفاء، قصيدة رائية، مختصر شفاء الغليل في ذم الصاحب والخليل.

منهج السيوطي في كتابه

أوّلاً: عنوان الكتاب:

أ - اختلاف العنوان في نسخ المخطوطات:

تختلف عناوين النسخ المخطوطة في عبارات تقترب وتبتعد مع بعضها، وفيما يأتي العناوين مثبت بإزائها النسخ التي وردت فيها:

١ - (أ): شرح عقود الجمان في المعاني والبيان.

٢ - (ق): كتاب شرح عقود الجمان، وفي نهايتها: آخر شرح الألفية في المعاني والبيان

٣ - في نهاية (ط): هذا آخر شرح الألفية في المعاني والبيان.

٤ - (هـ): كتاب شرح عقود الجمان في علمي المعاني والبيان.

٥ - (ر) شرح الأرجوزة المسماة بعقود الجمان في علم المعاني البيان.

٦ - (ح) شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان.

ومن مطالعتنا لهذا الاختلاف، نرى أنّ عنوان النسخة (أ) يمكن أن يكون عنواناً أصلاً صحيحاً وهو ما تشترك به النسخ جميعاً، واختلافها يكون في ألفاظ تزيد وتنقص في بعضها وتختفي في أخرى وهي ألفاظ يمكن التغاضي عنها، فألفاظ مثل (الألفية، علمي، (الأرجوزة المسماة، علم)، لم يعنون المؤلّف نفسه كتابه بها عندما ترجم لنفسه، فقد عنون منظومته بـ(عقود الجمان في المعاني والبيان)[٢]، وعقّب على ذلك بلفظة (شرحه).

ونرى أنّ هذه من اجتهادات النساخ، ففي (الألفية) زيادة نرى أنّها جاءت تقليداً لألفية ابن مالك النحوية الشهيرة، وجاء هذا التقليد لكون منظومة السيوطي هذه تعدّ المنظومة الأولى من نوعها في البلاغة، أمّا لفظة (علمي) فنرى أنّ خطأها بيّن، إذ لم يتناول السيوطي علمي المعاني والبيان كما يظهر من العنوان بل تناول البديع أيضاً، وهذه مسألة سنتناولها فيما يأتي، أمّا عبارة (الأرجوزة المسماة) فنجد فيها

(٢) ينظر العنوان فيما مضى في مؤلفاته.

غرابة في العنونة، فمن المعروف أنّ المنظومات العلمية أو ما يسمى بالشعر التعليمي تكون في غالباً إن لم نقل مطلقاً من بحر الرجز، لذلك لسهولة التعامل معه وكثرة الزحافات والعلل التي تدخل عليه فضلاً عن عدم ضرورة التزام قافية واحدة، ونرى أنّ لفظة (الأرجوزة) ما هي إلاّ تحصيل حاصل، أضف إلى ذلك أنّ المؤلف نفسه إذا كان قد عنونها بهذا الشكل فلماذا تطلق لفظة (المسماة) التي توحي إلى أنّ أحد ما سمّاها بهذا الاسم وكأنّ المؤلف نسي أن يسميها، فاصطلح الناس على تسميتها بهذا الاسم!.

ب – كمال العنوان:

إذا كان العنوان الذي نرى صوابه هو (شرح عقود الجمان في المعاني والبيان)، ففيه نرى اتفاقاً على احتوائه مصطلحين بلاغيين هما (المعاني والبيان)، في حين أنّه أُغفِل (البديع) (السرقات) بأنواعها وما يتعلّق بها التي تحتلّ نصف الكتاب تقريباً، من هنا نجد مفارقة بين العنوان والمعنون، إذ يمثّل العنوان عتبة رئيسة للدخول إلى المعنون له، إذ بقراءته يمكن تصوّر المعنون وتكوين صورة أوّلية عنه، وأوّل ما يلاحظ على العنوان أنّه ليس جامعاً لفنون البلاغة الثلاثة (المعاني والبيان والبديع) فضلاً عن عدم شموله على مصطلحات السرقات وما يتعلّق بها التي وضعها المؤلّف بعد الفراغ من الفنون الثلاثة. فإذا أمكن أن يغضّ الطرف عن السرقات وما يتعلّق بها بوصفها (خاتمة) أو تابعة لعلوم البديع كما في الإيضاح، فما معنى أن يكون العنوان فاقداً لأحد فنون البلاغة وركيزة من ركائزها الثلاثة؟ فهذه مسألة يحقّ لنا الوقوف عندها. فماذا يعني أن لا يذكر المؤلّف مصطلح (البديع)، لا في عنوان المنظومة ولم يصحح (الإغفال) بذكره حتى في عنوان الشرح، الذي لم يضف إلى عنوان المنظومة سوى كلمة (شرح)، أفلم يستطع السيوطي الشارح أن يكمل العنوان الذي أغفله السيوطي الناظم؟

ربّما يُظنُّ أن السجع الذي كان شائعاً في تسمية الكتب في زمن تأليف السيوطي كان له تأثير في التسمية، لكن هذا ليس تسويغاً مرضياً، إذ إنّ السجع في عنونة المنظومة قد يكون ملزماً وهذا ما يمكن تفهّمه بأن عنوان المنظومة إن لم يستطع صاحبها أن يجعله شعراً رجزاً أُلجِئ إلى السجع لأجل التناسب الإيقاعي، أمّا إنّه لم يغيّر من عنونة المنظومة في الشرح وهو يستطيع فذلك أمر مقصود لا محالة. وهذا ما نجده في الكتاب نفسه، فيرى السيوطي في نهاية مقدمته للكتاب

أنّ مرجع البلاغة التحرّز عن الخطأ في تأدية المعاني، فضلاً عن معرفة علم اللغة والتصريف وعلم النحو، فقد وُجِدَت البلاغة لأمور ليست من اختصاص أهل اللغة وأهل التصريف وأهل النحو فما يقوله أهل هذه العلوم يلتزمه الكلام الفصيح، وهذه الأمور هي من اختصاص البلاغيين الذين وضعوا علمهم في ثلاثة أقسام، يقول شارحاً: (تمييز الفصيح من غيره بعضه يعرف من علم اللغة وهو الغرابة وبعضه من علم التصريف وهو مخالفة القياس وبعضه من علم النحو وهو ضعف التأليف والتعقيد اللفظي وبعضه يدرك بالحس وهو التنافر، فاستغنى عن ذكر ما يعرف به في هذا الكتاب وغيره من كتب البلاغة فلم يبق مما ترجع إليه البلاغة إلا الاحتراز عن الخطأ في التأدية فوضع له علم المعاني وتمييز السالم من التعقيد المعنوي من غيره فوضع له علم البيان ثمّ احتاجوا إلى معرفة توابعها فوضع له علم البديع).

إذن لم يوضع علم البديع إلاّ لمعرفة التوابع التي لا يتناولها علما المعاني والبيان، وعلى هذا فليس علم البديع إلاّ تابعاً لهما وملحقاً بهما. فتابعية البديع وهو الفن الثالث للفنين الأوّل (المعاني) والثاني (البيان) هي التي أقنعت السيوطي بتثبيت العنوان كما هو من دون أيّ تغيير.

ويعود السيوطي ويؤكّد هذه الفكرة في مقدمة الفن الثالث ويقرّ بأنّ البديع لم يوضع إلاّ لتحسين الكلام بعد الالتزام بعلمي المعاني والبيان، ويقول: (علم البديع علم يعرف به وجوه تحسين الكلام أي تصور معانيها، وتعلم أعدادها وتفاصيلها بحسب الطاقة بعد رعاية الفاصلة لمقتضى الحال، ورعاية وضوح دلالته أي خلوه عن التعقيد المعنوي إذ لا تعتبر وتعد محسنة للكلام إلاّ بعد رعايتها، وإلاّ كان كتعليق الدرّ على الخنازير. قال أبو جعفر الأندلسي: وهو أخصّ الفنون الثلاثة لتركّبه من الفنّين وزيادة...)، قال: (وهما بالنسبة إليه كالحياة والنطق بالنسبة للإنسان فلا يوجد البديع بدونهما كما لا يوجد الإنسان بدون الحياة والنطق، والمعاني بالنسبة إلى البيان كالحياة بالنسبة إلى النطق، فتوجد المعاني بدونه كما يوجد الحيوان بلا نطق ولا عكس كما لا عكس).

فليس علم البديع إلاّ (تحسين) و(محسّنة) و(زيادة). وهذا ما يجعلنا نقرّ بأنّ إغفال إيراد العلم الثالث في العنوان كان عن قصد ولم يغيّر المؤلّف ذلك في الشرح مع أنّه يستطيع ذلك ولو بتذييل بسيط للعنوان، ولكن قناعة السيوطي لم

تتغير في الشرح كما في المنظومة.

ثانياً: دراسة المنظومة:

تتألّف المنظومة من ألف بيت شعر وتعدّ أوّل منظومة بلاغية تضم فنون البلاغة الثلاثة، وأهمّ ما تميّز به السيوطي في المنظومة ما يأتي:

١- أنّه نظم كتاب التلخيص للتفتازاني وهو كتاب معروف شرح على ما يناهز عن الخمسين شرحاً كما ذكر حاجي خليفة، وكتاب التلخيص هو القسم الثالث من كتاب مفتاح العلوم للسكاكي، مع تقعيد للقواعد وترتيب يناسبه بوصفه علماً مستقلاً.

٢- أنّ في المنظومة تركاً لكثير من الأمثلة والتعاليل التي في كتاب التلخيص وهذه ليس مكانها هنا لعدم قدرة النظم على استيعابها.

٣- أنّ في المنظومة إصلاحاً لما انتقد فيه علماء البلاغة التفتازاني في التلخيص معوّضاً عنها بزيادات بعضها تدخل ضمن الاعتراضات السابقة، التي أخذها السيوطي مشافهةً عن شيخه محيي الدين الكافيجي.

٤- أنّ السيوطي لم يلتزم ترتيب التلخيص في نظمه للموضوعات البلاغية، بل يقدّم ويؤخّر في ذلك لمناسبة يراها أولى.

٥- أنّ السيوطي يجمع المسألة المتفرّقة في كتاب التلخيص تحت عنوان واحد في النظم متخطّياً بذلك إحدى المآخذ على التفتازاني.

٦- أنّ السيوطي يبدي آراءه بوضوح في المنظومة سابقاً آراءه بلفظة بـ(قلت)، وأحياناً لا يذكر هذا الفعل، وقد أوضح ذلك في الشرح.

ثالثاً: دراسة الشرح:

١ – منهجه:

يصرّح السيوطي في مطلع كتابه الغاية من تأليفه لهذا الشرح فيقول: (هذا تعليق لطيف علقته لينتفع به من حلّ أرجوزتي التي نظمتها في علم المعاني والبيان وسمّيتها (عقود الجمان) إذ لم يتّسع وقتي لكتابة شرح عليه كما أرتضيه مع إلحاح قارئيه على ذلك فأنجزت لهم هذه العجالة لتعينهم على فهم مقاصدها). ثمّ إنّه بهذا الشرح يسمح له بسط ما قد ضاق عليه نظماً.

ويعتمد السيوطي في الشرح على أكثر من طريقة وهذا يرجع إلى طبيعة الموضوع الذي يشرحه، فأحياناً يكاد الإجمال يكون السمة الطاغية على الشرح، إذ

عادة ما يقوم السيوطي بشرح الأبيات شرحاً مجملا من غير تفصيل كلّ بيت على حدة، وأحياناً يقوم بتجزئة الأبيات إلى عدّة أقسام، يشرح كلّ جزء على حدة. وقد يزيد على ذلك فيخرج إلى مواضيع أخرى تحت عناوين: (التنبيهات أو الفوائد أو اللطائف).

٢ – شواهده.

يكاد السيوطي ينفرد عن كلّ كتب البلاغة المتأخِّرة خاصّة بشواهده المتنوّعة، فقارئ الكتاب يجد نفسه يقرأ كتاباً يرجع إلى القرن الثالث أو الرابع بسبب الكمّ الهائل من الشواهد التي نجدها في الكتاب، ونكاد هنا لا نجد كتاباً مماثلاً في البلاغة يحوي هذا الكم من الشواهد، وتتوزّع الشواهد إلى ما يأتي:

القرآن الكريم والقراءات القرآنية:

استشهد السيوطي بمآت من الآيات القرآنية، ولا يكتفي السيوطي بالاعتماد على القراءة المشهورة للقرآن الكريم بل إنّه يتخذ من القراءات شواهد ودلائل، فقد أورد العديد القراءات في كتابه، وهو لا يذكر الآيات التي يستشهد بها كاملة دائماً، فقد يفعل هذا أحياناً وقد يقتصر على موطن الشاهد فقط، وقد يشير إلى الآية بكلمة واحدة منها. مما جعلنا نكمل الآيات في الهامش.

الحديث النبوي الشريف:

يتميّز السيوطي على نحو ينفرد به بالاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة على غير ما نجد من كتب البلاغة فكثرة استشهاداته تلفت للانتباه إلى درجة أنّه دفع بنا إلى مقارنته بغيره من كتب البلاغة فوجدنا أنّه قد فاق الجميع في ذلك. ويؤسس السيوطي كثيراً من ظواهر البلاغة على الحديث الشريف كما في حديثه عن تكرير الاسم بأن كانا نكرتين أو معرفتين أو الثاني نكرة، فهل هو عينه أم لا؟ ويطرح السيوطي المسألة بعمق وكلّ هذا اعتماداً على الحديث النبوي الشريف، ويقول في التأسيس والتفريع: (هذا نوع لطيف اخترعته لكثرة استعماله في الكلام النبوي)، ويقول بعد أن يورد مجموعة من الأحاديث: (وفي الأحاديث من ذلك شيء كثير، وإنّما أطلت هنا بهذه الأمثلة تقريراً للنوع الذي اخترعته). وقد يجعل السيوطي استشهاده بالحديث النبوي الشريف ركناً من منهجه في الكتاب، يقول في بداية حديثه علم البديع ونوعيه المعنوي واللفظي: (وقد التزمت أن آتي في كلّ نوعٍ

بمثال فأكثر من الحديث النبوي تمريناً وتشريفاً وتيمّناً). وقد أدّى اهتمام السيوطي بالحديث النبوي الشريف إلى أن يخترع نوعاً بديعياً سمّاه التأسيس والتفريع لكثرة استعماله بالحديث النبوي الشريف. ويورد عليه أحاديث كثيرة دليلاً على مخترعه هذا.

ومما تتميّز به شواهده الحديثية أنّه قد لا يوردها كاملة فيقتصر على موطن الشاهد، كما أنّ أغلب شواهده يرويها من كتب يعيّنها هو، فيذكر الحديث ثمّ الكتاب الذي جاء فيه، وعندما نعود إلى الكتاب الذي أشار إليه نجد الحديث وكثيراً ما نجد رواية مختلفة للحديث، مما اقتضى توثيق ذلك في الهامش.

الشعر:

عادة ما تكثر كتب البلاغة العربية من الاستشهاد بالشعر وهذا ما فعله السيوطي سيراً على عادة كتب البلاغة، لكنّه يتميّز بأنّه لم يترك عصراً إلاّ استشهد بشعره، فهو يستشهد من شعر امرئ القيس إلى شعره الذي يردّد منه في الكتاب في أكثر من موضع، وهذه المدة الطويلة جعلت استشهاداته الشعرية تتنوّع كثيراً. وهذا يعود إلى ما قرّره السيوطي أوّلاً من أنّ البلاغة العربية تتميّز عن باقي علوم اللغة العربية بانفتاح عصر الاستشهاد دون أن يقف في تاريخ معيّن، يقول ناقلاً عن أبي جعفر الأندلسي: (علوم الأدب ستة: اللغة والتصريف والنحو والمعاني والبيان والبديع. قال: فالثلاثة الأُوَل لا يستشهد عليها إلاّ بكلام العرب نظماً ونثراً لأنّ المعتبر فيها ضبط ألفاظهم، والعلوم الثلاثة الأخيرة يُستشهَد عليها بكلام العرب وغيره من المولدين لأنّها راجعة إلى المعاني ولا فرق فيها في ذلك بين العرب وغيرهم إذ هو أمر راجع إلى العقل ولذلك قُبِلَ من أهل هذا الفن الاستشهاد بكلام البحتري وأبي تمام وأبي الطيب وأبي العلاء وهلم جرا).

ومما تتميّز به شواهده الشعرية أنّه قد لا يرويها كاملة ويقتصر في ذلك على أحد شطري البيت، مما اقتضى تكميله في المتن وحصر الزيادة بين القوسين [ ]. وقد يستشهد بأبيات وموطن الشاهد في إحداها، كما أنّ رواية أبياته تختلف عن رواية الأبيات في الديوان، وقد ينسب البيت إلى شاعر وهو لغيره، وقد نوّهنا عن كلتا الحالتين في الهامش.

الأمثال والأقوال المأثورة:

لم يخل شرح السيوطي من الاستشهاد بالأمثال العربية الجاهلية والإسلامية

وما تلاها من عصور، كذلك يستشهد بأنواع مختلفة من الأقوال المأثورة تعود إلى أزمنة مختلفة.

٣ – مصادره:

يستعين السيوطي بمصادر متعددة في شرحه لمنظومته وهذه المصادر متنوّعة إلى حدّ كبير مما يكشف عن ثقافته الواسعة المتنوّعة، فنجد في شرحه إشارات عديدة لأعداد كبيرة من المصادر ليس في البلاغة العربية فقط بل في علوم اللغة العربية عموماً فمن المعاجم إلى كتب النحو والصرف والنقد، فضلاً عن التفاسير وكتب إعجاز القرآن والتراجم إلى غير ذلك من الكتب وأشهرها هي:

ت	اسم الكتاب	المؤلف
١.	الانتصار	أبو بكر الباقلاني
٢.	منهاج البلغاء وسراج الأدباء	حازم القرطاجني
٣.	ارتشاف الضرب	أبو حيان الأندلسي
٤.	الأقصى القريب	التنوخي
٥.	الأمالي	ابن الحاجب
٦.	الإيضاح في علوم البلاغة	القزويني
٧.	البديع	ابن المعتز
٨.	البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن	ابن الزملكاني
٩.	التبيان في البيان	الطيبي
١٠.	التبيان في علم البيان	ابن الزملكاني
١١.	التلخيص في علوم البلاغة	القزويني
١٢.	الجنى الداني في حروف المعاني	أبو الحسن المرادي
١٣.	الصحاح	الجوهري
١٤.	الصناعتين	أبو هلال العسكري
١٥.	العمدة في محاسن الشعر ونقده	ابن رشيق القيرواني
١٦.	الكامل	المبرد
١٧.	الكتاب	سيبويه
١٨.	الكشاف	الزمخشري
١٩.	المثل السائر	ابن الأثير

٢٠.	المصباح	بدر الدين بن مالك
٢١.	المطول على التلخيص	
٢٢.	المفصّل	الزمخشري
٢٣.	تحرير التحبير	ابن أبي الإصبع المصري
٢٤.	تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد	ابن مالك
٢٥.	تفسير البيضاوي	البيضاوي
٢٦.	جمع الجوامع	السبكي
٢٧.	جناس الجناس	الصفدي
٢٨.	حلية المحاضرة	الحاتمي
٢٩.	خزانة الأدب	ابن حجة الحموي
٣٠.	دلائل الإعجاز	عبد القاهر الجرجاني
٣١.	سر الفصاحة	ابن سنان الخفاجي
٣٢.	شرح الفوائد الغياثية	
٣٣.	شرح الكافية	الرضي الإسترابادي
٣٤.	شرح الكافية الشافية	ابن مالك
٣٥.	شرح المهذب	النووي
٣٦.	عروس الأفراح	بهاء الدين السبكي
٣٧.	غريب الحديث	ابو عبيد
٣٨.	مختصر السعد	التفتازاني
٣٩.	مغني اللبيب عن كتب الأعاريب	ابن هشام الأنصاري
٤٠.	مفتاح العلوم	السكاكي
٤١.	نقد الشعر	قدامة بن جعفر
٤٢.	نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز	الرازي
٤٣.	همع الهوامع	السيوطي

٤ – استطراداته:

يستطرد السيوطي في مواضع متعددة إلى مجالات غير بلاغية قد تكون قريبة من البلاغة أو بعيدة عنها، ويمكن تفصيل استطراداته إلى ما يأتي:

١- النحو: يستطرد السيوطي إلى عدّة مواضيع نحوية خاصّة في علم المعاني بحكم تقاربه الشديد من النحو، وقد يستغرق عدّة صفحات من ذلك استطراده في حديثه عن (لو) وكونها حرف امتناع لامتناع وأقوال النحاة فيها، كذلك الحديث عن (لن) وهل تفيد التأبيد أم لا. حتى إنّ القارئ في علم المعاني من هذا الكتاب لينسى أنّه يقرأ كتاباً في البلاغة، ويجد فيه ما يجده في أمّهات كتب النحو.

٢- يستطرد السيوطي إلى أسباب النزول إلى مواضيع يفصّل فيها ويناقش بحيث يخرج عن البلاغة تماماً من ذلك حديثه عن الأسلوب الحكيم في قوله تعالى: (ومنه إجابة السائل بغير ما يتطلب تنبيهاً على أنّه الأولى أو الأهمّ، قالوا كقوله تعالى ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ (البقرة: من الآية ١٨٩)، سألوا عن الهلال لِمَ يبدو دقيقاً ثمّ يتزايد حتى يستوي ثمّ ينقص حتى يعود كما بدأ فأيّ فائدة تحت ذلك؟ فأُجيبوا ببيان حكمة ذلك وهي أنّه معرفة المواقيت والحلول والآجال، وجازف بعضهم في العبارة حتى تعدّى إلى أن قال: لأنّهم ليسوا ممن يطلع على دقائق الهيئة بسهولة وهذه قلّة أدب منه وجهل بمقدار الصحابة (رضي الله تعالى عنهم) وقد كانوا أدقّ نظراً وأذكى فطنة من ألوف من أضرابه فظنّ أنّه وأمثاله يسهل عليهم إدراك ذلك ويصعب على مثل أولئك، أما شَعَرَ من السائل عن ذلك؟ هو معاذ بن جبل، أعلم الأمة بالحلال والحرام بشهادة النبيّ ﷺ، وهل ذلك أدقّ من دقائق الفقه والفرائض التي اشتهر عنهم بعضها بالتوقيف وبعضها بالاستنباط ممّا لم يصل المذكور ولا غيره من أهل هذه الفنون إلى فهم عشر معشارها، ثمّ هل اعتقد أنّ علم الهيئة مما يُعتبر أو يلتفت إليه، كلاّ، بل هو هذيان بقول لا دليل عليه وليس إلى التوصّل إلى تصحيحه من سبيل، وقد قالوا زعماً منهم: إنّ الأرض كرة لا سطح فنزل القرآن بأنّها سطح، قال تعالى ﴿ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠ ﴾ (الغاشية: ٢٠)، وقالوا لا تكسف الشمس إلاّ في الثامن والعشرين أو التاسع والعشرين للمقابلة التي يزعمونها قابلهم الله عليها فكسفت يوم موت إبراهيم ابن النبيّ ﷺ كما في الصحيحين وكان عاشر ربيع الأوّل كما رواه الزبير بن بكار، وكسفت يوم قتل الحسين ؓ كما هو مشهور في التواريخ وغيرها، كان يوم عاشوراء، وقد روى ما يقتضي أنّهم لم يسألوا عن سبب زيادة الهلال ونقصانه بل عن سبب خلقه، فروى أبو جعفر الرازي عن ربيع بن أبي العالية قالوا بلغنا أنّهم قالوا لرسول الله: لم خلقت الأهلّة فأنزل الله تعالى ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ﴾ (البقرة:

من الآية ١٨٩) الآية، وإنّما أطنبت في هذا المقام تنفيراً للناس عن هذا الكلام الشنيع وخوف أن يتلقفه من لم يرسخ في قلبه تقوى فيتداولوه على ألسنتهم ومن لم يتأدّب مع الصحابة وسلف الأمّة ويترك شغب أهل الفلسفة لم يلتفت إليه كائناً من كان).

٣- يستطرد السيوطي إلى الفقه والخلاف الفقهي بين الحنفية والشافعية فيما إذا أتت كلمة مكررة أو عرّف إحداهما وأثر ذلك في الأحكام الفقهية، وذكر فيهما مسألة في الطلاق والبيع.

٤- يستطرد السيوطي إلى علوم الحديث ويبدي آراءه وأقوال العلماء في ذلك من ذلك حديثه عن العلوم الشرعية عامة وعلم الحديث خاصّة والمنطق يقول: (إنّا معاشر أهل السنة لا ننجس تصانيفنا بقذر المنطق الذي اتفق أكثر المعتبرين خصوصاً المحدثين والفقهاء من كلّ المذاهب خصوصاً الشافعية وأهل المغرب على تحريمه والتغليظ على المشتغلين به وإهانتهم وعقوبتهم وقد جمعت في ذلك تأليفاً نقلت فيه كلام الأئمة في الحطّ عليه وهو كتاب مُهمّ وقد نصّ أئمة الحديث كالسلفي والذهبي وابن رشيد على عدم قبول رواية المشتغل به وقد تركت الأخذ عن جماعة لذلك وبالله التوفيق).

٥- استطراده إلى المنطق:

استطرد السيوطي إلى المنطق ذامًّا له يقول: (ونحن أهل السنة لا ننجس تصانيفنا بقذر المنطق الذي اتفق أكثر المعتبرين خصوصاً المحدثين والفقهاء من كلّ المذاهب خصوصاً الشافعية وأهل المغرب على تحريمه والتغليظ على المشتغلين به وإهانتهم وعقوبتهم...).

٦- استطراده إلى تراجم بعض العلماء:

يستطرد السيوطي في شرحه إلى ترجمة الأعلام فقد استطرد في ترجمة ابن الخطيب الزملكاني فذكر نسبه وفضل علمه ووفاته ومؤلفه البلاغي الشهير ونسبته إلى قريته زملكا.

وصف المخطوطات

بعد جهد جهيد استطعنا الحصول على أربع مخطوطات في أماكن مختلفة وأزمنة مختلفة كذلك فضلاً عن الطبعتين غير المحققتين للكتاب، وفيما يأتي وصف كلّ منها:

١ - النسخة أ:

وهي النسخة المحفوظة في مكتبة الأوقاف ببغداد بالرقم ١٦٤٩/٢ مجاميع، وتتكون من ١٣٣ صفحة في كل منها ٢٥ سطراً، في كل سطر ١٢ كلمة في المعدل بقياس ٢١ × ١٥ سم، وتبدأ المخطوطة بعبارة (بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسر الحمد لله المنزه عن المماثلة والتشبيه وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له شهادة مخلص في التنزيه وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ذو المعجزات التي لا يعتريها شوب التمويه...) وتنتهي بعبارة (آخر شرح الألفية في المعاني والبيان، ولله الحمد والمنة، وفرغ منه مؤلّفه عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي عفا الله عنه يوم الأحد خامس ربيع الأوّل سنة خمس وسبعين وثمانمائة غفر الله له آمين).

ولم يذكر في هذه النسخة الزمن الذي نسخت فيه ولا مكان النسخ ولا الناسخ، لكنّنا نعدّها النسخة الأمّ التي اعتمدنا عليها في التحقيق، وذلك لأننا وجدنا في غلاف النسخة عبارة في سطرين مدوّنة بخطّ جميل مغاير تماماً عن الخط الذي دوّن به المخطوط، يمثل السطر الأوّل عنوان الكتاب (شرح عقود الجمان في المعاني والبيان) في حين يمثّل السطر الثاني العبارة الأهمّ وهي (للسيوطي في خطّ المؤلّف)، فعلى الرغم من أهمية العبارة الثانية، فإننا نلمح فيها إرباكاً في استخدام حرف الجر (في)، الذي يقتضي - لا محالة - تأويلاً، فهل تعني العبارة (بخطّ المؤلّف) أم (من خطّ المؤلّف)؟ هذا جعلنا نقرأ المخطوط والتعليقات التي في حواشيه بعناية بالغة لعلنا نهتدي إلى شيء، وبالفعل فقد ترجّح عندنا التأويل الثاني، أي إنّ هذه النسخة منسوخة من نسخة بخطّ المؤلّف، ففي حاشية الصفحة ١٢٣ نجد عبارة تقول (في الأصل سوان) تعليقاً على عبارة في المتن تقول (فإنّهما سيان)، مما يرجح أنّ هذه النسخة منسوخة عن أصل بخطّ المؤلّف، وهذا ما تأكّد لنا في الصفحة ١٢٤ ففي حاشيتها (هكذا في نسخة المصنف بخطه وبعده بياض)، مع التنبيه إلى أنّ هذين التعليقين من خطّ الناسخ.

مما سبق يمكن عدّ هذه النسخة منقولة عن نسخة المؤلّف نفسه وأنّها قد روجعت وقورنت بعد النسخ بالأصل بدليل الملاحظتين الدقيقتين اللتين ذكرناهما آنفاً.

٢ - النسخة ق:

وهي النسخة المحفوظة في مكتبة الأوقاف ببغداد أيضاً بالرقم ١٦٢٩، وتتكون من ١٢٧ صفحة في كل منها ٢٥ سطراً، في كل سطر ١٤ كلمة في المعدل، بقياس ٢٢×١٤ سم. وقد أوقف هذه النسخة السيد محمد سعيد أفندي ابن السيد جواد على مدرسة نايلة خانم بقرب جامع الحيدر خانة في ٤ شوال ١٣٠٩ كما هو مثبت على الصفحة في عنوان الكتاب المثبت في الصفحة الأولى من المخطوط.

أمّا العنوان المثبت فهو (كتاب شرح عقود الجمان للشيخ الإمام العالم العلاّمة جلال الدين السيوطي رحمه الله). وتبدأ المخطوطة بعبارة (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المنزه عن المماثلة والتشبيه وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له شهادة مخلص في التنزيه وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ذو المعجزات التي لا يعتريها شوب التمويه...) وتنتهي بعبارة (آخر شرح الألفية في المعاني والبيان، ولله الحمد والمنة). وهي منسوخة في القسطنطينية سنة ٩٩٥ هـ بخطّ حبيب بن محمد المغلوي كما هو مثبّت في نهاية النسخة.

تتميز هذه النسخة بوضوحها فهي مكتوبة بخط حسن جميل ليس فيها سقط وقليلة الحواشي جدًّا إلاّ من تعليقات هنا وهناك بخطّ مغاير لخط النسخ. وأهمّ ما يميّز هذه النسخة أنّ النظم فيها مضبوط بالشكل تماماً في الأوراق السبعة والثلاثين الأولى، لكن يختفي هذا الضبط في الأوراق التالية.

٣ - النسخة ط:

وهي النسخة المحفوظة في مكتبة الأوقاف بالموصل بالرقم ٢٢ - ٢٥ مجموع / حجيات، وتتكون من ١١٩ صفحة بقياس ٢١× ١٥ سم، تبدأ بعبارة (بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسر الحمد لله المنزه عن المماثلة والتشبيه وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له شهادة مخلص في التنزيه وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ذو المعجزات التي لا يعتريها شوب التمويه) وتنتهي بعبارة (هذا آخر شرح الألفية في المعاني والبيان للشيخ الإمام العالم العامل العلاّمة صدر المدرسين بمعهد لطالبين شيخ المحدثين والنحاة والأصوليين فريد عصره وأوانه جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن نجل الشيخ الإمام العالم العلاّمة كمال الدين أبي بكر السيوطي الشافعي نفع الله المسلمين

ببركته آمين). تتميز هذه النسخة بكونها منسوخة بمدادين الأحمر والأسود، فالمنظومة مدوّنة باللون الأحمر، والشرح مدوّن باللون الأسود، لكننا نرجّح أنّ تكون هذه المخطوطة في الأصل نسختين مختلفتين جمع بينهما بطريقة ما، ومما يدلّ على هذا:

١- أنّ هذه المخطوطة مدوّنة بخطين الأوّل عادي مقروء والثاني خط شكستة وهو أحد أنواع الخطّ الفارسي، وهو المعروف بخطّ التعليق، فمن الصفحة ١ إلى الصفحة ٨٠ منسوخة بخط عادي، ويأتي خط التعليق من الصفحة ٨٠ إلى نهاية المخطوطة.

٢- وجود سقط بين النص المنسوخ بالخطّ العادي والنص المنسوخ بخط التعليق نقدّرها بخمس صفحات من (والترتب أمر عقلي) إلى (أما المركب فما يستعمل....) وهذا السقط يرجح كون أنّ المخطوط مجموع من نسختين.

٣- أنّ نهاية النسخ بالخطّ العادي ينتهي نهاية مفاجئة، في حين يبدأ خط التعليق بداية منطقية لا يؤذن بنهاية فقرة أو شرح موضوع ما دون وجود مبرر لذلك، إذ يبدأ الأخير بموضوع جديد وهو (الاستعارة المكنية) يتلوها الشرح.

٤- اختلاف تعليقات الحواشي وما أكثرها في كلا الخطين، بمعنى أنّ الجزء المنسوخ بالخط العادي تعليقات حواشيه بخط عادي، والجزء المنسوخ بخطّ التعليق تعليقات حواشيه بخط التعليق، فإذا كانت هذه النسخة نسخة واحدة فإنّه من المفترض أن تكون التعليقات واحدة في كلا الجزءين، لأنّ كاتب الحواشي لا يمكن أن يكتب بخطين مع ما بينهما من تباين، لكن هذا الاختلاف يدعم أن الجزءين لا صلة لأحدهما بالآخر، وقد جمع بينهما في وقت ما بطريقة ما.

٥- أنّ عدد الأسطر في الجزء المدوّن بالخط العادي مغاير لعدد الأسطر المدوّن بخطّ التعليق، فعدد الأسطر في الجزء المدوّن بالخط العادي ٢٣ سطراً، في حين عدد الأسطر في الجزء المدوّن بخط التعليق ٢٥ سطراً، نضيف إلى ذلك التباين في معدّل الكلمات في السطر الواحد في كلا الجزءين فمعدّل الكلمات في الجزء المدوّن بالخط العادي ١٠ كلمات، في حين معدّل الكلمات في السطر الواحد في الجزء المدوّن بخط التعليق هو ١٥ كلمة.

٦- وما يحسم كون هذه المخطوطة من نسختين ما دوّن في نهاية المخطوطة والنهاية حتماً بخطّ التعليق، ففي نهاية المخطوط نجد ذكراً لناسخ واحد لا لناسخين وهو محمد بن قاسم الموصلي البغدادي، فإذا كانت نسخة واحدة نسخها ناسخان فإنّ من المنطقي أن نجد ذكراً لاسم ناسخين، لكن أن نجد اسم ناسخ واحد (وهو

محمد بن القاسم الموصلي)، يعززّ فقدان تكملة الجزء المنسوخ بالخط العادي وفقدان بداية الجزء المنسوخ بخطّ التعليق جمع بينهما بطريقة ما في وقت ما. علماً أنّ تاريخ تدوين الجزء المنسوخ بخط التعليق كان في محرّم الحرام سنة ١١١٤ هـ في مدينة دمشق.

٤ – النسخة هـ:

وهي النسخة التي تمكّنا من الحصول عليها عبر الشبكة الدولية للمعلومات (الأنترنت) بواسطة موقع (ملتقى أهل الحديث) الذي يسمح بتحميله مجاناً، إلاّ أننا لم نستطع أن نحمّلها كاملةً لأسباب لا نعرفها، إلاّ أنّ الصفحة غلاف الكتاب تعطينا معلومات قيمة عن هذه النسخة، وهي نسخة محفوظة في مكتبة الأزهر الشريف بالرقم ٣٠٨٧٢٢، وهي موقوفة من ناسخها الشيخ أحمد السحيمي، ففي واجهتها (وقف هذا الكتاب العمدة الشيخ أحمد ابن العمدة الشيخ محمد السحيمي على جميع من ينتفع به وجعل مقرّه بالدرب الأصفر بالجمالية بالقاهرة وتحت يد رجل من أعلم وأصلح أقاربه، فإن لم يكن فتحت يد عالم صالح (فمن بدّله من بعد ما سمعه فإنّما إثمه على الذين يبدّلونه إنّ الله سميع عليم)). وفي الغلاف نفسه نجد العنوان (كتاب شرح عقود الجمان في علمي المعاني والبيان لشيخ السنة جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي نفعنا الله به)، كما ثبّت على الغلاف تاريخ النسخ وذلك سنة (١١٦٢هـ)، ولا نعرف عدد الأوراق التي تتكون منها المخطوطة، أمّا الصفحة الواحدة فتتكوّن من ٢٣ سطراً، في كلّ سطر ١٤ كلمة. وهذه النسخة مدوّنة بمدادين الأحمر والأسود، دُوّنت المنظومة بالمداد الأحمر في حين دُوّن الشرح بالمداد الأسود.

٥ – النسخة ر:

وهي النسخة المطبوعة بمطبعة شرف موسى في مصر بخان أبي طاقية[٣]، وهي بعنوان (شرح الأرجوزة المسماة بعقود الجمان في علم المعاني البيان لمؤلفها الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي نفعنا الله بعلمه آمين) وفي آخرها (هذا آخر شرح الألفية، وقد فرغت من تأليفه يوم الأحد خامس ربيع الأوّل سنة ٨٧٥ خمس وسبعين وثمانمائة والحمد لله على التمام والصلاة والسلام على خير الأنام

---

(٣) وطبع بهامشه كتاب شرح العلاّمة الشيخ الدمنهوري المسمى بحلية اللب المصون على الجوهر المكنون للسيد عبد الرحمن الأخضري).

وعلى آله وصحبه الأعلام والتابعين لهم على الدوام)، وهي نسخة مصححة ومقابلة على نسخة المؤلف كما هو مطبوع في آخر الكتاب ففيه (يقول مصححه الراجي غفر الله المساوئ السيد حمّاد الفيّومي العجماوي: أمّا بعد فقد تمّ بعون مفيض الإحسان طبع شرح عقود الجمان في المعاني والبديع والبيان موشى الحواشي بطراز الكتاب المسمى بحلية اللب المصون على الجوهر المكنون... وقد جاءا بفضل الله كما أرادا مؤلّفهما(كذا)[٤] وبلغا من الإتقان كما سطّر مصنفهما (كذا)[٥]، وذلك على ذمّة الهمام الأمثل والملاذ الأكمل الأستاذ الفاضل الشيخ محمود البيطار الحلبي... بالمطبعة الشرفية... في منتصف شهر شعبان المعظّم من عام ألف وثلاثمائة واثنتين من هجرة النبي العظم). يبيّن لنا هذا النص أنّ هذا الكتاب مطبوع عن نسخة مقابلة بنسخة المؤلّف قام بالمقابلة محمود البيطار الحلبي.

تتكوّن هذه النسخة من ١٨٥ صفحة، بواقع ٣٣ إلى ٣٤ سطراً في الصفحة الواحدة، في كلّ سطر ١٧ كلمة في المعدّل. وقد عثرنا على هذه النسخة القديمة التي يتجاوز عمرها قرناً وربع القرن في خزانة الرضواني في مكتبة الأوقاف بالموصل.

٦ - النسخة ح:

وهي النسخة المطبوعة في مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٥٨ هـ ١٩٣٩م وتحمل عنوان (شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان)، وهي نسخة مصححة قام بتصحيحها لجنة برئاسة أحمد سعد علي من علماء الأزهر الشريف كما مثبّت في آخر الكتاب، وتتكوّن من ١٧٦ صفحة بواقع ٣٣ سطراً، وفي كلّ سطر ١٦ كلمة في المعدّل. وهذه النسخة تكاد تكون نسخة مطابقة للنسخة (ر) باستثناء بعض الاختلافات المعدودة.

---

(٤) والأصح: أراد مؤلفاهما.

(٥) والأصح مصنفاهما.

خطة التحقيق

١- قمنا بمقابلة النسخ مقابلة دقيقة، فأثبتنا ما رأيناه صواباً في المتن ودوّنّا الفروق في الحواشي مقتصرين على أهمّها مما يمكن أن يكون له تأثير في وضع اصطلاح أو تحديده أو تبيين الفروق بين المصطلحات المجاورة، غاضين النظر عن التصحيفات والتحريفات التي لا فائدة للقارئ منها.

٢- ضبط المنظومة الشعرية بالشكل التام وبعض المفردات التي تحتاج إلى ضبط لأمن اللبس مع استبدال حروف بالإملاء القديم بحروف الإملاء الحديث، ومع مراعاة علامات الترقيم الحديثة.

٣- تخريج الآيات القرآنية في أماكنها من السور مع تثبيت رقم الآية بعد الآية مباشرة في المتن وذلك لكثرة استشهاد المؤلّف بالآيات القرآنية، فكان تثبيت السورة ورقم الآية تفادياً لزيادة الهوامش، ومع التنبه إلى أنّ المؤلّف أحياناً يذكر كلمة واحدة يمكن أن توجد في أكثر من موضع في القرآن الكريم، فقد أشرنا إلى أوّل موضع ترد في القرآن الكريم إلاّ إذا دلّت قرينة من كلام المؤلّف تشير إلى إرادة غيرها، كذلك يذكر المؤلّف أحياناً جزءاً يسيراً من الآية ويذكر بعدها (الآية) مما استوجب تكملة الآية في الهامش إذا كان الجزء المراد التنبيه إليه ذا معنى كامل، وإذا لم تكن كذلك فقد قمنا بإيراد الآية كاملة، وأحياناً يذكر آية واحدة ويريد الآيات التي بعدها وإليها يشير بكلمة (الآيات) مما جعلنا نذكر الآيات المرادة في الهامش. وأحياناً أحلنا إلى الآيات في الهامش تلك التي يشير إليها المؤلف إشارة من غير أن يذكرها كما في باب الاقتباس. كما أننا إذا لزم الأمر نخرّج القراءات القرآنية التي يشير إليها المؤّلف مع القراءات الأخرى.

٤- قمنا بتخريج الأحاديث النبوية الشريفة محيلين إلى الجزء والصفحة في كتب الصحاح أو المسانيد أو كتب الأحاديث الأخرى، مشيرين إلى الكتاب الذي ورد الحديث فيه إذا ذكره المؤّلف، وإذا لم يذكر الكتاب الذي أورد أحلنا إلى الكتب التي وجدنا فيها الحديث، كما أنّ المؤلّف أحياناً يذكر أحاديث مع الكتب التي ترويه، وعند رجوعنا إلى الكتب لا نعثر على الحديث مما اضطرنا إلى الإحالة على الكتب التي روت الحديث.كما أنّنا أشرنا إلى اختلاف الرواية إذا كانت رواية المؤلّف تختلف كثيراً

أو قليلاً عن رواية كتب الحديث وأكثر الأحاديث التي ذكرها المؤلّف وقع فيها مثل هذا الاختلاف.

٥- تخريج الأبيات الشعرية التي ذكرها المؤلّف، مع ضبطها بالشكل، كما أنّا قمنا بتكملة أنصاف الأبيات وذكر النصف الثاني محصوراً منها بين القوسين [ ]، كما أنّنا في حال اختلاف رواية المؤلّف عن رواية الديوان ذكرنا رواية الديوان في الهامش. كلّ هذا إذا كان أو وجدنا ديواناً للشاعر، وفي حالة عدم وجود ديوان الشاعر أحلنا في الهامش إلى أقدم مصدر وقع في أيدينا ذكر الأبيات، وفي حالة عدم العثور على الشاعر ذكرنا ذلك في الهامش. كما أنّ المؤلّف إذا ذكر اسم الشاعر في المتن استغنينا عن ذكره في الهامش، وإذا لم يذكره نسبنا البيت للشاعر، وأحياناً صححنا نسبة البيت إذا سها المؤلّف عن قائله ونسبه إلى غيره.

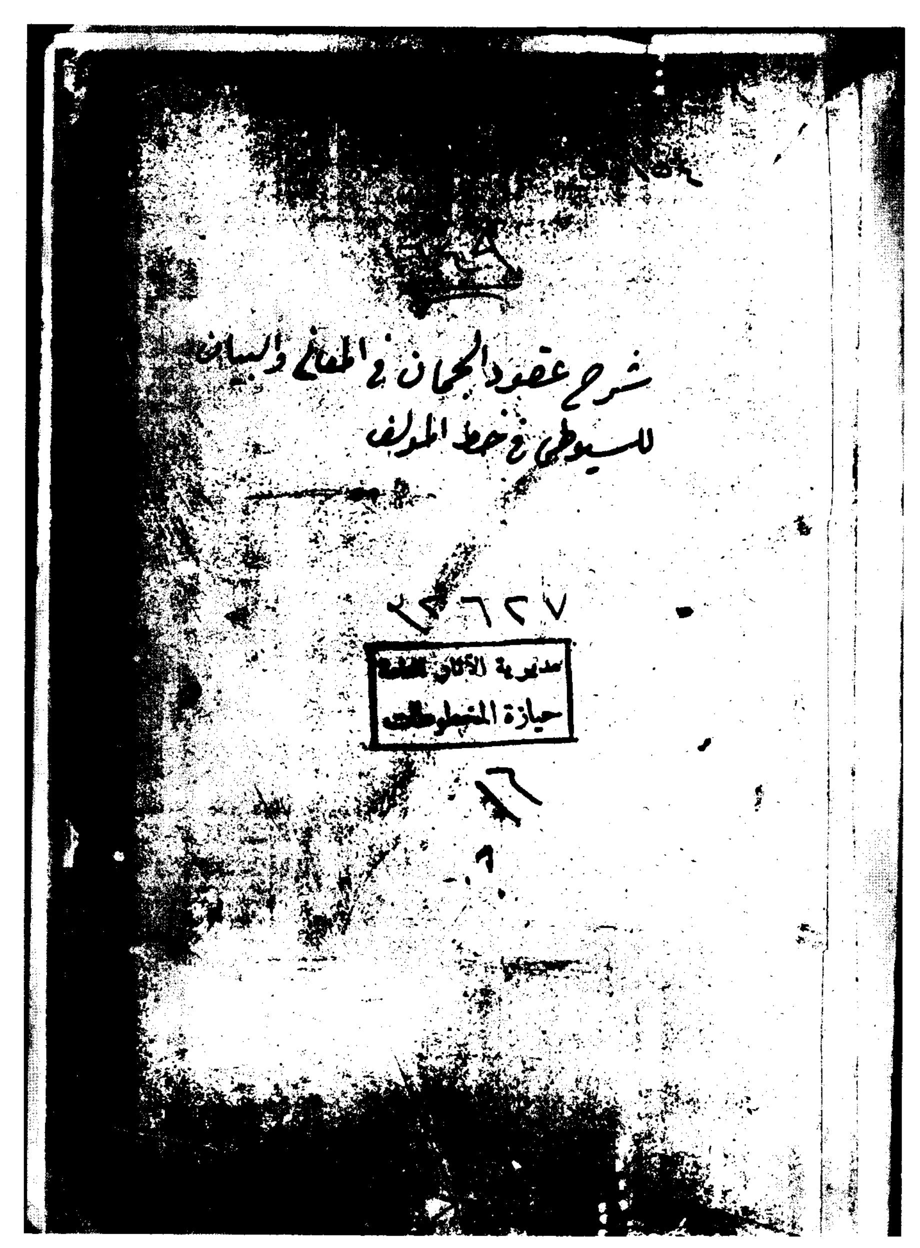
٦- تخريج الأمثال والأقوال المأثورة والأحداث التاريخية والمناظرات الأدبية من أقدم المصادر التي تذكرها.

٧- توضيح بعض العبارات الملبسة وتفسير الألفاظ الغامضة وتصحيح بعضها بما يمكّن القارئ من فهم المقصود دون لبس أو إبهام، وعلى الرغم من قلتها فإنّنا وجدنا ذلك ضرورياً.

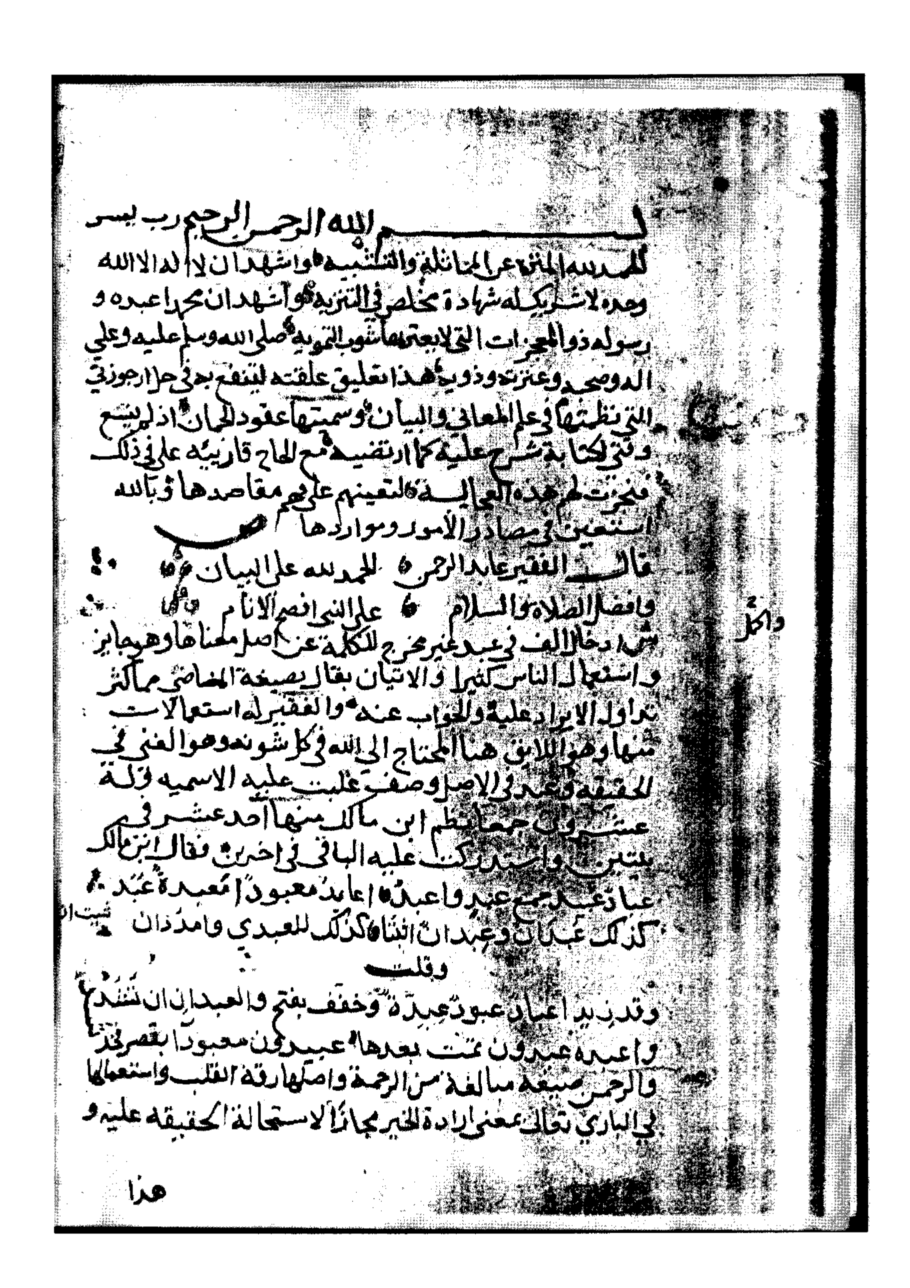
٨- إحالة النقولات - وما أكثرها - إلى المصادر التي نقل عنها المؤلّف كلّما أمكن ذلك، فقد وجدنا من الضروري القيام بهذه المهمة لتسهيل رجوع القارئ إلى المصادر للاستزادة، كلّ هذا إذا توفّر الكتاب، وفي حال عدم وجود الكتاب وغالباً ما يكون بسبب كونه لم يُحقّق بعد أهملنا الإحالة إليه مشيرين إلى ذلك في أوّل ورود للمصدر في الكتاب.

٩- وضع تراجم مقتضبة عن الأعلام غير المشهورين الذين يوردهم المؤلّف في كتابه سواءً كانوا من الشعراء أم المؤلفين أو من شيوخه وأساتذته الذين تلقّى العلم على أيديهم، مع ذكر لأهمّ مصنّفاتهم إذا كانت لديهم مصنفات.

نماذج من صور المخطوط



عنوان النسخة أ



بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر
الحمد لله المنزه عن المماثلة والتشبيه ❊ واشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له شهادة تخلص في التنزيه ❊ واشهد ان محمدا عبده و
رسوله ذو المعجزات التي لا يعتريها شوب التمويه ❊ صلى الله وسلم عليه وعلى
اله وصحبه وعترته وذويه ❊ هذا تعليق علقته لينتفع به في حل ارجوزتي
التي نظمتها في علم المعاني والبيان ❊ وسميتها عقود الجمان ❊ اذ لم يتسع
وقتي لكتابة شرح عليها كما ارتضيه ❊ مع الحاح قارئيه علي في ذلك
فنجزت لهم هذه العجالة ❊ لتعينهم على فهم مقاصدها ❊ وبالله
استعين في مصادر الأمور ومواردها
قال الفقير عابد الرحمن ❊ الحمد لله على البيان ❊
وافضل الصلاة والسلام ❊ على النبي افصح الانام ❊ واكمل
ش دخال الالف في عبد غير مخرج للكلمة عن اصل معناها وهو جائز
واستعمله الناس كثيرا والاتيان بقال بصيغة الماضي مع اكثر
تداول الايراد عليه والجواب عنه ❊ والفقير له استعمالات
منها وهو اللائق هنا المحتاج الى الله في كل شيء نحو وهو الغني في
الحقيقة وعبد في الاصل وصف غلبت عليه الاسمية وله
عشرون جمعا نظم ابن مالك منها احد عشر في
بيتين واستدركت عليه الباقي في اخرين فقال ابن مالك
عباد عبيد جمع عبد واعبد ❊ اعابد معبوداء معبدة عبد
كذلك عبدان وعبدان اثبتا ❊ كذاك العبدى وامدد ان شئت ان تمد
وقلت
وعبدى اعباد عبود عبدة ❊ وخفف بفتح والعبدان ان تشدد
واعبدة عبدون ثمت بعدها ❊ عبيدون معبوداء بقصر فخذ
والرحمن صيغة مبالغة من الرحمة واصلها رقة القلب واستعمالها
في الباري تعالى بمعنى ارادة الخير مجازا لاستحالة الحقيقة عليه و
هذا

الصفحة الأولى من أ

مصلياً على نبي قد علا … اوصافه بابن الوري وكملت

الواو في وَنَمّ للاستئناف وذا للاشارة والنظم بمعنى المنظوم والبا للاستعانة او السببية وفي الآحد والاحد جناس تام مماثل والاحد من اسماء الله تعالى والتي صفة لسبعين لا لما قبله واللام في الحجة للعهد الذهني وقوله في التربيت حال من فاعل نم وانما بلغت ذلك بما فيها من الزيادات الجمة ولو اقتصرنا على ما في التلخيص لم تزد على النصف من ذلك الا قليلا وجملتا التشبيه بعده حالان وارجوزة خبر مبتدأ محذوف وما بعده صفات واذ حرف لتعليل انفرادها في اخواتها من كتب الفن وقوله بكر البيت استعارة تحقيقية شبهها بالبكر في عدم المنال لمن لم يلتفت اليها ولم يبال اليها بالتامل والطلب والسعي في اسباب الوصول اليها والحصول لمن هو بخلاف ذلك ثم رشحه بما يلائم المستعار منه وهو الزفاف والمهر والنهى بالضم العقل لانه ينهى صاحبه عن القبيح وعلى لغة في لعل والرمس اللحد والبؤس الشدة وفي الحديث ما الميت في قبره الا شبه الغريق المتغوث ينتظر دعوة من اب او ام او ولد او صديق ثقة فاذا لحقته كانت احب اليه من الدنيا وما فيها رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس وفي الاتمام والتمام جناس ناقص ومصليا حال مقدرة وفي علت وكملت لزوم وفي الختم بلفظ وكملت براعة عظيمة لان خير الختم ما كان بلفظ يؤذن بالختام وابلغ لفظ الختم والتمام والكمال وقيل ابلغ ما ورد من ذلك قول القائل ما شاء الله الا ان يدوم لنا لان تزيد معاليه فقد كملت

آخر شرح الالفية في المعاني والبيان ولله الحمد والمنة

وفرغ منه مؤلفه عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي

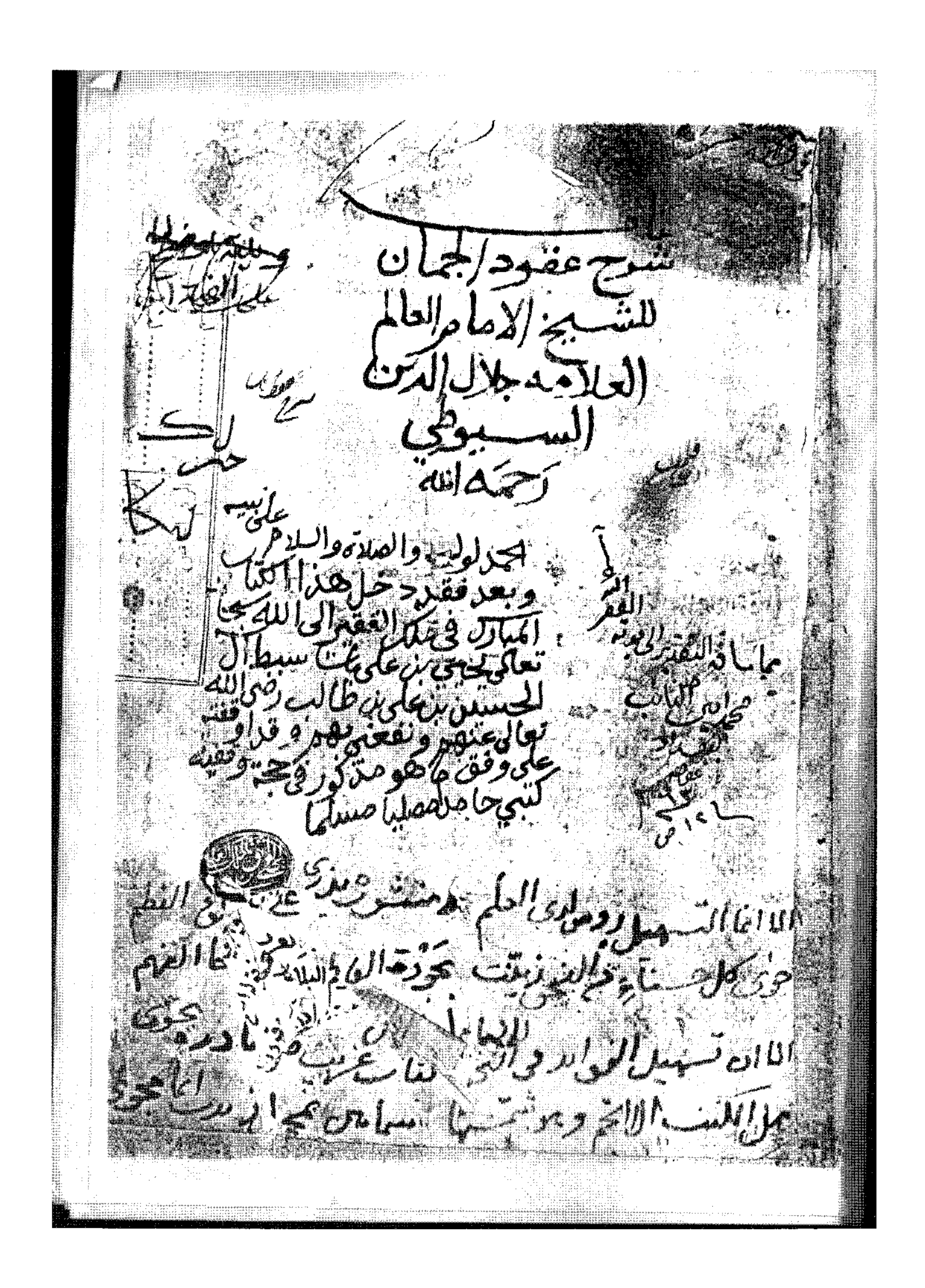
الشافعي عفا الله عنه يوم الاحد خامس ربيع

الاول سنة خمس وسبعين

وثمانمائة غفر الله له

امين

الصفحة الأخيرة من أ



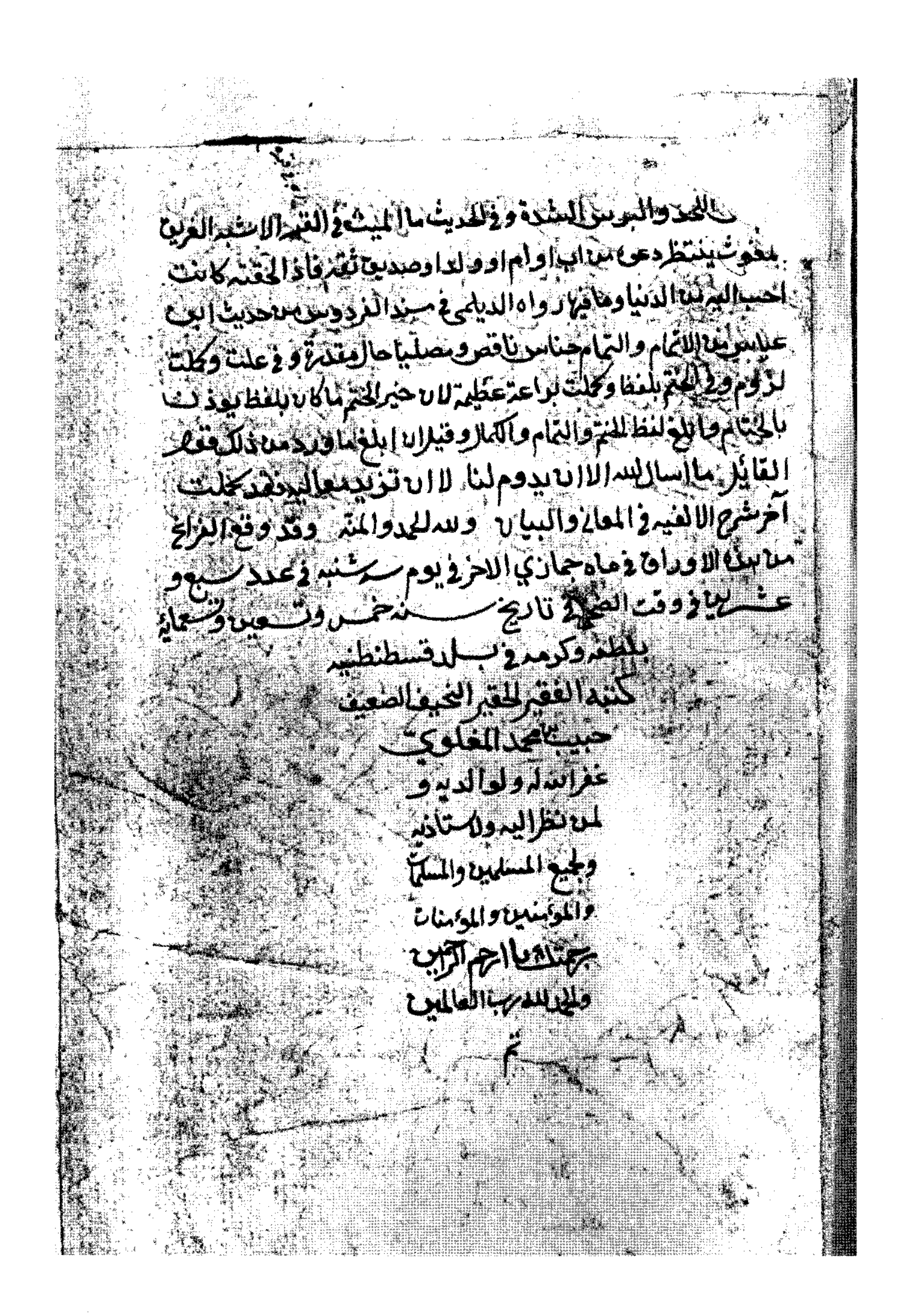
شرح عقود الجمان
للشيخ الإمام العالم
العلامة جلال الدين
السيوطي رحمه الله

واجهة النسخة ق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنزه عن المماثلة والتشبيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلص في التنزيه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ذو المعجزات التي لا يعتريها شوب التمويه، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وعترته وذويه. هذا تعليق علقته لينتفع به في حل أرجوزتي التي نظمتها في علم المعاني والبيان، وسميتها عقود الجمان، إذ لم يتسع وقتي لكتابة شرح عليه كما أرتضيه، مع إلحاح قارئيه علي في ذلك فجزت لهم هذه العجالة لتعينهم على فهم مقاصدها وبالله أستعين في مصادر الأمور ومواردها. قال الفقير عابد الرحمن: الحمد لله على البيان، وأفضل الصلاة والسلام على النبي أفصح الأنام. إدخال الـ في عبد غير مخرج للكلمة عن أصل معناها وهو جائز واستعمله الناس كثيرا والإتيان بقال بصيغة الماضي مما كثر تداول الإيراد عليه والجواب والتقرير له استعمالات منها وهو اللائق هنا المحتاج إلى الله في كل شؤونه وهو الغني في الحقيقة وعبد في الأصل وصف غلبت عليه الاسمية وله عشرون جمعا نظم ابن مالك منها أحد عشر في بيتين واستدركت عليه الباقي في آخرين فقال ابن مالك: عباد عبيد جمع عبد وأعبد أعابد معبوداء معبدة عبد، كذلك عبدان وعبدان أثبتا، كذاك العبدى وامدد إن شئت أن تمد. وقلت: وقد زيد أعباد عبود عبدة وخفف بفتح والعبدان إن تشدد، وأعبدة عبدون ثمت بعدها عبيدون معبودا بقصر فخذ لتسد. والرحمن صيغة مبالغة من الرحمة وأصلها رقة القلب واستعمالها في الباري تعالى بمعنى إرادة الخير مجاز لاستحالة الحقيقة عليه، وهذا الاسم من خواصه تعالى لم يستعمل في غيره والأصح أنه عربي وقيل معرب. والبيان هو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير وفي التعبير به براعة الاستهلال كذا في قوله أفصح الأنام والأنام الخلق والكلام على الحمد والصلاة والسلام والنبي مما شاع وذاع وقد بيناه في غير [illegible]. وهذه أرجوزة مثل الجمان ضمنتها علم المعاني والبيان، لخصت فيها ما حوى التلخيص مع زيادات كأمثال اللمع، ما بين

الصفحة الأولى من ق


ـن المجد والبوس الشدة وفي الحديث ما الميت في القبر الا شبه الغريق
المغوث ينتظر دعوة من اب او ام او ولد او صديق ثقة فاذا لحقته كانت
احب اليه من الدنيا وما فيها رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن
عباس وفي الاتمام والتمام جناس ناقص ومصليا حال مقدرة وفي علت وكلت
لزوم وفي الختم بلفظ وكملت براعة عظيمة لان خير الختم ما كان بلفظ يوذن
بالختام وما الطف لفظ الختم والتمام والكمال وقيل ان ابلغ ما ورد من ذلك قول
القائل ما اسال الله الا ان يدوم لنا لا ان تزيد معاليه فقد كملت
آخر شرح الالفية في المعاني والبيان ولله الحمد والمنة وقد وقع الفراغ
من هذه الاوراق في ماه جمازي الاخر في يوم سه شنبه في عدد سبع و
عشرين في وقت الضحى في تاريخ سنة خمس وتسعين وثمانماية
بلطفه وكرمه في بلد قسطنطنية
كتبه الفقير الحقير النحيف الضعيف
حبيب محمد المغلوي
غفر الله له ولوالديه و
لمن نظر اليه وللاساتذة
ولجميع المسلمين والمسلمات
والمؤمنين والمؤمنات
برحمتك يا ارحم الراحمين
والحمد لله رب العالمين
تم

الصفحة الأخيرة من ق

[illegible] الله الرحمن الرحيم

[illegible] على سيدنا محمد وآله وصحبه الحمد لله المنزه عن

المماثلة [illegible] واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له

شهادة تخلصني في الدنيا واشهد ان محمدا عبده ورسوله

[illegible] المعجزات التي لا تعتريها شوب التمويه صلى الله وسلم

عليه وعلى صحبه وعترته وذريته هذا تعليق علقته لينتفع

به في حل ارجوزتي التي نظمتها في علم المعاني والبيان وسميتها

عقود الجمان اذ لم يتسع وقتي لكتابة شرح عليه كما ارتضيه

مع الحاح فارسه علي في ذلك فحررت لهم هذه العجالة لتعينهم

على فهم مقاصدها وبالله استعين في مصادر الامور ومواردها

قال الفقير عابد الرحمن على الحمد لله على البيان

وافضل الصلاة والسلام على النبي افصح الانام

ادخال الى في عبد غير مخرج للكلمة عن اصل معناها وهو

جائز واستعمله الناس كثيرا والاتيان بقال بصيغة الماضي

كما كثر وتداول الايراد عليه والجواب عنه والفقير له استعمالات

منها هو اللائق هنا المحتاج الى الله في كل شيء نحو هو الفقير

في الحقيقة وعبد في الاصل وصف غلبت عليه الاسمية و

له عشرون جمعا نظم ابن مالك منها احد عشر في بيتين

واستدرك عليه الباقي فاضحى فقال ابن مالك

عباد عبيد جمع عبد واعبد [illegible]

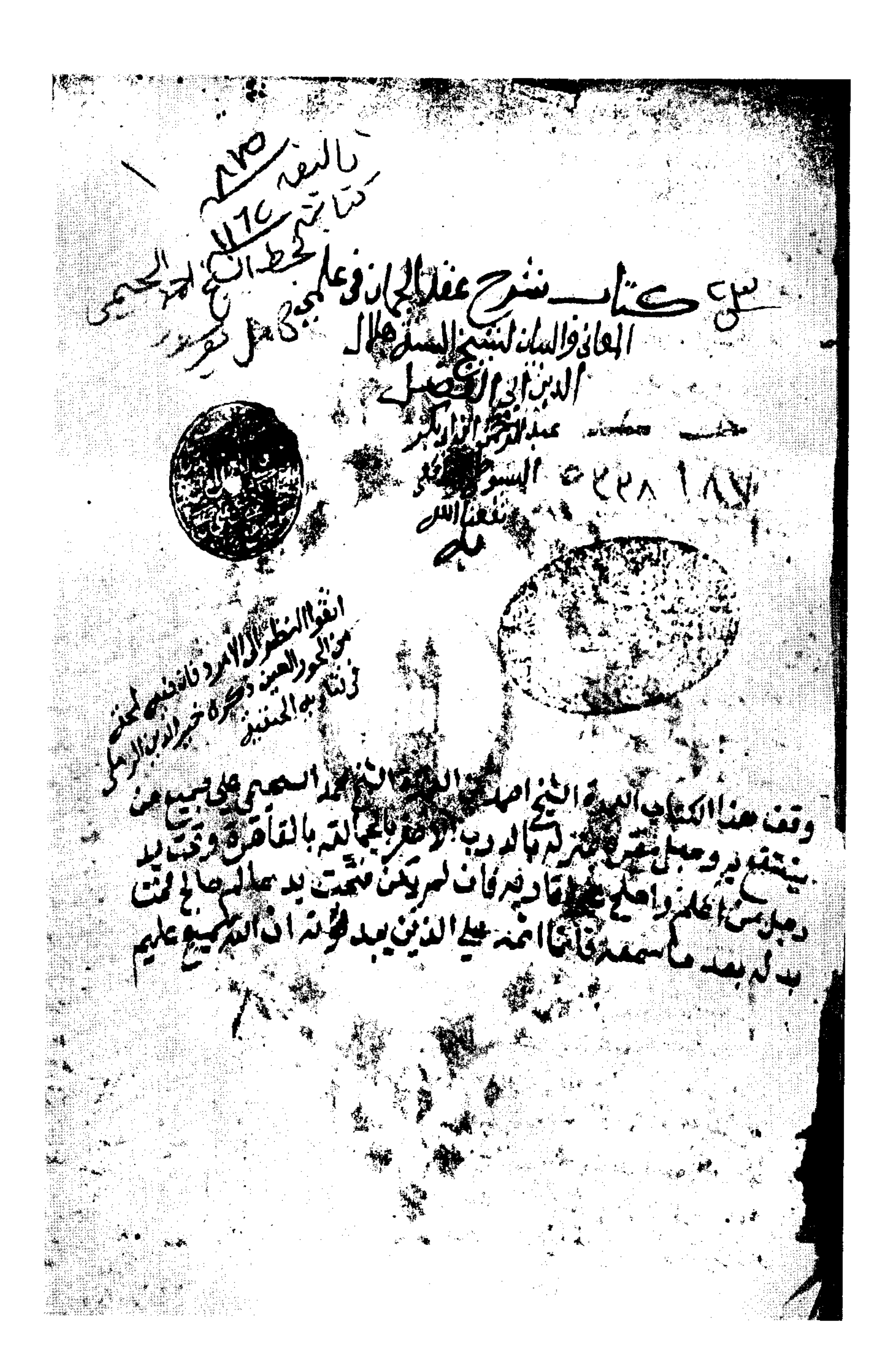
ثلث اعابد معبودا معبدة عبد كذلك عبدان وعبدان

اثبتا كذاك العبدا وامدد ان شئت [illegible] اعبد

وقد زيد اعباد عبود عبدة وخفف بفتح

الصفحة الأولى من ط

الصفحة الأخيرة من ط



واجهة النسخة هـ

الصفحة الأولى من هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدّمة المؤلف

الحمد لله المنزّه عن المماثلة والتشبيه، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلص في التنزيه وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ذو المعجزات التي لا يعتريها شوب التمويه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وعترته وذويه.

هذا تعليق لطيف علّقته لينتفع به من حلَّ أرجوزتي التي نظمتها في علم المعاني والبيان، وسميتها: (عقود الجمان) إذ لم يتسع وقتي لكتابة شرح عليه كما أرتضيه مع إلحاح قارئيه على ذلك فنجزت لهم هذه العجالة لتعينهم على فهم مقاصدها، وبالله أستعين في مصادر الأمور ومواردها.

***

قَالَ الفقيرُ عابدُ الرحمنِ ... الحمْدُ للهِ على البيانِ
وأفْضلُ الصّلاةِ والسّلامِ ... على النّبيّ أفْصَحِ الأنامِ

إدخال ألف في (عبد) غير مخرج للكلمة عن أصل معناها وهو جائز واستعمله الناس كثيراً والإتيان بـ(قال) بصيغة الماضي ممّا كثر تداول الإيراد عليه والجواب عنه. و(الفقير) له استعمالات منها وهو اللائق هنا المحتاج إلى الله تعالى في كل شؤونه وهو الغني في الحقيقة. و(عبْد) في الأصل وصف غلبت عليه الاسمية، وله عشرون جمعاً نظم ابن مالك أحد عشر في بيتين واستدركت عليه الباقي في آخرين، فقال ابن مالك[٦]:

عِبادٌ عَبِيدٌ جَمْعُ عَبْدٍ وأَعْبُدْ ... أَعَابِدُ مَعْبُودَاءُ مَعْبَدَةٌ عُبُدْ
كَذلكَ عَبْدانٌ وعِبْدانٌ اثْبِتَا ... كَذاَ العبْديُّ وامْدُدْ إنْ شِئْتَ أنْ تَمُدّ

(٦) لم نعثر فيما بحثنا عن هذين البيتين.

وقلت:

وَقَـدْ زِيـدَ أَعْـبَادٌ عُـبُودٌ عِـبَدَّةٌ   وَخَفِّـفْ بِفَـتْحٍ وَالعُـبْدَانُ إنْ تَـشُدّ
وأَعْـبُدَةٌ عَـبْدُون ثمـةَ بَعْـدَهَا   عَبِيدونَ مَعْبُودى بِقَـصْرٍ فَخُـذْ تَـسُدّ

و(الرحمن) صيغة مبالغة من الرحمة. وأصلها رقة القلب واستعمالها في الباري تعالى بمعنى إرادة الخير مجاز، لاستحالة الحقيقة عليه تعالى، وهذا الاسم من خواص الله تعالى لم يستعمل في غيره، والأصح أنّه عربي وقيل إنّه مُعرَّب، و(البيان) هو المنطق الفصيح المُعرب عمّا في الضمير وفي التعبير به براعة الاستهلال وكذا في قوله أفصح الأنام و(الأنام) الخلق، والكلام على الحمد والصلاة والسلام والنبي مما شاع وذاع وقررناه في غير ما تأليف.

***

وَهَـذِهِ أُرْجُـوزَةُ مِـثْلُ الجُمَـانْ   ضَـمَّنْتُهَا عِلْـمَ المَعَانـي والبَـيَانْ
لَخّصْتُ فِيهَا مَا حَوَى التّلْخِيصُ مَعْ   ضَـمِّ زِيَـادَاتٍ كَأَمْـثَالِ اللُّمَـعْ
مَـا بَـيْنَ إِصْـلاحٍ لِمَـا يُنْـتَقَدُ   وَذِكْـرِ أَشْـيَاءَ لَهَـا يُعْـتَمَدُ
وَضَـمِّ مَـا فَـرَّقَهُ لِلْمُـشْبِهِ   وَاللهَ رَبِّـي أَسْـأَلُ الـنَّفْعَ بِـهِ
وَأَنْ يُزَكّـي عَمَلِـي وَيُعْرِضَـا   عَـنْ سُـؤْلِهِ وَأَنْ يُنِيلَـنَا الرِّضَـا

حاصل هذه الأبيات أنّ هذه الأرجوزة حاوية لما في تلخيص المفتاح مع تلخيص في العبارة وترك كثير من الأمثلة والتعاليل معوّضاً عنها زيادات حسنة بعضها اعتراض عليه وبعضها ليس كذلك، وفيه أبحاث تلقّفناها عن شيخنا الإمام محيي الدين الكافيجي(٧)، وهو المراد حيث أطلق فيها، وربّما قدّمت أو أخّرت للمناسبة، ثم من الزيادات ما هو مميز بـ(قلت) ومنه ما ليس كذلك فأميزه هنا و(الأُرْجُوْزَةُ) بضمّ الهمزة (أُفْعُوْلَةُ) من الرّجَز البحر المشهور، و(الجمان) اللؤلؤ واحده جمانة بضمّ الجيم وتخفيف الميم، و(التلخيص) تأليف قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن

---

(٧) الكافيجي (٨٧٩هـ) محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي الحنفي محيي الدين أبو عبد الله الكافيجي من كبار العلماء بالمقولات، اشتهر بمصر ولازمه السيوطي ١٤ سنة، عرف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو، له تصانيف أكثرها رسائل منها: (أنوار السعادة في شرح كلمتي الشهادة)، (منازل الأرواح)، (نزهة العرب): الأعلام ٧/ ٢٢.

القزويني وعندي نسخة منه بخط مؤلفه وترجمته بسطتها في طبقات النحاة[٨]، وقد أخبرني بكتاب التلخيص شيخنا شيخ الإسلام قاضي القضاة علم الدين البلقيني[٩] إجازة عن أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد البعلي[١٠]، قال: أخبرنا به مؤلفه سماعاً.

***

فائدة:

قال الأندلسيّ[١١] في شرح بديعية رفيقه ابن جابر[١٢]: علوم الأدب ستة: اللغة والتصريف والنحو والمعاني والبيان والبديع. قال: فالثلاثة الأُوَل لا يستشهد عليها إلاّ بكلام العرب نظماً ونثراً لأنّ المعتبر فيها ضبط ألفاظهم، والعلوم الثلاثة الأخيرة يُستشهَد عليها بكلام العرب وغيرهم من المولدين لأنّها راجعة إلى المعاني ولا فرق فيها في ذلك بين العرب وغيرهم إذ هو أمر راجع إلى العقل ولذلك قُبِلَ من أهل هذا الفن الاستشهاد بكلام البحتري وأبي تمام وأبي الطيب وأبي العلاء وهلم جرا. قلت: وقد اتجه لي من هنا بحث فقهي وذلك أنّ النووي[١٣] ذكر في شرح المهذب وغيره أنّ الاشتغال بأشعار العرب من فروض الكفاية، لأنّها يستشهد بها في علوم العربية التي هي من آلات علوم الشرع بخلاف أشعار المولدين فالاشتغال بها ليس كأشعار العرب بل إن كان فيها ما يذمّ شرعاً فمكروه وإلاّ فمباح، ولا شك أنّ علوم البلاغة الثلاثة هي

---

(٨) تنظر الترجمة في: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ١/١٥٦ - ١٥٧.

(٩) البلقيني صالح بن عمر بن رسلان البلقيني الشافعي شيخ الإسلام من علماء الحديث والفقه، تولى قضاء الديار المصرية سنة ٨٢٥ - ٨٢٧ هـ، من مصنفاته: (الغيث الجاري على صحيح البخاري)، (الجوهر الفرد فيما يخالف فيه الحر العبد)، توفي سنة ٨٦٨هـ، الأعلام: ٣/٢٧٩.

(١٠) أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد البعلي ولد سنة ٦٤٥ هـ، لزم ابن مالك صاحب الألفية وله شرح عليها، برع في النحو توفي في القاهرة في محرّم ٧٠٩ هـ، بغية الوعاة: ١/٢٠٧ - ٢٠٨.

(١١) أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي، أبو جعفر الأندلسي، أديب رافق ابن جابر صاحب البديعية الشهيرة وله شرح عليها سمي (شرح بديعية ابن جابر) الأعلام: ١/٢٦٠.

(١٢) محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي، شاعر عالم بالعربية، من كتبه: (شرح ألفية ابن مالك)، (شرح ألفية ابن معطٍ)، (نظم فصيح ثعلب)، (بديعية العميان)، والأخيرة شرحها الأندلسي سابق الذكر، توفي سنة ٧٨٠ هـ، الأعلام: ٧/٢٢.

(١٣) أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي الشافعي الدمشقي، ولد سنة ٦٣١ هـ، من كبار فقهاء الشافعية، له (شرح صحيح مسلم)، (المجموع، شرح المهذب) وهو كتاب في الفقه الشافعي، توفي سنة ٦٧٦هـ. ولم نجد هذا القول في شرح المهذب.

من أعظم آلات الشرع بل ذكر أن كمال الإيمان متوقف عليها لتوقف إدراك إعجاز القرآن الذي هو معجزة النبي ﷺ على معرفتها، وقد تقرر أنّ أشعار المولدين حجة فيها فلتكن كأشعار العرب من هذه الحيثية وقد نبهت عليها في حواشي الروضة[١٤].

فائدة أخرى:

نقل الشيخ بدر الدين الزركشي[١٥] في قواعده عن بعض المشايخ أنّه كان يقول[١٦]: (العلوم ثلاثة: علم نضج وما احترق وهو علم النحو والأصول، وعلم لا نضج ولا احترق وهو علم البيان والتفسير، وعلم نضج واحترق وهو علم الفقه والحديث).

***

الفصاحة

يُوْصَفُ بالفَصَاحَةِ المُرَكَّبُ ... وَمُفْرَدٌ وَمُنْشِئٌ مُرَتَّبُ

وَغَيْرُ ثَانٍ صِفْهُ بالبَلاغَهْ ... وَمِثْلُهَا فِي ذَلكَ البَرَاعَهْ

الفصاحة تكون صفة للمتكلم فصيح وهو المراد بقولي (منشئ) وهو اسم فاعل من الإنشاء، وللمفرد فيقال كلمة فصيحة وللمركب فيقال كلام فصيح وتركيب فصيح، و(المركب) يعم الكلام والجملة التي ليست بكلام كجملة الصلة والجزاء والتركيب الإضافي كـ(عبد الله) وكل ذلك يوصف بالفصاحة، فلهذا عدلت إليه عن قول التلخيص (والكلام)[١٧] لأنّها لا تدخل فيه ولا في المفرد، نبّه عليه السبكي[١٨]، و(البلاغة) لا

---

(١٤) الروضة كتاب في الفقه الشافعي للإمام النووي، للسيوطي عليه أكثر تصنيف، من تصانيفه: الأزهار الغضة في حواشي الروضة، والحواشي الصغرى، والينبوع فيما زاد على الروضة من الفروع الذي يسمى الغنية، ونظم الروضة مع زوائد تسمى الخلاصة، وكلّها ذكرها السيوطي في كتابه (فهرست مؤلفاتي) ينظر: السيوطي ورسالته (فهرست مؤلفاتي)، تحقيق: سمير الدروبي، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، السنة ٢٣، العدد ٥٧، ١٩٩٩: ٩٩.

(١٥) محمد بن بهادر الزركشي، تركي الأصل، مصري المولد والوفاة، كان عالماً بفقه الشافعية والأصول، له عدّة مؤلفات منها (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة)، (البحر المحيط)، (المنثور) الذي يعرف بقواعد الزركشي في أصول الفقه، توفي سنة ٧٩٤ هـ الأعلام: ٦/ ٥٨٦.

(١٦) المنثور في القواعد: ١/٧٣.

(١٧) التلخيص: ٦.

(١٨) عروس الأفراح: ١/ ٥٥.

يوصف بها المفرد فلا يقال: كلمة بليغة، وإن وقع في كلام الجوهري[١٩] ذلك فإمّا مؤوّل أو تسامح، وإنّما يوصف بها المتكلم فيقال متكلم أو شاعر بليغ، والكلام فيقال: كلام بليغ، وذلك لأنّ البلاغة كما سيأتي مطابقة الكلام لمقتضى الحال وهي منتفية في المفرد وقياسه انتفاؤها أيضاً في المركب الذي لا يفيد ولم ينبه عليه السبكي. و(البراعة) مثل البلاغة فيقال: متكلم بارع وكلام بارع، ولا يقال: كلمة بارعة، وقد حدها القاضي أبو بكر[٢٠] في الانتصار[٢١] بما يقرب من حد البلاغة وأهملها الجمهور وذكرها هنا من زوائدي.

***

فصاحة المفرد

فَصَاحَةُ المُفْرَدِ أنْ لا تَنْفِرَا ... حُرُوفُهُ كَهُعْخُعٍ وَاسْتُشْزِرَا
وَعَدمُ الخُلْفِ لِقَانون جلي ... كالحَمْدُ للهِ العليّ الأجْلَلِ
وَفَقْدُهُ غَرَابَةٌ قَدِ ارْتَجَا ... كَفاحِماً وَمَرْسِناً مُسرَّجَا
قِيلَ وَفَقْدُ كُرْهِهِ فِي السَّمْعِ ... نَحْوُ جَرِشَّاهُ وَذَا ذُو مَنْعِ

الفصاحة في المفرد أن يخلص من ثلاثة أمور:

أحدها: تنافر الحروف وهو قسمان ذكرهما في الإيضاح وأهمل في التلخيص الأوّل[٢٢] وذكرته من زيادتي.

القسم الأوّل ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل وعسر النطق بها كـ(هُعْخُع) بضم الهاء والخاء المعجمة وسكون العين المهملة الأولى من قول أعرابي وقد سئل

---

(١٩) لم نجد فيما بحثنا عن هذا القول في الصحاح.

(٢٠) القاضي الباقلاني هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر أبو بكر القاضي من كبار علماء الكلام حتى انتهت إليه رئاسة مذهب الأشاعرة، ولد في البصرة وسكن بغداد وتوفي فيها من كتبه (إعجاز القرآن)، (الإنصاف)، (مناقب الأئمة)، (دقائق الكلام)، (الملل والنحل)، (الانتصار لصحة نقل القرآن)، الأعلام: ٤٦/٧.

(٢١) هو كتاب (الانتصار لصحة نقل القرآن والردّ على من نحله الفساد بزيادة أو نقصان) للباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ وهو مخطوط توجد نسخة من الجزء الأوّل منه في مكتبة (قرا مصطفى باشا) في إسطنبول، وقد أشار إلى هذا الأستاذ أحمد صقر في تحقيقه لكتاب إعجاز القرآن: ٣٩ - ٤٢.

(٢٢) الإيضاح: ٢/١.

عن ناقته: (تركتها ترعى الهعخع)[٢٣]، والهاء والعين لا يكادان يجتمعان من غير فصل، وهو شجر، وقيل لا أصل له في كلامهم وإنّما هو الخعخع بخاءين معجمتين.

الثاني: ما هو دون ذلك كـ(اسْتَشْزَرَ) من قول امرئ القيس[٢٤]:

غَدائِـرُها مُستَـشزِراتٌ إلـى العُـلا [تَـضِلُّ العِقـاصَ فـي مُثَنّىً وَمُرسَـلِ]

أي مرتفعات والتنافر توسط الشين وهي مهموسة رخوة بين التاء وهي مهموسة شديدة والزاي وهي مجهورة.

ثانيها: المخالفة لقواعد العربية[٢٥] كالفك فيما يجب إدغامه وعكسه كقول أبي النجم[٢٦]:

الحَمْـدُ للهِ العلـيِّ الأجْلَـلِ [الواسِـعِ الفَـضْلِ الوَهُـوبِ المُجْـزِلِ]

والقياس (الأجلّ) بالإدغام وضرائر الشعر من هذا الباب إلاّ ما لا تستوحش منه النفس كصرف ما لا ينصرف قاله حازم الأندلسي[٢٧] وهو حسن.

ثالثها: الغرابة وهي أن تكون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى ولا مأنوسة استعمال كقول رؤبة[٢٨]:

[وَمُقلـةً وَحاجِـباً مُـزَجَّجا] وَفاحِمـاً وَمَرْسِـناً مُـسرَّجَا

فإنّ (مسرجة) صفة لـ(مرسن) وهو الأنف ولغرابته لا يُدرى هل معناه كالسراج في البريق واللمعان أو كالسيف السريجي في الدقة والاستواء، و(الفاحم) الشعر الأسود، و(المرسن) بفتح الميم مع فتح السين وكسرها وقال الجوهري[٢٩] هو بكسر الميم ووهموه، وقولي (قد ارتجا) أي أغلق فلا يُدرى معناه وهو فعل لازم ضميره راجع إلى

(٢٣) المصدر نفسه: ١/٢.

(٢٤) ديوان امرئ القيس: ١٧.

(٢٥) سماها القزويني في الإيضاح مخالفة القياس: ١/٣.

(٢٦) طبقات فحول الشعراء: ٢/٧٤٨، ورواية البيت كالاتي:

الحمـد لله الوهـوب المجـزل أعطـى فلـم يـبخل ولـم يـبخل

(٢٧) هو حازم بن محمد بن حسن بن حازم القرطاجني صاحب كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) المتوفى في تونس سنة ٦٨٤ هـ، الأعلام: ٢/١٦٣، ولم نعثر على هذه الإشارة عنده وربما تكون هذه الإشارة من قسم الكتاب المفقود الذي لم ينشر الخاص بالمفردات والتراكيب.

(٢٨) البيت غير موجود في ديوانه نشرة وليم، ينظر البيت في: الإيضاح: ١/٣.

(٢٩) في الصحاح: ٥/٢١٢٣: (والمَرْسِن بكسر السين موضع الرسن من أنف الفرس).

المفـرد لا إلـى الغـرابة وإلاّ لأنّـث، والمعنى وفقـد غـرابة يـرتج بـسببها فـلا يفهـم، وزاد بعضهم(٣٠) أن يخلص من أمر رابع وهو الكراهة في السمع كقول المتنبي(٣١):

[مُـــبارَكُ الاِســـمِ أَغَـــرُّ اللَقَـــب] كَـــريمُ الجِرِشّـــى شَـــريفُ النَـــسَبْ

فإنّ السمع يمجّ لفظ (الجرشى) وهي النفس وفي هذا نظر لأنّ الكراهة إن كانت لاستغرابه فقد دخلت في الغرابة، أو من جهة الصوت فلا تعلق لها بالفصاحة لأنّ السمع قد يستلذّ بغير الفصيح لحسن الصوت وبالعكس.

***

فصاحة الكلام

وَفـــي الكَـــلامِ فَقْـــدُهُ فـــي الظّـاهِـرِ لِـــــضِعْفِ تأْلْـــــيفٍ وَللتّنَافُـــــرِ
فـــي الكَلِمـــاتِ وَكَـــذا التَّعْقِـيدُ مَـــعْ فَـــصَاحَةٍ فـــي الكَلِمـــاتِ تُتَّـــبَعْ
فَالـضّعْفُ نَحْـــوُ قَـــدْ جَفَوْنِـــي وَلَـــمِ أَجْـــفُ الأَخِـــلاَّءَ ومَـــا كُـــنْتُ عَمِـــي
وَذُو تَنَافُـــــرٍ أَتَـــــاكَ النَّـــــضرُ كَلَـــيْسَ قُـــرْبَ قَبْـــرِ حَـــرْبٍ قَبْـــرُ
كَـــذاك أمْدَحْـــهُ الـــذي تكَـــرَّرَا وَالـــثَّالِثُ الخَفَـــاءُ فـــي قَـــصْدٍ عَـــرَا
لِخَلَـــلٍ فـــي الـــنَّظْمِ أوْ فـــي الانْـتِقَالْ إلـــى الـــذي يَقْـــصِدُهُ ذَوُو المَقَـــالْ

أي والفصاحة في الكلام أن يخلص من ثلاثة أمور بعد رعاية الفصاحة في مفرداته.

أحدها: ضعف التأليف بأن لا يجري على المطرد من قواعد العربية كقوله(٣٢):

جَفَوْنِي وَلَمْ أَجْفُ الأَخِلاَّءَ إنَّنِي

لعود الضمير في (جفوني) على (الأخلاء) وهو متأخر عنه، وكذا مثال التلخيص(٣٣) (ضرب غلامُه زيداً)، لكن الضعف فيه ليس في الكلام بل في ضمير المفعول وما أضيف إليه ولذا قال السبكي(٣٤): لو مثل بأمر دائر بين مسند ومسند إليه لصحّ وذكر البيت الذي مثلت به، ولذا عدلت إليه تقليداً له ثمّ ظهر لي أنّ هذا البيت ليس من هذا القبيل لأنّه من باب التنازع وعود الضمير فيه على متأخر ليس ضعفاً وإنّما ذلك في

(٣٠) هو ابن سنان الخفاجي، ينظر: سر الفصاحة: ٦٥.
(٣١) شرح ديوان المتنبي: ١/ ٢٧٧.
(٣٢) لم نعثر على تكملة هذا الشطر ولا صاحبه.
(٣٣) التلخيص: ٧.
(٣٤) عروس الأفراح: ١/ ٧٥.

غيره سوى ما استثنى: أي كباب نعم وبئس وإنّما يسلم إذا رفع (الأخلاّء) فاعلا لـ(جفوني) وجعل من باب (أكلوني البراغيث) فإنّه حينئذ ليس بفصيح فلنحمل المثال الذي في النظم عليه.

الثاني: تنافر الكلمات وهو أيضاً أعلى كالمثال المذكور في النظم وهو نصف بيت أوله(٣٥):

وقَبْرُ حَرْبٍ بمَكَانٍ قَفْرِ [وَلَيْسَ قُرْبَ قبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ]

قال الرماني(٣٦): وذكروا أنّه من شعر الجنّ لأنّه لا يتهيأ لأحد أن ينشده ثلاث مرات فلا يتتعتع، ودون ذلك كقول أبي تمام(٣٧):

كَريمٌ مَتى أَمدَحْهُ أَمدَحْهُ وَالوَرى مَعي وَمَتى ما لُمتُهُ لُمتُهُ وَحدي

واختلف في وجه التنافر فيه فقال في الإيضاح(٣٨) في قوله (أمدحه): ثقل لما بين الحاء والهاء من التنافر لتقاربهما ورُدَّ بوروده في القرآن. قال تعالى: ﴿ فَسَبِّحْهُ ﴾ (الطور: من الآية ٤٩)، وقيل: لاجتماعهما بعد فتحة والآية سالمة من ذلك، وقيل الثقل بين الحاء والهاء والهمزة واعترضا بأنّه تنافر في الحروف لا في الكلمات، وجزم الخفاجي(٣٩) وحازم الأندلسي(٤٠) وغيرهما وتبعهم السبكي(٤١) بأنّ سببه تكرار (أمدحه) وقد أشرت إلى ذلك في النظم وهو من زيادتي، وليس لك أن تقول سيأتي أنّ بعضهم شرط الخلوص من التكرار وأنّه مردود لأنّ ذلك مطلق التكرار وهذا تكرير (أمدحه) خاصّة لما فيه من الثقل بين الحاء والهاء.

الثالث: التعقيد وهو أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة إمّا لخلل في النظم أي التركيب فلا يدرى كيف يصل إلى معناه لما فيه من التقديم والتأخير والإضمار ونحو ذلك قول الفرزدق(٤٢):

---

(٣٥) البيت مجهول القائل كما سيذكر المصنف، وينظر: البيان والتبيين: ١/ ٦٥.

(٣٦) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٩٥، وينظر: البيان والتبيين: ١/ ٦٥.

(٣٧) ديوان أبي تمام: ١٦٦/٢.

(٣٨) الإيضاح: ٥/١.

(٣٩) سر الفصاحة: ١٠٢.

(٤٠) لم نعثر على هذه الإشارة في (منهاج البلغاء) وربما يكون في النص المفقود كما أشرنا سابقاً.

(٤١) عروس الأفراح: ٧٨/١.

(٤٢) ديوان الفرزدق: ١٠٨.

ومَـا مِـثْلُهُ فـي الـناسِ إلا مُمَلَّكَـاً أبُـو أمِّـهِ حـيٌّ أبـوه يُقاربُـهْ

فإنّ المعنى: وما مثل الممدوح في الناس حيّ يقاربه إلاّ مملكاً أبو أمّه أبو الممدوح أي ابن أخته، ففصل بين (أبو أمّه) وهو مبتدأ و(أبوه) وهو خبر بـ(حيّ) وهو أجنبيّ، وبين (مثله) المبتدأ و(حيّ) الخبر بقوله (في الناس)، وما بعده، وبين (حيّ) الموصوف وصفته وهو (يقاربه) بـ(أبوه) وهو اجنبيّ، وقدّم المستثنى على المستثنى منه.

وإمّا أن يكون الخلل معنويًّا بأن لا يكون انتقال الذهن من المعنى الذي هو ظاهر اللفظ إلى المقصود ظاهراً كقول العباس بن الأحنف(٤٣):

سـأطلُبُ بُعـد الـدَّارِ عـنكُم لتقـرُبُوا وتـسكُبُ عيـنايَ الدمـوعَ لِـتَجمُدَا

كنّى بسكب الدموع عمّا يوجبه الفراق من الحزن وأصاب لأنّ البكاء يكنّى به عنه كقول الحماسي(٤٤):

أَبْكانِـيَ الدَّهْـرُ ويـا رُبَّمـا أَضْـحَكَنِي الدَّهْـرُ بِمـا يُرْضِـي

وأراد أن يكنّى عمّا يوجبه التلاقي من السرور بجمود العين لظنّه أنّ الجمود خلوّ العين من البكاء مطلقاً واخطأ، إذ الجمود خلوّها منه حال إرادته فلا يكون كناية عن المسرّة بل عن البخل كقول أبي العطاء(٤٥):

ألا إنّ عَيْـناً لـمْ تَجُـدْ يَـوْمَ وَاسِـطٍ عَلَـيْكَ بِجَـاري دَمْعِهـا لَجَمُـودُ

***

قِـيلَ وَأَنْ لا يَكْثُـرَ التَّكَـرُّرُ وَلا الإضَـافَاتُ وَفِـيهِ نَظَـرُ

شـرط بعـض الـناس فـي فـصاحة الكـلام خلـوّه مـن كثـرة التكـرار وتـتابع الإضافات(٤٦)كقول المتنبي(٤٧):

[وَتُـسعِدُني فـي غَمـرَةٍ بَعـدَ غَمـرَةٍ] سَـبوحٌ لَهـا مِـنها عَلَـيها شَـواهِدُ

---

(٤٣) ديوان العباس بن الأحنف: ١٠٦.

(٤٤) هو حطان بن المعلى، شرح ديوان الحماسة: ٢٨٦/١.

(٤٥) البيت في الشعر والشعراء، ابن قتيبة: ٧٦٩/٢، وشرح ديوان الحماسة: ٢/ ٧٩٩.

(٤٦) التلخيص: ٨، الإيضاح: ٧/١.

(٤٧) شرح ديوان المتنبي: ٣٩٣/١.

وقول ابن بابك(٤٨):

حَمَامَةَ جَرْعَى حَوْمَةِ الجَنْدَلِ اسْجَعي [فأنْـتِ بِمَـرْأى مِـنْ سُـعَادِ وَمَـسْمَعِ]

وفي هذا القول نظر لأنّ ذلك إن أفضى إلى الثقل في اللسان فقد حصل الاحتراز عنه بالتنافر وإلاّ فلا يخلّ في الفصاحة، وقد قال تعالى ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝ ﴾ (الشمس: ١) إلى آخر السورة(٤٩) فكرّر الضمائر، وقال تعالى ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا ﴾ (آل عمران: من الآية ١٩٤)، ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ﴾(البقرة: من الآية ٢٨٦)، وقال تعالى في تكرير الإضافات ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝ ﴾ (مريم: ٢)، ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾(آل عمران: من الآية ١١)، ﴿ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ ﴾(المجادلة: من الآية ١٢)، وقال ﷺ (إنّ الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم) رواه ابن حبان في صحيحه(٥٠).

***

تنبيه:

قولي في (فصاحة المفردِ أن لا تنفِرا) و(عدم الخلف) و(فقده غرابة) و(في الكلام لضعف تأليف وللتنافر) و(كذا التعقيد) و(أن لا يكثر التكرر ولا الإضافات بتكرر العدم) و(الفقد) و(اللام) و(لا) لأنّ المقصود فقد كل واحد من هذه الأمور لا مجموعها وعبارة التلخيص(٥١) لا تفيد ذلك ولذا عدلت عنها.

***

(٤٨) ينظر البيت في: معاهد التنصيص: ١/٥٩.

(٤٩) والسورة كاملة قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا ۝ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝ وَلَا يَخَافُ عُقْبَـٰهَا ۝ ﴾ (الشمس: الآيات ١ – ١٥).

(٥٠) في صحيح ابن حبان الحديث كالآتي: (قال رسول الله ﷺ الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلوات الله عليهم)، صحيح ابن حبان: ١٣ /٩٢. والرواية التي ذكرها المؤلف في صحيح البخاري: ٣/١٢٩٨.

(٥١) التلخيص: ٨.

فائدة:

ذكر بعض الفضلاء أنّ من خصائص القرآن أنّه اجتمع فيه ثمان ميمات متواليات ولم يحصل بسببها ثقل اللسان أصلاً بل ازدادت خفة وذلك في قوله تعالى: ﴿ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾(هود: من الآية ٤٨) فإنّ التنوين في (أممٍ) والنون (ممن) يدغمان في الميم بعدها فيصيران في حكم ميم أخرى والميم المشددة في (ممن) بميمين وفيه أربع أخَر فهذه ثمانية.

***

فصاحة المتكلم

وَحَـــدُّهَا فـــي مُـــتَكلّمٍ شُـــهِرْ مَلَكَـــةٌ علـــى الفَـــصِيحِ يَقْـــتَدِرْ

الفصاحة في المتكلم ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح والملكة هيئة راسخة في النفس فمن تكلم بالفصيح وليس له ملكة فغير فصيح، وقولنا (يقتدر) إشارة إلى أنّه يُسمّى فصيحاً حالة النطق وعدمه، واللفظ أعمّ من المفرد المركب وكذا قولي في النظم (الفصيح).

***

البلاغة

بَلاغَـــةُ الكَـــلامِ أنْ يُطابِقَـــا لِمُقْتَـــضَى الحَـــالِ وَقَـــدْ تَـــوَافَقَا
فَـــصَاحَةً والمُقْتَـــضَى مُخْـــتَلِفُ حَـــسْبَ مَقَامَـــاتِ الكَـــلامِ يُؤْلَـــفُ
فَمُقْتَـــضَى تَنْكِيـــرِهِ وَذِكْـــرِهِ وَالفَـــصْلُ الإيجَـــازُ خِـــلافُ غَيْـــرِهِ
كَـــذا خِطَـــابٌ للذكـــيّ والغَبِـــيّ وَكِلْمَـــةٌ لَهَـــا مَقَـــامٌ أجْنَبِـــيّ
مَـــعْ كِلْمَـــةٍ تَـــصْحَبُهَا فَالفِعْـــلُ ذَا إنْ لَـــيْسَ كالفعْـــلِ الـــذي تَـــلا إذَا
وَالارْتِفَـــاعُ فـــي الكَـــلامِ وَجَـــبَا بـــأنْ يُطَابِـــقَ اعْتِـــبَاراً نَاسَـــبا
وَفَقْـــدُهَا انْحِطَاطُـــهُ فَالمُقْتَـــضَى مُناسِـــبٌ مِـــنْ اعْتِـــبارٍ مُرْتَـــضَى

البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، والحال هو الأمر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص ومقتضاه يختلف بحسب اختلاف مقامات الكلام، فإنّ مقام التنكير يخالف مقام التعريف ومقام الذكر يخالف مقام الحذف ومقام الفصل يخالف مقام الوصل ومقام الإيجاز يخالف مقام الإطناب والمساواة ومقام التأخير

يخالف مقام التقديم وخطاب الذكي يخالف خطاب الغبي، ولكل كلمة مع أخرى تصحبها في أصل المعنى مقام، فالفعل المصاحب لـ(إنْ) ليس كالفعل المصاحب لـ(إذا) لما سيأتي في الفرق بينهما، وإنّما يقضى الكلام بالارتفاع في الحسن والانحطاط بمطابقته للاعتبار المناسب وعدمها، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب أي الأمر الذي اعتبر مناسباً بحسب تتبع تراكيب البلغاء.

***

علاقة الفصاحة بالبلاغة

وَيُوصَفُ اللفْظُ بتلكَ باعْتِبَارْ ... إفَادة المَعْنَى بِتَرْكيبٍ يُصَارْ
وَقَدْ يُسَمَّى ذاكَ بالفَصاحَهْ ... وَلِبلاغَةِ الكَلامِ سَاحَهْ
بِطَرَفَيْنِ حَدُّ الاعْجَازُ عَلُ ... وَمَا لَهُ مَقَارِبٌ وَالأَسْفَلُ
هُوَ الذي إذا لِدُونِهِ نَزَلْ ... فَهْوَ كَصَوْتِ الحَيَوَانِ مُسْتَفَلْ
بَيْنَهُمَا مَرَاتِبٌ وَتَتْبَعُ ... بَلاغَةً مُحَسَّنَاتٌ تُبْدَعُ

لما تقرر أنّ البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال بحسب ما يناسبه عُرِفَ أنّ اللفظ إنّما يوصف بها باعتبار إفادته المعنى بالتركيب لا من حيث إنّه لفظ وصوت، لأنّه باعتبار ذلك لا يوصف بكونه مطابقاً أو غير مطابق ضرورة، إنّ ذلك إنّما يتحقق عند تحقيق المعاني والأغراض التي يصاغ لها الكلام، وقد يسمى هذا الوصف فصاحة كما يسمى بلاغة أمّا الفصاحة لا بهذا الاعتبار فهي من صفات اللفظ دون المعنى قطعاً، ثم البلاغة لها طرفان أعلى وهو حد الإعجاز بأن يرتقي الكلام في بلاغته إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته، وقولي (وما له مقارب) كقول التلخيص[٥٢]: وما يقرب منه، وقد اختلفوا في معناه فالذي اختاره الشيخ سعد الدين[٥٣] أنّه عطف على الأعلى مع ما يقرب منه كلاهما حد الإعجاز وقيل هو عطف على حد الإعجاز فيكون من الأعلى، قال الشيخ سعد الدين[٥٤]: وفيه نظر لأنّ القريب من حد الإعجاز لا يكون من الطرف الأعلى، قلت: ويمكن أن يقال: الأعلى حقيقي، وهو حدّ الإعجاز، ونسبيّ أي بالنسبة لما يقدر عليه البشر وهو ما يقرب منه، فإنّ الأوّل خارج عن طوق البشر

(٥٢) التلخيص: ٩.
(٥٣) مختصر السعد: ٣٤.
(٥٤) المصدر نفسه: ٣٤.

وحينئذ لا إشكال فتأمل.

ثم رأيت هذا الذي ظهر لي في المعاني لعلم المعاني لعبد الباقي اليمني(٥٥) فقال لها طرفان أعلى وهو منصب كلام الله تعالى المعجز وما يقرب منه وهو كلام نبيه ﷺ لقوله: (أوتيت جوامع الكلم)(٥٦)وهذا عين ما فهمته ولله الحمد، والطرف الأسفل هو ما لو غُيِّرَ الكلام عنه إلى ما دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات في خلوّه عن الحسن وإن كان صحيح الإعراب، وبين الطرفين مراتب كثيرة متفاوتة بعضها أعلى من بعض، وتتبع بلاغة الكلام وجوهٌ أُخَر سوى المطابقة، والفصاحة تورث الكلام حسناً وهي الأنواع المذكورة في علم البديع كما سيأتي، وفي ذكر(٥٧) كونها تابعة إشارة إلى أنّها إنّما تعد محسنة بعد رعاية البلاغة وجعلها تابعة لبلاغة الكلام دون المتكلم لأنّه لا يوصف بها إلاّ الكلام كما سيأتي.

***

بلاغة المتكلم

وَحَــدُّهَا فـي مُـتَكَلِّمٍ كَمَـا مَـضَى فَمَـنْ إلـى الـبَلاغَةِ انْتَمَـى
فَهْـوَ فَـصِيحُ مِـنْ كُلَـيْمٍ أَوْ كَـلامْ وَعَكْـسُ ذا لَـيْسَ يَـنَالُهُ الْتِـزامْ
قُلْـتُ وَوَصْـفُ مِـنْ بَدِيـعٍ حَـرَّرَهْ شَـيْخِي وَشَـيْخُهُ الإمَـامُ حَـيْدَرَهْ

البلاغة في المتكلم على نسق الفصاحة فيه، فيقال هي ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ، فعلم ممّا ذكر في حد البلاغة أنّ كلّ بليغ كلاماً كان أو متكلماً فصيح، لجعل الفصاحة شرطاً للبلاغة وليس كلّ فصيح بليغاً كلاماً كان أومتكلماً، لأنّ الفصيح قد يعرى عن المطابقة له. (ثم البديع) قال شيخنا: وأشار إليه في المطوّل بقوله(٥٨): يوصف به الكلام دون المتكلم لأنّه ليس له فيه أثر ظاهر، وإنّما أثره في الكلام فوصف به، ونقل لنا عن شيخه برهان الدين حيدرة الرومي(٥٩) أنّه قال: لا مانع أن يقال مبدع أو محسن ونحو ذلك، قال: ورُدّ عليه بأنّه لم يرد عن العرب، قلت: إن أُريد بكونه لا أثر

(٥٥) عبد الباقي اليمني (٧٤٣ هـ) عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله اليمني المخزومي المكي، توفي في القاهرة، له (تاريخ النحاة) و(ذيل تاريخ ابن خلكان)، الأعلام ٤/ ٤٥ - ٤٦.

(٥٦) صحيح مسلم: ١/ ٣٧٢.

(٥٧) في ح، ر: [ذكره كونها].

(٥٨) المطوّل على التلخيص: ١٥.

(٥٩) لم نعثر لحيدرة الرومي على ترجمة.

له في المتكلم أنّه لا يعتبر فيه أن يكون للمتكلم ملكة يقتدر بها على إيراد المحسنات من الطباق والجناس والتورية وغير ذلك بخلاف علم البلاغة ففيه نظر، بل ينبغي شرط الملكة فيه حتى لو تكلم بكلام بديع اتفاقاً ولا ملكة له فيه لم يعد بديعاً في الاعتبار، وقوله (لا مانع من أن يقال مبدع) كان الأوْلى منه أن يدعي أنّه لا مانع أن يقال: بديع، لأنّه ورد لغة بمعنى الفاعل والمفعول ومنه في الفاعل ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ﴾ (البقرة: من الآية ١١٧) وفي المفعول: (هذا يوم بديع)، نعم في شرح بديعية ابن جابر لرفيقه يقال: (أبدع الشاعر) إذا صنع البديع في شعره، فعلى هذا يجوز أن يقال: (مُبدِع) كمُكرِم.

***

موضوع علم البلاغة

وَمَـــرْجِعُ الـــبَلاغَة التَّحـــرُّزُ عـــن الخطَـا فـي ذكْـرِ مَعْنَـىً يَبْـرُزُ
وَالمِيـــزُ للفَـــصِيحِ مِـــنْ سِـــواهُ ذا يُعْـــرَفُ فـــي اللغـــةِ وَالـــصَّرْفِ كَـــذَا
فِـي الـنَّحْوِ وَالـذي سِـوى الـتَّعَقُّدِ المَعْـــنَوي يُـــدْرَكُ بِـــالحِسّ قَـــدِ
وَمَـا بِـهِ عَـنِ الخَطَـا فـي الـتأديَهْ مُحْتَـــرِزٌ عِلْـــمُ المَعَانـــي سُـــمِّيَهْ
وَمَـا عَـنِ التَّعْقِـيدِ فالبَـيَانُ ثُـمَّ الـبَدِيعُ مَـا بِـهِ اسْتِحْـسَانُ

هذا بيان لانحصار مقاصد الكتاب في الفنون الثلاثة وذلك أنّ البلاغة مرجعها إلى التحرّز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد وإلاّ لأدّاه بغير مطابقة، والى تمييز الفصيح من غيره وإلاّ لأورد المطابق بلفظ غير فصيح فلا يكون بليغاً، و(ذا) أي تمييز الفصيح من غيره بعضه يعرف من علم اللغة وهو الغرابة وبعضه من علم التصريف وهو مخالفة القياس وبعضه من علم النحو وهو ضعف التأليف والتعقيد اللفظي وبعضه يدرك بالحس وهو التنافر، فاستغنى عن ذكر ما يعرف به في هذا الكتاب وغيره من كتب البلاغة فلم يبق مما ترجع إليه البلاغة إلا الاحتراز عن الخطأ في التأدية فوضع له علم المعاني وتمييز السالم من التعقيد المعنوي من غيره فوضع له علم البيان ثمّ احتاجوا إلى معرفة توابعها فوضع له علم البديع.

الفن الأوّل: علم المعاني

تعريف علم المعاني

وَحَدُّهُ عِلْمٌ بِهِ قَدْ تُعْرَفُ أَحْوَالُ لَفْظٍ عَرَبِيٍّ يُؤْلَفُ
مِمَّا بِهَا تَطابُقٌ لِمُقْتَضَى حَالٍ وَحَدِّي سَالِمٌ وَمُرْتَضَى

حدّ علم المعاني علم تُعرَف به أحوال اللفظ العربي التي تطابق مقتضى الحال فالعلم جنس وقولنا (تعرف به أحوال اللفظ) مخرج لما يعرف به أحوال غير اللفظ، وقولنا (العربي) مخرج لغيره إذ الكلام في اللغة العربية، وبقية الحد مخرج بقية علوم العربية، وعلم البيان وان أُطلق عليه المطابقة لمقتضى الحال بناءً على تفسيره بأنّه الاعتبار المناسب وذلك شامل للعلوم الثلاثة، لكنّ التقديم للمجرور في قوله (بها) تطابق يفيد الاختصاص أي الأحوال التي لا يطابق مقتضى الحال إلاّ بها، هي التي في علم المعاني وما في العلمين بعده تحصل المطابقة به وبدونه، وهذا الحد من أحسن الحدود وقد أشرت إلى ذلك بقولي (وحدي سالم ومرتضى).

***

أبواب علم المعاني

يُحْصَرُ فِي أَحْوَالِ الإسْنَادِ وَفِي أَحْوالِ مُسْنَدٍ إلَيْهِ فَاعْرِفِ
وَمُسْنَدِ تَعَلُّقَاتِ الفِعْلِ وَالقَصْرِ وَالإنْشَاءِ ثُمَّ الوَصْلِ
وَالفَصْلِ وَالإيْجازِ وَالإطْنَابِ وَنَحْوِهِ تَأْتِيكَ فِي أَبْوَابِ

هذا العلم منحصر في ثمانية أبواب لأنّ الكلام إمّا خبر أو إنشاء كما سيأتي، والخبر لا بُدَّ له من إسناد ومسند إليه ومسند، فهذه ثلاثة أبواب، والمسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلاً أو في معناه وهذا الباب الرابع، وكل من التعلق والإسناد قد يكون بقصر وبد لا يكون، وهذا الباب الخامس والإنشاء وهو الباب السادس ثم الجملة إن قرنت بأخرى، فالثانية إما معطوفة على الأولى أو لا، وهما الوصل والفصل وهذا الباب السابع، ثم لفظ الكلام البليغ إما زائد على أصل المراد بفائدة أو ناقص غير مخل أو مساوٍ، والأول الإطناب والثاني الإيجاز والثالث المساواة وهو المراد بقولي

(ونحوه) وهذا هو الباب الثامن.

الخبر والإنشاء

مُحْتَمِلٌ لِلْصِّدْقِ وَالكِذْبِ الخَبَرْ وَغَيْرُهُ الإنْشَا وَلا ثَالِثَ قَرّ

هذا البيت من زيادتي إلا أن في التلخيص[٦٠] إشارة إليه في بيان وجه الحصر، وحاصله أنّ الكلام إمّا خبر أو إنشاء ولا ثالث لهما، لأنّه إمّا أن يحتمل الصدق والكذب أو لا، والأوّل الخبر والثاني الإنشاء وبعضهم يقيد الأوّل بقوله (لذاته) ليخرج الخبر المقطوع بصدقه كخبر الله تعالى ورسوله ﷺ، ومن سكت عن هذا القيد قال (الخبر من حيث هو يحتملهما)، وإن خرج بعض أفراده لأمر خارج عنه، ألا ترى أنّ قول الإنسان مثلاً (زيد قائم) يحتملهما وإن كان السامع يقطع بصدقه لمشاهدته له قائماً، ومن قسم الكلام ثلاثة وزاد الطلب لم يُصِبْ فهو قسم من الإنشاء، والذي فعل ذلك بعض النحاة وقد رددناها عليه في مؤلفاتنا النحوية[٦١].

***

تَطَابُقُ الوَاقِعِ صِدْقُ الخَبَرِ وَكِذْبُهُ عَدَمُهُ فِي الأشْهَرِ
وَقِيلَ بَلْ تَطَابُقُ اعْتِقَادِهِ وَلَوْ خَطَا وَالكِذْبُ فِي افْتِقَادِهِ
فَفَاقِدٌ مَع اعْتِقَادِهِ لَدَيْهِ وَاسِطَةٌ وَقِيلَ لا عَلَيْهِ
الجَاحِظُ الصِّدْقُ الذي يُطَابِقُ مُعْتَقَداً وَوَاقِعاً يُوَافِقُ
وَفَاقِدٌ مَعَ اعْتِقَادِهِ الكَذِبْ وَغَيْرَ ذا لَيْسَ بِصِدْقٍ أوْ كَذِبْ
وَوَافَقَ الرَّاغِبُ فِي القِسْمَيْنِ وَوَصَفَ الثَّالِثَ بِالوَصْفَين

في حد الصدق والكذب أقوال أصحّها إنّ الصدق مطابقة الخبر للواقع، والكذب عدم مطابقته له ولو كان الاعتقاد بخلاف ذلك في الحالين، ومن أدلته حديث الصحيحين (من كذب عليَّ معتمداً فليتبوأ مقعده من النار)[٦٢] دلّ على انقسام الكذب إلى معتمد وغيره.

---

(٦٠) التلخيص: ١٠.

(٦١) ينظر: همع الهوامع: ١/ ١٢.

(٦٢) صحيح البخاري: ١/ ٤٣٤، صحيح مسلم: ٤/ ٢٢٩٨.

الثاني[٦٣] أنّ الصدق المطابقة لاعتقاد المخبر ولو خطأً، والكذب عدم المطابقة للاعتقاد ولو كان صواباً، واختلف على هذا هل تثبت الواسطة؟ فقيل نعم وهي الساذج الذي ليس معه اعتقاد. وقيل: لا، بل يدخل في الكذب لأنّ عدم المطابقة للاعتقاد شامل لما لا اعتقاد معه، وما معه اعتقاد العدم. والأول أرجح على هذا القول، وذِكْر هذين القولين الفرعين عليه من زيادتي وهو البيت الثالث بكامله. القول الثالث للجاحظ وهو أبو عثمان عمرو بن بحر من المعتزلة ولُقِّبَ الجاحظ لأنّ عينيه كانتا جاحظتين، قال[٦٤]: الصدق المطابقة للواقع مع اعتقاد المخبر المطابقة، والكذب عدم المطابقة للواقع مع اعتقاد عدمها، فما عدا ذلك ليس بصدق ولا كذب وهو أربع صور: المطابق ولا اعتقاد لشيء، والمطابق مع اعتقاد عدم المطابقة، وغير المطابق مع اعتقاد المطابقة، وغيره ولا اعتقاد. القول الرابع للراغب وهو من زيادتي أيضاً وهو كالجاحظ في الصدق والكذب إلاّ أنّه قال: في الصور الأربع الواسطة توصف بالصدق والكذب بجهتين، بالصدق من حيث مطابقته للخارج أو للاعتقاد، وبالكذب من حيث انتفاء المطابقة للخارج أو للاعتقاد وهذا معنى قولي ووصف الثالث بالوصفين.

***

أحوال الإسناد الخبري

القَصْدُ بِالإِخْبَارِ أَنْ يُفَادَا ... مُخَاطَبٌ حُكْمَاً لَهُ أَفَادَا
أَوْ كَوْنُهُ عَلِمَهُ وَالأَوَّلاَ ... فَائِدَةَ الإِخْبَارِ سَمِّ وَاجْعَلاَ
لازِمُهَا الثانِي وَقَدْ يُنَزَّلُ ... عَالِمُ هَذينِ كَمَنْ قَدْ يَجْهَلُ
لِعَدَمِ الجَرْيِ عَلَى مُوجَبِهْ ... وَمَا أَتَى لِغَيْرِ ذَا أَوِّلْ بِهْ

لا شكّ أنّ قصد المُخبِر بخبره إفادة المخاطب أحد أمرين إمّا الحكم الذي تضمنه وهو نسبة المحكوم بها، أو كون المُخبَر عالماً بالحكم كقولك لمن زيد عنده وهو لا يعلم أنّك تعلم ذلك (زيد عندك)، ويسمى الأوّل فائدة الخبر والثاني لازم فائدة الخبر لأنّه يلزم من استفادة الجاهل الحكم من المخبر أن يستفيد علم المخبر به، وقد يراد الخبر لغير

---

(٦٣) أي القول الثاني في حدّ الصدق والكذب.

(٦٤) لم نعثر على هذا النص في ما بحثنا في كتب الجاحظ على الرغم من كثرة تداوله في كتب البلاغة، وربما ذكره في كتبه التي لم تصل، ينظر النص في الإيضاح: ١٤/١ - ١٥.

هذين الأمرين فيرجع إلى هذه القاعدة وهي أنّ العالم قد ينزل منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم بالعمل به كقولك لمن يعقُّ أباه وأنت تعلم أنّه أبوه (زيد أبوك فأحسن إليه)، فيعامل معاملة الجاهل بأبوّته لعدم عمله بمقتضى علمه وقولي (بالإخبار) في أوّل الأبيات بكسر الهمزة والثاني يجوز ضبطه بالفتح والكسر و(موجَبه) بفتح الجيم.

فَلْيُقْتَصَرْ عَلَى الذي يُحْتَاجُ لَهْ ... مِنَ الكَلامِ وَلْيُعَامَلْ عَمَلَهْ
فَإنْ يُخَاطَبْ خَالِيَ الذِّهْنِ مِنِ ... حُكْمٍ وَمِنْ تَرَدُّدٍ فَلْتَغْتَنِي
عَنِ المُؤَكِّداتِ أَوْ مُرَدَّدَا ... وَطالِباً فَمُسْتَجِيداً أكِّدَا
أَوْ مُنْكِراً فَأكِّدَنْ وُجُوبَا ... بَحَسَبِ الإنْكَارِ فَالضُّرُوبَا
أَوَّلُهَا سَمِّ ابْتِدَائِيّاً وَمَا ... تَلاهُ فَهْوَ الطَّلَبِيُّ وَانْتَمَى
تَالِيهِ لِلإنْكَارِ ثُمَّ مُقْتَضَى ... ظَاهِرُهُ إيرَادُهَا كَمَا مَضَى
وَرُبَّمَا خُولِفَ ذَا فَلْيُورَدِ ... كَلامُ ذِي الخَلُوِّ كَالمُرَدِّدِ
إذَا لَهُ قُدِّمَ مَا يُلَوِّحُ ... بِخَبَرٍ فَهْوَ لِفَهْمٍ يَجْنَحُ
كَمِثْلِ مَا يَجْنَحُ مَنْ تَرَدَّدَا ... لِطَلَبٍ فَالحُسْنُ أنْ يُؤَكَّدَا
وَيُجْعَلُ المُقِرُّ مِثْلَ المُنْكِرِ ... إنْ سِمَةُ النُّكْرِ عَلَيْهِ تَظْهَرُ
كَقَوْلِنَا لِمُسْلِمٍ وَقَدْ فَسَقْ ... يَا أَيُّهَا المِسْكِينُ إنَّ المَوْتَ حَقّ
وَيُجْعَلُ الْمُنْكِرُ إنْ كَانَ مَعَهْ ... شَوَاهِدٌ لَوْ يَتَأَمَّلْ مَرْدِعَهْ
كَغَيْرِهِ كَقَوْلِكَ الإسْلامُ حَقّ ... لِمُنْكِرٍ وَالنَّفْيُ فِيهِ مَا سَبَقْ

إذا عرف أنّ القصد بالخبر أحد الأمرين السابقين فينبغي للمتكلم أن يقتصر من التركيب على قدر الحاجة فإن أُلقِيَ الخطاب إلى خالي الذهن من الحكم ومن التردد فيه استغنى عن مؤكدات الحكم كقولك (زيد قائم) لمن هو خالي الذهن، وإن كان متردداً في الخبر طالباً له حَسُنَ أن يقوّى بمؤكد واحد كقولك (لزيد قائم) أو (إنّه قائم) وإن كان منكراً وجب تأكيده بحسب الإنكار أي بِقَدْرِه قوةً وضعفاً حتى يزيد في التأكيد بحسب الزيادة في الإنكار كقوله تعالى حكاية عن رُسُل عيسى عليه السلام إذ كُذّبوا في المرّة الأولى ﴿ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴾ (يس: من الآية ١٤) فأكّد بـ(إنّ) واسميّة الجملة، وفي المرّة الثانية ﴿ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴾ (يس: من الآية ١٦) فأكّد بالقسم وإنّ

واللام واسميّة الجملة لمبالغة المخاطبين في الإنكار حيث قالوا ﴿ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴾ (يس: من الآية ١٥)، ويُسمّى الضرب الأوّل ابتدائيًا والثاني طلبيّاً والثالث إنكاريًا، وهو معنى قولي (وانتمى تاليه للإنكار)، ثم مقتضى الظاهر إخراج الكلام على الوجوه المذكورة بالخلوّ من التأكيد في الأوّل والتقوية بمؤكِّد استحساناً في الثاني ووجوب التأكيد في الثالث.

وقد يخرج على خلاف ذلك فيُلقى الكلامُ مؤكَّداً إلى خالي الذهن كما يلقى للمتردِّد وذلك إذا قُدِّم له ما يلوِّح بالخبر فتستشرف نفسه إليه استشراف المتردد الطالب نحو ﴿ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ﴾ (هود: من الآية ٣٧) أي لا تدعني يا نوح في شأن قومك، فهذا الكلام يُلوِّح بالخبر تلويحاً ويشعر بأنّه قد حقّ عليهم العذاب فصار المقام مقام أن يتردّد المخاطب في أنّهم هل صاروا محكوماً عليهم بالإغراق أو لا؟ فقيل ﴿ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾ (هود: من الآية ٣٧) بالتأكيد، وقد يجعل المقر كالمنكر إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار فيؤكَّد له الكلام تأكيد المنكر نحو[٦٥]:

جَـاء شَـقيقٌ عَارضـاً رُمْحَـهُ إنَّ بَنِـي عَمِّـكَ فِـيهِمْ رِمَـاحْ

فهو لا ينكر أنّ في بني عمّه رماحاً لكنّ مجيئه واضع الرمح على العرض من غير التفات وتهيّؤ أمارة أنّه يعتقد أن لا رمح فيهم بل كلهم عزل لا سلاح معهم فنزل منزلة المنكر وأكّد له الخطاب، وكذلك قولي في البيت:

كَقَوْلِـنَا لِمُـسلِمٍ وَقَـدْ فَـسَقْ يَـا أيُّهَـا المِـسْكِينُ إنَّ المَـوْتَ حَـقّ

فهو لا ينكر حقيقة الموت لكنّه لمّا فسق ولم يتأهّب للموت بالتقوى والاستعداد فكأنّه ينكره، وقد يجعل المنكر كالمُقِرّ إذا كان معه دلائل وشواهد لو تأمّلها ارتدع عن إنكاره فلا يؤكّد له كقولك لمنكر الإسلام (الإسلام حق) بلا تأكيد لأنّ مع المنكر دلائل دالة على حقيّة الإسلام وهذا المثال هو الذي مثل به الشيخ سعد الدين[٦٦] لهذه المسألة، وأمّا تمثيل التلخيص[٦٧] بقوله تعالى ﴿ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى ﴾ (البقرة: من الآية ٢)، فليس

---

(٦٥) البيت لحجل بن نظلة، ينظر: البيان والتبيين: ٣/٣٤٠.

(٦٦) مختصر السعد: ٥٥.

(٦٧) التلخيص: ١٢.

منه بل هو تنظير للمسألة بتنزيل وجود الشيء منزلة عدمه بناءً على وجود ما يزيله، فإنّه نزّل ريب المرتابين منزلة عدمه تعويلاً على ما يزيله حتى صحّ نفي الريب على سبيل الاستغراق كما نُزِّل الإنكار منزلة عدمه لذلك حتى صحّ ترك التأكيد، هكذا حققه الشيخ سعد الدين[٦٨]، وقولي (والنفي فيه ما سبق) أي جميع ما تقدّم من الاعتبارات في الإثبات يأتي في النفي من التجريد عن المؤكدات في الابتداء نحو (ليس زيد قائماً) والتقوية بمؤكد استحساناً في الطلبي نحو (ما زيد بقائم) ووجوب التأكيد في الإنكاري نحو (والله ما زيد بقائم) وعلى هذا القياس.

***

الإسناد الحقيقي والمجازي

ثُمَّ مِنَ الإسْنَادِ مَا يُسَمَّى حَقِيقَةً عَقْلِيَّةً كَأنْ مَا

يُسْنَدَ فِعْلٌ لِلذي لَهُ لَدَى مُخَاطِبٍ وَشِبْهُهُ فِيمَا بَدَا

كَقَوْلِنَا أنْبَتَ رَبُّنَا البَقَلْ وَأنْبَتَ الرّبَيعُ قَوْلُ مَنْ جَهِلْ

وَجَاءَ زَيْدٌ مَعَ فَقْدِ الفِعْلِ عِلْماً وَمَا يُدْعَى المَجَازَ العَقْلِي

الإسناد منه حقيقة عقلية، وهي إسناد الفعل أو معناه كالمصدر واسم الفاعل والمفعول واسم التفضيل والظرف والصفة المشبهة وهو المراد بقولي (وشبهُه)، وهو معطوف على فعل إلى ما هو له عند المتكلّم في الظاهر، وإن كان الواقع بخلاف ذلك، فـ(المخاطِب) في النظم بكسر الطاء هو المتكلم، ومعنى (فيما بدا) أي فيما ظهر من حاله - فأقسامه أربعة: الأوّل ما طابق الواقع والاعتقاد كقولنا أي المؤمنين (أنبت الله البقل). الثاني ما طابق الاعتقاد فقط كقول الجاهل أي الكافر (أنبت الربيع البقل). الثالث ما طابق الواقع فقط كقول المعتزلي لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها منه (خلق الله الأفعال كلها)، ولم يمثّل لهذا القسم في التلخيص ولا في النظم. الرابع ما لا يطابق الواقع ولا الاعتقاد كقولك (جاء زيد) والحال أنّه عالم بأنّه لم يجئ دون المخاطب، وهو معنى قولي (مع فقد الفعل علماً) أي مع علمك بفقد الفعل وهو المجيء الذي نسبته إليه وقولي (وما يدعى المجاز العقلي) يأتي شرحه مع ما بعده.

***

(٦٨) مختصر السعد: ٥٥.

إِسْنَادُهُ إِلَى الَّذي لَيْسَ لَهُ بَلْ لِمُلابِسٍ وَقَدْ أَوَّلَهُ
وَإِنَّهُ يُلابِسُ الفَاعِلَ مَعْ مَفْعُولِهِ وَمَصْدَرٍ وَمَا اتَّبَعْ
مِنَ الزَّمَانِ وَالمَكَانِ وَالسَّبَبْ فَهْوَ إلى المَفْعُولِ غَيْرُ ما انْتَصَبْ
وَفَاعِلٌ أَصْلٌ وَغَيْرُ ذا مَجَازْ كَعِيشَةٍ رَاضِيَةٍ إذا تُجَازْ
والسَّيْلُ مُفْعَمٌ وَلَيْلٌ سَارِ وَجَدَّ جَدُّهُمْ وَنَهْرٌ جَارِ
وَقَدْ بَنَيْتُ مَسْجِداً وَقَائِلِ أَوَّلُهُ يُخْرِجُ قَوْلَ الجَاهِلِ
مِنْ ثَمّ لَمْ يُحْمَلْ عَلَى ذَا الحُكْمِ أَشَابَ كَرُّ الدَّهْرِ دُونَ عِلْمِ
فَقُلْ مَجَازٌ قَولُ فَضْلِ الألْمَعِي مَيَّزَ عَنْهُ قُنْزُعاً عَنْ قُنْزُعِ
جَذْبُ اللَيَالِي أَبْطِئِي أَوْ أَسْرِعِي لِقَولِهِ عُقَيْبَ هَذا المَطْلَعِ
أَفْنَاهُ قَيْلُ اللهُ لِلشَّمْسِ اطْلَعِي حتَّى إذا وَارَاكِ أُفْقٌ فَارْجِعِي

من الإسناد ما يسمى بالمجاز العقلي وهو إسناده أي الفعل وشبهه إلى ما ليس له بل لملابسه بتأويل بأن تنصب قرينة صارفة عن أن يكون الإسناد إلى ما هو له، فعرف أنّ معنى كونه (ليس له) أي عند المتكلم في الظاهر كما تقدم في الحقيقة، فخرج ما مرّ من قول الجاهل (أنبت الربيع البقل) فإنّه وإن كان إسناداً إلى ما ليس له في الواقع لكن لا تأوّل فيه لأنّه مراده ومعتقده، وهذا معنى قولي (وقائل أوله...إلى آخره)، ومن أجل ذلك أي خروج قول الجاهل عن المجاز لاشتراط التأويل لم يحمل عليه أي المجاز قوله(٦٩):

أشابَ الصغيرَ وأفنَى الكبيـ ـرَ كرُّ الغَداةِ ومرُّ العشيّ

حيث أسند (أشاب) و(أفنى) إلى (الكرّ) و(المرّ) ما لم يعلم أو يظن أنّ قائله لم يعتقد ظاهره لاحتمال أن يكون معتقداً له فيكون حقيقة كقول الجاهل، ولذا حكمنا بالمجاز على قول أبي النجم واسمه فضل(٧٠):

مَيَّزَ عَنهُ قُنزُعاً عَن قُنزُعِ جَذب اللَيالي اِبطِئي أَو أَسرعي

حيث أسند (ميّز) المكنى به عن الشيب في الرأس إلى جذب (الليالي) أي مضيها

(٦٩) البيت للصَّلتَان السعديّ، ينظر الحيوان: ٤٧٧/٣، شرح ديوان الحماسة: ١٢٠٩/٣.

(٧٠) البيت لأبي النجم العجلي وقد استشهد به عبد القاهر في اسرار البلاغة: ٣٩٠، وينظر: معاهد التنصيص: ٧٧/١.

لقوله بعد ذلك[٧١]:

أَفناهُ قيلُ اللَّهِ لِلشَّمسِ اِطلعي حَتّى إِذا واراكِ أُفقٌ فَارجِعي

فإنّه دلّ على أنّه يعتقد فعل الله تعالى وانه المبدئ المعيد والمنشئ والمفني فيكون الإسناد هناك على تأويل أنّه زمان أو سبب.

قلت وقد وقفت على القصيدة التي منها أشاب الصغير البيت ومن جملة أبياتها[٧٢]:

فَمِلَّتُنَا أَنَّنَا المُسْلِمُونَ عَلَى دِينِ صِدِّيقِنَا وَالنَّبِيّ

كذا أورده المبرد في الكامل وعزى القصيدة إلى الصلتان العبدي فعلم بذلك حمله على المجاز، ثم إنّ الفعل له ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والسبب، ولم يتعرض للمفعول معه والحال ونحوهما لأنّه لا يسند إليها فإسناده إلى الفاعل والمفعول به إن كان مبنياً للمفعول حقيقة وهو المراد بقولي (غير ما انتصب) أي الذي ارتفع وإسناده إلى غيرهما وهو المفعول المنتصب والبواقي مجاز، مثال إسناده إلى المفعول وهو مبني للفاعل ﴿ عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ (الحاقة: من الآية ٢١) وإنّما هي مرضية، وللفاعل وهو مبني للمفعول (سيل مُفْعَم) بفتح العين وإنّما (هو مُفْعِم) بكسرها لأنّه يفعم الوادي أي يملؤه، ومثاله للمصدر (جد جدهم)، وهو أحسن من تمثيل التلخيص[٧٣] بقوله شعر شاعر لأنّ الشعر هنا بمعنى المفعول ولذلك عدلت عنه، ومثاله للزمان (ليل سار) وإنّما هو مسري فيه و(نهاره صائم) وإنّما هو مصوم فيه، ومثاله للمكان (نهر جار) وإنّما الماء جار فيه ومثاله للسبب (بنيت مسجداً) إذا كنت السبب في بنائه والآمر به.

***

أَقْسَامُهُ حَقِيقَتَانِ الطَّرَفَانْ أَوْ فَمَجَازَانِ كَذا مُخْتَلِفَانْ

كَأَنْبَتَ البَقْلَ شَبابُ العَصْرِ وَالأَرْضُ أَحْيَاهَا رَبِيعُ الدَّهْرِ

أقسام المجاز العقلي باعتبار الطرفين أي المسند والمسند إليه أربعة لأنّهما إمّا

---

(٧١) البيت لأبي النجم العجلي من القصيدة نفسها وقد استشهد به عبد القاهر في أسرار البلاغة: ٣٩٠، وينظر: معاهد التنصيص: ١/٧٧.

(٧٢) الكامل: ٣/١٨٣، شرح ديوان الحماسة: ٣/١٢٠٩.

(٧٣) التلخيص: ١٢.

حقيقتان أو مجازان أو الأوّل حقيقة والثاني مجاز أو بالعكس، مثال الأوّل (أنبت الربيع البقل)، والثاني (أحيا الأرض شباب العصر) أي الزمان لأنّ المراد بإحيائها نضارتها بأنواع الرياحين، والنبات والإحياء في الحقيقة إعطاء الحياة وهي صفة تقتضي الحس والحركة وكذا المراد بشباب الزمان ازدياد قوته النامية وهو في الحقيقة عبارة عن كون الحيوان في زمان كون حرارته الغريزية مشبوبة أي قوية مشتعلة، ومثال ما المسند فيه حقيقة والآخر مجاز قولي (أنبت البقل شباب العصر) ومثال عكسه قولي(أحيا الأرض الربيع) فالمثالان في البيت للمختلفين.

***

وَشَاعَ فِي الإنْشَاءِ والقُرْآنِ   يَقُولُ يَا هَامَانُ مِثْلُ ذَانِ

وقع المجاز العقلي في القرآن كثيراً وفي الإنشاء فلا يختص بالخبر قال تعالى ﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا ﴾ (غافر: من الآية ٣٦) فإنّ البناء فعل العَمَلة وهامان سبب آمر، ومن وقوعه في القران قوله تعالى ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ (الأنفال: من الآية ٢)، ﴿ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ (القصص: من الآية ٤)، ﴿ يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾(المزمل: من الآية ١٧).

***

وَشَرْطُهُ قَرِينَةٌ تُقَالُ   أوْ مَعْنوِيَّةٌ كَمَا يُحَالُ
قِيَامُهُ فِي عَادَةٍ بالمُسْنَدِ   أوْ عَقْلاً اوْ يَصْدُرُ مِنْ مُوَحِّدِ
كَهَزَمَ الأمِيرُ جُنْدُهُ الغَوِي   وَجَاءَ بِي إلَيْكَ حُبُّكَ القَوِي

لا بدّ للمجاز من قرينة صارفة عن إرادة ظاهره إمّا لفظية وهو المراد بقولي (تقال) في بيت أبي النجم، أو معنوية كاستحالة قيام المسند بالمسند إليه عقلاً نحو (محبتك جاءت بي إليك) لظهور استحالة قيام المجيء بالمحبة، أو عادة نحو (هزم الأمير الجند) لاستحالة قيام هزم الجند بالأمير وحده عادة وإن كان ممكنا عقلاً، أو صدوره من الموحد في مثل (أشاب الصغير)...البيت[٧٤] و(أنبت الربيع البقل).

***

(٧٤) ورد ذكر البيت في ص ٢٣.

وَفَهْـمُ أَصْـلِهِ يَكُـونُ وَاضِـحَا كَـرَبِحَتْ تِجَـارَةٌ أَيْ رَبِحَـا
وَذَا خَفَـا كَـسَرَّنِي مَنْظَـرُكَا أَيْ سَـرَّنِي اللهُ لَـدَى رُؤْيَـتِكَا

الفعل في المجاز العقلي يجب أن يكون له فاعل أو مفعول به إذا أسند إليه يكون حقيقة، فمعرفة ذاك قد تكون ظاهرة كقوله تعالى ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ ﴾ (البقرة: من الآية ١٦) أي فما ربحوا في تجارتهم وقد تكون خفية لا تظهر إلاّ بعد نظر وتأمّل نحو (سرتني رؤيتك) أي سرني الله وقت رؤيتك.

***

وَيُوسَـفٌ أَنْكَـرَ هـذا جَاعِلَـهْ كِـنَايَةً بِـأَنْ أَرَادَ فَاعِلَـهْ
حَقِـيقَةً وَنِـسْبَةُ الإِنْـبَاتِ لَـهْ قَـرِينَةٌ وَقَـدْ أَبَـاهُ الـنَّقَلَهْ

يوسف السكاكي[٧٥] أنكر المجاز العقلي وقال: الذي عندي نظمه في سلك الاستعارة بالكناية يجعل الربيع مثلا في المثال استعارة عن الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة في التشبيه وجعل نسبة الإنبات إليه الذي هو من لوازم الفاعل الحقيقي قرينة الاستعارة، وردّه صاحب التلخيص[٧٦] بوجوه لم تسلم له وليس هذا موضع بسطها، ومن أحسن ما رُدّ به أنّه يلزم عليه أن يتوقف (أنبت الربيع البقل) و(شفى الطبيب المريض) و(سرتني رؤيتك) ونحوه ممّا يكون الفاعل الحقيقي فيه هو الله تعالى على وروده من الشارع لأنّ أسماء الله تعالى توقيفية واللازم باطل لأنّ مثل هذا التركيب صحيح شائع عند القائلين بأنّ أسماء الله تعالى توقيفية وغيرهم سمع من الشارع أم لا وهذا ردّ لا يمكن الجواب عنه.

***

أحوال المسند إليه

أولاً: حذف المسند إليه

فَلاِجْتِـنَابِ عَـبَثٍ قُـلْ حَذْفُـهُ أَوْ لاِخْتِـبَارِ سَـامِعٍ هَـلْ يَنْـبَهُ
أَوْ قَـدْرِ فَهْمِـهِ وَجَـنْحٍ لِدَلِـيلْ أَقْـوَى هُـوَ العَقْـلُ لَـهُ قُلْتُ عَلِـيلْ

(٧٥) مفتاح العلوم: ١٨٩.

(٧٦) التلخيص: ١٤.

أَوْ صَـــوْنِهِ عَـــنْ ذِكْـــرِهِ أَوْ صَـــوْنِكَا   أَوْ لِتَأَتّــي الجَحْــدِ إنْ يَجْــنَحْ لَكَــا
أَوْ كَـــــوْنِهِ مُعَيَّـــــناً أَوْ ادَّعَــــــا   أَوْ المَقَــــامُ ضَـــيّقٌ أَوَ سُــــمِعَا

هـذا بـاب الأحـوال العارضـة للمسند إلـيه وفيه أبحاث: البحث الأوّل في حذفه ويكون لنكت منها الاحتراز عن العبث لدلالة القرينة عليه كقول المستهل (الهلال). ومنها اختبار السامع هل يتنبه أو لا؟ ومنها اختبار مقدار تنبه هل يتنبه بالقرائن الخفية أم لا؟ ومنها العدول إلى أقوى الدليلين العقل واللفظ والأقوى هو العقل لأنّ دلالته قطعية كقوله(٧٧):

قَـالَ لـي: كَـيْفَ أنْـتَ قُلْـتُ: عَلِـيلُ   [سَـــهَرٌ دَائِـــمٌ وَحُـــزْنٌ طَـــوِيلُ]

لم يقل (أنا عليل) لذلك، ومثله الطيبي بقوله تعالى ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝ ﴾ (القارعة: الآيتان ١٠ - ١١)، ومنها صونه عن ذكرك له بلسانه تعظيماً له كقوله(٧٨):

أَضَـاءَت لَهُـم أَحـسابُهُم وَوُجـوهُهُم   دُجى اللَيلِ حَتّى نَظَّمَ الجَـزعَ ثاقِبُهْ
نُجـومُ سَـماءٍ كُلَّمـا انْقَـضَّ كَـوكَبٌ   بَـدا كَـوكَبٌ تَـأوي إِلَـيهِ كَواكِـبُهْ

وفي معناه قول يزيد(٧٩):

وَإيّـــاكَ وَاسْـــمَ العامِــرِيَّةِ إنَّنـــي   أغَــارُ عَلَــيْهَا مِــنْ فَــمِ المُــتَكَلِّمِ

وقول التلخيص(٨٠) (إيهام صونه) لا حاجة إلى لفظة (إيهام) لما فيها من الإيهام كما قاله ابن السبكي(٨١)، فلذلك حذفتها، ومنها عكسه وهو صون لسانك عن ذكره تحقيراً

---

(٧٧) لم نعثر للبيت على نسبة، وقد استشهد به عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز: ٢٣٦، وينظر: معاهد التنصيص: ١/١٠٠.

(٧٨) البيتان في الحيوان: ٣/ ٩٣، والشعر والشعراء: ٢ /١١، منسوبان إلى لقيط بن زرارة بن عدس من تميم، وفيهما:

نجـوم سـماء كلمـا غـار كـوكب   بـدا كـوكب تـأوي إلـيه كواكـبه
أضـاءت لهـم أحـسابهم ووجـوههم   دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

كما نُسبا لأبي الطمحان القيني، ينظر: الكامل ١/٤٨، شرح ديوان الحماسة: ٤/١٥٩٨.

(٧٩) البيت منسوب إلى يزيد بن معاوية، ينظر: تزيين الأسواق في أخبار العشاق، الأنطاكي: ٤٠٧.

(٨٠) التلخيص: ١٥.

(٨١) عروس الأفراح: ١/١٥٧.

له كقوله[٨٢]:

قَــومٌ إذا أَكَلــوا أَخفَــوا كَلامَهُــمُ وَاستَوثَقوا مِـن رِتـاجِ البـابِ وَالـدارِ

وفي معناه قول القائل[٨٣]:

وَإذْ ذَكَــرْتُكُمْ غَــسَلْتُ فَمِــي وَلَقَــدْ عَلِمْــتُ بِأنَّــهُ نَجِــسُ

ومنها تأتّي الإنكار والجحد إذا أوخذ نحو (زان سارق) أي زيد ليتأتى لك أن تقول ما أردته بل غيره، ومنها أن يكون معيناً بأن يكون الخبر لا يصلح إلاّ له إمّا حقيقة نحو (خالق لما يشاء) أي الله، أو دعاء نحو (يعطي بدرة ووهاب الألوف) أي السلطان، ومنها ضيق المقام وهو من زيادتي، وذكره في الإيضاح[٨٤]، ومثله الطيبي في التبيان[٨٥] بقوله (قلت عليل). ومنها كونه سمع كذلك إذ الأمثال لا تغير وهو من زيادتي أيضاً، وذكره السكاكي[٨٦] والطيبي[٨٧] ومثله بقولهم (رمية من غير رام)[٨٨].

***

ثانياً: ذكر المسند إليه

وَذِكْــرُهُ لِلأَصْــلِ أَوْ يُحْــتَاطُ إِذْ تَعْــوِيلُهُ عَلَــى القَــرِينَةِ انْتُــبِذْ
أَوْ سَــامِعٌ لَــيْسَ بِــذِي تَذْكِيــرِ أَوْ كَثْــرةُ الإِيــضَاحِ وَالتقْرِيــرِ
أَوْ قَــصْدُهُ تَحْقِيــرُهُ أَوْ رِفْعَــتُهْ أَوْ بَــرَكَاتُ شَــأْنِهِ أَوْ لَذَّتُــهْ
أَوْ بَــسْطُهُ الكَــلامَ حَــيْثُ يُطْلَــبُ طُــولُ المَقَــامِ كالــذي يُــسْتَعْذَبُ

البحث الثاني في ذكره فيكون لنكت، منها كونه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه من قرينة أو غيرها، ومنها الاحتياط لضعف التعويل على القرينة إمّا لضعفها أو ضعف فهم المخاطب، ومنها إيهام غباوة السامع، قال الطيبي كقولك لعابد الصنم: (الصنمُ لا

(٨٢) لم نعثر للبيت على نسبة ولم نجد من ذكره.
(٨٣) لم نعثر للبيت على نسبة، واستشهد به الطيبي في التبيان في البيان: ٤١، ولم ينسبه.
(٨٤) الإيضاح: ٣١/١.
(٨٥) التبيان في البيان: ٤٠.
(٨٦) مفتاح العلوم: ٨٤.
(٨٧) التبيان في البيان: ٤٢.
(٨٨) المستقصى في أمثال العرب: ١٠٥/٢.

تَصَرُّفَ لَه)[٨٩]، ومنها زيادة الإيضاح والتقرير كقوله تعالى ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾ (البقرة: ٥)، ومنها قصد تحقيره لكون اسمه ممّا يقتضي الإهانة نحو (السارق اللئيم حاضر)، ومنها تعظيمه لكون اسمه مما يدلّ على التعظيم نحو (أمير المؤمنين حاضر)، ومنها التبرك باسمه كقولك (رسول الله ﷺ قائل هذا القول)، ومنها الاستلذاذ بذكره نحو (الحبيب حاضر)، ومنها بسط الكلام حيث يطلب طول المقام استعذاباً له نحو ﴿ هِىَ عَصَاىَ ﴾ (طه: من الآية ١٨) ولذلك زاد على الجواب بقوله ﴿ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا ﴾ (طه: من الآية ١٨)، وما بعده[٩٠]، وقول التلخيص[٩١]: كغيره حيث الإصغاء مطلوب، قال ابن السبكي[٩٢]: فيه نظر لأنّ المطلوب هو الكلام المستدعى من موسى لا الإصغاء وإنّما أخذ ذلك الإصغاء من جانبه تعالى فلذلك لا يُسمّى إصغاءً، ولو سُمّي فإنّما المقصود كلام الله تعالى له وأن يصغي هو له وذلك لا يحصل ببسط الجواب إلاّ أن يقال قصد تطويل المكالمة والمراجعة، ولذلك عدلت إلى ما عبرت به في النظم.

***

ثالثاً: تعريف المسند إليه

وَكَــوْنُهُ مَعْــرِفَةً فَمُــضْمَرُ إِذِ المَقَــامُ غَائِــبٌ أَوْ حَاضِــرُ
وَالأَصْــلُ فــي الخِطَــابِ أَنْ يُعَيِّــنَا مُخَاطَــبٌ وَفَقْــدُ ذَاكَ يُعْتَنَــى
كَقَــوْلِهِ سُــبْحَانَهُ وَلَــوْ تَــرَى لِكَــيْ يَعُــمَّ كُــلَّ شَــخْصٍ قَــدْ يَــرَى

البحث الثالث في تعريفه وذلك لنكت تظهر من جهة التعريف لأنّه إمّا بالإضمار وذلك لكون المقام للتكلم أو الخطاب أو الغيبة ويعم الأولين قولي (أو حاضر)، مثال الأوّل قوله[٩٣]:

---

(٨٩) التبيان في البيان: ٤٣.

(٩٠) وتمام الآية قوله تعالى ﴿ وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴾.

(٩١) التلخيص: ١٥.

(٩٢) عروس الأفراح: ١/ ١٦٢.

(٩٣) البيت لعمرو بن كلثوم التغلبي، شرح المعلقات العشر، التبريزي: ٣٥٣، شرح المعلقات، الزوزني: ١٨٨، وفي جمهرة أشعار العرب، القرشي: ١٩٣:

=

وَنَحــــنُ الــــتارِكونَ لِمــــا سَــــخِطنا وَنَحــــنُ الآخِــــذونَ لِمــــا رَضــــينا

والثاني قوله(٩٤):

وَأَنــتِ الَّتــي أَخْلَفتِنــي مــا وَعَدتِنــي وَأَشــمَتِّ بــي مَــن كــانَ فــيكِ يَلــومُ

والثالث قول أبي تمام(٩٥):

بِيُمنِ أَبــي إِســحاقَ طالَــت يَــدُ العُــلا وَقامَــت قَــناةُ الــدينِ وَاشــتَدَّ كاهِلُــهْ

هُــوَ البحــرُ مِــن أَيِّ النَواحــي أَتيــتَهُ فَلُجَّــتُهُ المَعــروفُ وَالجــودُ ســاحِلُهْ

والأصل في الخطاب أن يكون مفرداً أو مثنىً أو جمعاً وقد لا يقصد به معين ليعمّ كل مخاطب على سبيل البدل نحو (فلان لئيم إن أكرمته أهانك وإن أحسنت إليه أساء إليك) فلا تريد به مخاطباً بعينه بل تريد (إن أُكرِم أو أُحسِن إليه) فتخرجه في صورة الخطاب ليعمّ، فإنّ معاملته لا تختص بواحد دون آخر، ومنه قوله تعالى ﴿ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ (الأنعام: من الآية ٢٧) ونحوه من الآيات أُخرِج في صورة الخطاب ليعمّ إذ المراد أنّ حالهم تناهت في الظهور بحيث لا يختص براءٍ دون آخر فلا يختص بالخطاب مخاطب دون مخاطب بل كل من تتأتّى منه الرؤية فله مدخل فيه وكذلك حديث (بشّر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة) رواه ابن ماجه ونحوه(٩٦).

***

وَعَلَــــمٌ لأَجْــــلِ أَنْ يَحْــــضُرَ فِــــي ذِهْــــنٍ بِعَيْــــنِهِ بِاسْــــمِهِ الوَفِــــي

فِــــي الابْــــتِدَا كَقُــــلْ هُــــوِ اللهُ أَحَــــدْ أَوْ لِكِــــنايَةٍ وَرِفْعَــــةٍ وَضِــــدْ

من طرق التعريف العلميّة وذلك لنكت. منها إحضاره بعينه في ذهن السامع ابتداء باسمه الخاص به فاحترز بعينه أي شخصه عن إحضاره باسم جنسه وباسمه عن

=

وإنــــا الــــتاركون لمــــا ســــخطنا وإنــــا الآخــــذون إذا رضــــينا

(٩٤) البيت لمجنون ليلى، ديوانه: ٢٤٧.

(٩٥) ديوان أبي تمام، شرح التبريزي: ٣/ ٢٩ وفيه:

هُــوَ الــيَمُّ مِــن أَيِّ النَواحــي أَتيــتَهُ فَلُجَّــتُهُ المَعــروفُ وَالجــودُ ســاحِلُهْ

(٩٦) ينظر الحديث في: سنن ابن ماجه: ١/ ٢٥٧، كذلك سنن أبي داود: ١/ ١٥٤، المستدرك: ١/ ٣١١، سنن الترمذي: ١/ ٤٣٥، سنن البيهقي الكبرى: ٣ / ٦٣.

إحضاره بضميره أو إشارة أو غيرها، مثال ذلك قوله تعالى ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ (الإخلاص: ١)، ومنها الكناية عن معنى يصلح به العلم نحو (أبو لهب فعل كذا) كناية عن كونه جهنمياً، ومنها تعظيمه أو إهانته لكونه من الأعلام المحمودة أو المذمومة، ومنها التبرك بذكره والاستلذاذ به وهما المذكوران في أول البيت الآتي:

***

أَوْ لِتَبَــــــرُّكٍ وَلَــــــذَّةٍ وَمَــــا … يُوصِــــلُ للتَّقْرِيــــرِ أَوْ إِنْ فُخِّمَــــا
أَوْ فَقْــدِ عِلْــمِ سَــامِعٍ غَيْــرِ الــصِّلَهْ … كَــأَنَّ مَــا أَهْــدَى إِلَــيْكَ يَعْمَلَــهْ
أَوْ هُجْــنَةِ التَّــصْرِيحِ بِالاسْــمِ كَــذَا … تَنْبِــيهُهُ عَلَــى الخَطَــا وَنَحْــوِ ذَا
أَوْ لإِشَــارَةٍ إِلــى وَجْــهِ البِــنَا … لِخَبَــرٍ وَقَــدْ يَكُــونُ ذَا هُــنا
ذَرِيعَــةً لِــرَفْعِ شَــأْنِ المُــسْنَدِ … أَوْ غَيْــرِهِ أَوْ لِــسِوَاهُ وَزِدِ
ذَرِيعَــةً لأَجْــلِ تَحْقِــيقِ الخَبَــرْ … وَقَــالَ فــي الإيــضَاحِ فِــي هَــذا نَظَــرْ

من طرق التعريف كونه موصولاً وذلك لنكت، منها زيادة التقرير نحو ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا ﴾ (يوسف: من الآية ٢٣) عدل عن اسمها وهو زليخا أو راعيل زيادةً لتقرير المراودة لذكر السبب وهو كونه في بيتها، وقال الفرزدق(٩٧):

أَتَحْبِــسُنِي بَــيْنَ المَدِيــنَةِ وَالَّتــي … إِلَــيها قُلُــوبُ الــناسِ يَهــوي مُنيــبُها

أي مكة وعدل عن اسمها زيادة للإنكار مشيراً إلى أنّ هذا المكان لا يصلح إلا للإنابة والخضوع لا للتجبّر والعدوان، ومنها التفخيم نحو ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ﴾ (طه: من الآية ٧٨)، ومنها كون المخاطب لا يعلم من أحواله شيئاً غير الصلة كقولك (الذي كان معنا أمس رجل عالم) و(التي أهداها إليك فلان يعملة) وهي الناقة القوية المحمولة، ومنها استهجان ذكر الاسم إذا كان ممّا يُستهجَن وله صفة كمال كقولك: (الذي يعلم الفقه رجل نبيه)، ومنها تنبيه المخاطب على خطئه كقوله(٩٨):

إِنَّ الَّــــذينَ تَــــرَونَهُم إِخــــوانَكُم … يَــشفي غَلــيلَ صُــدورِهِم أَن تُــصرَعوا

---

(٩٧) ديوان الفرزدق: ٤٧/١، وفيه:

يُرَدِّدُنــي بَــينَ المَدِيــنَةِ وَالَّتــي … إِلَــيها قُلُــوبُ الــناسِ يَهــوي مُنيــبُها

(٩٨) البيت لعبدة بن الطبيب، شعر عبدة بن الطبيب: ٤٨.

ومنها الإشارة إلى وجه بناء المسند على المسند إليه بأن يذكر في الصلة ما يناسبه نحو ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر: من الآية ٦٠) فإنّ الاستكبار الذي تضمنته الصلة مناسب لإسناد (سيدخلون جهنم داخرين) أي ذليلين إلى الموصول، وربّما يكون ذريعة إلى التعريض بتعظيم شأن المسند وهو الخبر نحو[٩٩]:

إنَّ الَّذي سَمَكَ السَماءَ بَنى لَنا ... بَيتاً دَعائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطوَلُ

فإنّ ذِكْر الصلة التي هي (سمك السماء) مشعر بتعظيم المبني عليه وهو البيت الذي بناه سامك السماء ورافعها، أو تعظيم غيره نحو ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (الأعراف: من الآية ٩٢) فإنّه قصد به تعظيم شأن شعيب ﷺ ونحو الذي يرافقك يستحق الإجلال والرفع فيه تعظيم المخاطب، قولي (أو لسواه) من زيادتي أي وقد يكون ذريعة لسوى ما ذكر كالإهانة نحو (الذي يرافقك يستحق الإذلال والصفع)، وكالتسلية كقول أبي العلاء[١٠٠]:

إنّ الذي الوَحْشَةُ في دارِهِ ... تُؤنِسُهُ الرّحمَةُ في لَحْدِهِ

والتشويق إلى الخبر كقوله[١٠١]:

والّذي حارَتِ البَرِيّةُ فِيهِ ... حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِن جَمادِ

وقولي (وزد) والبيت الذي بعده من زيادتي أيضاً.

ذكر السكاكي[١٠٢] والطيبي[١٠٣]، من نكت الموصولية أن تكون ذريعة إلى تحقيق الخبر كقوله[١٠٤]:

إنَّ الَّتي ضَرَبَت بَيتاً مُهاجِرَةً ... بِكوفَةِ الجُندِ غالَت وُدَّها غولُ

---

(٩٩) البيت للفرزدق، ديوانه: ١٥٥/٢.

(١٠٠) شروح سقط الزند: ١٠٢٧/٣.

(١٠١) البيت للمعري، شروح سقط الزند: ١٠٠٤/٣.

(١٠٢) مفتاح العلوم: ٨٧.

(١٠٣) التبيان في البيان: ٥١.

(١٠٤) البيت لعبدة بن الطبيب، شعر عبدة بن الطبيب: ٥٩.

قال في الإيضاح[١٠٥]: وفيه نظر لأنّه لا يظهر فرق بين الإيماء إلى وجه بناء الخبر وتحقيق الخبر، وأجاب ابن السبكي[١٠٦] عنه بأنّ الفرق واضح فإنّ الإيماء إلى وجه بنائه أن يذكر ما يناسبه وتحقيقه أن يذكر ما يحقق وقوعه بأي نوع كان، والفرق بين بناء الشيء على غيره وتحقيقه واضح.

***

وَاسْـــمُ إشَــارَةٍ لكَــيْ يُمَيَّـــزَا   أكْمَــلَ تَمْييـــزٍ كَهَــذا مَــنْ غَــزَا
كَــذَا لِتَعْــرِيضٍ بِــأنَّ الــسَّامِعْ   مُــسْتَبْلِدٌ كَالبَــيْتِ ذِي المَجَامِــعْ
أوْ لِبَــيَانِ حَالِــهِ مِــنْ قُــرْبِ   أوْ بُعْــدٍ اوْ تَحْقِيــرِهِ بِالقُــرْبِ
أوْ رَفْعِــهِ بِالــبَعْدِ أوْ تَحَقُّــرِ   أوْ كَــوْنِهِ بِالوَصْــفِ بَعْــدَهُ حَــرِي
أوْ لَــمْ يَكُــنْ بِغَيْــرِ ذَاكَ يُعْــرَفُ   قَــدْ زَادَهُ عَلَــى المَوَاضِــي يُوسُــفُ

من طرق التعريف كونه اسم إشارة وذلك لنكت: منها أن يقصد تمييزه أكمل تمييز لإحضاره في ذهن السامع حسًّا بالإشارة كقول الفرزدق في زين العابدين ﷺ[١٠٧]:

هَـذا الَّـذي تَعـرِفُ الـبَطحاءُ وَطأَتَـهُ   وَالبَـيتُ يَعـرِفُهُ وَالحِـلُّ وَالحَـرَمُ
هَـذا اِبـنُ خَيـرِ عِـبادِ اللَّـهِ كُلِّهِـمُ   هَـذا التَقِـيُّ النَقِـيُّ الطاهِـرُ العَلَـمُ

وكقول ابن الرومي[١٠٨]:

هَـذَا أبُـو الـصَقْرِ فَـرْداً فِـي مَحَاسِـنِهِ   مِـنْ نَـسْلِ شَـيْبَانَ بَـيْنَ الـضّالِ والـسِّلمِ

ومنها التعريض ببلادة المخاطب وغباوته حتى إنّه لا يتميز الشيء إلا بالإشارة إليه كقول الفرزدق يخاطب جريراً[١٠٩]:

أولَـئِكَ آبائـي فَجِئنـي بِمِـثلِهِم   إذا جَمَعَتـنا يـا جَريـرُ المَجامِـعُ

ومنها بيان حال المشار إليه من قرب أو بعد كقولك للقريب (هذا زيد) وللبعيد

---

(١٠٥) الإيضاح: ٣٨/١.
(١٠٦) عروس الأفراح: ١٧٣/١.
(١٠٧) ديوان الفرزدق: ١٧٨/٢.
(١٠٨) البيت غير موجود في الديوان، وقد ذكر في: عروس الأفراح: ٨٢/٢، مختصر السعد: ٧٨، معاهد التنصيص: ١٠٧/١.
(١٠٩) ديوان الفرزدق: ٤١٨/١.

(ذلك زيد)، وذكر في التلخيص[١١٠] وغيره التوسط، وتركتُه لأنّ المختار عندي تبعاً لسيبويه[١١١] وابن مالك[١١٢] أنّه ليس لاسم الإشارة إلا مرتبتان، وإن مشينا في طريق أهل البيان أمكن دخوله في العبارة، ومنها قصده في تحقيره بقربه كقوله تعالى حكاية على الكفار ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ (الأنبياء: من الآية ٣٦)، ومنها قصد تعظيمه بالبعد نحو ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ (البقرة: من الآية ٢)، ومنها قصد تحقيره بالبعد نحو (ذلك اللعين فعل كذا)، ومثّل الطيبي[١١٣] بقوله تعالى ﴿ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝ ﴾ (الماعون: ٢)، ومنها التنبيه بعد ذكر المشار إليه بأوصاف قبله على أنّه جدير بما يرد بعده من أجلها نحو ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى ﴾ (البقرة: من الآية ٥) الآية[١١٤] فذكر الأوصاف بعد (الذين)[١١٥] ونبّه باسم الإشارة على أنّ المشار إليه وهو (الذين) جدير بذلك، ومنها أن لا يكون طريق إلى معرفة المسند إليه إلاّ باسم الإشارة وهذا من زيادتي، وقد ذكره السكاكي في المفتاح[١١٦]، وبقي من النكت قصد تعظيمه بالقرب نحو ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ (الإسراء: من الآية ٩).

***

ثُـمَّ بِـألْ إشـارَةً لِمَـا عُهِـدْ ... أوْ لِحَقِـيقَةٍ وَرُبَّمَـا تَـرِدْ
لِـوَاحِدٍ لِعَهْـدِهِ فـي الـذِّهْنِ ... نَحْـوُ ادْخُـلِ السُّوقَ وَلا عَهْـدَ عَنِـي
كَالنُّكْـرِ مَعْنـىً وَلأفْـرَادٍ تَعُـمّ ... حَقِـيقَةً كَعَـالِمُ الغَـيْبِ قَـدُمْ

(١١٠) التلخيص: ١٧.
(١١١) لم نجد هذه الإشارة في كتاب سيبويه.
(١١٢) شرح الكافية الشافية: ١٣١٦/٣.
(١١٣) التبيان في البيان: ٥٥.
(١١٤) وتمامها قوله تعالى: ﴿ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.
(١١٥) والآيات التي بعدها قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ ﴾ (البقرة: الآيتان ٣، ٤).
(١١٦) مفتاح العلوم: ٨٨.

وَمِـنْهُ عُرْفِـي وَعُمُـومُ المُفْـرَدِ أَشْـمَلُ إِذْ صَـحَّ وُجُـودُ مُفْـرَدِ
وَرَجُلَـيْنِ مَـعَ قَـوْلٍ لا رِجَـالْ فِـي الـدَّارِ دُونَ مَـا إذا فَـرْدٌ يُقَـالْ
وَلا تَنَافِـي بَـيْنَ الاسْـتِغْرَاقِ وَبَـيْنَ الإفْـرَادِ بالاتِّفَـاقِ
لأَنَّـهُ يَـدْخُلُ مَـعْ قَطْـعِ النَّظَـرْ عَـنْ وَحْـدَةٍ وَبِالإِضَـافَةِ اسْـتَقَرّ

التعريف بالألف واللام يكون لنكت، منها الإشارة إلى معهود إمّا لفظاً نحو ﴿ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ ﴾ (النور: من الآية ٣٥)، ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولاً شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ ﴾ (المزمل: من الآيتين١٥ - ١٦)، أو تقديراً نحو ﴿ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰ ﴾ (آل عمران: من الآية ٣٦) أي ليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت، والذكر في قوله ﴿ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرًا ﴾ (آل عمران: من الآية ٣٥) لاستلزام التحرّر بالذكر إذ لم يكونوا ينذرون تحرير الإناث، أو حسًّا وهو مبصر كقولك لمن سدد سهماً: (القرطاس)، أو علماً نحو ﴿ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ ﴾ (التوبة: من الآية ٤٠)، ﴿ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ ﴾(طه: من الآية ١٢)، ﴿ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾(الفتح: من الآية ١٨)، ومنها الإشارة إلى نفس الحقيقة نحو: الرجل خير من المرأة، أي حقيقة الرجل من حيث هي، وقوله تعالى ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ ﴾ (الأنبياء: من الآية ٣٠) وقول أبي العلاء(١١٧):

والخِـلُّ كالمـاء يُـبْدي لـي ضـمائرَه مـع الـصّفاء ويُخْفـيها مـع الكَـدَرِ

وقد يراد بهذا واحد باعتبار عهديّته في الذهن كقولك: (ادخل السوق) حيث لا عهد، فإنّ الدخول إنّما يكون في سوق واحد وكذا قولك ابتداء (دخلت السوق في بلد كذا) وهذا في المعنى كالنكرة إذ لم يكن لمعين يعرفه المخاطب فصار شائعاً بحسب الظاهر ولهذا يوصف بالجمل قال تعالى ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ (يس: من الآية ٣٧) وقال الشاعر(١١٨):

---

(١١٧) شروح سقط الزند: ١/١٢٣.

(١١٨) ذكر البيت المبرد في الكامل: ٣/٨٠ دون نسبة وفيه:

=

وَلقــدْ أمُــرُّ علــى اللّئــيمِ يــسبُّني فمــضيْتُ ثُمَّــت قُلْــتُ لا يعْنينِــي

ومنها استغراق الأفراد إمّا حقيقة كـ ﴿ عَلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَدَةِ ﴾ (الأنعام: من الآية ٧٣) أي كلّ غيب وكلّ شهادة، أو عرفاً نحو (جمع الأمير الصاغة): أي صاغة بلدة لا كلّ صاغة، ثم الاستغراق في المفرد أشمل من الجمع ولذلك كان قولك (لا رجالٌ في الدار) يصدق إذا كان فيها رجل أو رجلان بخلاف قولك (لا رجلَ فيها)، فإن قيل: إفراد الاسم يدل على الوحدة والاستغراق على التعدد فيتنافيان. فالجواب: إنّ الحرف إنّما يدخل عليه عند إرادة الاستغراق مجرداً مقطوع النظر عن الوحدة والتعدد وقولي (وبالإضافة استقر) متعلق بالأبيات الآتية:

***

لِلاخْتِــصَارِ أوْ لِتَعْظِــيمِ المُــضَافْ إلَــيْهِ أوْ مُــضَافٍ هَــذا أوْ خِــلافْ

هَــذَين أوْ إهَانَــةٍ كَعَــبْدِي عَــبْدُ إمَــامِ المُــسْلِمِينَ عِــنْدِي

قُلْــتُ وَالاسْــتِغْرَاقِ لكــنْ سَــكَتُوا عَــنْهُ وَمِــنْ ألْ ذَا بِهَــذِي أُثْــبِتُ

وَيُوسُــفُ رَأى الإشَــارَة إلــى نَــوْعِ مَجَــازٍ وَتَــرقُّقٌ حَــلاَ

تعريفه بالإضافة لنكت. منها أن تكون أخصر طريق والمقام يقتضي الاختصار كقوله[119]:

هَــوايَ مــع الــرَّكبِ اليَمانِــيِّ مُــصْعِدٌ جَنِــيبٌ وجُثْمانِــي بمَكَّــةَ مُوثَــقُ

فإنه أخصر من قوله الذي أهواه أو الذي قلبي إليه مائل، والمقام مقتض لذلك فإنّ جعفر بن علبة قاله حين حبس بمكة وحال المحبوسين ضيق، وبعده[120]:

عَجِـبْتُ لِمَـسْراها وأنَّــى تَخلَّـصَتْ إلـيَّ وبــابُ الـسِّجْنِ دُونِـي مُغْلَــقُ

وممّا يدخل في الاختصار أن يغني عن تفصيل كقوله[121]:

أَوْلادُ جَفــنَةَ حَــولَ قَبــرِ أَبــيهِمِ قَبــرِ اِبــنِ مارِيَــةَ الكَــريمِ المُفــضِلِ

=

وَلقــدْ أمُــرُّ علــى اللّئــيمِ يــسبُّني فأجــوزُ ثُمَّــت قُلْــتُ لا يعْنينِــي

واستشهد به في الإيضاح: ٤٢/١ دون نسبة.

(١١٩) البيت لجعْفَر بن عُلْبَة الحارِثِيّ، الحماسة البصرية: ١٢٥/٢.

(١٢٠) الحماسة البصرية: ١٢٦/٢.

(١٢١) البيت لحسان بن ثابت، ديوانه: ٣٦٥.

فإنّه لو عدّدهم لطال، ومنها تعظيم المضاف إليه نحو (عبدي فعل كذا) تعظيماً لك بأنّ لك عبداً أو المضاف نحو ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ (الحجر: من الآية ٤٢) ومنه قولي (عبد إمام المسلمين) أو خلاف هذين كقولي (عبد إمام المسلمين عندي) لتعظيمك بحضور عبد الخليفة عندك، ومنها التحقير كقولك (عبد الحجام حضر) وهو المراد بقولي (أو إهانة)، ومنها الاستغراق ولم يذكروه قال ابن السبكي(١٢٢): عجبت من أهل هذا الشأن كيف لم يذكروا إرادة الاستغراق من الإضافة وهي من أدوات العموم كما أنّ أداة التعريف كذلك بل عموم الإضافة أبلغ، ومنها الإشارة إلى مجاز لطيف كقوله(١٢٣):

إِذَا كَوْكَبُ الخَرْقَاءِ لاحَ بِسِحْرِهِ ... سُهَيْلٌ أَذَاعَتْ غَزْلَهَا فِي القَرَائِبِ

أضاف الكوكب إلى الخرقاء يعني أنّها تنام إلى طلوعه وقت الصبح فعند ذلك تشعر بالبرد فتفرق غزلها على القرائب، ذكره السكاكي(١٢٤)، ومنها الترقق ذكره السكاكي(١٢٥) أيضاً كقولك (محبك على الباب) وهذان البيتان من زيادتي كما ميزت بـ(قلت).

***

رابعاً: تنكير المسند إليه

وَكَونُهُ نكِرَةً لِوَحْدَتِهْ ... كَرَجُلٍ نَوْعِيَّةٍ أَوْ رِفْعَتِهْ
أَوْ ضِدِّها أَوْ كَثْرَةٍ أَوْ قِلَّتِهْ ... وَقَدْ أَتَى لِرِفْعَةٍ وَكَثْرَتِهْ
قَدْ كُذِّبَتْ رُسْلٌ مِثَالٌ فَافْهَمِ ... وَغَيْرُهُ نُكِّرَ قَصْد العِظَمِ
نَحْوُ بِحَرْبٍ وَلِضِدٍّ ظَنًّا ... وَالنَّوعِ وَالإِفْرَادِ حَقّاً عَنَّا
فِي دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ الذي تُلِي ... أَوْ قَصِدَ العُمُومُ إِنْ نَفْياً وَلِي
أَوْ لِتَجَاهُلٍ أَوَ أَنْ لا يُدْرِكَا ... ذُو القَوْلِ وَالسَّامِعِ غَيْرُ ذَلِكَا

البحث الرابع في تنكيره، وذلك لأمور منها الإفراد نحو ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا

---

(١٢٢) عروس الأفراح: ١/٢٠٢.
(١٢٣) لم نعثر للبيت على نسبة، والبيت في: الأشباه والنظائر، الخالديان: ٣/١٩٣، المصباح: ٢١.
(١٢٤) مفتاح العلوم: ٨٩.
(١٢٥) المصدر نفسه: ٨٩.

﴿ ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴾ (القصص: من الآية ٢٠) أي رجل واحد، ومنها النوعية بأن يراد به نوع مخالف للأنواع المعهودة نحو ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾ (البقرة: من الآية ٧) أي نوع غريب من الغشاوة لا يتعارفه الناس بحيث غطّى ما لا يغطّيه شيء من الغشاوات، ومنها تعظيمه بمعنى أنّه أعظم من أن يُعيَّن، ومنها التحقير بمعنى انحطاط شأنه إلى حدّ لا يمكن أن يعرف واجتمعا في قوله[١٢٦]:

لَـهُ حَاجِـبٌ فِـي كُـلِّ أَمـرٍ يَـشينُهُ ... وَلَـيسَ لَـهُ عَـن طالِـبِ العُـرفِ حاجِبُ

أي ليس له حاجب عظيم وليس له حاجب حقير فكيف بالعظيم، ومنها التكثير بمعنى أنّ ذلك الشيء كثير حتى إنّه لا يحتاج إلى تعريف نحو (إنّ له لإبلاً وإنّ له لغنماً)، وكقوله تعالى ﴿ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ﴾ (الأعراف: من الآية ١١٣)، ومنها التقليل نحو ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (التوبة: من الآية ٧٢) أي رضوان من الله قليل أكبر، وقد يجتمع التعظيم والتكثير نحو ﴿ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾ (فاطر: من الآية ٤) أي رسل عظام ذوو عدد كثير، وقد ينكّر غير المسند إليه للتعظيم نحو ﴿ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة: من الآية ٢٧٩)، وللتحقير نحو ﴿ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا ﴾ (الجاثية: من الآية ٣٢)، وللنوعية والإفراد واجتمعاً في قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ﴾ (النور: من الآية ٤٥)، ولقصد العموم بعد النفي لأنّ النكرة في سياق النفي تعمّ، وهذا وما بعده من زيادتي، وللتجاهل وإيهام أنّك لا تعرف شخصه كقولك (هل لكم في حيوان على صورة إنسان يقول كذا)، وأن لا يعرف المتكلم أو السامع من حقيقته غير ذلك.

***

ثُـمَ مِـنَ القَـوَاعِدِ المُـشْتَهَرَهْ ... إذَا أَتَـتْ نَكِـرَةٌ مُكَـرَّرَهْ
تَغَايَـرَا وَإِنْ يُعَـرَّفْ ثَانِـي ... تَـوَافَقَا كَـذَا المُعَـرَّفَانِ
شَـاهِدُهَا الَّـذي رَوَيْـنَا مُـسْنَدَا ... لَـنْ يَغْلِـبَ اليُـسْرَيْنِ عُـسْرٌ أَبَـدَا
وَنَقَـضَ الـسّبكيُّ ذِي بِأَمْـثِلَهْ ... وَقَـالَ ذِي قَاعِـدَةٌ مَسْتَـشْكِلَهْ

(١٢٦) نسب العسكري البيت إلى أبي الطمحان مولى ابن أبي السمط، ديوان المعاني: ٢٣/١، وفي الإيضاح: ٤٦/١، ومعاهد التنصيص: ٢٧/١ لابن أبي السمط.

الأبيات من زوائدي نبّهت فيها على قاعدة مهمّة تتعلّق بالتعريف والتنكير وذكرها السبكيّ(١٢٧) هنا، وذلك أنّ الاسم إذا كرّر مرتين فإن كانا نكرتين فالثاني غير الأوّل، أو معرفتين أو الثاني فقط فهو عينه، أو الأوّل معرفة والثاني نكرة فقولان فالأوّل والثاني كاليسر والعسر في قوله تعالى ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ ﴾ (الشرح: الآيتان ٥ – ٦)، والثالث نحو ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ ﴾ (النور: من الآية ٣٥)، ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ ﴾(المزمل: من الآية ١٦)، والرابع كقوله(١٢٨):

عَفَوْنَا عَنْ بَنِي ذُهْلٍ وَقُلْنَا القَوْمُ إِخْوَانُ
عَسَى الأَيَّامُ أَنْ يُرْجِعْـنَ قَوْماً كَالَّذِي كَانُوا

وأصل هذه القاعدة الحديث الذي أشرنا إليه في النظم فإنّه جعل العسر الثاني في الآية هو الأوّل واليسر الثاني غير الأوّل، وقد روي مرفوعاً وموقوفاً، فالأوّل ما أخرجه الحاكم في المستدرك من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن الحسن قال (خرج النبي ﷺ يوماً مسروراً فرحاً وهو يضحك وهو يقول لن يغلب عسر يسرين فإنّ مع العسر يسراً إنّ مع العسر يسراً)(١٢٩) وهذا مرسل وإسناده صحيح، إلاّ أنّ مراسيل الحسن اختلف فيها فبعضهم صححها وبعضهم قال هي شبه الريح لأخذه عن كلّ أحد لكن يعتضد هذا بشواهد، فقد قال الحاكم صحّت الرواية عن عمر بن الخطاب وعن عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنهما)(١٣٠)، قلت وأخرج عبد الرزاق في تفسيره عن جعفر بن سليمان عن ميمون بن أبي حمزة عن إبراهيم النخعيّ عن ابن مسعود قال: (لو كان العسر في جحر ضب لتبعه اليسر حتى يستخرجه لن يغلب عسر يسرين لن يغلب عسر يسرين) وأخرجه سعيد بن منصور في سننه عن أبي شهاب عبد ربه عن نافع عن ميمون الأعور عن إبراهيم عن علقمة والأسود عن ابن مسعود، وروى الطبراني في الكبير عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ (لو كان العسر في جحر ضبّ خرب

---

(١٢٧) عروس الأفراح: ١/٢٠٧.

(١٢٨) البيت لشهل بن شيبان، شرح ديوان الحماسة: ١/٣٢، ورواية البيت الأول كالآتي:

صفحنا عن بني ذهل وقلنا القوم أخوان

(١٢٩) المستدرك: ٢ / ٥٧٥

(١٣٠) المستدرك: ٢ / ٥٧٥

لدخل عليه اليسر حتى يخرجه ثمّ قرأ رسول الله ﷺ ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ ﴾[١٣١]، وفي إسناده أبو مالك النخعي ضعيف، وروى في الأوسط من حديث أنس قال (كان رسول الله ﷺ جالساً فنظر إلى جحر بحيال وجهه فقال: لو كانت العسرة تجيء حتى تدخل هذا الجحر لجاءت اليسرة حتى تخرجها ثمّ تلا رسول الله ﷺ ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ ﴾[١٣٢]، فهذه شواهد يقوي بعضها بعضاً، قال الشيخ بهاء الدين السبكي: وقد أكثر الحنفية من التفريع في كتبهم الفقهية[١٣٣]، قلت وتفرّع عليها عندنا[١٣٤] أيضاً فروع، منها إذا قال (أنت طالق نصف طلقة وثلث طلقة) فالمجزوم به وقوع طلقتين اعتباراً بكل جزء من طلقة ثم يسري، ولو باع بنصف دينار وثلث دينار وسدس دينار لم يلزمه دينار صحيح بل له دفع شيء من كلّ كما في شرح المهذب[١٣٥]، ثم قال الشيخ بهاء الدين الظاهر إنّ هذه القاعدة غير محررة لانتقاضها بأمثلة كثيرة منها في المعرفتين قوله تعالى ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ۝ ﴾ (الرحمن: ٦٠) فإنّهما معرفتان والثاني غير الأوّل لأنّ الأوّل العمل والثاني الثواب، ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ (المائدة: من الآية ٤٥) أي المقتولة بالقاتلة وكذا قوله تعالى ﴿ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ ﴾ (البقرة: من الآية ١٧٨) الآية[١٣٦]. وفي تعريف الثاني قوله تعالى ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى ﴾ (يونس: من الآية ٣٦)، ﴿ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾(النساء: من الآية ١٢٨) فإنّ

---

(١٣١) المعجم الكبير: ١٠ /٧٠.

(١٣٢) المعجم الأوسط ٢/١٤٥.

(١٣٣) عروس الأفراح: ١/٢٠٨، وتنظر المسألة في مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، شمس الدين الشربيني: ٣/٣٨٨ - ٣٩٤.

(١٣٤) أي عند الشافعية، كون السيوطي شافعي المذهب، كما سيأتي من اعتماده على النووي وهو من أئمة الشافعية.

(١٣٥) ينظر المسألة في المجموع (شرح المهذب): ١٨/٢٥٤ - ٢٥٥.

(١٣٦) وتمامها قوله تعالى: ﴿ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

الثاني فيهما غير الأوّل، وفي النكرتين قوله تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ (البقرة: من الآية ٢١٧) فإنّ الثاني هو الأول، ﴿ خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾ (الروم: من الآية ٥٤) الآية[١٣٧]، قلت: الظاهر أنّ هذه الآيات ونحوها لا تخرج عن القاعدة عند التأمّل فإنّ اللام في الإحسان فيما يظهر للجنس لا للعهد كما قال، وحينئذ يكون في المعنى كالنكرة وكذا آية النفس والحر بخلاف آية العسر فإنّ (أل) فيها إمّا لمعهود ذهني وهو ما حصل له ﷺ والمسلمين من الشدة من الكفار أو للاستغراق كما يفيده الحديث وكذا آية الظن لا نسلم فيها أنّ الثاني غير الأوّل بل هو عين الأوّل قطعاً، إذ ليس كلّ ظنّ مذموماً كيف وأحكام الشريعة ظنّية، وكذا آية الصلح لا مانع من أن يكون المراد منها الصلح المذكور وهو الذي بين الزوجين، واستحباب الصلح في سائر الأمور يكون مأخوذاً من السنة أو من الآية بطريق القياس بل لا يجوز القول بعموم الآية وإنّ كل صلح خير لأنّ ما أحلّ حراماً من الصلح أو ما حرّم حلالاً فهو ممنوع، وكذا آية القتال ليس الثاني فيها عين الأوّل بلا شكّ لأنّ المراد بالأول المسؤول عنه القتال الذي وقع في سرية ابن الحضرمي سنة اثنتين من الهجرة لأنّه في سريته سبب نزول الآية[١٣٨]، والمراد بالثاني جنس القتال لا ذاك بعينه فتأمّل هذا وخرج عليه ما أشكل عليك.

***

تنبيه:

قال ابن السبكي[١٣٩] المراد بذكر الاسم مرتين كونه مذكوراً في كلام واحد أو كلامين بينهما تواصل بأن يكون أحدهما معطوفاً على الآخر أو له به تعلق ظاهر وتناسب واضح.

---

(١٣٧) وتمامها قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾.

(١٣٨) سبب نزول هذه الآية أنّ رسول الله ﷺ بعث رهطاً وبعث عليهم عبد الله بن جحش فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدروا أنّ ذلك اليوم من رجب أو من جمادى فقال المشركون للمسلمين: قتلتم في الشهر الحرام) فنزل قوله تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ ...الآية، العجاب في الأسباب، العسقلاني: ٣٤٧ – ٣٤٨.

(١٣٩) عروس الأفراح: ٣٥٨/١،

قلت: وعلى هذا لا تردّ الآية التي أوردها وهي قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ (العنكبوت: من الآية ٤٧) لأنّ الكتاب الثاني غير الأوّل لما يظهر من أنّ الثاني مستقل بالنسبة للأوّل وقد يقال إنّ اللام في الأوّل للعهد وهو القرآن وفي الثاني للجنس فيكون في حكم النكرة معنى.

***

خامساً: إتباع المسند إليه

وَوَصْفُهُ لِلْكَشْفِ وَالتَّخْصِيصِ أَوْ ... تَأَكُّدِ وَالمَدْحِ وَالذَّمِّ رَأَوْا

وَكَوْنُهُ أُكِّدَ لِلتَّقْرِيرِ مَعْ ... تَوَهُّمِ المَجَازِ وَالسّهْوِ انْدَفَعْ

أَوْ عَدَمِ الشُّمُولِ وَالبَيَانِ قَرّ ... لِكَشْفِهِ نَحْوُ أَبُو حَفْصٍ عُمَرْ

وَالعَطْفُ للتَّفْصِيلِ بِالإيجَازِ فِي ... ذَا البَابِ وَالمُسْنَدِ أَوْ رَدِّ نَفِي

بِهِ الخَطَا فِي جَا أَبُوكَ لا الأَجَلّ ... أَوْ صَرْفِ حُكْمٍ للسِّوَى فِي عَطْفِ بَلْ

وَالشَّكِّ وَالتَّشْكِيكِ قُلْتُ أَوْ سَوِي ... ذَلكَ مِمَّا حَرْفُ عَطْفٍ قَدْ حَوِي

وَبَدَلُ الشّيْءِ وبَعْضٍ وَاشْتِمَالْ ... لِزَيدِ تَقْرِيرٍ وَإِيْضَاحٍ يُقَالْ

البحث الخامس في إتباعه. فأمّا وصفه فلأمور منها كشفه بأن يكون محتاجاً إلى كشف معناه كقوله تعالى ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة: من الآيتين٢ – ٣) الآية[١٤٠] وكقولك (الجسم الطويل العريض العميق يحتاج إلى فراغ يشغله)، وقول أوس[١٤١]:

الأَلْمَعِيَّ الَّذي يَظُنُّ بِكَ الظَّـ ... ـنَّ كَأَنْ قَد رَأى وَقَدْ سَمِعا

ومنها تخصيصه بصفة تميّزه نحو (زيد التاجر عندك)، ومنها تأكيده نحو ﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ (النحل: من الآية ٥١)، وقولك: (أمس الدابر كان يوماً عظيماً) ومنها مدحه نحو ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ (الفاتحة: ٢) الآيتين[١٤٢]،

(١٤٠) وتمامها قوله تعالى: ﴿ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾.

(١٤١) ديوان أوس بن حجر: ٥٣.

(١٤٢) والآيتان هما قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ ﴾ (الفاتحة: الآيتان ٣، ٤)

ومنها ذمّه نحو ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (النحل: من الآية ٩٨)، وأمّا تأكيده فلإرادة التقرير نحو (قمت أنت)، ولدفع توهم المجاز أو السهو نحو (جاء السلطان أو الجيش نفسه) لئلا يتوهم مجيء طلائعه أو أنّك سهوت في ذلك، ودفع توهم عدم الشمول نحو (جاء القوم كلهم). وأما إتباعه لعطف البيان ولكشفه وإيضاحه باسم مختص به نحو(١٤٣):

أَقْسَمَ باللَّهِ أبُو حَفْصٍ عُمَرْ ... مَا مَسَّها مِنْ نَقَبٍ وَلا دَبَرْ

و(قدم صديقك خالد). وأما العطف فلتفصيل المسند إليه باختصار نحو (جاء زيد وعمرو) أو المسند نحو (زيد قائم وقاعد)، أو ردّ السامع إلى الصواب في العطف بـ(لا) نحو (جاء زيد لا عمرو) أو صرف الحكم إلى آخر في العطف بـ(بل) نحو (جاء زيد بل عمرو)، أو الشك من المتكلم أو التشكيك للسامع نحو (جاء زيد أو عمرو)، أو لغير ذلك من المعاني التي يقتضيها سائر حروف العطف كما نبهت عليه من زيادتي، وذكره ابن السبكي(١٤٤) كالتخيير والإباحة والتقسيم والفورية والمهلة والغاية وغيرها. وأمّا الإبدال منه فلزيادة التقرير وفائدة المبالغة نحو ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ (الفاتحة: الآيتان ٦ – ٧) أبدل ليكون شهادة للصراط بالاستقامة على أبلغ وجه لأنّه إذا طرق السمع أوّلاً مبهماً ثمّ عقّب بالتفسير تمكن عنده، وكذا بدل البعض نحو (جاء القوم أكثرهم)، والاشتمال نحو (سُلِب عمرو ثوبه)، وأمّا بدل الغلط فلا يرد هنا لأنّه خارج عن الفصاحة، ولم يتعرض أهل هذا الفن لبدل الكل من البعض وكأنّه لإنكار الجمهور من النحاة له، وقد أجازه بعضهم مستدلاً بقوله(١٤٥):

رَحِمَ اللَّهُ أعظُماً دَفَنوها ... بِسِجِستانَ طَلحَةَ الطَّلَحاتِ

فـ(طلحة) بدل من (أعظماً) وهي بعضه، وهذا الرأي هو المختار عندي وفي القرآن ما يدلّ له قال تعالى ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ۝٦٠ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾ (مريم:

(١٤٣) البيت لأعرابي يخاطب الخليفة عمر بن الخطاب، ينظر: مسند الحارث بن أبي أسامة: ٨٩٢/٢.

(١٤٤) عروس الأفراح: ٢٢٦/١.

(١٤٥) البيت لعبيد اله بن قيس الرقيات: ٢٠، وفي الديوان:

رَحِمَ اللَّهُ أعظُماً دَفَنوها ... بِسِجِستانَ طَلحَةِ الطَّلَحاتِ

من الآيتين ٦٠ - ٦١) فـ(جنات) أعربت بدلاً من الجنّة ولا شكّ أنّه بدل كلّ من بعض وحينئذٍ فنكتته البيانية تقرير خلودهم وإقامتهم بكونها عدناً وأنّها من موعود الرحمن الذي لا يخلف وعده ولِتقرُّر أنّها جنات كثيرة لا جنّة واحدة كما رواه البخاري من حديث أنس قال: (أصيب حارث يوم بدر، فقالت أمه يا رسول الله قد علمت منزلة حارثة مني فإن يكن في الجنة صبرت وان يكن غير ذلك ترى ما أصنع فقال ليست جنة واحدة إنها جنات كثيرة وانه في الفردوس الأعلى)(١٤٦).

***

وَالفَـصْلُ تَخْصِيـصَاً لَـهُ بِالمُـسْنَدِ والمَيْـزِ مِـنْ نَعْـتٍ وَللـتَّأكُّدِ

هذا النوع داخل في البحث الخامس وهو فصل المبتدأ وما معناه بضمير الفصل ويكون لنكت منها أن يقصد تخصيص المسند إليه بالمسند نحو ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة: من الآية ٥) أي لا غيرهم، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾ (الأنعام: ١١٧) أي لا غيره، ﴿ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ ﴾ (الشورى: من الآية ٩) أي لا غيره، وعلى هذا اقتصر في التلخيص(١٤٧) وزدت أمرين آخرين، أحدهما الدلالة على أنّ ما بعده خبر لما قبله لا صفة. والثاني التأكيد وذكرهما في الكشاف(١٤٨) مع الأوّل في قوله تعالى ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة: من الآية ٥).

سادساً: تقديم المسند إليه وتأخيره

وَكَـوْنُهُ مُؤَخَّـراً فَلاقْتِـضَا تَقَـدُّمُ المُـسْنَدِ أَمْـرٌ مُرْتَـضَى
وَكَـوْنُهُ مَقَـدَّماً إذْ هُـو المُهِـمّ لِكَـوْنِهِ الأَصْـلَ وَمُخْـرَجٌ عُـدِمْ
أَوْ لِـتَمَكُّنِ خَبَـرْ فـي الـذِّهْنِ إذْ فِـي المُبْـتَدَا تَـشَوُّقٌ لَـهُ أُخِـذْ
أَوْ سُـرْعَةُ الـسُّرُورِ لِلـتّفاؤُلِ أَوْ لِمَـسَاءَةِ العَـدُوِّ العَـادِلِ

(١٤٦) صحيح البخاري: ٤/ ١٤٦٢ وفيه (أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام فجاءت أمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب وإن تكن الأخرى ترى ما أصنع فقال ويحك أو هبلت أو جنة واحدة هي إنها جنان كثيرة وإنه في جنة الفردوس) وتنظر روايات أخرى في، ٥/ ٢٣٩٨، ٢٤٠١، صحيح ابن حبان: ١٦ / ٤٠٣.

(١٤٧) التلخيص: ٢٠.

(١٤٨) الكشاف: ٤١.

أوْ كَوْنُهُ يُوهِمُ الاسْتِلْذَاذَ بِهْ أوْ لازِمَ الخَاطِرِ والذي شَبِهْ

البحث السادس في تقديمه وتأخيره، فأمّا التأخير فلاقتضاء المقام تقديم المسند لأمر من الأمور الآتية في بابه وقدمت في النظم التأخير على التقديم عكس التلخيص[١٤٩] لأمرين، أحدهما أنّ الكلام في التقديم يطول ويستتبع أشياء تتعلق به. الثاني قياساً على تقديم الحذف على الذكر لأنّ كلاً منها خلاف الأصل، فالنكتة فيه أشدّ من الأصل، وأمّا التقديم فلكونه المهم والاهتمام حاصل بأمور منها أن يكون الأصل ولا مقتضى للعدول عنه لأنّ الأصل في المحكوم عليه التقديم فإن وُجِد مقتضٍ للعدول لم يتقدم كالفاعل إذ مرتبة العامل التقدم على المعمول، ومنها أن يتمكن الخبر في ذهن السامع لأنّ في المبتدأ تشويقاً إليه كقول أبي العلاء[١٥٠]:

والّذي حَارَتِ البَرِيّةُ فِيهِ حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِن جَمادِ

يعني الإنسان من حيث عوده بعد الفناء أو حياته بالروح وموته بمفارقتها، ومنها تعجيل المسرّة لكون المسند إليه فيه تفاؤل نحو (سعد في دارك)، أو المساءة لكونه فيه تطير نحو (السفاح في دارك)، ومنها إيهام أنّه يستلذّ بذكره لكونه محبوباً فلا يقدم غيره عليه أو أنّه ملازم للخاطر لا يزول عنه لكونه مطلوباً نحو (الله ربي)، [وقوله][١٥١]:

وليلى يسر القلب ذكر صفاتها

وما أشبه بذلك، قال في التبيان وكالتعظيم نحو ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ (النور: من الآية ٣٥)، وككون الكلام فيه كما إذا كان المطلوب اتصافه بالخبر نحو أن يقال كيف الزاهد فتقول (الزاهد يشرب ويطرب) ونحو ذلك.

***

قِيلَ وَللتَّخْصِيصِ بِالفِعْلِ الخَبَرْ تَالِيَ نَفْيٍ نَحْوُ مَا أنَا أضُرّ
أيْ بَلْ سِوَايَ وَلِهَذَا لَمْ يَصُحّ و لا سِوايَ والْقِيَاسِ مُتَّضِحْ
وَلا كَمَا أنَا رَأيْتُ أحَداً وَمَا أنَا ضَرَبْتُ إلاّ مَنْ عَدَا
وَمَا سِوَى التَّالِي لِتَخْصِيصٍ وَرَدّ عَلَى الذي يَزْعُمُ غَيْرَهُ انْفَرَدْ

---

(١٤٩) التلخيص: ٢١.

(١٥٠) شروح سقط الزند: ٣/١٠٠٤.

(١٥١) يبدو أنّ هذا شطر بيت شعري لم نعثر على تكملته ولا على قائله.

أَوْ شَارَكُوا نَحْوُ أَنَا الَّذي عَلاَ بِنَحْوِ لا غَيْرِيَ أَكِّدْ أَوَّلا
وَنَحْوُ وَحْدِي ثَانِياً وَوَرَدَا تَقْوِيَةَ الحُكْمِ كَذَا يُولِي النِّدَا
وَلَوْ نُفِي الفِعْلُ كَأَنْتَ لا تُذَمّ فَذَا عَلاَ عَنْ لا تُذَمّ وَلَوْ تَضُمّ
أَنْتَ إِذِ التأكِيدُ لِلمَحْكُومِ لاَ لِلْحُكْمِ وَالفِعْلُ إِنِ النُّكْرَ تَلاَ
فَهْوَ لِجِنْسٍ أَوْ لِفَرْدٍ حَصَرَهْ كَرَجُلٍ جَا لا رِجَالَ أَوْ مَرَهْ

هذا القول لعبد القاهر الجرجاني[١٥٢] وهو أنّه قد يقدم المسند إليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي إن ولي أعني المسندَ إليه أداةُ نفي بأن وقع بعدها بلا فصل نحو (ما أنا أضُرُّ) أي بل غيري، فالتقديم يفيد نفي الفعل عن المتكلم وثبوته لغيره ولهذا لا يصح أن يقال: ولا غيري، لمناقضة منطوقه المفهوم الأوّل ومثله قوله ﷺ (ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم)[١٥٣] وقول المتنبي[١٥٤]:

وَمَا أَنَا أَسقَمتُ جِسمي بِهِ وَلا أَنَا أَضرَمتُ في القَلبِ نارا

أي بل الجالب له غيري، وكما لا يصح أن يقال (ما أنا فعلت كذا ولا غيري) لا يصح أن يقال: (ما أنا رأيت أحداً) ولا (ما أنا ضربت إلا فلاناً) لأنّه يقتضي أنّ إنساناً غير المتكلم رأى كلّ أحد وضرب كلّ أحد دون فلان لأنّه في الأوّل نفى الرؤية على وجه العموم في المفعول فيجب أن يثبت لغيره على وجه العموم فيه وفي الثاني نفى الضرب الواقع على سوى زيد فيجب أن يثبت لغيره الضرب على ما سواه، وإن لم يتْلُ النفيَ بأن يتأخر حرفه أو يفقد من الكلام أصلاً، فتارة يكون التقديم للتخصيص والرد على من زعم انفراد غير المسند بالفعل أو مشاركته له نحو (أنا سعيت في حاجتك) أي لا غيري، إن قصد الردّ على من زعم انفراد غيره، أو وحدي إن ردّ على من زعم المشاركة وهذا معنى قولي (بنحو لا غيري أكد أوّلا، ونحو وحدي ثانياً)، وتارة يرد لتقوية الحكم وتقريره عند السامع دون التخصيص نحو (هو يعطي الجزيل) و(ذا يولي الجميل) يقصد أن يقوّي في ذهن السامع أنّه يفعل ذلك لا أنّ غيره لا يفعله، وسواء في

(١٥٢) دلائل الإعجاز: ١٤٧.
(١٥٣) صحيح مسلم: ٣/ ١٢٦٨.
(١٥٤) شرح ديوان المتنبي: ٢/٩٧. وفيه:
وَمَا أَنَا أَسقَمتُ جِسمي بِهِ وَمَا أَنَا أَضرَمتُ في القَلبِ نارا

هذين كان الفعل مثبتاً كما مثّلنا أو منفياً نحو (أنت لا تكذب) فهو أبلغ من نفي الكذب من (لا تكذب) لِما في الأوّل من تكرار الإسناد المفقود في الثاني ومن (لا تكذب أنت) وإن كان فيه تأكيد بلفظ (أنت) لأنّه لتأكيد المحكوم عليه بأنّه ضمير المخاطب تحقيقاً وليس الإسناد إليه على سبيل التجوز أو السهو لا لتأكيد الحكم لعدم تكرار الإسناد، وهذا معنى قولي (فذا علا عن لا تذم ولو تضم أنت) الخ أي ولو ضممت أنت إلى (لا تذم) وقلت: (لا تذم أنت) هذا المذكور من إفادة التخصيص تارة والتقوّي أخرى فيما إذا بني الفعل على معرفة، فإن بُني على نكرة وهو معنى قولي: (والفعل إن النكر تلا)، فإنّه يفيد تخصيص الجنس أو الواحد بالفعل نحو (رجل جاءني) أي لا أكثر إذا عرف المخاطب أنّه خالٍ من جنس الرجال ولم يدْرِ وحدته فيكون لتخصيص الواحد أو (لا امرأة) إذا عرف أنّه أتاك آتٍ ولا يدري جنسه فيكون لتخصيص الجنس، فإبراز مفهوم المثال في النظم فيه لف ونشر غير مرتب، والضمير في قولي (فهو للتقديم) وقولي (تالي نفي) بالنصب حال من المسند إليه المتقدّم في أوّل البحث، وقولي (ولا كما أنا رأيت) معطوف على (ولا سواي)، وقولي (تخصيص وردّ) بتشديد الدال مصدر، وقولي (تقوية الحكم) بالنصب مفعول له ونصب المفعول له وجرّه باللام إذا كان مضافاً سيّان كما في التسهيل(١٥٥)، وأفادنا شيخنا العلامة الكافيجي في الفرق بين التقوية والتأكيد أنّ التقوية أعمّ وأنّها ترجع إلى الألفاظ غالباً والتأكيد إلى المعاني.

***

وَقَالَ يُوسُفُ كَذَا إنْ قُدِّرَا ... فَاعِلُهُ مَعَنًى فَقَطْ مُؤَخَّرَا
وَإنْ يَجُزْ وَلَمْ يُقَدَّرْ أوْ مُنِعْ ... لَمْ يَسْتَفِدْ غَيْرَ التَّقَوّي فَاسْتَمِعْ
إلاّ لِمُنْكِرٍ وَلَوْ إنْ أُخِّرَا ... فَفَاعِلاً فِي اللَّفْظِ أيْضاً قُدِّرَا
بِجَعْلِهِ مِنَ الضَّمِيرِ مُبْدَلاَ ... خَشْيَةَ فَقْدٍ لِلْخُصُوصِ إذْ خَلاَ
مِنْ سَبَبٍ سِوَاهُ فَالمَنْعَ لَزِمْ ... مِنَ ابْتِدَاءٍ لا مُعَرَّفٍ وسُمْ
بِشَرْطِ فَقْدِ مَانِعِ التَّخْصِيصِ لاَ ... شَرٌّ أهَرَّ ذَا أذىً أمَّا عَلَى
جِنْسٍ فَلامْتِنَاعِ أنْ يُرَادَ مَا ... أهَرَّ شَرٌّ غَيْرَ خَيْرٍ وأمَّا
عَلَى انْفِرَادٍ فَهْوَ لَيْسَ يَجْنَحُ ... لِقَصْدِهِمْ وَإذْ هُمُو قَدْ صَرَّحُوا

---

(١٥٥) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٩٠.

تَخْصِيصَهُ إذْ أَوَّلُوا بِمَا أَهَرّ إلاّ فَبِالتَّنْكِيرِ فَظْعُ شَأْنُ شَرّ
وَفِي جَمِيعِ قَوْلِهِ هَذَا نَظَرْ قَالَ وَزَيْدٌ عَالِمٌ إذَا اسْتَتَرْ
فِيهِ ضَمِيرُ مِنَ التَّقَوِّي يَقْرُبُ مِنْ قَامَ لاَ كَمِثْلِهِ إذْ يُنْسَبُ
لِشِبْهِ خَالٍ صِفَةً وَمِنْ هُنَا لَمْ يَكُ جُمْلَةً وَلاَ كَهِيْ بِنَا

يوسف السكاكي[١٥٦] قال كقول الجرجاني[١٥٧] لكن خالفه في شروط وتفاصيل، فقال: إنّ التقديم يفيد التخصيص بالخبر الفعلي بشرط أن يقدر كونه في الأصل مؤخراً على أنّه فاعل في المعنى فقط لا في اللفظ نحو (أنا قمت) فإنّه يجوز أن يُقدّر أصله (قمت أنا) فيكون (أنا) فاعلاً معنى تأكيداً لفظاً ثم قدم فخرج عن ذلك صورتان: الأولى أن لا يجوز تقديره فاعلاً مؤخّراً معنى لا لفظاً كـ(زيد قام) فإنّه لو قدّر تأخّره كان فاعلاً لفظاً، الثانية أنّه يجوز كما في (أنا قمت) ولكن لا يعتقد ذلك، فهاتان صورتان يفيد التقديم فيهما التقوّي دون التخصيص، نعم إن كان في الصورة الأولى نكرة نحو (رجل جاءني) أفاد التخصيص لا على تقدير كونه لو أخّر فاعلاً بل على تقدير أنّه بدل من ضمير في (جاء) على حد ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ (الأنبياء: من الآية ٣)، وإنّما لم يقدر ذلك في المعرفة مثل (زيد جاء) لعدم الموجب لأنّه في النكرة اضطر إلى تقديره متأخراً ليفيد التخصيص ليكون مسوّغاً للابتداء بالنكرة إذ لا سبب له سواه ولا حاجة إليه في (زيد قام)، وهذا معنى قولي (خشية فقد للخصوص) إلخ، وقولي (فالمنع لزم من ابتداء) من زيادتي، ثمّ شرط ذلك في المنكر أن لا يمنع من التخصيص مانع، فإن منع لم يجز مثاله قولهم (شرّ أهرّ ذا ناب)[١٥٨] إذ لا يمكن أن يكون هنا للتخصيص لأنّه إمّا للجنس أو للفرد كما تقدم، ولا جائز أن يكون للجنس لأنّه يصير تقديره (ما أهر ذا ناب إلا شرّ لا خير) لأنّ المهر لا يكون إلا شراً فلا فائدة في نفيه عنه، إذ لا يصح نفي الشيء عن الشيء حتى يصح اتصافه به، ولا أن يكون للواحد لأنّه يصير تقديره (ما أهرَّ إلا شرّ واحد لا أكثر) وذلك غير مقصود بلا شكّ، لكن الأئمة لما صرّحوا بتخصيصه حيث أوّلوه بـ(ما أهرّ ذا ناب إلا شرّ) فالجمع بين الكلامين أن يفظع

(١٥٦) مفتاح العلوم: ١٠٠.
(١٥٧) دلائل الإعجاز: ١٥٤.
(١٥٨) المستقصى من أمثال العرب: ٢/١٣٠.

شأن الشرّ بتنكيره ويصير المعنى نوع غريب من أنواع (الشرّ أهرّ) فيصح حينئذ، هذا تقرير مذهب السكاكي[١٥٩] قال صاحب التلخيص[١٦٠]: وفيما قاله نظر أمّا أولا فلأنّ الفاعل اللفظي والمعنوي سواء في امتناع التقديم ما داما على حالهما لأنّ كلاً من الفاعل والتابع لا يجوز تقديمه، فتجويز تقديم المعنوي دون اللفظي تحكم، وأمّا قوله في المنكر لا سبب للتخصيص سوى تقدير التقديم، وهو المسوغ للابتداء فممنوع أيضاً لجواز أن يكون المسوغ التقوية أو ما يفهمه من التهويل والتحقير ونحو ذلك، وأمّا قوله لا يقال (المهر شرّ لا خير) فممنوع كيف وقد قال الشيخ عبد القاهر[١٦١]: قدم (شرّ) لأنّ المعنى الذي أهرّه من جنس الشرّ لا من جنس الخير، ثم قال السكاكي[١٦٢]: ويقرب من (زيد قام) (زيد قائم) في إفادة التقوّي لتضمّنه الضمير كـ(قام) وليس مثله لأنّه يشبه الخالي من الضمير من جهة أنّه لا يتغير بالخطاب والتكلم والغيبة تقول (أنت قائم)، (وأنا قائم) و(هو قائم) فلا يتغيّر كما تقول (أنت رجل) و(أنا رجل) و(هو رجل) فصارت التقوية الحاصلة بالضمير الذي لا يتصرف ضعيفة ولهذا لا يحكم بأنّه أي اسم الفاعل مع ضميره جملة ولا أنّه عُومِل معاملتها في البناء بل قضوا بأنّه مفرد، وهو معرب تقول: (رجلٌ قائمٌ) و(رجلاً قائماً) و(رجلٍ قائمٍ)، قال ابن الحاجب[١٦٣]: ولا خلاف بينهم في ذلك، قلت: نعم أُستُثنِي صورتان يكون فيهما الجملة نص عليهما جماعة إذا وقع صلة لـ(أل) أو مبتدأ وله فاعل يغني عن الخبر.

***

مِمَّـــا يُـــرَى تَقْدِيمُـــهُ كَـــالَّلازِمِ ... مِـــثْلُكَ لاَ يَـبْخَلُ يَـا ابْـنَ العَـالِمِ

وَمِـــثْلُهُ غَيْـــرُكَ لا يَجُـــودُ أيْ ... أنْـتَ إذَا لَـمْ يَـكُ تَعْـرِيضٌ لِـشَيّ

من المسند إليه الذي يرى تقديمه على المسند كاللازم لفظ (مثل) و(غير) إذا استعمل على سبيل الكناية من غير تعريض بأحد نحو (مثلك لا يبخل) و(غيرك لا

(١٥٩) مفتاح العلوم: ١٠٢.

(١٦٠) التلخيص: ٢١.

(١٦١) دلائل الإعجاز: ١٦١.

(١٦٢) مفتاح العلوم: ١٠٢.

(١٦٣) الأمالي النحوية، أمالي القرآن الكريم: ٤/٢٨.

يجود) أي أنت لا تبخل وأنت تجود، فليس المراد فيه بلفظ (مثل) غير إفادة الحكم المضاف إليه كما قال[١٦٤]:

وَلَـمْ أَقُـلْ مِـثْلُكَ أَعنـي بِـهِ سِـواكَ يـا فَـرداً بِـلا مُـشبِهِ

وقال المتنبي[١٦٥]:

غَيْـري بِأَكثَـرِ هَـذا النَّـاسِ يَـنخَدِعُ [إِن قاتَلـوا جَبُـنوا أَو حَدَّثـوا شَـجُعوا]

لم يُرِد أن يعرض بواحد يصفه بأنّه ينخدع بل أراد أنّه ليس ممّن ينخدع، ثم قال صاحب التلخيص: واستعمال مثل وغير هكذا مركوز في الطباع، والسرّ في التقديم أنّه يفيد التقوّي وهو أعون على إثبات الحكم المقصود بطريق الكناية التي هي أبلغ[١٦٦]، قال الشيخ سعد الدين[١٦٧]: وليس معنى (كاللازم) أنّه قد يقدّم وقد لا يقدم بل المراد أنّه كان مقتضى القياس أنّه يجوز التأخير لكن لم يرد الاستعمال إلاّ على التقديم، نصّ عليه في دلائل الإعجاز[١٦٨].

***

وَرُبَّمَـا قُـدِّمَ إِذْ عَـمَّ كَكُـلّ لَـمْ إذ يَـأْتِ تَأْخِيـرُهُ هُـنَا يَـدُلّ
عَلَى انْتِفَا الحُكْمِ عَـنْ المَجْمُـوعِ لاَ عَـنْ كُـلِّ فَـرْدٍ وَهْـوَ حُكْـمُ قُـبِلاَ
الـشَّيْخُ إنْ فِـي حَيِّـزِ النَّفْـيِ أَتَـتْ كُـلٌّ بِـأَنْ أَدَاتُـهُ تَقَـدَّمَتْ
كَقَـوْلِهِ مَـا كُـلُّ مَـا تَمَنَّـى أَوْ عَمَـلِ المَنْفِـيّ فِـيهِ عَـنَّا
كَمَـا أَتَـى الـرِّجَالُ كُلُّهُـمْ وَلَـنْ آخُـذَ كُـلَّ المَـالِ أَوْ ذَا قَـدِّمَنْ
تَـوَجَّهَ النَّفْـيُ إلـى الـشُّمُولِ ثُـمّ أَثْـبُتَ لِلْـبَعْضِ وَإلاّ فَلْـيَعُمّ
كَأَصْـبَحَتْ أُمُّ الخِـيَارِ تَدَّعِـي عَلَـيَّ ذَنْـباً كُلُّـهُ لَـمْ أَصْـنَعِ

قال كثيرون من أهل هذا الفنّ: قد يقوم تقديم المسند إليه لإفادة العموم نحو (كلّ إنسان لم يأتِ) فإنّه يفيد نفي الحكم عن كلّ واحد بخلاف ما إذا أُخِّر نحو (لم يأت كلّ

(١٦٤) شرح ديوان المتنبي: ٣٤١/١.
(١٦٥) المصدر نفسه: ٣٣٠/٢.
(١٦٦) التلخيص: ٢٣.
(١٦٧) مختصر السعد: ١٠٧.
(١٦٨) دلائل الإعجاز: ١٥٨.

إنسان) فإنّه يفيد نفي الحكم عن مجموع الأفراد لا عن كلّ فرد وهو يصدق بنفي فرد واحد وهو حكم واحد يقضي به الذوق واستعمالات العرب، ووقع في التلخيص[١٦٩] تعليله عن طريقة أهل المنطق وردّه، فربّما توهم الناظر أنّه ردّ القول وليس كذلك كما نبه عليه السبكي[١٧٠] فقال عقبه: وقال عبد القاهر ليبين أنّه إنّما ردّ فيما تقدّم الدليل لا المدلول انتهى. وقد نبّهت على ذلك من زيادتي بقولي (وهو حكم قبلا) وأسقطنا التعليل وردّه لأنّا معاشر أهل السنة لا ننجس تصانيفنا بقذر المنطق الذي اتفق أكثر المعتبرين خصوصاً المحدثين والفقهاء من كلّ المذاهب خصوصاً الشافعية وأهل المغرب على تحريمه والتغليظ على المشتغلين به وإهانتهم وعقوبتهم وقد جمعت في ذلك تأليفاً نقلت فيه كلام الأئمة في الحطّ عليه وهو كتاب مُهمّ وقد نصّ أئمة الحديث كالسلفي والذهبي وابن رشيد[١٧١] على عدم قبول رواية المشتغل به وقد تركت الأخذ عن جماعة لذلك وبالله التوفيق. وقولي (الشيخ) هو عبد القاهر إمام الفن ومخترعه وهو مرفوع بـ(قال) مقدراً وهو كلام موافق لما قبله إلاّ أنّ فيه زيادة تحرير، فقال[١٧٢]: إذا وقعت (كلّ) في حيز النفي بأن تقدّمت عليها فهي لنفي الشمول لا لنفي كلّ فرد نحو قول المتنبي[١٧٣]:

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنّى المَرْءُ يُدرِكُهُ تَجري الرِياحُ بِما لا تَشتَهي السُفُنُ

وكذا إذا وقعت معمولة للمنفي فعلاً كان أو وصفاً، فهو أعمّ من قول التلخيص[١٧٤] (للفعل المنفي) نحو (ما جاء القوم كلّهم) و(ما جاء كلّ القوم) و(لم آخذ كلّ الدراهم) و(كلّ الدراهم لم آخذ) وهو معنى قولي (أو ذا قدمن)، وإذا توجه النفي إلى الشمول أفاد الثبوت لبعض ما أضيف إليه في الفاعل والتعلّق به في المفعول، وإن لم تكن داخلة في حيز النفي بأن قُدمت عليه ولم تقع معمولة للمنفي عمّ النفي كلّ فرد كقول

---

(١٦٩) التلخيص: ٢٣.

(١٧٠) عروس الأفراح: ١/١٥٧.

(١٧١) تنظر المسألة في: الجامع لأخلاق الراوي، الخطيب البغدادي: ١/٩٥، النكت على مقدمة ابن الصلاح: ١/٥١.

(١٧٢) دلائل الإعجاز: ٢٧٥.

(١٧٣) شرح ديوان المتنبي: ٤/٣٦٦.

(١٧٤) التلخيص: ٢٤.

أبي النجم[١٧٥]:

قَــد أَصــبَحَت أُمُّ الخَــيارِ تَدَّعــي عَلَــيَّ ذَنــباً كُلُّــهُ لَــمْ أَصــنَعِ

برفع (كلّ) أي لم أصنع شيئاً مما تدعيه، وكذلك في الحديثين الصحيحين لما قال له ﷺ ذو اليدين: أقصرت الصلاة أم نسيت؟ قال: (كلّ ذلك لم يكن)[١٧٦] أي لم يقع قصر ولا نسيان كما في الحديث الآخر(لم أنس ولم اقصر)[١٧٧].

***

قَــدْ يَخْــرُجُ الكَــلامُ عَمَّــا ذُكِــرَا مِــنْ ذَلِــكَ المُــضْمَرُ عَمَّــا أُظْهِــرَا

كَــنِعْمَ عَــبْداً وَضَــمِيرِ الــشَّانِ لِيُثْــبِتَ التَّالِــيهِ فِــي الأذْهَــانْ

وَعَكْـــسُهُ إِشَـــارَةٌ لِلاعْتِـــنَا بِكَـــوْنِهِ مُمَيِّـــزاً إِذْ ضُـــمِّنَا

حُكْمـــاً بَـــدِيعاً وَادِّعَـــاءَ الـــشُّهْرَةِ أَوِ الـــنِّدَا عَلَـــى كَمَـــالِ الفِطْـــنَةِ

لِـــسامِعٍ وَالـــضِّدِّ وَالـــتَّهَكُّمِ بِـــهِ كَمِـــثْلِ مَـــا إِذَا كَـــان عَمِـــي

وَغَيْـــرُهَا زِيَـــادَةُ التَّمْكِـــينِ قَـــدْ مَـــثَّلَهُ بِقَـــولِهِ اللهُ الـــصَّمَدْ

أَوْ لِـــيُقَوِّي دَاعِـــيَ المَأْمُـــورِ أَوْ يُـــدْخِلَ الـــرَّوْعَ عَلَـــى الـــضَّمِيرِ

أَوِ المَهَابَــــةَ وَالاسْــــتِعْطَافِ قُلْـــتُ كَـــذَا الوَصْـــلَةُ لِلأَوْصَـــافِ

وَعِظَـــمُ الأَمْـــرِ وَتَنْبِـــيهٌ عَلَـــى عِلَّـــتِهِ وَعَـــوْدُ مَعْـــنَاهُ عَلَـــى

جميع ما تقدّم في هذا الباب من الحذف والذكر وما بعدهما هو مقتضى الظاهر وقد يخرج الكلام على خلافه لنكتة فمن ذلك وضع المضمر موضع الظاهر كـ(نعم عبداً) مكان (نعم العبد) إذ المقام يقتضي الإظهار لعدم تقدّم المسند إليه فأضمر معاداً إلى متعقّل في الذهن والتزم تفسيره بنكرة ليعلم جنس المتعقّل، وكذا ضمير الشأن والقصة نحو: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾(الإخلاص: من الآية ١) و ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا ﴾ (الأنعام: من الآية ٢٩)، والسرّ في ذلك في الموضعين قصد أن يتمكّن في ذهن السامع ما يتلو الضمير أي يجيء بعده لأنّه بالضمير يتهيّأ له ويتشوّق فيتمكّن بعد وروده فضل تمكّن لأنّ المحصول بعد الطلب أعزّ من المنساق بلا تعب، ومنه عكسه وهو وضع

(١٧٥) البيت في دلائل الإعجاز: ٢٨٠.

(١٧٦) ينظر الحديث في صحيح مسلم: ١/ ٤٠٤.

(١٧٧) صحيح البخاري: ١/١٢٨.

الظاهر موضع المضمر فإن كان الظاهر اسم إشارة ففائدته كمال العناية بتمييزه لتضمّنه حكماً بديعاً كقول ابن الراونديّ(١٧٨):

كَمْ عاقِلٍ عَاقِلٍ أعْيَتْ مَذاهِبُهُ ... وَجَاهِلٍ جَاهِلٍ تَلْقَاهُ مَرْزُوقَا
هَذَا الذي تَرَكَ الأوْهَامَ حَائِرَةً ... وَصَيَّرَ العَالِمَ النِّحْرِيرَ زِنْدِيقَا

فإنّ أصله هو أي ما تقدّم من إعياء مذاهب العاقل ورزق الجاهل فعدل إلى الإشارة لكمال العناية بتمييزه ليُري السامعين أنّ هذا المعنى المتميز هو الذي له الحكم العجيب وهو جعل الأوهام حائرة والعالم النحرير زنديقاً، وقد لا يكون لادّعاء شهرته وأنّه كامل الظهور فلا يخفى، ومنه من غير باب المسند إليه قوله(١٧٩):

تَعالَلْتِ كي أشْجَى، وما بِكِ عِلَّةٌ ... تُرِيدِينَ قَتْلِي، قد ظَفِرْتِ بذلكِ

والأصل: به.

أو للنداء على كمال فطنة السامع بأنّ الأشياء عنده كالمحسوسة فيشار له، أو ضدّ ذلك أي للنداء على كمال بلادته بأنّه لا يدرك غير المحسوس أو التهكم والاستهزاء بالسامع بأن يكون أعمى أو لا مشار إليه موجود أصلاً فيشار إليه موضع الإضمار تهكماً به، وإن كان غير إشارة فله نكت: منها زيادة التمكين عند السامع نحو ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ﴾ (الإخلاص: ١ - ٢) أي الذي يصمد إليه ويقصد إليه في الحوائج ولم يقل هو الصمد لزيادة التمكين، ومنها تقوية داعي المأمور وإدخال الروع أي الفزع أو المهابة: أي الإجلال على قلب السامع كقول الخليفة (أمير المؤمنين يأمرك بكذا) مكان أنا آمرك، ومنها الاستعطاف كقوله(١٨٠):

إلَهِي عَبْدُكَ العَاصِي أتَاكَا ... مُقِرًّا بِالذُّنُوبِ وَقَدْ دَعَاكَا
فَإنْ تَغْفِرْ فَأنْتَ لِذَاكَ أَهْلٌ ... وَإنْ تَطْرُدْ فَمَنْ يَرْجُو سِوَاكَا

الأصل (أنا أتيتك) فعدل عنه لما في لفظ (عبدك) من التخضّع واستحقاق الرحمة وترقب الشفقة، ومنها وهو وما بعده من زيادتي أن يقصد التوصّل بالظاهر إلى الوصف نحو ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ﴾ (الأعراف: من الآية ١٥٨) بعد قوله ﴿ إِنِّي رَسُولُ

---

(١٧٨) استشهد به الطيبي في التبيان: ٥٤، والإيضاح: ١/٦٩، وينظر: معاهد التنصيص: ١/١٤٧.

(١٧٩) البيت لعبد الله بن الدمينة، ديوانه: ١٦.

(١٨٠) البيتان لإبراهيم بن الأدهم، ينظر: التبيان في البيان: ٤٦، معاهد التنصيص: ١/١٧٠.

ٱللَّهِ ﴾ (الأعراف: من الآية ١٥٨)، ومنها تعظيم الأمر نحو ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾ (العنكبوت: الآيتان ١٩ - ٢٠) إلخ[١٨١]، ومنها التنبيه على العليّة إي كونه علة للحكم المنسوب إليه كقوله تعالى ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ (البقرة: من الآية ٥٩) ثم نبّهت من زيادتي على أن وضع الظاهر موضع المضمر إذا كان بمعنى الأول لا بلفظه أحسن كقوله تعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ (الأنعام: من الآية١)، ثمّ قال تعالى ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأنعام: من الآية ١).

***

الالتفات

وَقَالَ فِي المِفْتَاحِ كُلُّ مَا ذُكِرْ ... لَيْسَ بِمُخْتَصٍّ بِذَا الذي قُدِرْ
بَلْ غِيبَةٌ وَأخَوَاهَا قَدْ نُقِلْ ... كُلٌّ لآخَرَ الْتِفَاتٌ مُسْتَقِلّ
وَرُدَّ فَالأشْهَرُ أنَّهُ أخَصّ ... لأنَّهُ التَّعْبِيرُ عَنْ مَعْنىً يُنَصّ
مِنَ الثَّلاثِ بَعْد ذِكْرٍ بِسِوَاهْ ... مِنْهَا لِيَرْفُلَ الكَلامُ فِي حَلاَهْ
لأنَّ نَقْلَ القَوْلِ فِي المَهَايِعِ ... أنْشَطُ لِلإصْغَاءِ فِي المَسَامِعِ
وَقَدْ يَخُصُّ كُلَّ مَوْضِعٍ نُكَتْ ... كَمِثْلِ مَا أُمُّ الكِتَابِ قَدْ حَوَتْ
فَالعَبْدُ إذْ يَحْمَدُ مَنْ يَحِقُّ لَهْ ... ثُمَّ يَجِيءُ بالسَّمِيّ المُبْجَلَهْ
فَكُلُّهَا مُحَرِّكُ الإقْبَالِ ... لِمَالِكِ الأمُورِ فِي المَآلِ
فَيُوجِبُ الإقْبَالَ والخِطَابَا ... بِغَايَةِ الخُضُوعِ والتِّطْلابَا
لِلْعَوْنِ فِي كُلِّ مُهِمٍّ يُقْصَدُ ... وَقِسْ عَلَيْهِ كُلَّ مَا قَدْ يَرِدُ
وَلَمْ يَكُنْ فِي جُمْلَةٍ كَمَا فِي ... عَرُوسِ الأفْرَاحِ وَفِي الكَشَّافِ

---

(١٨١) تتمتها قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(العنكبوت: من الآية ٢٠).

قال السكاكي[١٨٢] هذا المذكور من نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة ليس مختصاً بالمسند إليه ولا بهذا القدر بل كل من الغيبة والخطاب والتكلم ينقل إلى آخر في المسند إليه وغيره ويسمى التفاتاً، والمشهور أنّ الالتفات التعبير عن معنى بواحد من الثلاثة بعد التعبير عنه بغيره منها، وهذا أخصّ من قول السكاكي لأنّ قول الخليفة (أمير المؤمنين يأمرك بكذا) التفات على رأيه لأنّه منقول عن (أنا)، لا على الثاني لعدم تقدم خلافه. ثم أقسام الالتفات ستة كما عرفت: الأول من التكلم إلى الخطاب نحو ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (يس: ٢٢) والأصل: واليه أرجع، الثاني: منه إلى الغيبة نحو ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴿٢﴾ ﴾ (الكوثر: الآيتان ١ - ٢)، والثالث: من الخطاب إلى التكلم نحو[١٨٣]:

طَحا بِكَ قَلبٌ في الحِسانِ طَروبُ ... بُعَيدَ الشَبابِ عَصرَ حانَ مَشيبُ
تُكَلِّفُني لَيلى وَقَد شَطَّ وَلِيُها ... وَعادَت عَوادٍ بَينَنا وَخُطوبُ

فالتفت في قوله (تكلفني) من قولها (بك)، الرابع منه إلى الغيبة نحو ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم ﴾ (يونس: من الآية ٢٢) والأصل: بكم، الخامس من الغيبة إلى الخطاب نحو ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ (الفاتحة: ٤ - ٥)، السادس منها إلى التكلم نحو ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ ﴾ (فاطر: من الآية ٩)، ثم النكتة في الالتفات أنّ الكلام إذا نقل من أسلوب إلى آخر كان أحسن وأشهى للقلب وألذّ للسمع وأكثر إصغاءً لما فيه من التنقل لما جبلت عليه النفوس من الضجر، وربّما اختصّ كل موقع منه بلطائف ونكت كالفاتحة فإنّ العبد إذا ذكر الله تعالى وحمده ثمّ ذكر صفاته التي كل صفة منها تبعث على شدّة الإقبال وآخرها ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ (الفاتحة: ٤) المفيد أنّه تعالى مالك الأمر كلّه في يوم الجزاء فحينئذ يوجب الإقبال عليه والخطاب بغاية الخضوع والاستعانة في المهمات.

ثمّ نبهت من زيادتي على أنّ الالتفات لا يكون في جملة بل في جملتين صرّح به

---

(١٨٢) مفتاح العلوم: ٩٥.

(١٨٣) البيت لعلقمة الفحل، ديوانه: ٣٣.

الزمخشري في الكشاف[١٨٤] وابن السبكي في شرحه المسمى عروس الأفراح[١٨٥] قال ولا يلزم عليه أن يكون في نحو (أنت صديقي) التفات وليس كذلك.

***

وَمِــنْ خِــلاَفِ المُقْتَـضَى إنْ جَاوَبَـا مُخَاطَــباً بِغَيْــرِ مَــا تَــرَقَّبا
بِحَمْلِــهِ عَلَــى خِــلاَفِ قَـصْدِهِ لأَنَّــهُ أوْلَــى بِــهِ مِــنْ ضِــدِّهِ
أوْ سَــائِلاً بِغَيْــرِ مَــا قَــدْ سَـأَلَهْ لأَنَّــهُ الأوْلَــى أوِ المُهِــمُّ لَــهْ

من خلاف المقتضى بالفتح أي مقتضى الظاهر مجاوبة المخاطب بغير ما يترقب وسماه عبد القاهر المغالطة[١٨٦] والسكاكي[١٨٧] الأسلوب الحكيم وذلك بحمل كلامه على خلاف قصده تنبيهاً على أنّه أولى بالقصد كقول القبعثري - وقد قال له الحجاج متوعّداً: لأحملنّك على الأدهم - : مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب، أراد الحجاج أن يقيّده، فتلقّاه القبعثري بغير ما ترقبه من فهمه التوعّد بألطف وجه مشيراً إلى أنّ من كان مثله في السلطنة والسعة إنّما يناسبه أن يجود بأن يحمل على الأدهم والأشهب من الخيل لا أن يقيّد، فقال له الحجاج: إنّه الحديد، فقال: لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً[١٨٨]. ومنه إجابة السائل بغير ما يتطلب تنبيهاً على أنّه الأولى أو الأهمّ، قالوا كقوله تعالى ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ (البقرة: من الآية ١٨٩)، سألوا عن الهلال لِمَ يبدو دقيقاً ثمّ يتزايد حتى يستوي ثمّ ينقص حتى يعود كما بدأ فأيّ فائدة تحت ذلك؟ فأُجيبوا ببيان حكمة ذلك وهي أنّه معرفة المواقيت والحلول والآجال، وجازف بعضهم في العبارة حتى تعدّى إلى أن قال: لأنّهم ليسوا ممن يطلع على دقائق الهيئة بسهولة وهذه قلّة أدب منه وجهل بمقدار الصحابة (رضي الله تعالى عنهم) وقد كانوا أدقّ نظراً وأذكى فطنة من ألوف من أضرابه فظنّ أنّه وأمثاله يسهل عليهم إدراك ذلك ويصعب على مثل أولئك، أما شَعَرَ من السائل عن

---

(١٨٤) لم نجد هذا القول في الكشاف.

(١٨٥) عروس الأفراح: ٢٧٩/١.

(١٨٦) لم نجد ذكراً لهذا المصطلح عند الجرجاني، وقد ذكره القزويني في الإيضاح: ٧٦/١، والسبكي في عروس الأفراح: ٢٣٨/١.

(١٨٧) مفتاح العلوم: ١٥٥.

(١٨٨) ذكرت هذه الحادثة في جمهرة الأمثال: ٣٥/٢.

ذلك؟ هو معاذ بن جبل أعلم الأمة بالحلال والحرام بشهادة النبيّ ﷺ[١٨٩]، وهل ذلك أدقّ من دقائق الفقه والفرائض التي اشتهر عنهم بعضها بالتوقيف وبعضها بالاستنباط ممّا لم يصل المذكور ولا غيره من أهل هذه الفنون إلى فهم عشر معشارها، ثمّ هل اعتقد أنّ علم الهيئة مما يُعتبر أو يلتفت إليه، كلاّ، بل هو هذيان بقول لا دليل عليه وليس إلى التوصّل إلى تصحيحه من سبيل، وقد قالوا زعماً منهم: إنّ الأرض كرة لا سطح فنزل القرآن بأنّها سطح، قال تعالى ﴿ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (الغاشية: ٢٠)، وقالوا لا تكسف الشمس إلاّ في الثامن والعشرين أو التاسع والعشرين للمقابلة التي يزعمونها قابلهم الله عليها فكسفت يوم موت إبراهيم ابن النبيّ ﷺ كما في الصحيحين وكان عاشر ربيع الأوّل كما رواه الزبير بن بكار[١٩٠]، وكسفت يوم قتل الحسين ﷺ كما هو مشهور في التواريخ وغيرها[١٩١]، كان يوم عاشوراء، وقد روى ما يقتضي أنّهم لم يسألوا عن سبب زيادة الهلال ونقصانه بل عن سبب خلقه، فروى أبو جعفر الرازي عن ربيع بن أبي العالية قالوا بلغنا أنّهم قالوا لرسول الله: لم خلقت الأهلّة فأنزل الله تعالى ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ﴾ (البقرة: من الآية ١٨٩) الآية[١٩٢]، وإنّما أطنبت في هذا المقام تنفيراً للناس عن هذا الكلام الشنيع وخوف أن يتلقفه من لم يرسخ في قلبه تقوى فيتداولوه على ألسنتهم ومن لم يتأدّب مع الصحابة وسلف الأمّة ويترك شغب أهل الفلسفة لم يلتفت إليه كائناً من كان.

***

وَمِـنْهُ مَـاضٍ عَـنْ مُـضَارِعٍ وُضِـعْ ... لِكَـوْنِهِ مُحَقَّقـاً نَحْـوُ فَـزِعْ
قُلْـتُ وَللإِشْـرَافِ أَوْ إِبْـرازكَا ... فِـي مَعْـرِضِ الحَاصِـلِ غَيْـرِ ذَلِكَـا
وَمِـنْهُ قَلْـبٌ كَعَرَضْـتُ الإِبِـلاَ ... عَلَـى الحِـيَاضِ ثُـمَّ هَـلْ ذَا اقْـبَلاَ

(١٨٩) ينظر الحديث في المستدرك على الصحيحين: ٣/٦١٦، سنن الترمذي: ٥/٦٦٤.

(١٩٠) صحيح البخاري: ١/ ٣٥٤، صحيح مسلم: ٢/ ٦٢٨.

(١٩١) ينظر: البداية والنهاية: ٦/٢١٣.

(١٩٢) تتمتها: ﴿ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾، وينظر سبب نزول الآية في: أسباب النزول: ٥١ – ٥٢.

ثَالِثُهَا الأَصَحُّ إنْ لَمْ يَقْتَضِ مَعْنىً لَطِيفاً لاَ وإلاَّ فَارْتَضِ
كَمَهْمَهٍ مُغبَرَّةٍ أرْجَاؤُهُ كَأنَّ لَوْنَ أرْضِهِ سَمَاؤُهُ

من خلاف المقتضى وضع الماضي موضع المستقبل تنبيهاً على تحقق وقوعه نحو ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ (النمل: من الآية ٨٧)، والآية الأخرى ﴿ فَصَعِقَ ﴾ (الزمر: من الآية ٦٨)[١٩٣]، ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ ﴾ (الأعراف: من الآية ٤٨) وهو كثير. وإمّا للإشراف أي مشارفة وقوعه أي مقاربته نحو ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ ﴾ (النساء: من الآية ٩) الآية أي لو شارفوا أن يتركوا، ومثّله الطيبي[١٩٤] بنحو قولك: (مِتُّ)، أو لإبراز غير الحاصل في معرض الحاصل لقوة الأسباب الظاهرة كقول المشتري: (اشتريت) حال انعقاد أسبابه ذكره الطيبي[١٩٥]، وليس منه التعبير بلفظ اسم الفاعل والمفعول عن المضارع نحو ﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾ ﴾ (الذاريات: ٦)، ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ ﴾(هود: من الاية١٠٣)[١٩٦] خلافاً لصاحب التلخيص[١٩٧] لأنّهما صالحان للمستقبل حقيقة، ومنه القلب وهو تقديم المؤخر وعكسه ك(عرضت الإبل على الحوض) والأصل: عرضت الحوض على الإبل، و(أدخلت القلنسوة في رأسي) والأصل: أدخلت رأسي فيها. واختلف في قبوله على أقوال، قيل يُقبل مطلقاً والتزم قائله وهو السكاكي[١٩٨] إنّه يورث الكلام ملاحة، وردّه غيره مطلقاً لأنّه عكس المطلوب ونقيض المقصود، وهذان القولان مطويان في النظم، والحقّ كما قال صاحب التلخيص[١٩٩] إنّه إن تضمن معنىً لطيفاً قُبل وإلاّ فلا، فمن الأول قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ (الأحقاف: من الآية ٢٠) وهو من باب

---

(١٩٣) في قوله تعالى ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

(١٩٤) التبيان في البيان: ٧٢.

(١٩٥) المصدر نفسه.

(١٩٦) المصدر نفسه.

(١٩٧) التلخيص: ٢٧.

(١٩٨) مفتاح العلوم: ١٠١.

(١٩٩) التلخيص: ٢٧.

(عرضت الإبل على الحوض)، والنكتة الإشارة إلى أنّهم مقهورون ومجبورون فكأنّهم لا اختيار لهم والنار متصرفة فيهم وهم كالمتاع الذي يتصرف فيه من يعرض عليه وكقول الشاعر(٢٠٠):

وَمَهْمَـــــهٍ مُغْبَـــــرَّةٍ أرْجَـــــاؤُهُ [كَـــأَنَّ لَـــوْنَ أَرْضِـــهِ سَـــمَاؤُهُ]

والمهمه (المفازة)، و(المغبرة) المملوءة غباراً، و(الأرجاء) النواحي جمع رجا بالقصر، والأصل كأن لون سمائه لغبرتها أرضه أي كلونها، والنكتة فيه المبالغة في وصف لون السماء بالغبرة حتى صار بحيث يشبه الأرض في ذلك مع أنّ الأرض أصل فيه، ونظيره في القرآن ﴿ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ (البقرة: من الآية ٢٧٥) والأصل (إنما الربا مثل البيع) فَقَلَبَ مبالغة، إلاّ أنّ هذا من باب قلب التشبيه وهو متفق عليه، وإنّما الخلاف في غيره ومن المردود قوله(٢٠١):

فَلَمَّـــا أنْ جَـــرَى سِـــمَنٌ عَلَـــيْها كمـــا طَيَّـــنْتِ بالفَـــدَنِ الـــسَيَاعَا

يصف ناقته بالسمن والفدن القصر، والسياع الطين بالسين المهملة، والأصل(كما طينت بالسياع الفدن) وليس في هذا القلب اعتبار لطيف.

***

وَمِـــنْهُ ذكْـــرُ جَمْـــعٍ اوْ مُثَنَّـــى أَوْ مُفْـــرَداً عَـــنْ آخَـــرٍ قَـــدْ عَـــنَّا

وَالانْـــتِقَالُ مِـــنْ خِطَـــابٍ بَعْـــضُ ذِي إلَـــى خِطَـــابٍ آخـــرٍ نَـــوْعٌ شَـــذِي

هذان البيتان من زيادتي وفيهما مسألتان مهمتان لهما شبه بالالتفات وليستا منه. الأولى: التعبير بواحد من المثنى والمجموع عن آخر منها وهو من أنواع المجاز بخلاف الالتفات والمسألة الآتية فإنّهما حقيقتان مثال المفرد عن المثنى قول الأعشى(٢٠٢):

---

(٢٠٠) مجموع أشعار العرب (ديوان رؤبة بن العجاج): ٣ وفيه:

وَبَلَـــدٍ عامِـــيَة أَعْمَـــاؤُهُ كَـــأَنَّ لَـــوْنَ أَرْضِـــهِ سَـــمَاؤُهُ

(٢٠١) البيت للقطامي التغلبي، ديوانه: ٤٠ وفيه:

فَلَمَّـــا أنْ جَـــرَى سِـــمَنٌ عَلَـــيْها كمـــا بطّـــنْتِ بالفَـــدَنِ الـــسَيَاعَا

(٢٠٢) البيت لبشر بن أبي خازم وليس الأعشى كما ذكر المؤلف، ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي: ٢٧.

فَرَجِّـي الخَيْـرَ وَانتَظِـري إيابـي إذا مـا القـارِظُ العَنَـزِيُّ آبـا

وإنّما هما القارظان لأنّ المثل (حتى يؤوب القارظان)[٢٠٣]. ومنه في غير المسند إليه ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ ﴾ (التوبة: من الآية ٦٢) أي يرضوهما، ومثال المفرد عن الجمع[٢٠٤]:

[تدارَكـتُما الأَحـلافَ قَـد ثُـلَّ عَرشُـها] وَذُبـيانَ قَـد زَلَّـت بِأَقـدامِها الـنَعلُ

أي النعال، وقال تعالى ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ (التحريم: من الآية ٤)، ﴿ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ ﴾ (المعارج: ١٩) أي إن الأناسيّ، بدليل ﴿ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٢٢ ﴾ (المعارج: ٢٢)، ومثال المثنى عن المفرد ﴿ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ ﴾ (ق: من الآية ٢٤) أي الْقِ، (قفا نبك)[٢٠٥] أي قف، وعن الجمع (لبيك) و(حنانيك)، وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ ﴾ (الملك: من الآية ٤) إذ المراد التكثير لا مرتان، ومثال الجمع عن المفرد ﴿ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴾ (المؤمنون: من الآية ٩٩) أي أرجعني، و(شابت مفارقه) وليس له غير مفرق، وعن المثنى ﴿ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا ﴾ (التحريم: من الآية ٤) والأصل قلباكما.

الثانية الانتقال من خطاب واحد من الثلاثة إلى آخر منها مثاله في خطاب الواحد إلى الاثنين ﴿ لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ ﴾ (يونس: من الآية ٧٨)، والى الجمع ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ (الطلاق: من الآية ١)، ومثاله من الاثنين إلى الواحد ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾ (طه: ٤٩)، وإلى الجمع ﴿ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتًا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةً ﴾ (يونس: من الآية ٨٧) ومثاله من الجمع إلى الواحد: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾(البقرة: من الآية ٤٣)، ﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾(البقرة: من الآية ٢٢٣)،

(٢٠٣) المستقصى من أمثال العرب: ٢/٥٨.

(٢٠٤) البيت لزهير بن أبي سلمى، شرح ديوانه: ١٠٩.

(٢٠٥) يشير فيه إلى بيت امرئ القيس:

قِفـا نَبكِ مِـن ذِكـرى حَبيـبٍ وَمَنـزِلِ بِـسِقطِ اللِوى بَـينَ الدَخـولِ فَحَـومَلِ

ديوانه: ٨١.

والى الاثنين ﴿ يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ ﴾ (الرحمن: من الآية ٣٣) إلى قوله ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن: ٣٤)(٢٠٦) والنكتة في هذه المسألة كالنكتة في الالتفات.

أحوال المسند

أوّلاً: حذف المسند

فَتَــرْكُهُ لِمَــا مَــضَى وَيَحْــتَمِلْ ... كِلَــيْهِمَا صَبرٌ جَمِــيلٌ قَــدْ نُقِــلْ
وَشَـــرَطُهُ قَـــرِينَةٌ كَذِكْـــرِ ... سُـــؤَالٍ أَوْ تَقْدِيـــرِهِ لِخُبْـــرِ
وقَــدْ يَجِــي مِــنْ أَوَّلٍ أَوْ آخِــرِ ... وصِــالِحاً لــذَيْنِ عِــنْدَ الــسَّابِرِ
وَخَبَـــــراً لِمُبْـــــتَدَا أَوْ إِنَّ أَوْ ... كَــانَ عَلَــى قُــبْحٍ وَفِعْــلاً بَعْــدَ لَــوْ

هذا باب الأحوال العارضة للمسند وفيه أبحاث: الأول في حذفه فيكون للنكت الماضية في حذف المسند إليه، مثاله لاجتناب العبث (خرجت فإذا زيد) أي حاضر، ولضيق المقام قول أبي الطيب المتنبي(٢٠٧):

قَالَــتْ وَقَــدْ رَأَتِ اصْــفِرَارِي مَــنْ بِــهِ ... وَتَــــنَهَّدَتْ فَأَجَبْــــتُهَا المُتَــــنَهِّدُ

أي المتنهد هو المطالب به، ويأتي أيضاً لقصد الاختصار والعدول إلى أقوى الدليلين واختبار تنبه السامع ومقدار تنبهه، وقوله تعالى ﴿ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞ ﴾ (يوسف: من الآية ١٨) يحتمل أن يكون من حذف المسند إليه أي: أمري صبر جميل وأن يكون من حذف المسند أي: فصبر جميل أجمل، قال الشيخ سعد الدين(٢٠٨): ففي الحذف تكثير الفائدة بإمكان حمل الكلام على كلّ من المعنيين، بخلاف ما لو ذكر فإنّه يكون نصًّا في أحدهما، قلت: الظاهر أنّ الحذف هنا لضيق المقام والضجر، وشرط الحذف قرينة دالة عليه، وهي إمّا سؤال مذكور نحو ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ (الزخرف: من الآية ٨٧) أي: خلقنا الله، أو مقدّر للعلم به وهو معنى قولي (لخبر) وهو بضمّ الخاء

---

(٢٠٦) وما بين ما ذكره المؤلف قوله تعالى ﴿ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ (الرحمن: من الآية ٣٣).

(٢٠٧) شرح ديوان المتنبي: ٢/٥٢.

(٢٠٨) مختصر السعد: ١٣٠.

وسكون الباء كقوله[٢٠٩]:

لِيُبكَ يَزيدُ ضارعٌ لِخُصومَةٍ [وَمُختَبِطٌ مِمّا تُطيحُ الطَوائِحُ]

فـ(يُبْكَ) بالبناء للمفعول ورفع (يزيد) وكأنّه قيل: من يبكيه؟ قال: ضارع، أي: يبكيه ضارع، لأنّه كان ملجأً للأذلاء وعوناً للضعفاء ثمّ الحذف تارة يكون من الأوّل لدلالة الآخر عليه كقوله[٢١٠]:

نَحنُ بِما عِندِنا وَأَنتَ بِما عِندَكَ راضٍ وَالرَأيُ مُختَلِفُ

أي نحن راضون أو بالعكس نحو[٢١١]:

[وَمَن يَكُ أَمسى بِالمَدينَةِ رَحلُهُ] فَإِنّي وَقَيّارٌ بِها لَغَريبُ

أي وقيارٌ كذلك، وصالحاً للأمرين كقولك (زيد وعمر قائم)، وتارة يكون المحذوف خبراً لمبتدأ كالمثال الأوّل أو لـ(إنّ) قوله[٢١٢]:

إِنَّ مَحَلاً وَإِنَّ مُرتَحِلاً [وَإِنَّ في السَفرِ ما مَضى مَهَلا]

أي: إنّ لنا في الدنيا محلاً وإنّ لنا عنها مرتحلاً، أو لـ(كان) على قبح عند النحاة، وهو من زيادتي نحو (إن خيرٌ فخيرٌ) برفعهما أي: إن كان في عمله خير فجزاؤه خير، وتارة يكون فعلاً بعد (لو) نحو ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ ﴾ (الإسراء: من الآية ١٠٠) أي: لو تملكون تملكون، إذ لا تدخل (لو) على اسم، والتصريح بهذه الأحكام في البيتين من زيادتي واقتصر في التلخيص[٢١٣] على الأمثلة.

***

ثانياً: ذكر المسند

وَذِكْرُهُ لِمِا مَضَى أَوْ حَتْمِ مَجِيئِهِ بالفِعْلِ أَوْ بِالاسْمِ

قُلْتُ وَلِلتَّعْجِيبِ في المِفْتَاحِ قَدْ زَادَ وَفِي الإيضَاحِ رَدَّ وَانْفَرَدْ

البحث الثاني في ذكره وذلك للنكت الماضية أيضاً في المسند إليه ومن أمثلته

(٢٠٩) البيت لنهشل بن حري، معاهد التنصيص: ١/٢٠٢.

(٢١٠) البيت لعمرو بن امرئ القيس، البيان والتبيين: ١/٤٣٦.

(٢١١) البيت للضابئ بن الحارث بن أرطأة البرجمي شاعر إسلامي أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي في خلافة عثمان، الأصمعيات: ١٨٤.

(٢١٢) البيت للأعشى، ديوانه: ١٥٤.

(٢١٣) التلخيص: ٢٨.

للاحتياط: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ (الزخرف: ٩) ويراد هنا أن يتعين كونه فعلاً ليفيد التجدّد أو اسماً ليفيد الثبوت ولا ندري لو حذف هل هو اسم أو فعل، أو يراد به التعجيب كما ذكره السكاكي[٢١٤] والطيبي[٢١٥] وألحقته من زيادتي نحو (زيد يقاوم الأسد) وقال في الإيضاح[٢١٦]: فيه نظر لأنّه يحصل بالحذف مع القرينة، وقولي (وانفرد) متعلق بالأبيات الآتية:

***

ثالثاً: إفراد المسند

لِكَوْنِهِ لا سَبَبِيًّا مَعْ عَدَمْ ... إفَادَةِ القُوَّةِ لِلْحُكْمِ المُتَّمّ

وَالسَّبَبِيّ مَا جَرَى لِغَيْرِ مَا ... يَسْبِقُهُ كَهِنْدُ عَبْدُهَا انْتَمَى

وَكَوْنِهِ فِعْلاً لأنْ يُقَيَّدَا ... بِوَقْتِهِ ويُفْهِمَ التَّجَدُّدَا

وَاسْماً لِفَقْدِ قَيْدِهِ مَا ذُكِرَا ... قُلْتُ وَقَالَ بَعْضُ مَنْ تَأَخَّرَا

إفَادَةُ الثُّبُوتِ لِلاسْمِ فَقَدْ ... إنْ كَانَ مَا يَتْلُوهُ فِعْلاً وَانْتُقِدْ

البحث الثالث: في إفراده وذلك لكونه غير سببيّ مع عدم إفادة تقوي الحكم نحو (زيد قائم) فـ(قائم) ليس سببياً ولا يفيد التقوّي كـ(قام) بل يقرب منه كما تقدم، فإن أريد التقوية أو كان سببياً أتى به جملة كما سيأتي. والمراد بالسببيّ ما جرى على غير من هو له بأن يكون إثبات المسند للمسند إليه لمتعلقه لا لنفسه نحو (زيد أبوه منطلق) و(هند عبدها قائم)، والتصريح بتفسيره من زيادتي، واقتصر في التلخيص[٢١٧] على التمثيل بالمفرد، ثم المفرد قد يكون فعلاً وقد يكون اسماً، فالأوّل للتقييد بأحد الأزمنة الثلاثة الماضي والحال والاستقبال على أخصر وجه إذ لا يتأتّى ذلك في الاسم إلاّ بقيد أمسِ أو الآن أو غد أو لإفادة التجدّد والحدوث بمعنى أنّ من شأنه أن يتكرّر ويقع مرة بعد أخرى كقوله تعالى ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (البقرة: من الآية ٨٧) أي وفريقاً فرغتم من تكذيبهم وفريقاً فرغتم من قتلهم وها أنتم تسعون في قتل محمد ﷺ. والثاني

---

(٢١٤) مفتاح العلوم: ٩٩.

(٢١٥) التبيان في البيان: ٧٠.

(٢١٦) الإيضاح: ١/ ٨٦.

(٢١٧) التلخيص: ٢٩.

لعدم إفادة ما ذكر من التقييد والتجدّد أي لإفادة الدوام والثبوت كقوله(٢١٨):

لاَ يأْلَفُ الدِّرْهمُ المضْرُوبُ صُرَّتَنا لكِنْ يَمُرُّ عَلَيها وَهْوَ مُنْطَلِقُ

يعني أنّ الانطلاق من الصرّة ثابت للدرهم دائماً، ثمّ نبّهت من زيادتي على أنّ بعض المتأخرين وهو الكاشي في شرح المفتاح(٢١٩) قال: لا تكون الجملة الاسمية للثبوت إلاّ إن كان في حيّزها اسم فإن كان فعل فلا، لئلاّ يقع التناقض في مثل (زيد قام) فإنّها تقتضي الثبوت من حيث صدرها والتجدّد من حيث عجزها، قال ابن السبكي(٢٢٠): وفيما قاله نظر بل ما قالوه على عمومه ولا تناقض لأنّ قولك (زيد قام) دلّ على نسبة القيام المتجدد فالقيام متجدد وحصوله لـ(زيد) ووصفه به ثابت مستقر قال ولا بدع في ذلك، فربّما كان الفعل المتجدد لشدة لزومه ودوامه أو شرفه في نفسه يجعل لفاعله صفة ثابتة مستقرة.

***

رابعاً: تقييد المسند

وَكَوْنُهُ مُقَيَّداً بقَيْدِ لِنَحْوِ مَفْعُولٍ لِزَيْدِ الفَيْدِ

وَنَحْوِ كُنْتُ قَائِماً كَانَ الذي قَيَّدَتِ المَنْصُوبَ لا العَكْسَ احتُذِي

وَالتَّرْكَ لِلمَانِعِ كَانْتِهَازِ لِفُرْصَةٍ تُغْنَمُ وَالإِيْجَازِ

البحث الرابع في تقييد المسند سواء كان فعلاً أو اسماً يعمل عمله ولذا عدلت عن قول التلخيص(٢٢١)، وأمّا تقييد الفعل بقيد من مفعول مطلق أو به أو له أو فيه أو معه أو حال أو تمييز أو استثناء وذلك لزيادة الفائدة فإنّ بالتقييدات يزداد الحكم غرابة وكلّما ازداد غرابة ازداد إفادة، ومن مسائل التقييد الغريبة نحو (كنت قائماً) فربّما توهّم أن التقييد حصل لـ(كان) بالخبر لأنّه بمنزلة المفعول واسمها بمنزلة الفاعل، وقد يكمّل الإسناد بها وليس كذلك بل الإسناد دائر بين الاسم والخبر ودخلت كان تقييداً للخبر، فالقيام مقيد بـ(كان) لا كان مقيدة بالقيام وترك التقييد لمانع من ذلك، وبينت من زيادتي

---

(٢١٨) البيت للنضر بن جؤية، التلخيص: ٢٩، الإيضاح: ٨٧/١، والتبيان في علم البيان: ، ابن الزملكاني: ٤٩، معاهد التنصيص: ٢٠٧/١.

(٢١٩) لم نعثر على هذا الكتاب ولم نجد من أشار إليه.

(٢٢٠) عروس الأفراح: ٣٦٩/١.

(٢٢١) التلخيص: ٢٩.

أنّ المانع كانتهاز الفرصة والاختصار ومنه عدم العلم بالمقيدات وإرادة أن لا يطّلع عليها الحاضرون ونحو ذلك.

***

وَكَوْنُهُ قُيِّدَ بِالشَّرْط لأنْ ... يُفِيدَ مَعْنَى الأدَوَاتِ كَيْفَ عَنْ
وَكُلُّهَا مَبْسُوطَةٌ فِي النَّحْوِ ... وَابْحَثْ هُنَا فِي إنْ إذَا وَلَوِ
فَغَيْرُ لَوْ للشَّرْطِ فِي اسْتِقْبَالِ ... لَكِنَّ إنْ تَخْتَصُّ بِالمُحَالِ
لِكَوْنِهَا فِي الأصْلِ للذي عُدِمْ ... جَزْماً وَعَكْسُهَا إذا مِنْ ثَمَّ عَمّ
المَاضِ فِيهَا وَلِجَزْمٍ إنْ تَرِدْ ... تَجَاهُلاً أوْ لِمُخَاطَبٍ فُقِدْ
جَزْماً وَلِلتَّوْبِيخِ وَالذي يُرَى ... كَجَاهِلٍ إذْ مَا عَلَى العِلْمِ جَرَى
كَذَا لِتَغْلِيبِ الذي لَمْ يَتَّصِفْ ... بِهِ علَى المَوْصُوفِ ثُمَّ ذَا عُرِفْ
فِي غَيْرِ مَا فَنٍّ كَمِثْلِ العُمَرَيْنْ ... القَانِتَيْنَ الخَافِقَيْنِ القَمَرَيْنِ
قُلْتُ: وَمَنْ يَشْرُطُ أنْ يُغَلَّبَا ... أدْنَى أوْ الأعْلَى فَلا تُصَوِّبَا

تقييد المسند بالشرط لا يكون لإفادة معنى الأداة المقيّد بها، فيختلف باختلاف معاني الأدوات وذلك مقرّر في علم النحو ولا بدّ من البحث هنا في (إنْ) و(إذا) و(لوْ) لاختصاصها بلطائف ودقائق لم يتعرض لها ثمة، فـ(إنْ) و(إذا) للشرط في الاستقبال سواء كان مدخولهما مضارعاً أو ماضي اللفظ، والأصل في (إنْ) عدم الجزم بوقوع الشرط وفي (إذا) الجزم ولهذا تدخل (إنْ) على النادر والمحال دون (إذا)، وغلب في (إذا) لفظ الماضي لدلالته على الوقوع قطعاً، إذ المستقبل المقصود تحقق وقوعه يؤتى فيه بلفظ الماضي قال تعالى ﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ﴾ (الأعراف: من الآية ١٣١) أتى في الحسنة بـ(إذا) ولفظ الماضي لأنّ وقوعها مجزوم به لأنّ المراد بها النعم ونعم الله تعالى لا تنفكّ عن الخلق وفي السيئة بـ(إنْ) والمضارع إشارة إلى ندورها وهي ما يسوء الإنسان ولهذا نكّرت إشارة إلى التقليل بخلاف الحسنة، وقد تخرج (إن) عن أصلها فتستعمل في المجزوم به لنكت: منها التجاهل كقول العبد لمن يطلب سيده (إنْ كان في الدار أخبرتك) يوهمه أنّه غير جازم وهو عالم بكونه فيها، ومنها كون المخاطب غير جازم كقولك لمن يكذبك (إن صدقتُ فماذا تفعل) مع علمك بأنّك صادق، ومنها التوبيخ لكون المقام

يشتمل على ما يقلع الشرط من أصله بحيث لا يصلح إلاّ على سبيل الفرض نحو ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝ ﴾ (الزخرف: ٥) في قراءة من كسر (إن)[٢٢٢]، ومنها تنزيل العالم منزلة الجاهل لعدم جريه على مقتضى العلم كقولك لمن يؤذي أباه (إن كان أباك فلا تؤذه)، ومنها تغليب الذي لم يتصف بالجزم على الجازم به بأن يسند الفعل إلى جماعة بعضهم جازم وبعضهم شاكّ فيغلّب على غيره نحو ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ ﴾ (الحج: من الآية ٥)، ثمّ استطرد إلى أنّ التغليب باب واسع يجري في فنون كثيرة كقولهم (العمران) لأبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) غلّب الأخفّ، وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ ﴾(التحريم: من الآية ١٢) غلّب المذكر على المؤنث، وقولهم (الخافقان) للمشرق والمغرب وهو حقيقة في الثاني، و(القمران) للشمس والقمر غلّب المذكر، وقوله ﷺ (إذا التقى الختانان)[٢٢٣] والختان خاصّ بالذكور وللإناث الخفض كما هو ظاهر كلام الصحاح[٢٢٤]، وقوله تعالى ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (النمل: من الآية ٥٥) غلّب المخاطب على غيره، وشرط ابن الحاجب[٢٢٥] في التغليب أن يغلب الأدنى على الأعلى لأنّ القمر دون الشمس وأبا بكر أفضل من عمر، و(أورده عليه البحران) للملح والعذب والملح أعظم، وعكس الطيبي[٢٢٦] فشرط تغليب الأعلى، والذي نختاره خلاف قوليهما بل قد يكون للأفضل وللأخفّ وللتذكير ولغير ذلك وقد نبهت على هذه المسألة من زيادتي.

***

وَاخْتَـــصَّتَا بِالجُمْلَـــةِ الفِعْلِـــيَّةِ مُـــــسْتَقْبَلاً وَتَـــرْكُهُ لِنُكْـــتَةِ

---

(٢٢٢) قرا نافع وحمزة والكسائي (صفحاً إن) بالكسر، كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد: ٥٨٤، معجم القراءات القرآنية، عبد العال سالم مكرم، أحمد مختار عمر: ٦/ ١٠١.

(٢٢٣) صحيح ابن حبان: ٣/٤٥٦.

(٢٢٤) في الصحاح: (خَفَضْتُ الجَارِيَةَ مِثْلُ خَتَنْتُ الغُلامَ، وَاخْتَفَضَتْ هِي، والخَافِضَةُ: الخَاتِنَةُ) ٣/ ١٤٠٧.

(٢٢٥) الأمالي النحوية، أمالي القرآن الكريم: ٤/٣٣.

(٢٢٦) ينظر: التبيان في البيان: ٢٣٩ - ٢٤٠.

كَمِــثْلِ إِبْــرَازِ الــذي لَــمْ يَحْــصُلِ فِــي صُــورَةِ الحَاصِــلِ وَالــتَّفَاؤُلِ
وَالقَــصْدِ للــرَّغْبَةِ فِــي وُقُــوعِهِ وَقِــيلَ وَالتَّعْــرِيضُ مِــنْ فُــرُوعِهِ
نَحْــوُ لَــئِنْ أَشْــرَكْتَ وَالتَّعْـرِيضُ سَـمّ بِمَنْـصَفِ الكَـلامِ مِمَّـنْ قَـدْ حَكَـمْ
وَمِــنْهُ مَــا لِــي تِلْــوُهُ لا أعْــبُدُ وَحُــسْنُهُ إِسْــمَاعُ مَــنْ قَــدْ يُقْــصَدُ
خِطَابُــهُ الحــقَّ عَلَــى وَجْــهٍ مَــنَعْ غَــضْبَهُ إِذْ لَــمْ يَكُــنْ فِــيمَا صَــنَعْ
نِــــسْبَتَهُ لِلــــذَّمِّ وَالإِعَانَــــهْ عَلَــــى قُــــبُولِهِ لِمَــــا أَبَانَــــهْ
مِــنِ نُــصْحِهِ إِذْ لَــمْ يُــرِدْ لَــهُ سِــوَى مُــــرَادِهِ لِنَفْــــسِهِ كَمَــــا نَــــوَى

تختصّ (إنْ) و(إذا) بالجملة الفعلية الاستقبالية لكون كلّ منهما لتعليق أمر بغيره في الاستقبال ولا يخالَف ذلك إلاّ لنكت، منها أن يجعل غير الحاصل كالحاصل ومثّل بقوله تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾ (الإنسان: ٢٠)، ومنها أن يقصد المتكلم التفاؤل بوقوعه فيعبر عنه بلفظ الماضي وإظهار رغبته في وقوعه نحو (إن ظفرت بحسن العاقبة)، ﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾(النور: من الآية ٣٣)، قال السكاكي[٢٢٧]: وقد يؤتى بالماضي لإرادة التعريض وهو أن يخاطب واحد ويراد غيره نحو قوله تعالى ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ ﴾ (الزمر: من الآية ٦٥) وخوطب النبي ﷺ وأريد غيره لاستحالة الشرك عليه شرعاً فجعل خارجاً عن الأصل تنزيلاً للاستحالة الشرعية منزلة العقلية ويسمى هذا الباب الكلام المنصف لأنّه يوجب أن ينصف المخاطب إذا رجع إلى نفسه ويسمى أيضاً استدراجاً لاستدراجه الخصم إلى الإذعان والتسليم ونظيره قوله تعالى ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (يس: ٢٢) أي: وما لكم لا تعبدون، ووجهه حسن التعريض إسماع من يقصد خطابه الحق على وجه يمنع غضبه إذ لم يصرّح بنسبته للباطل والإعانة على قبوله إذ لم يرد له إلاّ ما أراده لنفسه.

***

وَلَــوْ لِــشَرْطِ المَــاضِ وَانْــتِفَائِهِ لاَ لانْــتِفَا المَــشْرُوطِ أَوْ بَقَائِــهِ
فَــذَاكَ بِــاللازِمِ هَكَــذَا ذَكَــرْ جَمَاعَــةٌ وَشَــيْخُنَا لَــهُ نَــصَرْ

(٢٢٧) مفتاح العلوم: ١٠٧.

اختلفت عبارات النحاة في معنى (لو) وقد استوفينا أقوالهم فيها في كتابنا جمع الجوامع(٢٢٨)، وعبارة الجمهور فيها أنّها حرف امتناع لامتناع، وفسّرها الأكثر بأنّ المراد امتناع الثاني لامتناع الأوّل، فقولك (لو جاء زيد أكرمتك) يفهم امتناع الإكرام لامتناع مجيء زيد وأُورِد على هذه العبارة أشياء: منها قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ ﴾ (لقمان: من الآية ٢٧)الآية(٢٢٩) فإنّه يستلزم عليها أن يكون النفاد موجوداً عند عدم كون ما في الأرض من شجر أقلاماً والبحر مداداً، وحديث (نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه)(٢٣٠) فإنّه يستلزم أنّه إذا خاف عصى ولا شكّ أنّ ذلك غير مراد، والذي اختاره جماعة منهم صاحب التلخيص(٢٣١) وشيخنا أنّ (لو) للشرط في الزمن الماضي وأنّها تفيد انتفاء الشرط بالوضع وانتفاء المشروط باللازم والعقل ولا دلالة لها وضعية على انتفائه ولا ثبوته، ويقرب من ذلك قول ابن مالك(٢٣٢): هي حرف شرط يقتضي امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه من غير تعرّض لنفي التالي، قال: فقيام زيد من قولك (لو قام زيد قام عمرو) محكوم بانتفائه وكونه مستلزماً ثبوته لثبوت قيام من عمرو وهل لعمرو قيام آخر غير اللازم من قيام زيد أو ليس له تعرّض لذلك، قال المراديّ(٢٣٣): ولكن الأكثر كون الأوّل والثاني غير واقعين، وأحسن منه قول جمال الدين ابن هشام(٢٣٤): إن ناسب الثاني الأوّل ولم يخلفه غيره انتفى أيضاً نحو ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (الأنبياء: من الآية ٢٢) لا إن خلفه نحو (لو كان إنساناً لكان حيواناً)، وإن لم ينافِ الأوّل وناسبه إمّا بالأولى والمساوي أو الأدون ثبت، مثال الأولى (لو لم يخف الله لم يعصه)، والمساوي حديث الصحيحين (لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلّت لي إنّها لابنة أخي من الرضاعة)(٢٣٥)، والأدون قولك

(٢٢٨) ينظر همع الهوامع شرح جمع الجوامع: ٢: ٦٤ – ٦٧.
(٢٢٩) تتمتها قوله تعالى ﴿ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.
(٢٣٠) سيأتي بعد قليل إسناد هذا الحديث.
(٢٣١) التلخيص: ٣١.
(٢٣٢) شرح الكافية الشافية: ١٦٣١/٣.
(٢٣٣) الجنى الداني في حروف المعاني: ٢٧٥.
(٢٣٤) مغني اللبيب: ٤٩٩/١.
(٢٣٥) صحيح البخاري: ٥/ ٢٠٥٤ بهذا اللفظ، وبألفاظ أخرى: صحيح البخاري: ٥/ ١٩٦١، صحيح =

(لو انتفت أخوّة الرضاع ما حلّت للنسب).

***

فائدة:

كثر سؤال الناس عن حديث (لو لم يخف الله لم يعصه) وقد قال الشيخ بهاء الدين في عروس الأفراح[٢٣٦] في هذه المسألة: قد نسب الخطيبي هذا الكلام إلى النبي ﷺ ونسبه ابن مالك في شرح الكافية[٢٣٧]وغيره إلى عمر (رضي الله تعالى عنه)، ولم أرَ هذا الكلام في أي شيء من الكتب لا مرفوعاً ولا موقوفاً لا عن عمر ولا عن غيره مع شدّة الفحص عنه، ونقله عنه البدر الدماميني في شرح المغني[٢٣٨] والشيخ جلال الدين المحلي في شرح جمع الجوامع واقتصر عليه[٢٣٩]، ورأيت في ذلك فتوى قدمت للحافظ أبي الفضل العراقي[٢٤٠] وكتب عليها أنّه وقع في شرح الترمذي لابن العربي وأنّه لم يقف على إسناد، قلت: ما زال على نفسي منه حتى رأيته فسررت به سروراً لم يعدله شيء لكنّه في سالم لا في صهيب، فأخرجه أبو نعيم في الحلية عن محمد بن علي بن حبيش عن أحمد بن حماد ابن سفيان عن زكريا بن يحيى بن أبان عن أبي صالح كاتب الليث عن أبي لهيعة عن عبادة بن نسي عن عبد الرحمن بن غنم عن عبد الله بن الأرقم عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: (إن سالما شديد الحب لله لو لم يخف الله عزّ وجل ما عصاه)[٢٤١]، وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس[٢٤٢] من طريق الحافظ أبي بكر بن مردويه عن عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم عن عبيد بن محمد بن يحيى بن فضاء عن سليمان بن داود التاذكوني عن يونس بن بكير عن

=

مسلم: ٢/١٠٧٢، ١٠٧٣.

(٢٣٦) عروس الأفراح: ١/٣٤٦ - ٣٤٧.

(٢٣٧) شرح الكافية الشافية: ٣/١٦٣٠ - ١٦٣١.

(٢٣٨) شرح الدماميني: ٢/٥٥.

(٢٣٩) حاشية العلامة البناني على شرح الجلال على متن جمع الجوامع: ١/٥٦٢، يقول: إنّه (من قول عمر رضي الله عنه، وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم) ١/٥٦٢.

(٢٤٠) ولم نعثر على فتاوى الحافظ العراقي التي يذكرها المؤلف.

(٢٤١) حلية الأولياء: ١/١٧٧.

(٢٤٢) الفردوس بمأثور الخطاب: ١/٢٣٤.

محمد بن إسحاق عن الجراح بن المنهال عن خبيب عن بن نجيع عن عبد الرحمن بن غنم عن عبد الله بن الأرقم عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إنّ معاذ بن جبل إمام العلماء يوم القيامة لا يحجبه من الله إلا المرسلون، وإنّ سالماً مولى أبي حذيفة شديد الحبّ لله لو لم يخف الله ما عصاه)[٢٤٣].

***

مِـنْ ثَـمَّ غَالِـبَ تَـلا الفِعْلِيَّهْ وَفِعْـلَ جُـزْأَيْهَا الْـزَمَنْ مُـضِيَّهْ
وَلانْحِـتَامِ كَـوْنِ ذَاكَ وَاقِعَـا وَقَـصْدُ الاسْـتِمْرَارِ جَـا مُـضَارِعَا
وَقَـصْدُ الاسْتِحْـضَارِ مِـثْلُ مَـا أَتَـى فِـي غَيْـرِ ذَا وَقَـدْ تَقَـضَّى ضِـدَّ تَـا

أي من أجل (لو) تدلّ على التعليق لزم منه عدم الثبوت وامتنع إيلاؤها الجملة الاسمية فلا تكون جملة شرطها وجوابها إلاّ فعلية وما ورد بخلافه فهو نادر أو مؤوّل على إضمار فعل يفسّره ما بعده كقوله تعالى ﴿ لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ ﴾ (الإسراء: من الآية ١٠٠) وقولهم (لو ذات سوار لطمتني)[٢٤٤]، وقول الشاعر[٢٤٥]:

أَخِـلاّيَ لَـوْ غَيْـرُ الحِمـامِ أَصـابَكُم عَتِبتُ وَلَكِـن مـا عَلـى الدَّهْـرِ مُعـتَبُ

ويلزم كونها فعلية أي الشرط والجواب ماضيين لفظاً ومعنى لما تقدّم من أنّها للتعليق في الماضي وقد يجيء مضارعاً لنكت منها تحقق وقوعه نحو ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ ﴾ (الأنعام: من الآية ٢٧) عبّر فيه وهو مستقبل قطعاً بـ(لو) و(إذ) وهما للمضيّ لتحقق وقوعه كذا قرّروه، فالتجوز حينئذٍ في (لو) لا في الفعل وقرره الشيخ بهاء الدين[٢٤٦] بأنّ المعنى لو رأيت في الماضي، وإنّما أخبر عنه ماضياً وإن كان مستقبلاً لأنّ من خبره لا يخلف يجعل المخبر به كالذي وقع فلذلك أتى بـ(رأيت) ثمّ عبّر بـ(ترى) رعاية للأصل، ومنها قصد استمرار عدم وقوع الفعل المعلق عليه فيما مضى وقتاً بعد وقت نحو ﴿ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ (الحجرات: من الآية ٧) يعني أنّ عدم

(٢٤٣) الفردوس بمأثور الخطاب: ١/٢٣٤.
(٢٤٤) مجمع الأمثال ٢/١٧٤.
(٢٤٥) البيت للغطمش الظبي، شرح ديوان الحماسة: ٢/٨٩٣. وفيه:
أَخِـلاّيَ لَـوْ غَيْـرُ الحِمـامِ أَصـابَكُم عَتِبتُ وَلَكِن ما عَلى المَوتِ مُعتَبُ
(٢٤٦) عروس الأفراح: ١/٣٥٦.

طاعة الرسول ﷺ لهم مستمرّ في الأزمنة الماضية فإنّ المضارع المثبت يفيد استمرار الثبوت فكذا المنفي والداخل عليه (لو) يفيد استمرار النفي والامتناع، ومنها قصد استحضار الصورة في قوله ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ ﴾ (الأنعام: من الآية ٢٧) قصد استحضار صورة رؤية الكافرين موقوفين على النار لأنّ المضارع مما يدلّ على الحال الحاضر الذي من شأنه أن يشاهد لأنّه يستحضر بلفظ المضارع تلك الصورة فيشاهدها السامعون ولا يفعل ذلك إلاّ بأمر يهتمّ بمشاهدته لغرابته أو فظاعته كما في قوله تعالى ﴿ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ (فاطر: من الآية ٩) أتى بالمضارع بدل الماضي لقصد استحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة وهذا معنى قولي (مثل ما أتى في غير ذا)، أي في غير باب (لو)، ومن استعمال المضارع في غير باب (لو) للاستمرار قوله ﷺ (إنّ الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً)[٢٤٧] أي ليعتاد ذلك ويستمرّ عليه وقد تقدّم ضدّ ذلك وهو وقوع الماضي موقع المضارع وعكسه في آخر باب المسند.

***

قُلْتُ وَأَمَّا نَفْيُهُ فَالأَحْرُفُ ... سِتٌّ لِمَعْنى كُلُّ حَرْفٍ يُؤْلَفُ
فَمَا وَإِنْ كَلَيْسَ نَفْيُ الحَالِ ... وَلا وَلَنْ لِنَفْيِ الاسْتِقْبَالِ
وَافْتَرَقَا مِنْ إنَّ لِلتَّأْكِيدِ لَنْ ... وَنَفْيِ مَا كَانَ حُصُولُهُ يُظَنّ
قِيلَ وَلِلتَّأْبِيدِ لَكِنْ تُرِكَا ... وَخَصَّهُ لاَ، ابْنُ الخَطِيبِ زَمْلَكَا
قَالَ وَلَنْ لِنَفْيِ مَا قَدْ قَرُبَا ... وَالارْتِشَافُ فِيهِ هَذَا قَدْ أَبَى
وَلَمْ وَلَمَّا نَفْيُ مَاضٍ وَانْفَرَدْ ... لِمَا بِالاسْتِغْرَاقِ مَعْ مَدْخُولِ قَدْ

هذه الأبيات من زيادتي وفيها تقييد المسند بحرف النفي ولم يذكره في التلخيص ولا بدّ منه لبيان ما بين هذه الأحرف من الفرق وما يختصّ به من اللطائف، وقد تعرّض الكمال الزملكاني في كتابه التبيان لذلك[٢٤٨]، فأحرف النفي ستة: (ما) و(إنْ) و(لا) وهي تنفي الاسم والفعل، و(لنْ) و(لم) و(لمّا) وهي تختصّ بالفعل، فالأوّلان لنفي الحال كـ(ليس)، و(لا) و(لنْ) لنفي الاستقبال، و(لم) و(لمّا) لنفي الماضي، ونفي (إنْ) أبلغ من

---

(٢٤٧) المستدرك: ٢١٧/١.

(٢٤٨) التبيان في علم البيان: ٧٥ – ٨٥.

نفي (ما)، وأمّا (لا) و(لنْ) فالفرق بينهما من وجوه: منها أنّ (لن) آكد في النفي من (لا) على المختار الذي جزم به الزمخشري في مفصّله[٢٤٩] وكشّافه[٢٥٠] خلافاً للنحاة فإنّ ذلك أمر يدرك بالذوق، وقد وافقه على ذلك كثير حتى قال بعضهم إنّ منعه مكابرة، قال في الكشاف: فقولك (لن أقيم) مؤكّد بخلاف (لا أقيم) كما في (إنّي مقيم) و(أنا مقيم)[٢٥١]، ومنها أنّ (لنْ) لنفي المظنون حصوله و(لا) لنفي المشكوك فيه، ذكره ابن الزملكاني في التبيان[٢٥٢]، ومنها أنّ (لنْ) لتأبيد النفي ذكره في الكشاف[٢٥٣]أيضاً نحو ﴿ لَن تَخْلُقُواْ ذُبَابًا ﴾ (الحج: من الآية ٧٣)، ﴿ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ﴾ (الحج: من الآية ٤٧)، وبنى عليه مذهبه الفاسد في ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ (الأعراف: من الآية ١٤٣) وهو مردود[٢٥٤]، وإنّما استفيد تأبيد النفي في هاتين الآيتين ونحوهما من خارج، وعكس ذلك ابن الزملكاني[٢٥٥]، فجعل (لن) لنفي ما قرب وعدم امتداد النفي وجعل (لا) يمتد معها النفي، قال: وسرّ ذلك أنّ الألفاظ مشاكلة للمعاني و(لا) آخرها الألف، والألف يمكن امتداد الصوت بها بخلاف النون فطابق كلّ لفظ معناه، قال ولذلك أتى بـ(لنْ) حيث لم يرد به النفي مطلقاً بل في الدنيا حيث قال ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ (الأعراف: من الآية ١٤٣)، وبلا في قوله ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ (الأنعام: من الآية ١٠٣) حيث أريد نفي الإدراك على الإطلاق وهو مغاير للرؤية، وقد نقل أبو حيان في الارتشاف عن بعض البيانيين أنّ (لن) لنفي ما قرب، ولم يرتضِهِ[٢٥٦]، وقولي (وخصّه لا) أي خصّ (لا) به، (وابن الخطيب الزملكا) هو أبو المكارم عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الزملكاني جدّ الشيخ كمال الدين محمد بن علي بن عبد الواحد الفقيه المشهور كان متميزاً في علوم عدّة خبيراً

(٢٤٩) المفصّل: ١٤٣.

(٢٥٠) الكشاف: ٧٠١.

(٢٥١) االمصدر نفسه: ٦١.

(٢٥٢) التبيان في علم البيان: ٨٤ - ٨٥.

(٢٥٣) الكشاف ٧٠١.

(٢٥٤) المصدر نفسه: ٣٨٥.

(٢٥٥) التبيان في علم البيان: ٨٤ - ٨٥.

(٢٥٦) في ارتشاف الضرب: ٣٩٠/٢ (ودعوى بعض أهل البيان أنّ (لن) لنفي ما قرب ولا يمتدّ نفي الفعل فيها كما يمتدّ بـ(لا) من باب الخيالات التي لأهل علم البيان).

بالمعاني والبيان والأدب مات بدمشق في المحرّم سنة إحدى وخمسين وستمائه، وله في هذا الفنّ التبيان كتاب جليل، و(زملكا) بفتح الزاي واللام وسكون الميم والقصر قرية بدمشق.

أمّا الفرق بين (لم) و(لمّا) فمن أوجه: منها أنّ (لمّا) لاستغراق النفي أي اتصاله بالحال دائماً أو غالباً كقوله(٢٥٧):

فَإِن كُنتُ مَأكولاً فَكُن خَيرَ آكِلٍ وَإِلاَّ فَأَدْرِكني وَلَمّا أُمَزَّقِ

بخلاف (لم) فإنّ منفيّها يحتمل الاتصال، نحو ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ (مريم من الآية ٤)، والانقطاع نحو ﴿ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ (الإنسان: من الآية ١) ولهذا جاز (لم يكن ثمّ كان) ولم يجز (لمّا يكن ثمّ كان)، بل يقال (لمّا يكن وقد يكون)، ومنها أنّ (لم) لنفي فَعَلَ و(لمّا) لنفي قَدْ فَعَلَ، فهي لتأكيد النفي ونشأ عن ذلك أنّ منفيّها لا يكون إلاّ قريباً من الحال فلا يقال (لمّا يجئْ زيد في العام الماضي) بخلاف (لم) وأنّه متوقّع ثبوته نحو ﴿ لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴾ (ص: من الآية ٨) أي لم يذوقوه إلى الآن وذوقهم له متوقّع بخلاف (لم) ولهذا أجازوا (لم يقضِ ما لا يكون).

***

خامساً: تنكير المسند

وَكَوْنُ مَا أُسْنِدَ ذَا تَنَكُّرِ لِقَصْدِ أنْ لا عَهْدَ أوْ لَمْ يُحْصَرِ
كَذَاك لِلتَّفْخِيمِ أوْ لِلضَّعْفِ وَكَوْنُهُ مُخَصَّصاً بالوَصْفِ
أوْ بإِضَافَةٍ لِكَوْنِهَا أتَمّ فَائِدَةً وَتَرْكُهُ لِلْفَقْدِ عَمّ

البحث الخامس: في تنكير المسند وتخصيصه وتعريفه، والتصريح في النظم من دون التلخيص وكونه لطول الفصل(٢٥٨).

فأمّا تنكيره فلإرادة عدم العهد وعدم الحصر الدالّ عليهما التعريف: نحو قولك (زيد كاتب) و(عمرو شاعر)، وللتفخيم نحو ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: من الآية ٢) على أنّه خبر محذوف، وللتحقير وهو معنى قولي (للضعف) نحو (ما زيد شيئاً)، وإمّا

---

(٢٥٧) البيت للممزق العبدي، الأصمعيات: ١٦٦.

(٢٥٨) [والتصريح في النظم من دون التلخيص وكونه لطول الفصل] زيادة في ط.

تخصيصه بالوصف أو الإضافة فلكون الفائدة أتمّ نحو (زيد كاتب مجيد) و(زيد غلام رجل)، وأمّا ترك ذلك فلفقد الأسباب المقتضية للتخصيص.

***

تعريف المسند

وَكَـــوْنُهُ مُعَـــرَّفاً لِـــيُفْهِمَا مُخَاطِبٌ حُكْماً عَلَى مَا عَلِمَا
بِـبَعْضِ مَا عَـرَّفَ بِالـذي جَهِـلْ أَوْ لازِماً كَـذَا أَخِـي أَوِ الأَجَـلْ
عَهْـداً أَوْ الجِـنْسَ أَرَادَ كَعَكْـسْ ذَيْـنِ وَقَـدْ يُفِـيدُ قَـصْرَ الجِـنْسْ
ذُو الـلامِ تَحْقِـيقاً عَلَى شَـيْءٍ كَـذَا مُـبَالِغاً كَهْـوَ الأَمِيـرُ وَالأَذَى
وَمَـنْ يَقُـلْ مُعَـيَّنٌ لِلابْـتِدَا اسْـمٌ وَلِلإِخْـبَارِ وَصْـفٌ فَـارْدُدَا

تعريف المسند يكون لإفادة المخاطب حكماً أو لازم حكم على شيء معلوم بأحد طرق التعريف بأمر آخر مثله أي إذا كان السامع يعلم للمحكوم عليه إحدى صفتين وأردت أن تفيده الأخرى فاجعل المعلوم له مبتدأ وغيره خبراً كما إذا كان يعرف زيداً باسمه ووصفه ويجهل كونه أخاه فتقول (زيد أخوك) وكذا من علم ذلك وأنّه وقع انطلاق من شخص تقول له (عمرو المنطلق)، وعكس هذين المثالين وهو (أخوك زيد) و(المنطلق عمرو) لمن علم أنّ له أخاً ولا يعلم كونه زيداً أو أنّه وقع انطلاق ولا يعلم من عمرو سواء كانت اللام عهدية كما ذكر أو جنسية كما إذا عرف السامع إنساناً بعينه ووصفه وهو يعلم جنس المنطلق وأردت أن تعرفه اتصاف عمرو به فتقول (عمرو المنطلق)، وإن أردت أن تُعين عنده جنس المنطلق قلت (المنطلق عمرو)، فالباء في قولي (ببعض) متعلق بـ(علم) وفي (بالذي) متعلق بـ(يفهم)، و(عرَّف) مشدد مبني للفاعل، و(لازماً) معطوف على (حكماً) أي إذا كان السامع غير جاهل بهما ولكن قصد إعلامه بأنّه يعرف أحدهما وحكم به على الآخر نحو (الذي أثنى علي أنت) لمن يعلم أنّ الثناء نقل إليك ولا يدري هل تعلم أنّه المثني أو لا تقديره علمت أنّ المثني أنت، وتقول عكسه (أنت المثني علي)، وقد يفيد ذو اللام قصر الجنس على شيء مسنداً كان أو مسنداً إليه تحقيقاً أو مبالغة لكماله فيه فالأوّل (زيد الأمير) إذا لم يكن أمير سواه، والثاني (عمرو الشجاع) و(زيد الأذى) أي الكامل فيهما لأنّه لا اعتداد بشجاعة غيره وأذاه لقصورهما عن رتبة الكمال، والإتيان بـ(قد) إشارة إلى أنّه قد لا يفيد كقول

الخنساء[٢٥٩]:

إِذا قَـبُحَ الـبُكاءُ عَلـى قَتـيلٍ   رَأَيـتُ بُكـاءَكَ الحَـسَنَ الجَمـيلا

ثمّ نبّهت على أنّ بعضهم قال في نحو (عمرو المنطلق) و(المنطلق عمرو) أنّ الاسم متعيّن للابتدائية تقدّم أو تأخّر لدلالته على الذات، والصفة متعيّنة للخبرية كذلك لدلالتها على أمر نسبيّ وعليه الإمام الرازي[٢٦٠] وهو مردود بأنّ (المنطلق) لا يجعل مبتدأً إلاّ بمعنى الشخص الذي له الانطلاق وهو بهذا المعنى لا يكون خبراً لأنّه دالّ على الذات، و(عمرو) لا يجعل خبراً إلاّ بمعنى صاحب اسم عمرو وهو بهذا المعنى لا يحسن مبتدأً لدلالته على أمر نسبيّ.

***

سادساً: المسند الجملة

وَجُمْلَـةً تَجِـيءُ لِلـتَّقْوِيَّةِ   أَوْ سَـبَبِيًّا كَـانَ كَالاسْـمِيَّةِ

فِعْلِـيَّةٍ شَـرْطِيَّةٍ لِمَـا مُـضِي   ظَـرْفِيَّةٍ تَقْدِيـرُهَا الفِعْـلُ رُضِـي

فَلاِخْتِـصَارِهَا وَفِـي تَأْخِيـرِهِ   لِنُكْـتَةِ اهْـتِمَامِ شَـأْنِ غَيْـرِهِ

وَعَكْـسُهُ لِكَـوْنِهِ بِالمُـسْنَدِ   إِلَـيْهِ مَخْـصُوصاً كَمَـا فِـيهَا عُـدِي

مِـنْ ثَـمَّ فـي لا رَيْـبَ فِـيهِ أُخِّـرَا   كَـيْ لا يُفِـيدَ الـرَّيْبَ فِـيمَا غَبَـرَا

أَوْ فَهْـمِ الإِخْـبَارِ بِـهِ مِـنْ أَوَّلِ   أَوْ لِتَـشَوُّقٍ أَوِ الـتَّفَاؤُلِ

البحث السادس: في كونه جملة وذلك لتقوّي الحكم بنفس التركيب أي لا بالتكرير والأداة نحو (أنا قمت)، أو لكون المسند سببياً كما تقدّم في مثل (زيد أبوه قائم)، واسميّتها وفعليّتها وشرطيّتها لما مضى من أنّ الاسمية للدوام والثبوت والفعلية للتجدد والحدوث، والدلالة على أحد هذه الأزمنة باختصار، والشرطية للاعتبارات المختلفة الحاصلة من أداة الشرط، وظرفيتها لاختصار الفعلية إذ الظرف مقدّر بالفعل وهو (كان) أو (استقرّ) على الأصحّ لأنّ الفعل هو الأصل في العمل، وقيل باسم الفاعل لأنّ الأصل في الخبر أن يكون مفرداً وبسط الكلام على ذلك في كتب النحو.

***

(٢٥٩) شرح ديوان الخنساء: ٨٢.

(٢٦٠) ينظر: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: ٨٢.

سابعاً: تقديم المسند

البحث السابع في تأخيره وتقديمه: الأوّل هو الأصل ويبقى إذا كان ذكر المسند إليه أهمّ من الثاني وهو التقديم، إمّا لتخصيصه بالمسند إليه نحو ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ (الصافات: من الآية ٤٧) أي بخلاف خمر الدنيا ولذلك لم يقدّم في قوله تعالى ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (البقرة: من الآية ٢) بأن يقال (لا فيه ريب) لئلاّ يفيد ثبوت الريب في سائر كتب الله تعالى، أو لإفادة أنّه خبر من أوّل وهلة لا نعت نحو(٢٦١):

لَــهُ هِمَــمٌ لا مُنتَهــى لِكِبــارِهَا [وَهِمَّتُهُ الصُغرى أَجَلُّ مِنَ الدَهرِ]

إذ لو قال (همم له) يوهم أنّه نعت، أو للتشوّق إلى المسند إليه بأن يكون في المسند المتقدّم طول تشوّق النفس إلى ذكره ليكون له وقع نحو(٢٦٢):

ثَلاثَــةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالقَمَرُ

أو للتفاؤل نحو(٢٦٣):

سَعِدَتْ بغُرَّةِ وجهِكَ الأيَّامُ وتَزيَّنَتْ بِبقائِكَ الأعْوامُ

***

البناء للمجهول:

قُلْتُ وَلِلْمَفْعُولِ إِنَّمَا بُنِي لِكَوْنِهِ فِي الذِّكْرِ نُصْبَ الأعْيُنِ
أَوِ السِّيَاقُ دَلَّ أَوْ لا يَصْدُرُ عَنْ غَيْرِهِ أَوْ كَوْنُهُ يُحَقَّرُ
كَذَاكَ لِلْجَهْلِ وَالاخْتِصَارِ وِالسَّجْعِ وَالرَّوِيّ وَالإيْثَارِ

هذه الأبيات من زيادتي نبّهت فيها على حذف الفاعل وبناء المسند إذا كان فعلاً للمفعول وهو في التبيان(٢٦٤) دون التلخيص وذلك لنكت: منها العلم به وله صور منها كونه نصب عين المتكلم نحو ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ ﴾ (الأعراف: من الآية ١٤٩) أي سقط الندم في قلوبهم، ومنها دلالة السياق عليه، ومنها كون الفعل لا يصدر عن غير

(٢٦١) البيت منسوب لحسان بن ثابت كما في معاهد التنصيص: ٢٠٨/١، وهو غير موجود في ديوانه.
(٢٦٢) البيت لمحمد بن وهيب الحميري، شعر لمحمد بن وهيب الحميري، تحقيق: محمد جبار معيبد، مجلة الخليج العربي، العدد الأوّل، ١٩٨٥: ٦٦.
(٢٦٣) البيت للثعالبي، ديوانه: ١١٠.
(٢٦٤) التبيان في البيان: ٨٥.

الفاعل نحو ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ ﴾ (هود: من الآية ٤٤)، ومن النكت تحقيره والجهل به نحو (قُطِع اللص) و(سُرِق ثوب فلان)، والاختصار وتقارب السجع نحو (كثر النضال وقلّ الرجال)، وموافقة الرويّ نحو[٢٦٥]:

[وَمَا المَالُ وَالأَهلونَ إلاّ وَديعَةٌ] وَلا بُدَّ يَوماً أَن تُرَدَّ الوَدائِعُ

لأنّ القافية مرفوعة، ومنها إيثار غرض المخاطب نحو (شتم فلان) و(خلع على فلان).

***

تنبيه:

غَالِبُ هَذَا البَابِ وَالذي خَلاَ يَجِيءُ فِي سِوَاهُمَا تَأَمُّلاَ

أي ما ذكر في باب المسند إليه والمسند من الذكر والحذف والتقديم والتأخير وغير ذلك من الأبحاث لا يختصّ بهما بل يأتي في غيرهما من المفاعيل والملحق بها وغير ذلك، وقولنا (غالب) لأنّ منه ما يختصّ بالبابين كضمير الفصل فإنّه مختصّ بباب المسند إليه والمسند وككون المسند المفرد فعلاً فإنّه مختصّ بالمسند إذ كلّ فعل مسند دائماً.

***

أحوال متعلقات الفعل وما يعمل عمله

الفِعْلُ أوْ بَقِيَّةُ العَوَامِلِ مَعَ اسْمِهَا المَنْصُوبِ مِثْلِ الفَاعِلِ
فِي ذِكْرِهِ لِيُفْهِمَ التَّعَلُّقَا دُونَ إفَادَةِ الوُقُوعِ مُطْلَقَا
فَحَذْفُهُ إنْ أُطْلِقَ الإثْبَاتُ لَهْ أوِ نَفْيُهُ لِلاسْمِ أغْنِي فَاعِلَه
لِكَوْنِهِ نُزِّلَ كَاللازِمِ لا مُقَدَّرٍ فِيهِ فَأمّا جُعِلا
الفِعْلُ كَانِياً عَنِ الفِعْلِ يُخَصّ مَعْمُولُهُ دَلَّ عَلَيهِ نَوْعُ نَصّ
كَشَجْوِ حُسَّادِكَ أنْ يَرَى بَصَرْ أيْ أنْ يَكُونَ مُبْصِراً لِمَا ظَهَرْ
أوْ لا يَكُونُ مِثْلَمَا تَلَوْنَا هَلْ يَسْتَوي الذينَ يَعْلَمُونَا
أمَّا الذي يُحْذَفُ وَهْوَ مَا رُفِضْ فَلائِقاً قَدِّرْ وَفِي هَذَا الغَرَضْ

---

(٢٦٥) البيت للبيد بن ربيعة العامري، شرح ديوانه: ١٧٠.

مِـنْ بَعْـدِ الابْهَـامِ البَـيَانُ مِـثْلُ شَـا — مَـا لَـمْ يَـكُ التِبَاسُـهُ مُسْتَوْحِـشَا
أَوْ دَفْـعِ أَنْ يَبْـتَدِرَ الـذِّهْنُ إِلَـى — غَيْـرِ المُـرَادِ وَاعْتِـنَاءٍ كَمُـلاَ
بِذِكْـرِ الايْقَـاعِ لَـهُ بَعْـدُ عَلَـى — صَـرِيحِهِ أَوْ أَدَبٍ مَـعَ العُـلاَ
أَوِ اخْتِـصَارٍ مَـعْ دَلِـيلٍ قَـامَ لَـهُ — أَوْ هُجْـنَةٍ أَوْ أَنْ تُرَاعَـى الفَاصِـلَهْ
كَـذَا إِفَـادَةُ العُمُـومِ بِـالكَلاَمْ — كَقَـوْلِهِ يَدْعُـو إِلَـى دَارِ السَّلاَمْ

هذا باب أحوال متعلقات الفعل وما يعمل عمله من اسم الفاعل ونحوه والتنبيه عليه من زيادتي، لا شكّ أنّ الفعل مع المفعول كالفعل مع الفاعل من أنّ الغرض من كل منهما إفادة التلبس به لا إفادة وجوده فقط، فعمل الرفع في الفاعل ليفيد وقوعه منه والنصب في المفعول ليفيد وقوعه عليه، فالمتكلم تارة يريد الإخبار عن الفعل أي الحدث من غير تلبس بفاعل ولا مفعول فيقول (وقع ضرب) ونحوه، فليس في هذا التركيب شيء من متعلقات الضرب، وتارة يريد فاعله فيأتي بالفعل الصناعي ثم إن كان متعدياً فتارة يقصد الإخبار بالحدث في المفعول دون الفاعل فيبنى للمفعول تارة، وتارة يقصد الإخبار بالفاعل ولا يذكر مفعوله وهو ضربان، أحدهما: أن يقصد إثبات المعنى للفاعل أو نفيه عنه على الإطلاق من غير اعتبار عموم ولا خصوص ولا تعلّق بمن وقع عليه، فالمتعدّي حينئذ كاللازم فلا يذكر مفعوله لئلاّ يتوهّم السامع أنّ الغرض الإخبار بتعلّقه بالمفعول ولا يقدّر حينئذ لأنّ المقدّر كالمذكور ثمّ هذا ضربان لأنّه إمّا أن يجعل إطلاق الفعل كناية عن الفعل متعلّقاً بمفعول مخصوص دلّت عليه القرينة أوّلاً، الأوّل كقول البحتري يمدح المعتزّ بالله[٢٦٦]:

شَـجوُ حُـسّادِهِ وَغَـيظُ عِـداهُ — أَن يَـرى مُبـصِرٌ وَيَـسمَعَ واعِ

أي ليس في الوجود ما يرى وما يسمع إلاّ آثاره المحمودة فإذا أبصر مبصر لا يرى إلاّ محاسنه وإذا سمع سامع كذلك، ، فغيظ عداه أن يقع إبصار أو سمع فإنّه كيف وقع لا يقع إلاّ على محاسنه بخلاف ما لو قال: (أن يرى مبصر محاسنه) فإنّه ليس فيه حينئذٍ ما يقتضي أنّه ليس في الوجود ما يبصر غير محاسنه. والثاني كقوله تعالى ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر: من الآية ٩) أي من له صفة العلم ومن ليست

(٢٦٦) ديوان البحتري: ١٢٤٤/٢.

له، ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴾ (النجم: ٤٣)، ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴾ (النجم: ٤٤)، ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ﴾ (النجم: ٤٨) أي هو الذي منه الإضحاك والإبكاء والإماتة والإحياء والإغناء والإقناء.

الضرب الثاني أن لا يقطع النظر على المفعول بل يُقصد ولا يُذكر لفظاً ويقدر بحسب القرائن والغرض في ذلك الحذف أمور منها: قصد البيان بعد الإبهام كما في فعل المشيئة نحو ﴿ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ ﴾ (الأنعام: من الآية ١٤٩) أي هدايتكم، فإنّه إذا سمع السامع ﴿ فَلَوۡ شَآءَ ﴾ تعلّقت نفسه بشيء انْبَهَمَ عليه لا يدري ما هو فلما ذكر الجواب استبان المُبْهَم إلاّ أن يكون تعلقه به غريباً فلا بد من ذكره كقوله(٢٦٧):

فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَماً لَبَكِيتُهُ عَلَيْكَ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ

ومنها دفع ابتدار الذهن إلى غير المراد كقوله(٢٦٨):

وَكَم ذُدتَ عَنّي مِن تَحامُلِ حادِثٍ وَسَورَةِ أَيّامٍ حَزَزنَ إِلى العَظمِ

فإنّه لم يفهم أنّ المحزوز اللحم حتى علم أنّ الحزّ وصل إلى العظم، فلو قال: (حززن اللحم) توهم أوّلاً أنّ المقصود الإخبار بحزّ اللحم من غير نظر إلى انتهائه إلى العظم، ومنها إرادة ذكره ثانياً على وجه يتضمّن إيقاع الفعل على صريح لفظه إظهاراً لكمال العناية بوقوعه عليه كقوله(٢٦٩):

قَد طَلَبنا فَلَم نَجِد لَكَ في السُؤ دُدِ وَالمَجدِ وَالمَكارِمِ مِثْلا

أراد إيقاع نفي الوجدان على المثل صريحاً بخلاف ما لو قال: قد طلبنا لك مثلاً فلم نجد، ومنها التأدّب مع المخاطب في مثل هذا البيت بأن لا يصرح له بأنّه طلب له مثلاً، وما أحسن قولي في شيخنا الإمام تقي الدين الشيخ الشُّمُنّي (رحمه الله تعالى)(٢٧٠) من جملة قصيدة أمدحه بها آخذاً معنى هذا البيت على طريق أبلغ منه:

---

(٢٦٧) ديوان الخريمي: ٤٣.

(٢٦٨) ديوان البحتري: ٣/٢٠١٤.

(٢٦٩) المصدر نفسه: ٣/١٦٥٣.

(٢٧٠) الشُّمُنّي هو أحمد بن الحسن بن علي الشُّمُنّي القسنطيني الأصل محدّث مفسّر نحويّ، له: شرح المغني لابن هشام، ومزيل الخفا عن ألفاظ الشفا، توفي بالقاهرة سنة ٨٧٢هـ، الأعلام: ١/ ٢١٩.

مَــا طَلَبْنَا لِعِلْمِنَا أَنَّـهُ مَـا لَـكَ فِـي المَجْـدِ وَالمَكَـارِمِ مِـثْلاَ

ومنها الاختصار عند قيام قرينة دالة على قصده نحو (أصغيت إليه) أي أذني، و(بنى على امرأته) أي قبة ومنه ﴿ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ (الأعراف: من الآية ١٤٣) أي ذاتك، ومنها تجنّب الهجنة في ذكره كقول عائشة رضي الله عنها: (ما رأيت منه ولا رأى مني) أي العورة، ومنها مراعاة الفاصلة نحو ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ (الضحى: ٣) أي: وما قلاك، ومنها إفادة العموم كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾(يونس: من الآية ٢٥) أي كلّ أحد، وقولي (ونحو ذا) في أول الأبيات الآتية كخوف ذكره وتأتي الإنكار عند الحاجة وغير ذلك.

***

تقديم المفعول

وَنَحْـوُ ذَا وَكَـوْنُهُ مُقَـدَّمَا لِـرَدِّ تَعْيِـينِ الخطَـا مِـنْ ثَـمَّ مَـا
يُقَـالُ مَـا أَبُـو الـبَقَاءِ لُمْـتُهُ وَلا سِـوَاهُ لاَ وَلكِـنْ عِبْـتُهُ
أَمَّـا فِـي الاشْـتِغَالِ فَالتَّأْكِـيدُ إنْ قَـدَّرَ مَـا فَـسَّرَ قَـبْلَهُ يَعَـنْ
وَبَعْـدَ تَخْـصِيصٍ وَهَـذَا يَغْلِـبُ فِـيهِ كَـيَا رَبّـي إلَـيْكَ أَرْغَـبُ
وَقَـدْ يُفِـيدُ فِـي الجَمِـيعِ الاهْـتِمَامْ بِـهِ وَمِـنْ ثَـمَّ الـصَّوَابُ فِـي المَقَـامْ
تَقْدِيـرُ مَـا عُلّـقَ بِـسْمِ الله بِـهْ مُؤَخّـراً فَـإِنْ يَـرِدْ بِـسَبَبِهْ
تَقْدِيمُـهُ فـي سُـورَة اقْـرَأْ فَهُـنَا كَـانَ القَـرَاءَةَ الأهَـمَّ المُعْتَنَـى
قُلْـتُ وشَـرْطُ الاخْتِـصَاصِ مَـنْعٌ أَنْ يَـسْتَوْجِبَ الـتَّقْدِيمُ أَوْ بِالوَضْـعِ عَـنْ
أَوْ كَـانَ مُـصْلَحاً لأنْ يُـرَكَّبَا وَبَعْـضُهُمْ لِلاخْتِـصَاصِ قَـدْ أَبَـى
وَيَـرْفَعُ الخِـلافَ قَـوْلُ الـسّبْكِي لَـيْسَ رَدِيـفُ الحَـصْرِ غَيْـرَ شَـكِّ

تقديم المفعول على الفعل يكون لردّ الخطأ في التعيين بأن يكون المخاطب يظنّ وقوعه على مفعول معيّن وهو واقع على غيره كقولك (زيداً عرفت) لمن اعتقد أنّك عرفت إنساناً غيره ويؤكّد هذا قولك (لا غيره) ولذلك لا يقال (ما زيداً ضربت ولا غيره) لأنّ التقديم يدلّ على وقوع الضرب على غير (زيد) تحقيقاً لمعنى الاختصاص وقولك و(لا غيره) ينفي ذلك فيتناقضان، وكذا لا يقال (ما زيداً ضربت ولكن أكرمت) لأنّ مبنى الكلام ليس على أنّ الخطأ واقع في الفعل بأنّه الضرب حتى تردّه إلى

الصواب بأنّه الإكرام وإنّما الخطأ في تعيين المضروب، فالصواب (ولكن عمراً). أمّا في باب الاشتغال نحو (زيداً عرفته) فإن قُدّر الفعل المفسر قبل المنصوب فليس ممّا نحن فيه لأنّ المفعول حينئذ غير مقدّم فلا يكون فيه إلاّ تأكيد بإعادة الجملة، أو بعده قبل المفسّر فهو ممّا نحن فيه فيكون للتخصيص ما لم يصرف عنه صارف، والتخصيص لازم للتقديم غالباً في سائر المفعولات نحو ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ (الفاتحة: ٥) أي نخصّك بالعبادة والاستعانة، ونحو ﴿ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (آل عمران: من الآية ١٥٨) أي لا إلى غيره، وقد يفيد وراء التخصيص شيئاً آخر وهو الاهتمام بالمعمول المقدّم ولذلك كان الأولى عند الجمهور تقدير العامل في (بسم الله) متأخّراً فيقدر مثلاً (اقرأ)، فإن قيل: قد ذكر مقدماً في قوله تعالى ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ (العلق: من الآية ١) أجيب بأنّ الأهمّ ثَمَّ ذِكْر القراءة لأنّها أوّل سورة نزلت، ثمّ نبّهت من زيادتي على أنّ شرط إفادة التقديم الاختصاص أن لا يستوجب المعمول التقديم رتبة كأسماء الاستفهام وأن لا يكون سمع مقدّماً وهو معنى قولي (أو بالوضع عن)، وأن لا يكون سبباً لإصلاح التركيب مثل ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ ﴾[٢٧١] (فصلت: من الآية ١٧)، على أنّ بعضهم كابن الحاجب[٢٧٢] أبى أن يكون التقديم يفيد الاختصاص ووهم من ظنّ ذلك واستدلّ بقوله تعالى ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ (الزمر: من الآية ٢) وبقوله تعالى ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ ﴾ (الزمر: من الآية ٦٦)، وتابعه أبو حيان[٢٧٣] وكذا صاحب الفلك الدائر[٢٧٤] واستدلّ بقوله تعالى ﴿ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ﴾ (الأنعام: من الآية ٨٤) والذي أوقعهم في ذلك ظنّ أنّ الاختصاص هو الحصر وفي ذلك بحث،

---

(٢٧١) قرأ (ثمودَ) بالنصب وهو موطن الاستشهاد عاصم والمفضل الطوعي والحسن وابن أبي إسحاق، وقرأ (ثموداً) عاصم والمفضّل والأعمش والحسن وابن أبي إسحاق، وقرأ حفص (ثمودُ)، وقرأ (ثمودٌ) الحسن والشنبوذي والأعمش وابن وناب وبكر بن حبيب، معجم القراءات القرآنية، ٦/٦٨.

(٢٧٢) لم نجد هذا القول فيما بحثنا في كتب ابن الحاجب.

(٢٧٣) لم نجد هذا القول فيما بحثنا في كتب أبي حيان.

(٢٧٤) الفلك الدائر على المثل السائر: ٢٨٨.

والذي رجّحه الشيخ تقي الدين السبكي[٢٧٥]في تأليف له في المسألة تغايرهما فقال: الحصر نفي غير المذكور وإثبات المذكور والاختصاص قصر الخاصّ من جهة خصوصه فيقدّم للاهتمام به من غير تعرّض لنفي غيره، قال[٢٧٦]: وإنّما جاء النفي[٢٧٧] في ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ (الفاتحة: من الآية ٥) للعلم بأنّ قائليه لا يعبدون غير الله ولذا لم يطرد ذلك في بقية الآيات، فإنّ قوله ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ (آل عمران: من الآية ٨٣) لو جعل في معنى ما يبغون إلاّ غير دين الله وهمزة الإنكار داخلة عليه لزم أن يكون المنكر الحصر لا مجرّد بغيهم غير دين الله وليس المراد، وكذلك ﴿ ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ (الصافات: من الآية ٨٦) المنكر إرادتهم آلهة دون الله من غير حصر انتهى.

***

وَبَعْضُ مَعْمُولاتِهِ يُقَدَّمُ عَلَى السِّوَى إِذْ أَصْلُهُ التَّقَدُّمُ
وَالاقْتِضَا لِمُعْدِلٍ كَأَوَّلِ أَعْطَى وَكَالفَاعِلِ أَوْ لِخَلَلِ
يَحْصَلُ بِالتَّأْخِيرِ فِي مَعْنَاهُ أَوْ تَنَاسُبٍ وَالاخْتِصَاصَ قَدْ حَكَوا

يجوز تقديم بعض معمولات الفعل على بعض لأنّ أصل ذلك المعمول التقديم على غيره ولا مقتضى للعدول عنه كالفاعل فإنّ أصله التقديم على المفعول لأنّه عمدة والمفعول الأوّل في باب أعطى لأنّه فاعل في المعنى إذ هو آخذ أو لأنّ تأخيره يورث خللاً في المعنى نحو ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ ﴾ (غافر: من الآية ٢٨) إذ لو أخّر قوله (من آل فرعون) لتوهّم أنّه متعلّق بـ(يكتم) فلم يفهم أنّه منهم، أو لتناسب كرعاية الفاصلة نحو ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾ (طه: ٦٧) بتقديم المجرور والمفعول على الفاعل أو للاختصاص وهو من زيادتي نحو ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الغاشية: ٢٥) ذكره الشيخ بهاء الدين[٢٧٨].

(٢٧٥) عروس الأفراح: ٣٨٥/١.

(٢٧٦) المصدر نفسه: ٣٨٥/١.

(٢٧٧) قول السيوطي (جاء النفي) فيها إلباس، فلو قال (النفي المُضَمَّن في التقديم) لكان أحسن، وعبارة السبكي خالية من الإلباس، ينظر: عروس الأفراح: ٣٨٥/١.

(٢٧٨) عروس الأفراح: ٣٨٩/١.

وَقَـدْ يَجِـي عَـنْ مَـصْدَرٍ سِـوَاهُ لِنُكْـتَةٍ تُـدْرَكُ مِـنْ فَحْـوَاهُ
وَنُكْـتَةُ التَّمْيِيـزِ حِـينَ حَـوَّلاَ فَخَامَـةٌ تُـدْرَكُ حِـينَ يُجْتَلَـى

هذان البيتان من زيادتي وذلك أنّ متعلّقات الفعل تشمل المفعول والمصدر والظرف والحال والتمييز، وتقدّم الكلام على المفعول ولم يذكر في التلخيص[٢٧٩] غيره وأشار إلى الباقي في التقديم فقط، والحال ذكره في تذنيب عقب الوصل والفصل[٢٨٠]، وذكره ابن الزملكاني[٢٨١] هنا وذكر معه التمييز، وذكر الطيبي[٢٨٢] المصدر، فأمّا المصدر فنتكلم فيه هنا من جهة النيابة عنه إمّا بمصدر آخر أو نحوه، ولذلك نكت تدرك في محالها فمن ذلك قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ﴾ (نوح: ١٧) والأصل: إنباتاً، وفائدته التنبيه على تحتم القدرة وسرعة نفاد حكمها كأنّ إنبات الله تعالى نفس النبات، وقوله[٢٨٣]:

وإنْ هـي أَعْطَـتْكَ اللّـيانَ فإنّهـا لغيـرِكَ مِـنْ خُلاّنِها سَـتَلِينُ

أي غرتك باللين ومنحتك المحبة منحاً بالغاً، وأمّا التمييز ففائدته البيان، قال ابن الزملكاني[٢٨٤]: وله من الفخامة في الجمل ما لا يدفع ومن محاسنه قوله تعالى ﴿ وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا ﴾ (مريم: من الآية ٤) أسند الفعل فيه إلى الرأس وهو لشيبه، فحصل فيه من الفوائد ما لا يحصل في قولك (واشتعل شيب الرأس) أو (الشيب في الرأس) من إفادة لَمَعَان الشيب في الرأس المشمول به وأنّه قد شاع فيه واستولى عليه وأخذه من نواحيه وجوانبه حتى لم يبق من السواد شيء وإن بقي شيء لا يعتدّ به، ووزانه (اشتعل البيت ناراً) فإنّه يفيد استيلاء النار عليه وشمولها له بخلاف قولك (اشتعلت النار في البيت)، فإنّه لا يفيد أكثر من وقوعها فيه ومثله ﴿ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا ﴾ (القمر: من الآية ١٢) أفاد أنّ الأرض صارت عيوناً كلّها وأنّ الماء يفور من كلّ مكان.

---

(٢٧٩) التلخيص: ٣٣.

(٢٨٠) التلخيص: ٥١.

(٢٨١) التبيان في علم البيان: ١٢٠.

(٢٨٢) التبيان في البيان: ٧٢.

(٢٨٣) ديوان علي بن أبي طالب: ١٤٢.

(٢٨٤) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن: ٢٥٩.

الباب الخامس: القصر

إمَّـــا حَقِيقِـــيٌّ وَإمَّـــا غَيْـــرُ ذَا فَالقَـصْرُ لِلْمَوْصُـوفِ وَالوَصْـفِ اللَّـذَا
أعَـــمُّ مَعْنـــىً أوَّلُ الحَقِيقَـــي كَأنَّمَـــا مُحَمَّـــدٌ صَـــدِيقِي
أيْ مَـــا لَـــهُ وَصْـــفٌ سِـــوَاهُ يُـــورَدُ وَهْـــوَ عَزِيـــزٌ لاَ يَكَـــادُ يُـــوجَدُ
وَالـــثَّانِ مِـــنْهُ غَالِـــبٌ كَلَـــيْسَ فِـــي ذَا الـــدَّارِ إلاّ ذَا وَرُبَّمَـــا يَفِـــي
مُـــبَالِغاً إذْ غَيْـــرُهُ مَـــا اعْـــتُدَّ بِـــهْ وَأوَّلُ المَجَـــازِ خُـــذْ لاَ يَـــشْتَبِهْ
تَخْـصِيصُ أمْـرِ صِـفَةٍ دُونَ صِـفَهْ أوْ وُضِـعَتْ عَـنْهَا وَثَانِـي ذِي الـصِفَهْ
تَخْصِيـصُهُ الوصْـفَ بِأمْـرٍ دُونَ مَـا سِـــوَاهُ أوْ مَكَـــانِ ذَاكَ فُهِمَـــا
ضَـــرْبَانِ فَالخِطَـــابُ بِـــالأوَّلِ مِـــنْ ضَـــرْبَيْهِما لِمَـــنْ لِـــشِرْكَةٍ يُظَـــنّ
فَقَـــصْرُ إفْـــرَادٍ لِقَطْـــعِ الـــشِّرْكَةِ وَالـــثَانِ مَـــنْ يَعْـــتَقِدُ العَكْـــسَ التِـــي
فَقَـــصْرُ قَلْـــبٍ أوْ تَـــسَاوِيَا لَـــدَى مُخَاطَـــبٍ فَقَـــصْرُ تَعْيِـــينٍ بَـــدَا

هذا هو الباب الخامس، والقصر تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص وهو حقيقي ومجازي وكلّ منهما قصر الموصوف على الصفة بأن لا يتجاوزها إلى صفة أخرى ويجوز أن تكون تلك الصفة لموصوف آخر وقصر الصفة على الموصوف بأن لا تتجاوزه إلى موصوف آخر، ويجوز أن يكون لذلك الموصوف صفات أخر والمراد بالصفة المعنوية وهي أعم من النعت النحوي، فالأول من الحقيقي أي قصر الموصوف على الصفة نحو (ما زيد إلا كاتب) أي لا صفة له غيرها وهو عزيز لا يكاد يوجد لتعذر الإحاطة بصفات الشيء حتى يمكن إثبات الشيء منها ونفي ما عداها بالكلية، والثاني من الحقيقي وهو قصر الصفة على الموصوف كثير نحو (ما في الدار إلا زيد) وربّما يقصد به المبالغة لعدم الاعتداد بغير المذكور حتى كأنّه كالعدم، والأوّل من المجازي وهو قصر الموصوف على الصفة تخصيص الأمر بصفة دون صفة أخرى أو مكانها وعكسه تخصيص صفة بأمر دون آخر أو مكانه، فعلم أنّ كلاً من قصر الموصوف على الصفة وعكسه ضربان: الأوّل التخصيص بشيء دون شيء، والثاني التخصيص بشيء مكان شيء، والمخاطب بالأوّل هو التخصيص بشيء دون شيء من ضربَيْ قصر الموصوف وقصر الصفة من يعتقد الشركة أي شركة صفتين في موصوف واحد في قصر الموصوف وشركة موصوفين في صفة واحدة في قصر الصفة، فالمخاطب بقولنا

(ما زيد إلا كاتب) من يعتقد اتصافه بالشعر والكتابة وبقولنا (ما كاتب إلا زيد) من يعتقد اشتراك زيد وعمرو في الكتابة ويسمى هذا قصر إفراد لقطع الشركة التي اعتقدها المخاطب، والمخاطب بالثاني وهو التخصيص بالشيء مكان شيء من ضربَي كلّ منها من يعتقد عكس الحكم الذي أثبته المتكلم، فالمخاطب بقولنا (ما زيد إلا قائم) من يعتقد اتصافه بالقعود دون القيام وبقولنا (ما شاعر إلا زيد) من اعتقد أنّ الشاعر عمرو لا زيد، ويسمى هذا قصر قلب، لقلبه ما عند المتكلم، وإن تساوى الأمران عند المخاطب بمعنى أنّه غير حاكم على أحدهما بعينه ولا بإحدى الصفتين بعينها فإنّه يسمى قصر تعيين لتعينه ما هو غير معين عند المخاطب والمخاطب بقولنا (ما زيد إلا قائم) من يعتقد أنّه إمّا قاعد وإمّا قائم من غير علم بالتعيين وبقولنا (ما شاعر إلا زيد) من يعتقد أنّ الشاعر زيد أو عمرو من غير أن يعلمه على التعيين.

***

وَالشَّرْطُ فِي المَوْصُوفِ إِذْ مَا يُفْرَدُ — أَنْ لا تَنَافِي فِي الصِّفَاتِ يُوجَدُ
وَالقَلْبُ أَنْ يُوجَدَ وَالتَّعْيِينُ عَمّ — وَطُرُقُ القَصْرِ كَثِيرَةٌ تَضُمّ
كَالعَطْفِ زَيْدٌ قَائِمٌ لا قَاعِدُ — وَلَيْسَ عَمْرٌو شَاعِراً بَلْ حَامِدُ
وَالنَّفْيِ مَعْ إلاّ كَمَا مُحَمَّدُ — إلاّ رَسُولٌ مَا الحِمَى إلاّ السَّيِدُ
وَإِنَّمَا وَمَا أَصَابَ الجَاحِدُ — كَأَنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدُ
كَذَا إِذَا قَدَّمْتَهُ نَحْوُ بِنَا — مَرَّ وَفِي وَصْفِ تَمِيمِيٌّ أَنَا
قُلْتُ وَقِيلَ إِنّ بِالفَتْحِ وَمَا — كَأَنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا
وَذِكْرِ مُسْنَدٍ إِلَيْهِ وَكَذَا — تَعْرِيفُهُ وَمُسْنَدٌ وَغَيْرُ ذَا

شروط قصر الموصوف على الصفة إفراداً عدم تنافي الوصفين ليصح اعتقاد المخاطب اجتماعهما في الموصوف حتى تكون الصفة المنفية في قولنا (ما زيد إلا شاعر) كونه كاتباً أو منجّماً لا كونه مفحماً أي عاجزاً عن الشعر لأنّ ذلك ينفيه قولنا (هو شاعر) بلا قصر، والسامع لا يمكن أن يتخيل اجتماعهما في ذهنه بخلاف ما لا ينافي الشعر، وشرط قصره قلباً أن يوجد تنافي الوصفين حتى يكون المنفي في قولنا (ما زيد إلا قائم) كونه قاعداً أو مضطجعاً ونحو ذلك لا كونه أبيض أو أسود وقصر التعيين أعمّ من أن يكون الوصفان فيه متنافيين أو لا فكل ما يصلح مثالاً لقصر الإفراد أو القلب يصلح لقصر التعيين من غير عكس فقولي في النظم (والتعيين عَمّ) إمّا أن

يكون أفعل تفضيل حذف منه الهمزة أي أعمّ كقوله(٢٨٥):

[وَزادَني كَلَفاً في الحُبِّ أَن مُنِعَت]   وَحَبُّ شَيءٍ إِلى الإِنسانِ ما مُنِعا

أو فعلا ماضياً أي عمّ الأمرين على حد قول ابن مالك (والقول عم)(٢٨٦)، ثم القصر له طرق: منها العطف بـ(لا) و(بل) ومثال قصر الموصوف إفراداً (زيد كاتب لا شاعر) و(ما زيد كاتباً بل شاعر)، وقلباً (زيد قائم لا قاعد) و(ما زيد قائماً بل قاعد)، وقصرها إفراداً (زيد شاعر لا عمرو)، وقلباً (ما عمرو شاعر بل حامد) فجئت في النظم بمثالين: أحدهما لقصر الموصوف بـ(لا) والثاني لقصر الصفة بـ(بل)، ومنها النفي والاستثناء بـ(إلاّ) نحو (ما زيد إلا شاعر) و(ما زيد إلا قائم)، ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾(آل عمران: من الآية ١٤٤) في الموصوف، و(ما شاعر إلاّ زيد) في الصفة، ومنها (إنّما) وأنكر قوم كونها للحصر واستدل المثبتون بقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ ﴾ (البقرة: من الآية ١٧٣) بالنصب إذ معناه ما حرم عليكم إلا الميتة وهو مطابق لقراءة الرفع(٢٨٧) فإنّها للقصر فكذا قراءة النصب والأصل استواء القراءتين كقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ (النساء: من الآية ١٧١)، ومنها تقديم ما حقّه التأخير كتقديم الخبر على المبتدأ أو المعمولات على الفعل مثاله في الموصوف (أنا كفيت مهمك) وفي الوصف (تميميّ أنا) أي لا قيسي.

ثم نبهت من زيادتي على طرق مختلف فيها منها (أنّما) بالفتح قال الزمخشري(٢٨٨) والبيضاوي(٢٨٩) في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ (الأنبياء: من الآية ١٠٨): (إنّما) لقصر الحكم على شيء أو لقصر الشيء على حكم كقولك (أنّما زيد

---

(٢٨٥) البيت للأحوص الأنصاري، شعره: ١٣٣.

(٢٨٦) هذا جزء من بيت من ألفية ابن مالك، يقول فيه:

وَاحِدُهُ كَلِمَةٌ والقَولُ عَم   وَكِلمَةٌ بهَا كَلامٌ قَد يُؤَمّ

ألفية ابن مالك: ١٦.

(٢٨٧) قرأ (الميتةُ) ابنُ أبي عبلة وأبو جعفر وأبو عبد الرحمن السلمي، معجم القراءات القرآنية: ١/ ١٣٦.

(٢٨٨) الكشاف: ٦٨٨.

(٢٨٩) تفسير البيضاوي: ٥٢٧/٣.

قائم) و(أنّما يقوم زيد) وقد اجتمع المثالان في هذه الآية لأنّ (إنّما يوحى إليّ) مع فاعله بمنزلة (إنّما يقوم زيد) و(أنّما إلهكم) بمنزلة (أنّما زيد قائم)، وفائدة اجتماعهما الدلالة على أنّ الوحي إلى الرسول ﷺ مقصور على استئثار الله تعالى بالوحدانية، وصرح التنوخي في الأقصى القريب بكونها للحصر فقال: كلّ ما أوجب أنّ (إنّما) بالكسر للحصر أوجب أنّ (أنّما) بالفتح بالحصر[٢٩٠]، وردّ أبو حيان[٢٩١] على الزمخشري ما زعمه بأنّه يلزمه انحصار الوحي للوحدانية. وأجيب بأنّه حصر مجازيّ باعتبار المقام. ومنها ذكر المسند إليه كما تقدم نقله على السكاكي[٢٩٢] ومنها تعريف الجزأين المسند إليه والمسند نحو (زيد المنطلق). قال الإمام في نهاية الإيجاز[٢٩٣]: إذا قلت (زيد المنطلق) فاللام تفيد انحصار المخبر به في المخبر عنه. ومنها غير ذلك فقد قيل إنّ من أدوات الحصر (جاء زيد نفسه) و(إنّ زيداً لقائم) و(لم يقم أحد غير زيد)، وقلب بعض حروف الكلمة نقله في الكشاف[٢٩٤] في قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا ﴾ (الزمر: ١٧) فإنّه فعلوت كملكوت ورحموت من الطغيان قلب بتقديم اللام فوزنه فلعوت للاختصاص إذ لا يطلق على غير الشيطان.

***

وَاخْـتُلِفَتْ مِـنْ أَوْجُـهٍ فَالوَضْـعُ قُـلْ ... لِلْكُـلِّ لاَ الـتَّقْدِيمِ فَالفَحْـوَى يَـدُلّ

وَالأَصْـلُ ذِكْـرُ مُثْـبَتٍ وَالمَنْفِـي ... فِـي أَوَّلٍ نَعْنِـي بِـهِ فِـي العَطْـفِ

وَرُبَّمَـا لِكُـرْهِ الإِطْـنَابِ سَـقَطْ ... وَفِـي البَوَاقِـي ذِكْـرُ مُثْـبَتٍ فَقَـطْ

وَالنَّفْـيُ لاَ يُجَامِـعُ الثَّانِـي فَـلا ... لا تَـنْفِ إِنْ نَفْـيٌ بِغَيْـرِهَا خَـلا

وَلِلأَخِيـرَيْنِ وَقَـدْ تَجَامَـعْ ... كَأَنَّمَـا أَنَـا الـنَّدَى لا اللاّمِـعْ

وَقِـيلَ شَـرْطُ جَمْعِـهِ مَـعْ إِنَّمَـا ... أَنْ لا يَخُـصَّ الوَصْـفَ بالـذي انْتَمَـى

---

(٢٩٠) لم نعثر على هذا النص في الكتاب، وقد يكون السبب سقط ورقتين من الكتاب من أصل المخطوط كما نبه إلى ذلك الناشر.

(٢٩١) لم نعثر على ردّ ابن حيان في ما بحثنا من كتب.

(٢٩٢) مفتاح العلوم: ١٤١.

(٢٩٣) نهاية الإيجاز: ٧٧.

(٢٩٤) الكشاف: ٩٣٧.

وَقِيلَ شَرْطُ الحُسْنِ وَهْوَ أقْرَبُ وَأصْلُ ثَانٍ جَهْلُ مَنْ يُخَاطِبُ
وَجَحْدُهُ لِمَا لَهُ يَسْتَعْمِلْ وَيَجْعَلُ المَعْلُومَ كالذي جُهِلْ
فَخُذْ لَهُ الثَّانِي لأمْرٍ نَاسَبَا وَاسْتَعْمِلَنْهُ مُفْرَداً أوْ قَالِبَا
كَمِثْلِ مَا مُحَمَّدٌ إلاّ رَسُولْ إذْ أعْظَمُوا مَمَاتَهُ مِثْلَ الجهُولْ
أيْ هُوَ مَقْصُورٌ عَلَيْهَا مَا عَدَا إلى التَّبَرِّي مِنْ هَلاكٍ وَرَدَى
وَقَوْلُهُ إنْ انْتُمْ إلاّ بَشَرْ لِزَاعِمِ الرُّسْلِ سِوَاهُ وَأصَرّ
مُخَاطَبٌ عَلَى ادِّعَا الرِّسَالَهْ وَقَوْلُهُمْ إنْ نَحْنُ مِثْلُ العَالَهْ
مِنَ المُجَارَاةِ لِخَصْمٍ كَيْ عَثَرْ إرَادَةَ التَّبْكِيتِ لاَ لِلنَّفْي قَرّ
وَإنَّمَا بِعَكْسِهِ كَأنَّمَا هَذَا أخُوكَ أيْ فَرِقَّ وارْحَمَا
وَرُبَّمَا يُنَزَّلُ المَجْهُولُ فِي دَعْوَى الظُّهُورِ كَسِوَاهُ فَيَفِي
ثُمَّ عَلَى العَطْفِ لَهَا مَزِيَّهْ إذْ يُعْلَمُ الحُكْمَانِ بالمَعِيَّهْ
وَمِثْلُهَا التَّقْدِيمُ فِي التَّفْرِيضِ وَخَيْرُ مَا تُورِدُ فِي التَّعْرِيضِ

طرق القصر تختلف من وجوه: أحدهما أنّ التقديم يفيد بالفحوى يعني مفهوم الكلام بمعنى أنّه إذا تأمّل الذوق السليم فيه فهم القصر وإن لم يعرف اصطلاح البلغاء في ذلك، والبواقي تفيده بالوضع لأنّ الواضع وضعها لمعان تفيد الحصر. الثاني لأنّ الأصل في الأوّل من طرق القصر يعني العطف كما بينته في النظم من زيادتي ذكر المثبت والمنفي كما تقدم فلا يترك إلا لكراهة الإطناب كما إذا قيل (زيد يعلم النحو والتصريف والعروض) أو (زيد يعلم النحو وعمرو وبكر) فتقول (زيد يعلم النحو لا غير) أي لا غير النحو أو لا غير زيد ونحو ذلك، وأما الثلاثة البواقي فالأصل فيها النصّ على المثبت فقط دون المنفي. الثالث أنّ النفي بـ(لا) لا يجامع الثاني أعني النفي والاستثناء، فلا يصح (ما زيد إلا قائم لا قاعد) لأنّ الشرط المنفي بـ(لا) العاطفة أن لا يكون منفياً قبلها بغيرها من أدوات النفي لأنّها وضعت لنفي ما أوجب للمتبوع لا لإعادة النفي في شيء نفيته وهو مفقود في النفي والاستثناء لأنّ قولك (ما زيد إلا قائم) فيه نفي كل صفة وقع فيها التنازع فيه حتى كأنّك قلت ليس هو بقاعد ولا نائم ونحو ذلك. فإذا قلت (لا قاعد) فقد نفيت بـ(لا) شيئاً وهو منفى قبلها بـ(ما). أما الأخيران وهما (إنّما) والتقديم فقد يجمعهما النفي بـ(لا)، فيقال (إنّما أنا تميمي لا قيسي) و(هو

يأتيني لا عمرو) لأنّ النفي في الأخيرين غير مصرح به بخلافه في الثاني. وقيل شرط مجامعته لـ(إنّما) أن لا يكون الوصف مختصاً بالموصوف فتحصل الفائدة نحو ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ (الأنعام: من الآية ٣٦) فإنّه يمتنع أن يقال لا للذين لا يسمعون فإنّ كلّ أحد يعلم أن الذي لا يسمع لا يستجيب، كذا قال السكاكي[٢٩٥]، والشيخ عبد القاهر[٢٩٦] جعل ذلك شرطاً في حسن العطف لا في جوازه. قال القزويني[٢٩٧]: وهو أقرب إلى الصواب إذ لا دليل على الامتناع عند قصد التحقيق والتأكيد. الرابع: أنّ أصل الثاني هو النفي والاستثناء أن يكون المخاطب يجهل ما استعمل له وهو إثبات الحكم المذكور إن كان قصر الإفراد أو نفيه إن كان قصر قلب وينكره بخلاف الثالث وهو (إنّما) فإنّ أصله أن يكون الحكم بما يعلمه المخاطب ولا ينكره مثاله ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران: من الآية ٦٢)، وقد يخرج عن ذلك فينزل المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب فيستعمل له القصر بـ(ما) و(إلاّ) إفراداً وقلباً مثال الإفراد ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ (آل عمران: من الآية ١٤٤) أي هو مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى التبرّي عن الهلاك فإنّه خطاب للصحابة وهم عالمون بأنّه غير جامع للرسالة والتبرّي عن الهلاك لكنّهم لمّا استعظموا مماته نزل منزلة إنكارهم إيّاه فاستعمل له النفي وإلا، ومثال القلب ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ (إبراهيم: من الآية ١٠) فالمخاطبون وهم الرسل لم يكونوا جاهلين بأنّهم بشر لا منكرين لكنهم نزلوا منزلة المنكرين لاعتقاد القائلين وهم كفار أنّ الرسول لا يكون بشراً مع إصرار المخاطبين على ادعاء الرسالة فنزلهم القائلون منزلة المنكرين للبشرية لما اعتقدوه من التنافي بين الرسالة والبشرية فقلبوا الحكم وقالوا ﴿ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ (يس: من الآية ١٥) أي مقصورون على البشرية ليس لكم وصف الرسالة التي تدعونها، فإن قيل قد اعترف المخاطبون بكونهم مقصورين على البشرية حيث قالوا ﴿ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ (إبراهيم: من الآية ١١) فكأنّهم سلموا انتفاء الرسالة عنهم. فجوابه أنّ قولهم ذلك من

---

(٢٩٥) مفتاح العلوم: ١٤١.

(٢٩٦) دلائل الإعجاز: ٣١١ وينظر: ٣١٨، ٣٢٨.

(٢٩٧) التلخيص: ٣٩.

باب مجاراة الخصم بتسليم بعض مقدماته ليعثر حيث يراد تبكيته وإلزامه لا لتسليم انتفاء الرسالة فكأنّهم قالوا ما ادعيتم من كوننا بشراً حق لا ننكره ولكن هذا لا ينافى أن يمنّ الله تعالى علينا بالرسالة. وأمّا (إنما) فالأصل فيها أن تستعمل فيما لا ينكره المخاطب كما أفصحت به في النظم كقولك (إنّما زيد أخوك) لمن يعلم ذلك ويقرّ به ترقيقاً عليه، وقد ينزل المجهول منزلة المعلوم لادعاء ظهوره فيستعمل له (إنّما) نحو ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ (البقرة: من الآية ١١) ادّعوا أنّ ذلك أمر ظاهر من شأنه أن لا يجهله المخاطب ولا ينكره لذلك جاء رده مؤكداً بـ(إنّ) والجملة الاسمية وتعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل وتصدير الكلام بحرف التنبيه الدال على أنّ مضمون الكلام مما له خطر في قوله ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (البقرة: من الآية ١٢). ثم عقّب بما يدلّ على التقريع والتوبيخ وهو قوله ﴿ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة: من الآية ١٢). ثم نبّهت على أنّ (إنّما) لها مزية على العطف لأنّه يعلم منها حكمان أي الإثبات للمذكور والنفي عن غيره معاً بخلاف العطف فإنّه يعلم فيه أوّلا الإثبات ثم النفي أو عكسه ويشاركه (إنّما) في ذلك التقديم كما بينته من زيادتي، وأحسن مواقعها التعريض نحو ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الرعد: من الآية ١٩) فإنّه تعريض بذم الكفار وأنّهم في حكم البهائم الذين لا يتذكرون وقوله[٢٩٨]:

وَإِنَّمَا يَعْذُرُ العُشَّاقَ مَنْ عَشِقَا

عرض أنّ الواشي لو ابتلى العاشق لعذره.

***

يَجِــيءُ بَــيْنَ مُبْــتَدَا وَخَبَــرِ ... وَالفِعْــلِ مَــعْ تَعَلُّــقٍ لا المَـصْدَرِ

وَأخِّــرَنْ مَــا عَلَــيْهِ قَــدْ قُــصِرْ ... مُــسْتَثْنِياً مَــعَ الأَدَاةِ وَنَــدَرْ

تَقْــدِيمُ هَــذَيْنِ لِــئَلاّ يَلْــزَمَا ... قَــصْرُ الــصِّفَاتِ قَــبْلَ أنْ تُــتَمِّمَا

وَأخِّــرَنْ فِــي إِنَّمَــا لِــئَلاّ ... يَعْــرِضَ لَــبْسٌ غَيْــرُ مِــثْلُ إلاّ

فِــي القَــصْرِ وَالمَــنْعِ مِــنَ الجَمْــعِ لِـلاَ ... وَإِنَّمَــا جَــا القَــصْرُ فِــي الــذي خَـلاَ

(٢٩٨) البيت منسوب للعباس بن الأحنف، وهو غير موجود في ديوانه، وقد استشهد به عبد القاهر في دلائل الإعجاز: ٣٣١.

لأَنَّ نَفْـــيَ فَـــارِغِ الاسْـــتِثْنَا مَـــوَجَّهٌ إلـــى الـــذي يُـــسْتَثْنَى
مِـــنْهُ مُقَّـــدّرٌ وَعَامَّـــاً نَاسَـــباً تَالِـــيهِ جِنْـــساً فَـــإذَا مَـــا أَوْجِـــبَا
شَـــيْءٌ بِـــإلاَّ مِـــنْهُ جَـــاءَ قَطْعَـــا وَوَضْـــعُ ذِي هُـــنَا أَتَـــمُّ صُـــنْعَا

القصر بين المبتدأ والخبر كما تقدم والفعل والفاعل نحو (ما قام إلاّ زيد) والفاعل والمفعول نحو (ما ضرب زيدٌ إلاّ عمراً) أو (ما ضرب عمراً إلاّ زيدٌ) والمفعولين نحو (ما أعطيت زيداً إلاّ درهماً) وسائر المتعلقات كالحال والظروف، قال تعالى ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً ﴾ (النساء: من الآية ٧٩) قدّم المجرور واللام للاستغراق مريداً به قصر قلب ردًّا لزعم اليهود اختصاص بعثه بالعرب فلا يحمل على العهد لئلاّ يختص بهم ولا الجنس لئلاّ يخرج الجن. نعم لا يقع بين الفعل والمصدر المؤكّد بالإجماع، ذكره السبكي(٢٩٩) وزدته في النظم فلا يقال (ما ضربت إلا ضرباً). أما قوله تعالى ﴿ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا ﴾ (الجاثية: من الآية ٣٢) فتقديره ظنًّا ضعيفاً، ثم إنّ المقصور عليه يؤخّر مع كلمة الاستثناء عن المقصور فاعلاً كان أو مفعولاً أم غيرهما كما تقدم وكقول لبيد(٣٠٠):

لَـــوْ خُيِّـــرَ المِنبَـــرُ فـــي شَـــأْنِهِ مَـــا اخْـــتَارَ إلاّ مِـــنْكُمْ فَارِسَـــا

إذا لو أخّر (منكم) صار الاختصاص في (فارس) وليس المراد، وندر تقديم المقصور عليه والأداة على المقصور نحو(٣٠١):

فَلَـــمْ يَـــدْرِ إلاّ اللهُ مَـــا هَـــيَّجَتْ لَـــنَا [عَـــشِيَّةَ لاَقَيْـــنَا جِـــذِاماً وَحِمْيَـــرَا]

وإنّما كان ذاك نادراً لاستلزامه قصر الصفة قبل تمامها كالضرب الصادر من زيد في (ما ضرب زيدٌ إلا عمراً) والواقع على عمرو في (ما ضرب عمراً إلا زيدٌ) وأمّا (إنّما) فلا يجوز في القصر بها تقديم المقصور عليه على غيره أصلا للالتباس كما إذا قلنا في (إنّما ضرب زيدٌ عمراً) (إنّما ضرب عمراً زيدٌ) بخلاف النفي والاستثناء فإنّه لا إلباس فيه، فما يندر هناك لا يجوز هنا أصلاً، ثمّ نبّهت على أنّ (غير) كـ(إلاّ) في إفادة القصر

---

(٢٩٩) عروس الأفراح: ٤١٢/١.

(٣٠٠) البيت ليس للبيد، بل هو للسيد الحميري: ديوانه: ٢٥٦. وفيه:

لَـــوْ خُيِّـــرَ المِنبَـــرُ فـــي فُرْسَـــانه مِـــا اخْـــتَارَ إلاّ مِـــنْكُمْ فَارِسَـــا

(٣٠١) لم نعثر للبيت على نسبة، وقد استشهد به في عروس الأفراح: ٤١٣/١.

الإفرادي والقلبي والتعييني صفة وموصوفاً وامتناع مجامعة (لا) لأنّها حرف استثناء فلا يعطف عليها بـ(لا) فلا يقال (ما زيد غير شاعر ولا كاتب) ولا (ما شاعر غير زيد ولا عمرو)، وقولي (إنما جاء القصر) إلى آخره أي وجه الحصر في النفي والاستثناء بأنّ الاستثناء المفرغ لا بدّ أن يتوجّه لنفي فيه إلى مقدّر وهو مستثنى منه لأنّ الاستثناء إخراج فيحتاج إلى مخرج منه والمراد التقدير المعنوي لا الصناعي ولا بدّ أن يكون عامًّا لأنّ الإخراج لا يكون إلاّ من عامّ ولا بدّ أن يكون مناسباً للمستثنى من جنسه مثل (ما قام إلا زيد) أي أحد و(ما أكلت إلاّ تمراً) أي مأكولاً، ولا بدّ أن يوافقه في صفته أي إعرابه وحينئذ يجب القصر إذا اوجب منه شيء بالضرورة ببقاء ما عداه على صفة الانتفاء، وهذا الكلام وقع في التلخيص[٣٠٢] بين تأخير المقصور عليه في (إلاّ) وتأخيره في (إنّما) ولا محل له كما نبّه عليه السبكي[٣٠٣]ولذا توهّم بعض شارحيه أنّه علة للتأخير لما رآه فاصلاً بين بعض الكلام وبعض، قال السبكي[٣٠٤] لكنّ هذا لا يظهر علة لذلك بل يظهر أنّه علة لحصول القصر ولذا أخرته في النظم ونبهت عليه بقولي (ووضع ذي هنا أتم صنعا).

***

الباب السادس: الإنشاء

وَإِنَّمَا المَقْصُودُ مِنْهُ الطَّلَبِي ... طَالِبُ مَا يُفْقَدُ وَقْتَ الطَّلَبِ

أَنْوَاعُهُ مِنها التَّمَنِّي وَوَضَعْ ... لَيْتَ لَهُ وَلَوْ مُحَالاً فَاسْتَمِعْ

كَمِثْلِ يَا لَيْتَ الشَّبابَ عَائِدْ ... وَقَدْ يَجِي بِهَلْ كَهَلْ مِنْ عَاضِدْ

لِفَقْدِهِ عِلْماً وَهَكَذَا بِلَوْ ... وَيُوسُفُ كَأَنَّ مِنْهُمَا حَذَوْا

هَلاَ وَأَلاَّ بِانْقِلابِ الهَاءِ مَعْ ... لَوْلاَ وَلَوْ مَا بِمَزِيدِ مَا وَقَعْ

إِذَ أُشْرِبَا مَعْنَى التَّمَنِّي لِيَفِي ... فِي المَاضِ تَنْدِيمٌ كَذَا التَّحْضِيضُ فِي

مُسْتَقْبَلٍ هَلا أَتَيْتَ هَلاَّ ... تَجِي وَخُذْ تَمَنِّياً بِعَلاَّ

فَانْصِبْ جَوَابَهَا كَلَيْتَ وَالخَبَرْ ... تَضْمِينُهُ لَفْظَ التَّمَنِّي مُسْتَطَرْ

---

(٣٠٢) التلخيص: ٤٠.

(٣٠٣) عروس الأفراح: ١/٤١٨.

(٣٠٤) المصدر نفسه: ١/ ٤١٧.

هذا هو الباب السادس وهو الإنشاء وقد تقدّم حدّه وهو ينقسم إلى طلب وغيره، كذا قالوه قال الشيخ بهاء الدين[٣٠٥]: والأحسن أن يقال طلبيّ وقد مثّلوا غيره بأفعال التعجب والمدح والذمّ وربّ وكم ونحو ذلك والمقصود هنا الطلبي، وهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب لامتناع طلب الحاصل وأنواعه كثيرة: منها التمني وهو طلب حصول الشيء على سبيل المحبة واللفظ الموضوع له (ليت) ولا يشترط إمكان المتمني بخلاف المرتجى نحو (ليت الشباب عائداً) كذا قالوه.

وهنا فوائد:

الأولى: نوزع في تسمية تمني المحال طلباً بأنّ ما لا يتوقع كيف يطلب، قال الشيخ بهاء الدين[٣٠٦]: فالأصوب ما ذكره الإمام وأتباعه من أنّ التمني والترجي والقسم والنداء ليس فيها طلب بل هو تنبيه ولا بدع في تسميته إنشاءً.

الثانية: قال التقي السبكي[٣٠٧]: عود الشباب ممكن عقلاً ممتنع عادة، وعبارة السكاكي تقول[٣٠٨]: (ليت زيداً جاءني) متطلب غير واقع في الماضي واقعاً فيه مع حكم العقل بامتناعه، و(ليت الشباب يعود) مع جزمك بأنّه لا يعود، و(ليت زيدا يأتيني فيحدثني) في حال لا تتوقعها ولا مطمع لك فيها، قال: فهذه العبارات أحسن والقدر المشترك بين الثلاثة عدم التوقع. قال ابنه: وهو سؤال حسن لكن يمكن أن يقال عود الشباب مستحيل عقلاً إن فُسِّر بالسن الذي لم يتجاوز الثلاثين كونه لم يتجاوز ذلك بعد أن جاوزه الجمع بين النقيضين فهو مستحيل عقلاً وإن فُسِّر بعود تلك القوة والنشاط الحاصل قبل الشيخوخة جاء ما ذكره الوالد انتهى.

الثالثة: فرق بعضهم بين التمني والترجي بأنّ الأوّل في البعيد والثاني للقريب وأنّ الأوّل المعشوق للنفس والثاني في غيره وأنّ الثاني في المتوقع والأوّل في غيره، قال الشيخ العلامة الكافيجي: والفرق بين التمني والعرض هو الفرق بينه وبين الترجي وقد يتمنى بـ(هل) حيث يعلم فقده نحو ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ ﴾ (الأعراف: من

(٣٠٥) عروس الأفراح: ١/٤١٩.

(٣٠٦) عروس الأفراح: ١/٤٢١.

(٣٠٧) المصدر نفسه: ١/ ٤٢١.

(٣٠٨) مفتاح العلوم: ١٤٦.

الآية ٥٣) وقد علم أن لا شافع لهم، وبـ(لو) إذا نصب جوابها نحو ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (الشعراء: ١٠٢)، وقال السكاكي[٣٠٩]: كأنّ (هلا) و(ألا) حرفي التحضيض والتنديم مأخوذتان من (هل)، وكذلك (لوما) و(لولا) زيدت على بعضها (ما) وعلى بعضها (لا)، و(ألا) قلبت فيها الهاء همزة لتضمن (هل) و(لو) معنى التمني وركبت ليتولد منها في الماضي التنديم نحو (هلا أكرمت زيداً) وفي المستقبل التحضيض نحو (هلا تقوم)، وقد يتمنى بـ(لعلّ) في البعيد فتعطى حينئذ حكم (ليت) في نصب الجواب نحو ﴿ لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ ﴾ (غافر: من الآيتين ٣٦ - ٣٧)، ونبّهت من زيادتي على أنّ التمني قد يتضمّن معنى الخبر قال في الكشاف[٣١٠] في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ ﴾ (الأنعام: من الآية ٢٧): يجوز أن يكون (ولا نكذب) معطوفاً على (نرد) أو حالاً، قال: ولا يدفعه قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ (الأنعام: من الآية ٢٨) لأنّه تمنٍ قد يتضمن معنى العدة فتعلق به التكذيب.

***

الاستفهام

وَمِـنْهَا الاسْـتِفْهَامُ بِالهَمْـزِ وَهَـلْ ... مَـا مَـنْ وَأيِّ كَـمْ وَكَـيْفَ أيْـنَ دَلّ
أنَّـى مَتَـى أيَّـانَ فَالهَمْـزَ اذْكُـرِ ... لِطَلَـبِ التَّـصْدِيقِ وَالتَّـصَوُّرِ
نَحْـوُ أزَيْـدٌ قَـائِمٌ أذَاكَ خَـلّ ... أمْ عَـسَلٌ قُلْـتُ وَبِالتَّـصْدِيقِ حـلّ
تَالِـيهِ أمْ مُـنْقَطِعَاً وَالثَّانِـي ... مُتَّـصِلاً وَلَـمْ يُقَـبَّحْ بَانِـي
نَحْـوُ أزَيْـدٌ قَـامَ ألجَهُـولاَ ... عَـرَفْتُ ثُـمَّ أوْلِهَـا المَـسْؤُولاَ
بِهَـا كَفَاعِـلٍ وَمَفْعُـولٍ بِمَـا ... مَـضَى وَفِعْـلٌ فِـي أخِلْـتَ المُنْتَمَـى
قُلْـتُ وَذَا الحُكْـمُ لِغَيْـرِهَا اسْـتَقَرّ ... كَـذَاكَ فِـي العَـرُوسِ وَالطِّيبِـي ذَكَـرْ

من أنواع الإنشاء الاستفهام وهو طلب الفهم وله ألفاظ وهي الهمزة وهل وما من وأيّ وكم وكيف وأين وأنّى ومتى وأيّان بفتح الهمزة في الأفصح، والاستفهام قد يكون

(٣٠٩) مفتاح العلوم: ١٤٦.
(٣١٠) الكشاف: ٣٢٤.

لطلب التصور وقد يكون لطلب التصديق فقط وقد يكون لطلب أيّهما كان وهذا الحكم يختص بالهمزة لكونها الأصل وباقي الأدوات نائبة عنها كما صرح به ابن مالك في المصباح[٣١١]، وضابط الاستفهام عن التصور والتصديق - كما صرح به في المصباح أيضاً[٣١٢] واقتصرت عليه في النظم من زيادتي - أنّ الأوّل يصلح أن يأتي بعده (أم) المتصلة دون المنقطعة والثاني عكسه وأنّ الأوّل عند التردد في تعيين أحد شيئين أحاط العلم بأحدهما لا بعينه والثاني يكون عن نسبة تردد الذهن بين ثبوتها ونفيها ذكره الشيخ بهاء الدين[٣١٣]، مثال التصور في المسند إليه (أهذا زيد أم عمرو؟) و(أخلٌّ في الإناء أم عسل؟)، وفي المسند (أ في الخابية دبس أم عسل؟) وفي متعلقه (أزيداً أم عمرواً ضربت؟) ومثال التصديق (أزيد قائم؟) حيث كان التقدير (أم لم يقم)، فإن كان المراد أم عمرو أو أم قعد فليس له، نبه عليه الشيخ بهاء الدين[٣١٤]، وقولي (ولم يقبّح) الخ أشرت به إلى أنّه لا يصحّ أن يقال (أزيد قام؟)، (أزيداً ضربت؟)، (ألجهول عرفت؟) وإن قبّح ذلك في (هل) لأنّ تلك للتصديق والهمزة تكون للتصور أيضاً، وهذه الأبنية إنّما تقبح على التصديق لأنّ التقديم يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل فتكون (هل) لطلب حصول الحاصل وقولي (ثم أولها المسؤولا بها) الخ أي المسؤول عنه بالهمزة وهو ما يليها كالفاعل في (أأنت ضربت؟) والمفعول في (أزيداً ضربت؟) والفعل في (أضربت زيداً؟)، (أخلت زيداً قائماً؟) والمسند في (أقائم أم قاعد زيد؟) والمسند إليه في (أزيد أم عمرو قائم؟)، قال الشيخ بهاء الدين[٣١٥]: وذكر صاحب التلخيص[٣١٦] لهذه المسألة في هذا المحل وقطعه النظير عن النظير دون ذكره لذلك في أوّل الكلام أو آخره يقتضي أنّ غيرها من أدوات الاستفهام لا يطلب بها ما يليها وليس كذلك بل غيرها يشاركه في ذلك، وقد ذكرها الطيبي في التبيان[٣١٧] وقد نبهت على ذلك من زيادتي.

---

(٣١١) المصباح: ٤٣.

(٣١٢) المصدر نفسه: ٤٣.

(٣١٣) عروس الأفراح: ١/٤٢٤.

(٣١٤) المصدر نفسه: ١/ ٤٢٤.

(٣١٥) عروس الأفراح: ١/٤٣٠.

(٣١٦) التلخيص: ٤١.

(٣١٧) التبيان في البيان: ١٣٢.

وَهَــلْ لِتَـصْدِيقٍ فَقَــطْ كَهَــلْ أَتَــى زَيْـدٌ وَهَــلْ عَمْـرٌو أَبُـو هَـذَا الفَتَـى
مِــنْ ثَــمَّ لا يُعْطَــفُ بَعْــدَهَا بِــأَمْ وَنَحْـوُ هَــلْ زَيْـداً ضَـرَبْتَ القُـبْحُ أَمّ
إذْ أَفْهَــمَ الــتَّقديمُ تَـصْدِيقاً حَـصَلْ بِالفِعْــلِ نَفْـسِهِ خِــلافَ مَــا اشْـتَغَلْ
وَقَــالَ فِـي المِفْـتَاحِ هَـلْ عَـبْدٌ عُـرِفْ قُــبْحٌ لَــهُ وَلاَزِمٌ عَمَّــا وُصِــفْ
جَــوَازُ هَــلْ زَيْــدٌ وَبَعْــضٌ عَلَّــلا قُــبْحَهُمَا بِــأَنَّ هَــلْ تَأَصَّــلا
رَدِيــفُ قَــدْ وَالهَمْــزِ قَــبْلُ حُـذِفَا لِكَثْــرَةِ الوُقُــوعِ قُلْــتُ اخْــتُلِفَا
فِــي كَــوْنِهَا تُفِــيدُ ذَاكَ فَــضْلاَ عَــنْ كَـوْنِهَا لِـذَاكَ وَضْـعاً أَصْــلاَ
وَإنَّمَــا الزَّمَخْــشَرِيُّ قَالَـــهُ وَكَــمْ إمَــامٍ رَدَّ ذي المَقَالَــهْ

(هل) لطلب التصديق فقط كـ(هل قام زيد؟) و(هل زيد قائم؟) ولأجل ذلك امتنع العطف بعدها بـ(أم) المتصلة فلا يقال (هل زيد قام أم عمرو؟) لأنّ (أم) المتصلة إنّما تستعمل لطلب التصوّر وإرادة التعيين بعد العلم بالنسبة، والتصديق طلب النسبة فليزم طلبها وكونها حاصلة وهما منتفيان بخلاف المنقطعة فيجوز تقول (هل قام زيد أم قعد عمرو؟) وقال الشاعر(٣١٨):

فَيا لَيتَ شِعري هَل تَغَيَّرَتِ الرَّحى رَحَى الحَرْبِ أَو أَمسَت بِفَلجٍ كَما هِيا

ولأجل ذلك قبح (هل زيداً ضربت؟) لأنّ التقديم يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل المستفهم عنه ولا بدّ أن يكون غير حاصل وقت الطلب، فقولك (هل زيداً ضربت؟) لا يكون استفهاماً عن التصديق لأنّه تحصيل للحاصل ولا عن التصور لأنّ (هل) لم توضع له وإنّما لم يمتنع لاحتمال أن يكون (زيداً) مفعول فعل محذوف أو أن يكون التقديم لا للتخصيص بخلاف باب الاشتغال نحو (هل زيداً ضربته؟) فلا يقبح لأنّ القبح في الأوّل لتحقق التقديم المقتضي للاختصاص المقتضي لحصول التصديق المنافي للاستفهام، وأمّا الثانية فيجوز أن يكون العامل في (زيداً) مقدّماً عليه والتقدير (هل ضربت زيداً ضربته؟) فلا يكون فيه تقديم فلا اختصاص فلا مقتضى للتصديق فصحّ الاستفهام بـ(هل) عن التصديق، قال صاحب المفتاح(٣١٩): ولأجل التقديم المذكور قبح (هل رَجُلٌ عُرِفَ؟) لأنّ الأصل عنده كما تقدم (هل عُرِفَ رَجُلٌ؟) على أنّ

(٣١٨) البيت لمالك بن الريب، جمهرة أشعار العرب، أبو زيد القرشي: ٣٥١.
(٣١٩) مفتاح العلوم: ١٤٨.

رجل بدل من الضمير فيه قدّم للتخصيص، وهو معنى قولي(قبح له) أي لما ذكر له. قال صاحب التلخيص[٣٢٠]: يلزم على جواز ذلك (هل زيد عُرِفَ؟) لأنّ تقديم المظهر المعرفة ليس للتخصيص عنده كما تقدّم، مع أنّه قبيح بإجماع، وبعضهم علل قبح القسمين النكرة والمعرفة بأنّ (هل) في الأصل بمعنى (قد) قال تعالى ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ ﴾ (الإنسان: من الآية ١) فإذا استعملت بمعنى الاستفهام فعلى تقدير الهمزة قبلها حُذفت لكثرة الوقوع، فكما قبح (قد زيد عرف) يقبح (هل زيد عرف)، ورُدَّ هذا كما زدته في النظم بالمنع بل اختلف في إفادتها معنى (قد) على سبيل المجاز فضلاً عن كونها موضوعة له والذي أوقع قائل هذا القول في ذلك قول الزمخشري في المفصّل: وعند سيبويه أنّ (هل) بمعنى (قد) إلاّ أنّهم تركوا الألف قبلها لأنّها لا تقع إلاّ في استفهام وقد جاء دخولها عليه في قوله[٣٢١]:

سَائِلْ فَوارِسَ يَربُوعٍ بِشِدَّتِنا ... أَهَل رَأَونا بِسَفح القاعِ ذي الأَكَمِ

والذي أوقع الزمخشري في ذلك قول سيبويه، وكذلك (هل) إنّما هي بمنزلة (قد) إلاّ أنّهم تركوا الألف قبلها إذا كانت لا تقع إلاّ في استفهام، وقد أوّل السيرافي[٣٢٢] كلام سيبويه على أنّ المراد أنّ (هل) يستقبل بها الاستفهام كما أنّ (قد) يستقبل بها الخبر، قال والرواية في البيت (أم هل رأونا)، وقال ابن مالك[٣٢٣]: إنّ (هل) يتعيّن مرادفتها لـ(قد) مع الهمزة، وردّه أبو حيان[٣٢٤] بأنّها لا تقع مرادفة لها أصلاً، وخرّج البيت على الزيادة، وبالجملة فأكثر النحاة متفقون على أنّها عند إرادة الاستفهام ليست بمعنى (قد).

***

وَخَصَّصَتْ مُضَارِعاً بِمَا يَجِي ... فَلاَ تَقُلْ هَلْ تَطْرُدِينَ المُرْتَجِي

---

(٣٢٠) التلخيص: ٤٢.

(٣٢١) ديوان زيد الخيل: ١٠٠، ونقل النص بتمامه من: المفصّل: ١٤٩، وفي كتاب سيبويه: ١٨٩/٣: (هل إنّما تكون بمنزلة قد ولكن تركوا الألف إذ كانت هل لا تقع إلاّ في الاستفهام).ونقل الزمخشري قول سيبويه في المفصل، ينظر: المفصل: ١٤٩.

(٣٢٢) لم نعثر على شرح السيرافي لكتاب سيبويه.

(٣٢٣) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٢٤٣.

(٣٢٤) لم نعثر لهذا النص فيما بحثنا في كتب أبي حيان.

كَمَـــا يَجِـــي فِـــي هَمْـــزَةٍ لأَجْـــلِ ذَيْـــنِ لَهَـــا تَخَـــصُّصٌ بِالفِعْـــلِ
مِـــنْ ثَـــمَّ أَنْـــتُمْ شَـــاكِرُونَ بَعْـــدَ هَـــلْ مِـــنْ تَـــشْكُرُوا لِطَلَـــبِ الـــشُّكْرِ أَدَلّ
لأَنَّ إِبْـــرَازَ الـــذي جُـــدِّدَ فِـــي مَعْـــرِضٍ ثَابِـــتٍ أَدَلُّ إِذْ يَفِـــي
عَلَـــى كَمَـــالِ الاعْتِـــنَا بِـــأَنْ حَـــصَلْ وَمِـــنْ أَأَنْـــتُمْ وَعَلَـــى الثُّـــبُوتِ دَلّ
لأَنَّ هَـــلْ لِلفِعْـــلِ أَدْعَـــى مِـــنْهَا فَتَـــرْكُهُ مَعْهَـــا أَدَلُّ كَـــوْنَهَا
مِـــنْ ثَـــمَّ لا يَحْـــسُنُ هَـــلْ مَلِيحِـــي مُـــنْطَلِقٌ إِلاّ مِـــنَ الفَـــصِيح

لمّا كانت (هل) فرعاً عن الهمزة تقاصرت عنها فاختصّ المضارع بعدها بالاستقبال فلا يجوز أن تقول (هل تضرب زيداً وهو أخوك؟)، لأنّه استفهام توبيخٍ والتوبيخ إنّما يكون على الحال أو الماضي ويصحّ أن تقول (أتضرب زيداً وهو أخوك؟) توبيخاً على ضرب واقع، والمراد بالحال هنا حال الضرب لا الحال الصناعية، ولأجل هذين أي كونها للتصديق وتخصيص المضارع بالاستقبال كان لها مزيد اختصاص بالفعل، وهذه العبارة أوضح من قول التلخيص[٣٢٥] ما كونه زمانياً أظهر كالفعل لأنّ مقتضى الكاف أنّ لنا شيئاً آخر غير الفعل أظهر في الدلالة على الزمان من غيره، قال السبكيّ[٣٢٦]: ويحتاج إلى مثال فإنّ دلالة الفعل على الزمان أظهر من دلالة الاسم وليست دلالة الاسم أظهر من غيرها، وغيرهما لا يدلّ عليه بالكلية، أمّا اقتضاء المضارع تخصيصها بذلك فظاهر لأنّها إذا خصصته بالاستقبال صار لها فيه تأثير يوجب اختصاصها بذلك فظاهر لأنّها إذا خصصته للاستقبال صار لها تأثير يوجب اختصاصها به، وإذا كان لها تأثير بالمضارع وهو أخصّ من الفعل صار لها تأثير في مطلق الفعل ضرورة، وأمّا اقتضاء كونها لطلب التصديق لذلك ولم يعرّج عليه في التبيان فلأنّ التصديق هو حكم بالثبوت أو الانتفاء، والنفي والإثبات إنّما يتوجّهان إلى المعاني والأحداث التي هي مدلولات الأفعال لا إلى الذوات التي هي مدلولات الأسماء ولأجل مزيد اختصاصها بالفعل كان ﴿ فَهَلْ أَنتُمْ شَـٰكِرُونَ ﴾ (الأنبياء: من الآية ٨٠) أدلّ على الطلب من (فهل تشكرون؟) ومن (فهل أنتم تشكرون؟) لأنّ إبراز ما يتجدد وهو الفعل في قالب الثابت المستقرّ بحيث تكون الجملة الاسمية والمبتدأ والخبر فيها اسماً أدلّ على كمال العناية

---

(٣٢٥) التلخيص: ٤٢.

(٣٢٦) عروس الأفراح: ١/٤٣٨.

بحصوله من إبقائه على أصله من الإثبات بالفعل، ومن (أفأنتم شاكرون؟) وإن كان للثبوت أيضاً لأنّ ترك الفعل من أصله أدلّ على كمال العناية لتحويله عن أصله بخلاف الهمزة إذ (هل) أدعى له منها، ولذلك لا يحسن (هل زيد منطلق؟) إلاّ من البليغ لأنّه الذي يقصد به الدلالة على الثبوت وإبراز ما يتجدد في معرض الثبات بخلاف غيره.

***

وَهَـــلْ بَـسِـيطٌ لِلْوُجُـــودِ يُطْلَـــبُ   وَمَـــا وُجُـــودُهُ لِـــشَيْ مُـــرَكَّبُ
فَـــأَوَّلٌ كَهَـــلْ سَـــكُونُهُ وُجِـــدْ   وِالـــثَّانِ هَـــلْ سُـــكُونُهُ دَوْمٌ عُهِـــدْ

هل قسمان: بسيطة: وهي التي يطلب بها مطلق وجود الشيء كقولنا (هل الحركة موجودة؟)، ومركبة وهي التي يطلب بها وجود شيء لشيء كقولنا (هل الحركة دائمة؟).

***

تنبيه:

مُـــسْتَفْهَمُ التَّـصْدِيقِ يُوسُـــفُ وَفَـــى   لِلْحُكْـــمِ بِالثُّـــبُوتِ أَوْ بالانْـــتِفَا
وَمَـــنْ نَفَـــى مُـــسْتَفْهَمَ النَّفْـــيِ بِهَـــلْ   كَـصَاحِبِ المِـصْبَاحِ وَالمُغْنِـي وَهَـلْ

هذان البيتان من زيادتي نبّهت فيهما على مسألة مهمة وذلك أنّ بدر الدين ابن مالك وهم فقال في المصباح[٣٢٧]: الاستفهام طلب ما في الخارج أن يحصل في الذهن من تصوّر أو تصديق موجب، قيل: أو منفي فحكى قولين في أنّ استفهام التصديق يستفهم به عن النفي أوّلاً وأشار إلى تضعيف الأوّل، وقال ابن هشام في المغني[٣٢٨]: هل لطلب التصديق الإيجابي لا للتصوّر ولا للتصديق السلبي، وكذا قال الشيخ تاج الدين السبكي في جمع الجوامع[٣٢٩]، قال الشيخ جلال الدين[٣٣٠] في شرحه التقييد الإيجابي ونفي السلبي على منواله أخذاً من ابن هشام في المغني[٣٣١]: وهم سرى من أنّ (هل) لا تدخل على منفي فهي لطلب التصديق أي الحكم بالثبوت أو الانتفاء كما

---

(٣٢٧) المصباح: ٤٢.
(٣٢٨) مغني اللبيب: ١/٦٥٦.
(٣٢٩) حاشية العلامة البناني: ١/٥٧٣.
(٣٣٠) حاشية العلامة البناني: ١/٥٧٣.
(٣٣١) مغني اللبيب: ١/٦٥٦.

قاله السكاكي[٣٣٢] وغيره فيقال في جواب (هل قام زيد؟) مثلاً: نعم أو لا.

***

بِالبَاقِـــيَاتِ يُطْلَـــبُ التَّـــصَوُّرُ فَمَــا لِــشَرْحِ الاسْــمِ قِــيلَ تُذْكَــرُ
أَوْ لِحَقِـــيقَةِ المُـــسَمَّى وَهَـــلِ بَـــسِيطَةٌ رُتْبَـــتُهَا الأُوْلَـــى تَلِـــي
وَمَـــنْ بِهَـــا يُطْلَـــبُ أَنْ يُعَيَّـــنَا مُـــشَخَّصٌ يُعْلَــمُ نَحْــوُ مَــنْ هُــنَا
وَقِــيلَ مَــا لِلجِــنْسِ وَالوَصْــفِ نَعَــمْ فَفَــيْ جَــوَابِ مَــا لَــدَيْكَ الــثَّوْبُ أَمّ
وَفِــي جَــوَابِ مَــا أَخُــوكَ المُرْتَــضِي وَمَــنْ لِجِــنْسِ عَــالِمٍ وَمَــا ارْتُــضِي

بقية ألفاظ الاستفهام يطلب بها التصوّر فقط وتختلف من جهة أنّ المطلوب بكلّ منها تصوّر شيء آخر، فـ(ما) يطلب بها أحد الأمرين إمّا شرح الاسم أي شرح مدلوله لغةً كقولك (ما العنقاء؟) طالباً شرح هذا للاسم ويبين مدلوله فتجاب بإيراد لفظ أشهر أو حقيقة المسمى التي هو عليها، وعبر عنها في التلخيص[٣٣٣] بالماهية، وهي بمعناها كقولك (ما الإنسان؟) طالباً شرح حقيقته الإنسانية، وأوّل هذين القسمين وهو السؤال عن الاسم يكون متقدّماً في الزمان على (هل) البسيطة لأنّ شرح الاسم سابق عليها لأنّ الاستفهام عن ثبوت شيء فرع عن معرفة معنى اسم ذلك الشيء، فتقول أوّلاً (ما العنقاء؟) ثمّ تقول (هل هي موجودة؟)، والثاني متقدّم على (هل) المركبة لأنّ طلب وجود شيء لشيء مسبوق بالعلم بحقيقة ذلك الشيء، تقول (ما الحركة؟)، فإذا عرفت مدلولاتها لغةً تقول (هل هي موجودة؟)، فإذا عرفت أنّها موجودة تقول (ما هي؟ أي ما حقيقتها؟)، فإذا عرفتها تقول(هل هي دائمة؟) فهذا ترتيب الأقسام الأربعة من قسمَيْ (ما) وقسمَيْ (هل).

و(من) يطلب بها تعيين الشخص العالم كقولك (من هنا؟)، فيقال (زيد)، ونحوه ممّا يفيد تشخيصه، وقال السكاكي[٣٣٤]: يُسأل بـ(ما) عن الجنس والوصف تقول (ما عندك؟) أيْ أيُّ أجناس الأشياء، فيقال (ثوب) ونحوه و(ما زيد؟) أي ما صفته؟ فيقال (الكريم) ونحوه، ويُسأل بـ(من) عن الجنس من ذوي العلم، تقول (من جبريل؟) أي أبشر أم ملك

---

(٣٣٢) مفتاح العلوم: ١٤٨.
(٣٣٣) التلخيص: ٤٢.
(٣٣٤) مفتاح العلوم: ١٤٩.

أم جنّي، كما قال فرعون ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴾ (طه: من الآية ٤٩) أي من أيّ جنس هو، قال في التلخيص[٣٣٥]: وفيه نظر، وهو معنى قولي (وما ارتضِي) أي إنّه لا يسلّم أنّه للسؤال عن الجنس وأنّه يصحّ في جواب (من جبريل؟) ملك، بل جوابه ملك يأتي بالوحي وكذا وكذا ممّا يفيد تشخيصه، فأمّا السؤال بها عن الوصف فلم يذكره في التلخيص، وقال بعض الشارحين إنّه يُسأل بها عن الوصف كما يُسأل بـ(ما)، إذ لا فرق بينهما، إلاّ أنّ (ما) لما لا يعقل، قال الشيخ بهاء الدين[٣٣٦]: وهذا فرق يلجئ إلى أنّه لا يُسأل بها عن الوصف لأنّ الوصف ليس بعاقل، فلا يُسأل عنه بـ(من) التي هي للعاقل وهذا معنى قولي في أوّل الأبيات الآتية لزيادتي (لا وصفه).

***

لا وَصْفُهُ وَاسْأَلْ بِأَيٍّ عَمَّا ... يُمَيِّزُ الشِّرْكَةَ فِيمَا عَمَّا
وَاسْأَلْ بِكَمْ عَنْ عَدَدٍ وَكَيْفَ عَنْ ... حَالٍ وَأَيْنَ لِلمَكَانِ وَالزَّمَنْ
مَتَى وَأَيَّانَ لِذِي اسْتِقْبَالِ ... قِيلَ وَللتَّفْخِيمِ فِي الأَهْوَالِ
أَنَّى كَكَيْفَ تَارَةً كَأَنَّى ... شِئْتُمْ وَمِنْ أَيْنَ كَثِيراً عَنَّا

يُسأل بـ(أيّ) عمّا يميّز أحد المتشاركين في أمر يعمّهما نحو ﴿ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا ﴾ (مريم: من الآية ٧٣) أي أنحن أم أصحاب محمد ﷺ، فالمؤمنون والكفار قد اشتركا في الفريقية وسألوا عمّا يميّز أحدهما عن الآخر والأمر الذي يقع به التمييز هو الخيرية والجواب بالتعيين، ويُسأل بـ(كم) عن العدد نحو ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾ (الكهف: من الآية ١٩) أي كم سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة، ويُسأل بـ(كيف) عن الحال نحو (كيف زيد أي صحيح أم سقيم؟)، ويُسأل بـ(أين) عن المكان كـ(أين زيد؟) وجوابه في البيت أو نحوه، وبـ(متى) عن الزمان ماضياً كان أو مستقبلاً نحو (متى تحضر؟) وجوابه اليوم أو غداً، و(متى حضرت؟) وجوابه أمس أو أوّل أمس، وبـ(أيّان) عن الزمان المستقبل نحو ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿١٨٧﴾ ﴾ (الأعراف: من الآية ١٨٧)، قيل وتستعمل في

(٣٣٥) التلخيص: ٤٣.

(٣٣٦) عروس الأفراح: ٢/٢٨٢.

مواضع التفخيم دون غيره، نقله في الإيضاح[٣٣٧] عن علي بن عيسى الربعي[٣٣٨]، والمشهور عند النحاة أنّها كـ(متى)، فتستعمل فيه وفي غيره، و(أنّى) تستعمل تارة بمعنى (كيف) ولا يليها إلاّ فعل نحو ﴿ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا ﴾ (البقرة: من الآية ٢٥٩)، ﴿ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ ﴾(البقرة: من الآية ٢٢٣) أي كيف شئتم وعلى أيّ حال ومن أيّ شقّ، وتارة بمعنى (مِن أين) نحو ﴿ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ﴾ (آل عمران: من الآية ٣٧) أي من أين لك هذا الرزق الآتي كلّ يوم، قال الشيخ بهاء الدين[٣٣٩]: والفرق بين (أين) و(مِن أين) أنّ (أين) سؤال عن المكان الذي حلّ فيه الشيء و(من أين) سؤال عن المكان الذي برز منه الشيء، قيل وتستعمل بمعنى (متى) ومثّل له بقوله تعالى ﴿ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ ﴾ (البقرة: من الآية ٢٢٣).

تنبيه:

يمكن استعمال (أيّ) في جميع ألفاظ التصوّر تقول في (أزيد أم عمرو قام؟): (أيّ الرجلين قام؟)، وفي (أقائم أم قاعد زيد؟): (أيّ الأمرين فعل؟)، وفي (ما اسم أبيك؟): (أيّ شيء اسمه؟) وهكذا في الباقي.

يَارُبَّمَا تُسْتَعْمَلُ الأدَاةُ فِي ... سِوَاهُ كَاسْتِبْطَائِهِ وَإنْ يَفِي
تَعَجُّبٌ كَمِثْلِ مَا لِي لا أرَى ... كَذَا لِتَنْبِيهِ الضَّلالِ قَدْ عَرَى
وَلِلْوَعِيدِ كَأَلَمْ أُوَدِّبِ ... زَيْداً لِمَنْ يَرَى مُسِيءَ الأدَبِ
كَذَا لِتَقْرِيرٍ بِهَمْزٍ قَدْ سُبِقْ ... مُقَرِّراً بِهِ وَلِلإنْكَارِ حَقّ
وَذَا لِتَكْذِيبٍ وَتَوْبِيخٍ يَرِدْ ... وَلِتَهَكُّمٍ وَتَهْوِيلٍ وَضِدّ
وَزِيدَ لَلتَّشْوِيقِ وَالتَّرْغِيبِ مَعْ ... تَسْوِيَةٍ وَالعَرْضِ وَالأُنْسِ وَقَعْ
وَالأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَقَدْ يَجْتَمِعَا ... مِثْلُ تَعَجُّبٍ وَتَوْبِيخٍ مَعَا

(٣٣٧) الإيضاح: ١/١٣٧.

(٣٣٨) هو علي بن عيسى أبو الحسن الربعي، عالم بالعربية، أصله من شيراز، من مصنفاته (البديع) و(شرح مختصر الجرمي)، (شرح الإيضاح) لأبي العلي الفارسي، و(التنبيه على أخطاء ابن جني في فسر شعر المتنبي) توفي ببغداد سنة ٤٢٠ هـ، الأعلام: ٥/١٣٤.

(٣٣٩) عروس الأفراح: ١/٤٥٠.

وَهَلْ تَرَى المَعْنَى الأَصِيلَ يُسْبَرُ مَعْ هَذِهِ أَوْ زَالَ فِيهِ نَظَرُ

قد تستعمل كلمات الاستفهام في غيره مجازاً من ذاك الاستبطاء نحو (كم أدعوك؟) لمن أكثرت دعاءه، وفهم الخطيبي[٣٤٠] أنّ ذلك خاصّ بـ(كم)، وليس كذلك فقد مثّله في الإيضاح[٣٤١] بقوله تعالى ﴿ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة: من الآية ٢١٤)، وفي التبيان[٣٤٢] بقولك للغلام (هل أنت منطلق؟) أي: الناس قد انطلقوا فما وقوفك؟ نعم قال الشيخ بهاء الدين[٣٤٣]: الأحسن أن يُجعل الفعل مضارعاً لأنّه أدلّ على بقاء الطلب والاستبطاء، بخلاف قول التلخيص[٣٤٤] (كم دعوتك؟)، لأنّه قد يصدر من موبّخ قد انقطع غرضه من إجابة دعائه أو بعد تعذّر الإجابة ومنه التعجّب، ويشارك الاستفهام في أنّ كلاً يكون عمّا خفي سببه نحو ﴿ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ ﴾ (النمل: من الآية ٢٠) لأنّه لم يكن يغيب عنه إلاّ بإذنه، فلمّا لم يبصره تعجّب من حال نفسه في عدم إبصاره إيّاه إذ لا معنى لاستفهام العاقل عن حال نفسه، ومثله في التبيان[٣٤٥] بقوله تعالى ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ (الفرقان: من الآية ٧)، ومنه التنبيه على ضلال المخاطب نحو ﴿ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ۝ ﴾ (التكوير: ٢٦)، ومنه الوعيد كقولك لمن يسيء الأدب (ألم أؤدب فلاناً) إذا كان عالماً بذلك، ومنه التقرير أي حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه وإلجاؤه إليه بشرط أن تسبق الهمزة المقرر به ويذكر بعدها فإن أردت التقرير بالجملة قلت (أفعلت؟) أو بالمفعول قلت (أزيداً ضربت؟) أو الفاعل قلت (أنت فعلت؟)، ومنه الإنكار بالشرط المذكور فإن كان المنكر الفعل وليها نحو[٣٤٦]:

---

(٣٤٠) في عروس الأفراح: ٤١٥/١: (الخطيبي) وكذلك في بعض النسخ، وهو ليس الخطيب القزويني، ولم نعثر له على ترجمة، وفي نسخ أخرى (الطيبي) وهو الذي ذكر الاستبطاء واستشهد فيه بقوله تعالى ﴿ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ ﴾ من دون أن يذكر (كم) أو اختصاصها بالاستبطاء، التبيان في البيان: ١٣٣.

(٣٤١) الإيضاح: ١٣٧/١.

(٣٤٢) التبيان في البيان: ١٣٣.

(٣٤٣) عروس الأفراح: ٤١٥/١.

(٣٤٤) التلخيص: ٤٣.

(٣٤٥) التبيان في البيان: ١٣٥.

(٣٤٦) البيت لامرئ القيس، ديوانه: ٣٣.

أَيَقتُلُني وَالمَشرَفِيُّ مُضاجِعي [وَمَسنونَةٌ زُرقٌ كَأَنيابِ أَغوالِ]

أو الفاعل أو المفعول فكذلك نحو ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ (الزخرف: من الآية ٣٢)، ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ ﴾(الأنعام: من الآية ٤٠)، ثمّ الإنكار يرد إمّا للتكذيب في الماضي أو في المستقبل بمعنى لم يكن أو لا يكون نحو ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ ﴾ (الإسراء: من الآية ٤٠) أي ألم يفعل ذلك، ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ (هود: من الآية ٢٨) لا يكون هذا الإلزام، أو للتوبيخ فيهما بمعنى ما كان ينبغي أن يكون أو لا ينبغي أن يكون نحو (أعصيت ربّك؟)، (أتعصي ربّك وقد أسبغ نعمه عليك؟)، ومنه التهكم نحو ﴿ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ ﴾ (هود: من الآية ٨٧)، ومنه التهويل أي التعظيم وضدّه وهو التحقير نحو (من هذا؟) و(ما هذا؟)، ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝ ﴾ (القارعة: ١٠) وفي حديث أمّ زرع (زوجي أبو زرع وما أبو زرع)[٣٤٧]، ويحتمل الأمرين قراءة ابن عباس ﴿ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ۝ مِن فِرْعَوْنَ ﴾ (الدخان: من الآيتين ٣٠ - ٣١) بفتح الميم ورفع فرعون[٣٤٨]، وجعل الشيخ شمس الدين بن الصائغ[٣٤٩] التهويل وضدّه وهو التسهيل والتخفيف قسمين غير التعظيم والتحقير ومثل التهويل بقوله تعالى ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝ ﴾ (الحاقة الآيتان: ١ - ٢)، وضدّه بقوله تعالى ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ ﴾ (النساء: من الآية ٣٩) الآية[٣٥٠]، والتعظيم بقوله تعالى ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ (البقرة: من الآية ٢٥٥) و[٣٥١]:

وَمَن ذا الَّذي تُرضى سَجاياهُ كُلُّها [كَفى المَرءَ نُبلاً أَن تُعَدَّ مَعايِبُهْ]

---

(٣٤٧) صحيح البخاري، ١٩٨٩/٥، صحيح مسلم: ١٨٩٩/٤ وفيهما (زوجي أبو زرع فما أبو زرع).

(٣٤٨) هذه قراءة ابن عباس، معجم القراءات القرآنية: ١٤٠/٦.

(٣٤٩) هو محمد بن عبد الرحمن الحنبلي، المعروف بابن الصائغ الحنبلي، المتوفى سنة (٧٧٦هـ)، له كتاب (روض الأفهام في أقسام الاستفهام) الذي سيذكره المؤلف في موضع قادم، كشف الظنون: ٩١٧/١.

(٣٥٠) وتمامها قوله تعالى: ﴿ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾.

(٣٥١) البيت لعلي بن الجهم، ديوانه: ١١٨.

والتحقير بقوله تعالى ﴿ أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً ﴾ (الفرقان: من الآية ٤١) وبقول الشاعر[٣٥٢]:

وَمَــن أَنــتُمُ إِنّــا نَــسينا مَــنَ انــتُمُ وَريحُكُــمُ مِــن أَيِّ ريــحِ الأَعاصِــرِ

ومنه الاستبعاد نحو ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ ﴾ (الدخان: الآيتان١٣ - ١٤)، وقد ألّف العلامة شمس الدين بن الصائغ في أقسام الاستفهام تأليفاً حسناً سماه (روض الأفهام في أقسام الاستفهام)[٣٥٣] ذكر فيه ثمانية وعشرين معنى لكنّ منها ما لا يسلم وأرجو أن ألخّصه في كراسة مع زيادة وتحرير، وممّا زاده على ما تقدّم التشويق والترغيب كقوله تعالى ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ (البقرة: من الآية ٢٤٥)، ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الصف: من الآية ١٠)، والتسوية نحو ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ (البقرة: من الآية ٦)، وهذا المعنى نبّه عليه الشيخ بهاء الدين[٣٥٤] وذكر أنّه مختصّ بالهمزة، والعرض وقد ذكره ابن مالك في المصباح[٣٥٥] والشيخ بهاء الدين[٣٥٦] نحو ﴿ أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ ﴾ (التوبة: من الآية ١٣)، ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾(النور: من الآية ٢٢)، والاستئناس نحو ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ (طه: ١٧)، والأمر وزاده في الإيضاح[٣٥٧] نحو ﴿ ءَأَسْلَمْتُمْ ﴾ (آل عمران: من الآية ٢٠) أي أسلموا، ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (المائدة: من الآية ٩١) أي انتهوا، وعبّر عنه الطيبي[٣٥٨] في هذه الآية بالاستقصار، والتعبير والنهي نحو ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ﴾ (التوبة: من الآية ١٣) أي لا

(٣٥٢) البيت للحطيئة، ديوانه: ٣١٢.
(٣٥٣) كتاب ألفه ابن الصائغ وقد مرّ ذكره في موضع سابق.
(٣٥٤) عروس الأفراح: ٤٥٨/١.
(٣٥٥) المصباح: ٤٣.
(٣٥٦) عروس الأفراح: ٤١٦/١.
(٣٥٧) الإيضاح: ٢/ ١٣٧.
(٣٥٨) التبيان في البيان: ١٣٤.

تخشوهم، ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ (الانفطار: من الآية ٦) أي لا تغترّ، وربّما اجتمع الأمران كالتعجّب والتوبيخ معاً، ذكره في الإيضاح[٣٥٩] نحو ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ ﴾ (البقرة: من الآية ٢٨) وهل يقال، لأنّ معنى الاستفهام في هذه الأشياء موجود وانضمّ إليه معنى آخر أو تجرّد عن الاستفهام بالكلية، قال الشيخ بهاء الدين[٣٦٠]: محلّ نظر، والذي يظهر الأوّل، وقال: ويساعده قول التنوخي في الأقصى القريب[٣٦١]: إنّ لعلّ تكون للاستفهام مع بقاء الترجّي، وممّا يرجّح الأوّل أنّ الاستبطاء في قولك (كم أدعوك؟)، معناه أنّ الدعاء وصل إلى حدّ لا أعلم عدده فأنا اطلب أن أعلم عدده، والعادة تقضي بأنّ الشخص إنّما يستفهم عن عدد ما صدر منه إذا كثر فلم يعلمه وفي طلب فهم عدده ما يشعر بالاستبطاء، وأمّا التعجب فالاستفهام معه مستمرّ لأنّ من تعجّب من شيء فهو بلسان الحال سائل عن سببه وكأنّه يقول أيّ شيء عرض لي حال رؤية الهدهد، وقد صرّح في الكشاف[٣٦٢] ببقاء الاستفهام في هذه الآية، وأمّا التنبيه على الضلال فالاستفهام فيه حقيقي، لأنّ معنى من أين تذهب أخبرني على أيّ مكان تذهب فإنّي لا أعرف ذلك وغاية الضلال لا يشعر بها إلى أين تنتهي، ، وأمّا التقرير فإن قلنا المراد به الحكم بثبوته فهو خبر بأنّ المذكور عقب الأداة واقع أو طلب إقرار المخاطب به مع كون السائل يعلم، فهو استفهام يقرر المخاطب أي يطلب منه أن يكون مقرًّا به، وفي كلام أهل الفن ما يقتضي الاحتمالين، والثاني أظهر، وفي الإيضاح[٣٦٣] تصريح به ولا بدع في صدور الاستفهام ممّن يعلم المستفهم عنه لأنّه طلب الفهم، أمّا طلب فهم المستفهم أو وقوع فهم لمن لم يفهم كائناً من كان، وبهذا تنحلّ إشكالات كثيرة في مواضع الاستفهام ويظهر بالتأمّل بقاء معنى الاستفهام مع كلّ أمر من الأمور المذكورة انتهى ملخّصاً.

***

(٣٥٩) الإيضاح: ٢/ ١٤٣.

(٣٦٠) عروس الأفراح: ٤٢٣/١.

(٣٦١) الأقصى القريب: ٨.

(٣٦٢) ينظر: الكشاف: ١١٨٥.

(٣٦٣) الإيضاح: ١٣٢/١.

الأمر

وَالأمْـرُ مِـنْ أنْـوَاعِهِ ثُـمَّ الأصَـحّ | صِـيغَتُهُ بِـاللاَّمِ أوْ لا قَـدْ وَضُـحْ
لِطَلَـبِ الفِعْـلِ مَـعَ اسْـتِعْلاءِ | وَقَـدْ يَجِـي لِلْعَـالِ كَالـدُّعَاءِ
وَلِلمُـسَاوِي فَالـتِمَاسٌ وَتَـرِدْ | إبَاحَـةٌ كَـذَا لِـتَهْدِيدٍ قُـصِدْ
وَلإهَانَـةٍ وَلِلتَّـسْخِير | وَالخُبْـرِ وَالتَّعْجِيـزِ وَالتَّخْيِيـرِ
وَلِلتَّمَنِّـي وَامْتِـنَانٍ وَالعُجُـبْ | تَـسْوِيَةٍ وَالاحْـتِقَارِ وَالأَدَبْ

من أنواع الإنشاء الأمر، والأصح أنّ صيغته من المقترنة باللام وغيرها موضوعة لطلب الفعل إيجاباً أو ندباً استعلاء أي على طريق طلب العلوّ وعدّ الآمر نفسه عالياً سواء كان كذلك في نفس الأمر أم لا لتبادر الفهم عند سماع صيغته إلى ذلك والتبادر علامة الحقيقة، هذا هو الأصح عند علماء الفن وهو المختار، وقيل يشترط العلو في نفس الأمر وعليه المعتزلة، وقيل لا يشترط علوّ ولا استعلاء وعليه الإمام الرازي وأتباعه وهو الأصح عند علماء الأصول مستدلين بقوله تعالى حكاية عن فرعون ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ (الأعراف: من الآية ١١٠)، وأجيب بأنّه من الأمر بمعنى المشورة والفعل وبأنّ فرعون إذ ذاك كان مستقلاً لهم. وشملت الصيغة لفظ الأمر عند النحاة كـ(أَكْرِمْ) واسم الفعل كـ(نَزَالِ) والمضارع باللام نحو (لِيَحْضَرْ)، وقد ترد صيغة الأمر بلا استعلاء كالدعاء من السافل للعالي نحو ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى ﴾ (الأعراف: من الآية ١٥١)، والالتماس من المساوي كقولك لمن يساويك رتبة (اسقني ماءً)، والإباحة نحو (جالس الحسن أو ابن سيرين)، والتهديد نحو ﴿ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ﴾ (فصلت: من الآية ٤٠)، إذ ليس المراد الأمر بكل عمل شاؤوه، والإهانة ومثله في الإيضاح[٣٦٤] بقوله تعالى ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ (الدخان: ٤٩)، والتسخير أي التذليل نحو ﴿ كُونُواْ قِرَدَةً ﴾ (البقرة: من الآية ٦٥) عبّر به عن نقلهم من حالة إلى حالة إذلالاً لهم فهو أخص ممّا قبله، والتعجيز نحو ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ (البقرة: من الآية ٢٣) إذ ليس المراد طلب ذلك منهم بل إظهار عجزهم، والتخيير نحو (أنكح هنداً أو أختها)، فيمتنع الجمع

(٣٦٤) الإيضاح: ١/١٤٤.

بخلاف الإباحة، والتمني نحو[٣٦٥]:

أَلا أَيُّهـا اللَّـيلُ الطَّـويلُ أَلا انجَلـي [بِـصُبحٍ وَمـا الإِصـباحُ مِـنكَ بِأَمـثَلِ]

فإنّ الليل لا يقبل أن يطلب منه الانجلاء وإنّما ذلك كناية عن تمنيه، والامتنان نحو ﴿ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ ﴾ (الأنعام: من الآية ١٤١)، وللتعجب نحو ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ ﴾ (الفرقان: من الآية ٩)، والتسوية نحو ﴿ فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ ﴾ (الطور: من الآية ١٦)، والخبر نحو قوله ﷺ (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت) رواه البخاري[٣٦٦]، أي الواقع أنّ من لا يستحي يفعل ما يشاء، وقيل إذا كان لا لشيء ممّا لا يُستَحيا منه فأصنعه فتكون إباحة، والاحتقار نحو ﴿ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴾ (يونس: من الآية ٨٠)، والأدب نحو (كل مما يليك)[٣٦٧]، وغالب هذه الأمور من زيادتي على التلخيص والذي فيه إباحة والتهديد والإهانة والتسخير والتعجيز والتسوية والتمني.

***

وَقَـالَ فـي المِفْـتَاحِ لِلْفَـوْرِ اقْتَـضَى قُلْـتُ أَعَـمُّ مِـنْهُ فِـي القَـوْلِ الرِّضَـا

اختلف في صيغة الأمر عند تجرّدها من القرائن هل تقتضي الامتثال على الفور أو التراخي أولا؟ بل هي لأعم من ذلك، فالجمهور على الأخير، وقيل للفور وعليه السكاكي[٣٦٨] لأنّه الظاهر من الطلب كقولك عند العطش (اسقني ماء) ورُدّ بأنّ ذلك لقرينة وقيل التراخي وعليه طائفة من الرافضة[٣٦٩] ومحل الكلام على هذه الأقوال علم أصول الفقه[٣٧٠].

***

(٣٦٥) البيت لامرئ القيس، ديوانه: ١٨.

(٣٦٦) صحيح البخاري: ٥/٢٢٦٨.

(٣٦٧) صحيح البخاري: ٥/٢٠٥٦، صحيح مسلم: ٣/١٥٩٩.

(٣٦٨) مفتاح العلوم: ١٨.

(٣٦٩) حاشية العلامة البناني: ١/٦٠١ – ٦٠٢.

(٣٧٠) المصدر نفسه: ١/٦٠١ – ٦٠٢.

النهي

وَالنَّهْيَ فَاعْدُدْهُ مِنَ الإنْشَاءِ وَحَرْفُهُ لا وَهْوَ ذُو اسْتِعْلاَءِ
وَقَدْ يَجِيءُ طَالِبُ غَيْرِ الكَفِّ وَالتَّرْكُ كَالتَّهْدِيدِ لِلتَّشفِّي
قُلْتُ وَلِلتَّقْلِيلِ وَامْتِنَانِ وَلِلدُّعَا الإرْشَادِ وَالبَيَانِ

من أنواع الإنشاء النهي، وهو طلب الكفّ عن الفعل تحريماً أو كراهة على جهة الاستعلاء على حدّ ما سبق في الأمر وحرفه (لا) الجازمة، وقد يستعمل في غير طلب الكفّ والترك مجازاً كالتهديد كقولك لمن لا يمتثل أمرك (لا تمتثلْ أمري)، وكالتقليل نحو ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾ (طه: من الآية ١٣١) الآية[٣٧١] أي فهو قليل حقير، والامتنان ذكره الشيخ بهاء الدين[٣٧٢] وبيض لمثاله[٣٧٣]، والدعاء نحو ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ (آل عمران: من الآية ٨)، والإرشاد نحو ﴿ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ ﴾ (المائدة: من الآية ١٠١) الآية[٣٧٤]، والبيان للعاقبة نحو ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران: من الآية ١٦٩) الآية[٣٧٥] أي عاقبة الجهاد الحياة لا الموت.

وَهَذِهِ الأنْوَاعُ قَدْ يُقَدَّرُ شَرْطٌ يَلِيهَا جَازِماً لا يُذْكَرُ
كَلَيْتَ لِي مَالاً أُصَدِّقَ أيْ إنِ أُرْزَقْهُ زُرْنِي أَشْفَ أيْ إنْ زُرْتَنِي
وَوُلِّدَ العَرْضُ مِنَ اسْتِفْهَامِ فَقُلْ ألا تَنْزِلْ تُعَدَّ السَّامِي
وَلِدَلِيلٍ جَازَ أنْ يُقَدَّرَا فِي غَيْرِهَا فَاللهُ هُوْ لِمَنْ قَرَا

هذه الأوامر الأربعة التمني والاستفهام والأمر والنهي يجوز أن يجزم بعدها المضارع بتقدير شرط بعدها نحو (ليت لي مالاً أنفقْه) إي إنْ أُرْزَقْهُ أُنْفِقْهُ، (أين بيتك أزرْك) أي إن

(٣٧١) وتمامها قوله تعالى: ﴿ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾.

(٣٧٢) عروس الأفراح: ٤٧١/١.

(٣٧٣) أي ترك محلّ التمثيل فراغاً.

(٣٧٤) وتمامها قوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾.

(٣٧٥) وتمامها قوله تعالى: ﴿ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾.

تُعرفْينه، ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (إبراهيم: من الآية ٣١)، (أسلمْ تسلمْ) أي إن تسلم لا تشتم يكن خيراً لك، ومن مشكله قوله تعالى ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي ﴾ (مريم: من الآيتين ٥ - ٦) أي إن تهب لي يرثني، وقد مات يحيى قبل أبيه (عليهما السلام) فيلزم عدم استجابة دعائه وهو ابن موصوف بالإرث، وأجاب الطيبي[٣٧٦] بأنّ الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) وإن كانوا مستجابي الدعوة لكن ليس كلّ ما دعوه استجيب ألا ترى إلى سيدهم ﷺ كيف قال (سألت الله ثلاثة فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة وهي أن لا يذيق بعض أمّتي بأس بعض)[٣٧٧]، وأجاب الشيخ بهاء الدين[٣٧٨] بأنّ المراد إرث النبوّة والعلم وقد حصل في حياته، وأمّا العرض فقد تقدّم أنّه متولّد من الاستفهام فيجوز أيضاً تقدير الشرط وجزم الفعل بعده نحو (ألا تنزل تصبْ خيراً) إي إن تنزل، ويجوز ذلك في غير هذه المواضع لدليل يدلّ عليه كقوله تعالى ﴿ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ ﴾ (الشورى: من الآية ٩) إي إن أرادوا أولياء بحقّ فالله هو الوليّ والقرينة الفاء، ﴿ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ ﴾ (المؤمنون: من الآية ٩١) والقرينة (إذاً).

***

النداء

يَاثُمَّ النِّدَا مِنْهَا وَرُبَّمَا تَرِدْ ... صِيغَتُهُ لِغَيْرِ مَا لَهُ قُصِدْ
كَمِثْلِ الاغْرَاءِ كَيَا مَظْلُومُ ... لِمَنْ شَكَا الظُّلْمَ وَيَا مَحْرُومُ
وَالاخْتِصَاصِ أَنَا أَيُّهَا الرَّجُلْ ... أَفْعَلُهُ أَيْ مُتَخَصِّصاً فَقُلْ
قُلْتُ وَلاسْتِغَاثَةٍ تَعَجُّبْ ... تَحَسُّرٍ كَيَا دِيَارَ العُرْبْ

من أنواع الإنشاء النداء وهو طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو لفظاً أو تقديراً،

---

(٣٧٦) التبيان في البيان: ١٣٨.

(٣٧٧) الحديث كما رواه البخاري: (سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها) صحيح البخاري: ٢٢١٦/٤. وروايات أخرى في: المستدرك على الصحيحين: ٥٦٢/٤، سنن الترمذي: ٧١/٤.

(٣٧٨) عروس الأفراح: ٤٧٢/١.

وقد تستعمل صيغته في غير معناه كالإغراء كقولك لمن يتظلّم (يا مظلوم) فإنّه ليس بنداء حقيقة لأنّ الغرض أنّ المخاطب أقبل يتظلّم ولكنه ترغيب له في شكوى الظلم وحثّ عليه، والاختصاص نحو (أنا أفعل كذا أيّها الرجل) أي متخصصاً به دون الرجال، والاستغاثة نحو (يا لله للمسلمين)، وللتعجّب نحو[٣٧٩]:

[يبكيك ناء بعيد الدار مغترب] يا للكهول وللشبان للعجب

وللتحسر والتوجع كما في نداء الأطلال والمنازل والمطايا وما أشبه ذلك وهذه الثلاثة من زيادتي كما ترى.

***

وَأَصْلُ يَا لَدَى النِّدَاءِ لِلبَعِيدْ وَقَدْ تَجِي لِغَيْرِهِ مِثْلُ البَلِيدْ
وَالحِرْصِ فِي وُقُوعِهِ ولاعْتِنَا أَوْ شَأْنُهُ عِظَمُهُ أَوْ هُوِّنَا

هذان البيتان من زيادتي نبّهت فيهما على أنّ أصل (يا) من أدوات النداء أي أن ينادى بها البعيد بخلاف الهمزة و(أيّ)، وقد تخرج عن ذلك لنكت منها كون المدعوّ بليداً كقول الفرزدق[٣٨٠]:

فَانعَق بِضَأنِكَ يا جَرِيرُ فَإِنَّما مَنَّتكَ نَفسُكَ في الخَلاءِ ضَلالا

ومنها إظهار الحرص في وقوعه على إقبال المدعو نحو ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ ﴾ (القصص: من الآية ٣١) أو كون المتلوّ معتنى به نحو ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ (البقرة: من الآية ٢١)، أو قصد تعظيم شأن المدعوّ نحو (يا رب) وقد قال تعالى ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ (البقرة: من الآية ١٨٦) وفي الصحيح (أنت أعلم أي ربّ)[٣٨١]، أو قصد انحطاطه نحو قولك يا هذا (إنّ البُغَاثَ بأرضِنا يَسْتَنْسِر)[٣٨٢]، وقول فرعون ﴿ إِنِّي لَأَظُنُّكَ

(٣٧٩) البيت ينسب لعمران بن الحطان، الكامل: ٢٧٢/٣.

(٣٨٠) البيت للأخطل في قصيدة يهجو بها جريراً وليس للفرزدق كما ذكر المؤلف، شعر الأخطل: ١/ ١١٦.

(٣٨١) لم نجد من ذكر هذا الحديث إلاً أحمد بن سلمان النجاد ابو بكر(ت٣٤١هـ) في كتابه: الرد على من يقول القرآن مخلوق: ٥٩/١.

(٣٨٢) مجمع الأمثال: ١/ ١٠.

يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ (الإسراء: من الآية ١٠١) وهذه القطعة منبّه عليها في التبيان[٣٨٣].

***

الترجي

ثُـمَّ التَّرَجِّي بِلَعَلاَّ أَهْمِلاَ وَقَدْ يَجِي تَوَقُّعاً تَعَلُّلاَ

كَذَا لِشَكٍّ وَلاسْتِفْهَامِ وَطَلَبِ الإِعْطَافِ بِالأَقْسَامِ

هذان البيتان أيضاً من زيادتي نبّهت فيهما على نوع أهمله في التلخيص من الإنشاء وهو الترجّي وحرفه (لعلّ) نحو (لعلّ الله يأتينا بخير)، قال الشيخ بهاء الدين ولا عذر له في تركه[٣٨٤]، ونقل القرافي الإجماع على أنّه إنشاء[٣٨٥]، وقد يخرج عن معناه فيرد لتوقّع محذور ويسمّى إشفاقاً نحو ﴿ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ (الشورى: من الآية ١٧)، وللتعليل عند السكاكي[٣٨٦] والأخفش[٣٨٧] وللاستفهام عند الكوفيين[٣٨٨]، وللشكّ عند الفراء[٣٨٩] والطوال[٣٩٠] قال التنوخي في الأقصى القريب[٣٩١]: وقد تجيء (لعلّ) للإشفاق والتعليل والاستفهام مع بقاء الترجي، فأمّا القسم فلم يذكره لأنّه ليس طلباً وإن كان إنشاءً وإنّما هو لتأكيد الخبر، نعم يرد للطلب على سبيل الاستعطاف مثل (بحياتك أخبرني) فنبّهت على ذلك تكملة للفائدة.

***

(٣٨٣) التبيان في البيان: ١٣٨.

(٣٨٤) عروس الأفراح: ١/٤٧٦.

(٣٨٥) القرافي (٦٨٤ هـ) أحمد بن عبد الرحمن ابو العباس شهاب الدين الصنهاجي القرافي، من علماء المالكية، نسبته إلى قبيلة صنهاجة(من برابرة المغرب)وإلى القرافة (المحلة المجاورة لقبر الإمام الشافعي) بالقاهرة، وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة له عدة مؤلفات مطبوعة، الأعلام: ١/ ٩٠.

(٣٨٦) مفتاح العلوم: ١٤٦ - ١٤٧.

(٣٨٧) لم نجد هذا الرأي فيما بحثنا في كتب الأخفش.

(٣٨٨) لم نجد هذه الإشارة في كتب الخلاف النحوي.

(٣٨٩) لم نجد هذه الإشارة في معاني القرآن.

(٣٩٠) لم نعثر للطوال على ترجمة أو مصنّف، وهذا النص نقله المؤلف من عروس الأفراح: ١/٤٧٦.

(٣٩١) الأقصى القريب: ٨.

تنبيه:

وَقَــدْ يَجِـي الإِخْـبَارُ مَوْضِـعَ الطَّلَـبْ ... تَحَــرُّزاً عَــنْ صُــورَةِ الأَمْــرِ أَدَبْ

وَلِــتَفَاؤُلٍ وَقَــصْدِ الحِــرْصِ فِـي ... وُقُــوعِهِ وَاحْــتُمِلا إِذَا يَفِــي

مِــنَ البَلِـيغِ صِـيغَةُ المَاضِـي دُعَـا ... أَوْ حَمْلُــهُ عَلَـيْهِ مَــنْ قَــدْ سَـمِعَا

قُلْــتُ وَقَــدْ يُعْكَــسُ ذَا لِــنُكَتِ ... تُــدْرَكُ فِــي مَحِلِّهَــا بِالفِطْــنَةِ

ثَمَّــتَ الإِنْــشَاءُ كَمِــثْلِ الخَبَــرِ ... فِــي غَالِـبِ الـذِي مَـضَى فَاعْتَبِـرِ

قد تقع صيغة الخبر ويراد بها الإنشاء، وذلك إمّا تأدّباً لتحرّز عن صورة الأمر كقول العبد للمولى إذا حوّل وجه (ينظر المولى إليّ ساعة) فإنّه أكثر أدباً من قوله (انظر إليّ)، أو تفاؤلاً نحو: (غفر الله لك)، فإنّه أبلغ من ربّ اغفر له، حيث أتى بصيغة الماضي حتى كأنّه وقع، أو إظهاراً للحرص على وقوعه نحو (أحيا الله السنة)، والدعاء بصيغة الماضي إذا صدر من البليغ يحتمله ويحتمل التفاؤل أو حملاً للسامع على المطلوب بأن يكون يرغب في تصديق الطلب كقولك (أنت تحسن إليّ غداً) مكان (أحسن إليّ)، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ ﴾ (البقرة: من الآية ٢٣٣)، ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ (البقرة: الآية ٢٢٨)، ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (الواقعة: ٧٩). ثمّ نبّهت من زيادتي على أنّ لفظ الطلب قد يقع مراداً به الخبر ولذلك في كلّ محلّ نكت ولطائف تُدرك بالفطنة وذكر منها في التبيان[٣٩٢] أمثلة منها قوله تعالى ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾ (الأعراف: من الآية ٢٩) الآية[٣٩٣] لم يقل إقامة وجوهكم تأكيداً لمكان العناية بالصلاة وقوله تعالى حكاية عن هود ﴿ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (هود: من الآية ٥٤) لم

(٣٩٢) التبيان في البيان: ١٤١.

(٣٩٣) ولآية كاملة قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

يقل وأشهدكم حذراً من أن يوازي شهادتهم بشهادة الله تعالى تهاوناً بهم وأورد منه ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ﴾ (التوبة: من الآية ٨٠) وقول كثير[٣٩٤]:

يَاأَسِيئِي بِنا أَو أَحسِنِي لا مَلُومَةً ... لَدِينا وَلا مَقلِيَةً إِن تَقَلَّتِ

وذلك للتسوية كما تقدم في الأمر، ثم الإنشاء كالخبر في كثير مما تقدم من الأبواب الخمسة فليعتبر الناظر ذلك.

***

الوصل والفصل

تَعَاطُفُ الجُمَلِ يُدْعَى الوَصْلاَ ... وَتَرْكُهُ الفَصْلَ فَأَمَّا الأُولَى

فَإِنْ يَكُنْ لَهَا مَحَلٌّ وَقُصِدْ ... تَشْرِيكُ تَالِيهَا لَهَا فِيمَا وُجِدْ

فَاعْطِفْ وَشَرْطُ كَوْنِهِ مَقْبُولاَ ... تَنَاسُبٌ للفَقْدِ جِي مَفْصُولاَ

أَوْ لاَ مَحَلٌّ وَارْتِبَاطٌ يُحْتَذَى ... بِعَاطِفٍ لا الوَاوِ فَاعْطِفْهَا بِذَا

كَرَاحَ زَيْدٌ ثُمَّ جَاءَ أَوْ فَجَا ... عَمْرٌو بِمَهْلَةٍ وُفُورٌ نُهِجَا

أَوْ لاَ وَلَمْ يُعْطَ الذي لِلأُولَى ... لَهَا فَفَصْلٌ وَكَذَا إِنْ تُولَى

مَعَ كَمَالِ الاتِّصَالِ أَوْ سِوَاهْ ... مِنْ غَيْرِ إِيهَامٍ كِلاهُمَا حَوَاهْ

أَوْ شِبْهِ هَذَيْنِ وَإِلاَّ فَصِلِ ... أَمَّا كَمَالُ الانْقِطَاعِ المُكْمَلِ

فَلاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَ إِنْشَا وَخَبَرْ ... لَفْظاً وَمَعْنىً أَوْ بِمَعْنىً مُسْتَقِرْ

كَمَاتَ زَيْدٌ غَفَرَ الرَّحْمَنُ لَهْ ... أَوْ فَقْدِ جَامِعٍ هُنَاكَ شَمِلَهْ

هذا هو الباب السابع وهو أعظم أبواب هذا العلم خطراً وأصعبه مسلكاً وأدقه مأخذاً حتى قصر أبو علي الفارسي[٣٩٥] البلاغة على معرفة الوصل والفصل نقله غير واحد، والمراد بالوصل عطف الجمل بعضها على بعض، وبالفصل ترك التعاطف، فإذا أتت جملة بعد جملة، فالأولى إمّا أن يكون لها محلّ من الإعراب أو لا، فإن كان وقصد تشريك الثانية لها في حكم الإعراب الذي لها مثل الخبرية والحالية والوصفية

(٣٩٤) ديوان كثير عزة: ١٠١.

(٣٩٥) نسب السيوطي هذا القول خطأً لأبي علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) والنص قد ذكره الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) منسوباً للفارسي نسبة لأحد حكماء بلاد فارس، فقال: (قيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال معرفة الفصل من الوصل، وقيل لليوناني...وقيل للرومي... وقيل للهندي)، البيان والتبيين: ٨٨/١.

عطفت عليها كما يعطف المفرد إذا قصد تشريكه لمفرد قبله في حكم إعرابه، وشرط كون عطف الثانية على الأولى مقبولاً في فنّ البلاغة أن يكون بينهما تناسب بجهة جامعة نحو (زيد يكتب ويشعر ويعطي ويمنع) لما بين الكتابة والشعر من التناسب الظاهر والإعطاء ولمنع من التضادّ بخلاف زيد يكتب ويمنع أو يعطي ويشعر، ولهذا عيب على أبي تمام قوله[٣٩٦]:

لا وَالَّـذي هُـوَ عـالِمٌ أَنَّ الـنَوى مُـرٌّ وَأَنَّ أَبـا الحُـسَينِ كَـريمُ

إذ لا مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى، وإن فُقد قصد التشريك المذكور ترك العطف نحو ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ (البقرة: من الآيتين ١٤ - ١٥) لم يعطف (الله يستهزئ بهم) على (إنّا معكم) لأنّه ليس من مقولهم، فلو عطف لفهم تشريكه له في المفعولية فيلزم كونه مقول قول المنافقين وليس كذلك، فإن لم يكن لها محلّ فإن قصد ربط الثانية بها على معنى حرف العطف غير الواو كالتعقيب المستفاد من الفاء والتراخي المستفاد من (ثمّ) وجب عطفها بذلك الحرف نحو (دخل زيد فخرج) أو (ثمّ خرج عمرو)، وإن لم يقصد الربط المذكور فإن كان للأُولى حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية وجب الفصل نحو (وإذا خلوا)الآية لأنّه لم يعطف (الله يستهزئ بهم) على (قالوا) لئلاّ يشاركه في الاختصاص بالظرف لما تقدّم من أنّ تقديم المفعول ونحوه يفيده فيلزم أن يكون استهزاء الله بهم مختصًا بحال خلوّهم إلى شياطينهم وليس كذلك، وإن لم يكن للأُولى حكم لا يقصد إعطاؤه للثانية بأن لم يكن لها حكم زائد على مفهوم الجملة أو كان ولكن قصد إعطاؤه للثانية أيضاً، فإن كان بين الجملتين كمال الانقطاع بدون إيهام خلاف المقصود أو كمال الاتصال أو شبه كمال الانقطاع أو شبه كمال الاتصال وجب الفصل أيضاً، وإلاّ بأن كان بينهما كمال الانقطاع مع الإيهام أو التوسط بين الكمالين فالوصل، فهذه أحوال ستة الحال الأولى كما الانقطاع بأن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً، لفظاً ومعنى أو معنى فقط أو يفقد الجامع، قال الشاعر[٣٩٧]:

وَقـالَ رائِـدُهُمْ أَرْسُـوا نُـزاوِلُها [فَكُـلُّ حَـتْفِ امْـرِئٍ يَجْـري بِمِقْـدارِ]

---

(٣٩٦) ديوان أبي تمام: ٣/٢٩٠.

(٣٩٧) نسبه العباسي في معاهد التنصيص إلى الأخطل: ٢٧١/١، وليس في ديوانه.

فصل (نزاولها) عن (أرسوا) لأنّه خبر لفظاً ومعنى و(أرسوا) إنشاءً لفظاً ومعنىً، وقال اليزيدي[٣٩٨]:

مَلَّكْتُهُ حَبْلِي وَلَكِنَّهُ أَلْقَاهُ مِنْ زُهْدٍ عَلَى غَارِبِي
وَقَالَ إِنِّي فِي الهَوَى كَاذِبٌ انْتَقَمَ اللهُ مِنَ الكَاذِبِ

فصل (انتقم) لأنّه إنشاء معنىً إذ هو دعاء وإن كان لفظه خبراً إذ لفظ الفعل الخالي عن لفظ الطلب خبر، ومثله (مات فلان رحمه الله) أي: يرحمه الله تعالى، فهو إنشاء معنىً فلا يصحّ عطفه على (مات فلان) لأنّه خبر لفظاً ومعنىً، وسيأتي بيان الجامع ومثال الفصل لفقده.

***

يَا ثُمَّ كَمَالُ الاتِّصَالِ مِثْلُ أَنْ يَكُونَ تَوْكِيداً لِلاولَى فَادْفَعَنْ
تَوَهُّمَ المَجَازِ وَالسَّهْوَ كَلاَ رَيْبَ فَلَمَّا بِنِهَايَةِ العُلاَ
بُولِغَ فِي وَصْفِ الكِتَابِ إِذْ جَعَلْ المُبْتَدَا ذَلِكَ وَالَّلامَ دَخَلْ
فِي خَبَرٍ جَازَ تَوَهُّمُ المَجَازْ قَبْلَ تَأَمُّلٍ فَدَفْعُهُ يُحَازْ
فَهْوَ وِزَانُ نَفْسِهِ مُؤَكِّدَا زَيْداً كَذَاكَ قَوْلِهِ بَعْدَ هُدَى
فَإِنّ مَعْنَاهُ بُلُوغُهُ إِلَى دَرَجَةٍ نَحْوُ الهُدَى لَنْ تُوصَلاَ
حَتَّى كَأَنَّهُ هُدىً مَحْضٌ وَذَا مِنْ ذَلِكَ الكِتَابُ قَطْعاً أُخِذَا
لأَنَّ مَعْنَاهُ الكِتَابُ الكَامِلُ أَيْ فِي الهُدَى إِذْ لاَ سِوَاهُ حَامِلُ
فَهْوَ وِزَانُ زَيْدٍ الثَّانِي إِذَا كَرَّرْتَهُ فَقِسْ عَلَيْهِ وَخُذَا
أَوْ بَدَلاً مِنْ تِلْكَ غَيْرِ وَافِيَهْ بِمَا يُرَادُ أَوْ كَغَيْرِ الوَافِيَهْ
وَيَقْتَضِي المَقَامُ الاعْتِنَاءا بِشَأْنِهِ لِنُكْتَةٍ تَرَاءَى
كَكَوْنِهِ فِي نَفْسِهِ مَطْلُوبَا فَظِيعاً اوْ لَطِيفاً اوْ عَجِيبَا
كَقَوْلِهِ جَلَّ أَمَدَّكُمْ بِمَا ثُمَّ أَمَدَّكُمْ وَعَدَّ الأَنْعُمَا
فَالقَصْدُ ذِكْرُ نِعَمٍ وَالثَّانِي أَوْفَى بِهِ إِذْ فَصَّلَ المَعَانِي

---

(٣٩٨) يحيى بن مبارك، عالم وشاعر وراوية، له ديوان شعر لم يصل إلينا، وله مجموعة مؤلفات في اللغة والنحو، والبيتان منسوبان إليه، وقد استشهد بهما في دلائل الإعجاز: ٢٣٦، والإيضاح: ١/ ١٥٠.

وَلَــمْ يَحُــلْ فَهْــوَ وِزَانُ الــوَجْهِ فِــي أُعْجِــبَ زَيْــدٌ وَجْهُــهُ الــبَدْرُ وَفِــي
كَــذَلِكَ ارْحَــلْ لاَ تُقِــيمَنْ عِــنْدَنَا فَقَــصْدُهُ إظْهَــارُ كُــرْهٍ وَاعْتِــنَا
وَلاَ تُــــقِمْ أوْفَــــى بِــــهِ إذْ دَلاَّ مُطَابِقــــاً وَأكَّــــدَ المَحَــــلاَّ
فَهْــوَ وِزَانُ الحُــسْنِ فِــي أعْجَبَــنَا وَجْــهُ حَبِــيبٍ حُــسْنُهُ حِــينَ رَنَــا
أوْ كَــوْنُهَا عَطْــفُ بَــيَانٍ لِلْخَفَــا مَــعَ اقْتِــضَا إزَالَــةٍ لَــهُ وَفَــى
كَوَسْــوَسَ الــذي تَــلاَهُ قَــالَ يَــا آدَمُ فَهْــوَ قَــدْ أبَــانَ الخَافِــيَا
فَهْــوَ وِزَانُ عُمَــرٍ فِــيمَنْ شَــعَرْ أقْــسَمَ بِــاللهِ أبُــو حَفْــصٍ عُمَــرْ

الحال الثاني كمال الاتصال بأن تكون الثانية مؤكدة للأولى أو بدلاً منها أو عطف بيان، وإنّما وجب الفصل فيها لكونها توابع، والتوابع عين المتبوع والعطف يقتضي المغايرة والموجب للتأكيد دفع توهم السهو أو المجاز، ثمّ تارةً تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد المعنوي من متبوعه في إفادة التقرير مع الاختلاف في معنى الجملتين وتارةً منزلة التأكيد اللفظي في اتحاد المعنى، فالأوّل كقوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ﴾ (البقرة: من الآية ٢) فإنّه لمّا بولغ في وصف الكتاب ببلوغه الدرجة القصوى في الكمال حيث جعل المبتدأ (ذلك) الدال على كمال العناية بتمييزه والتوسّل ببعده إلى التعظيم وعلوّ الدرجة وتعريف الخبر باللام الدالة على الانحصار فمعنى (ذلك الكتاب) أنّه الكتاب الكامل الذي يستحقّ أن يسمّى كتاباً حتى كأنّ ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص بل ليس بكتاب - جاز أن يتوهّم السامع قبل التأمّل أنّ في ذلك مجازاً أي بسبب المبالغة فأتبع بقوله (لا ريب فيه) دفعاً لهذا التوهّم فهو وزان (نفسه) في قولك (جاء زيد نفسه)، والثاني كقوله تعالى ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: من الآية ٢) فإنّ معناه أنّه في الهداية بالغ درجة لا يدرك كنهها لما في تنكير هدى من الإبهام والتفخيم وللإتيان به دون هادٍ حتى كأنّه هداية محضة وهذا معنى (ذلك الكتاب) لأنّ معناه الكتاب الكامل أي في الهداية إذ هي المقصود من الإنزال فهو وزان (زيد) الثاني في قولك (جاء زيد زيد).

وأمّا البدل أي كون الثانية بدلاً من الأولى وذلك لكونها غير وافية بتمام المراد أو كغير الوافية به والمقام يقتضي الاعتناء بشأن المراد لنكتة ككونه مطلوباً في نفسه أو فضيعاً أو لطيفاً أو عجيباً فتتنزّل الثانية من الأولى منزلة بدل البعض أو الاشتمال فالأوّل

كقوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ۝ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ۝ ﴾ (الشعراء من الآيتين ١٣٢ - ١٣٣) إلخ، فإنّ المراد التنبيه على نعم الله تعالى والمقام يقتضي الاعتناء بشأنه لكونه مطلوباً في نفسه وقوله (أمدكم بأنعام) إلخ أوفى بتأديته لدلالته عليهما بالتفصيل من غير إحالة على علم المخاطبين المعاندين فهو وزان (وجهه) في (أعجبني زيد وجهه) لدخول الثاني في الأوّل لأنّ (بما تعلمون) يشمل الأنعام وغيرها، والثاني كقول الشاعر(٣٩٩):

أَقُـــولُ لَـــهُ ارْحَـــلْ لا تُقـــيمَنَّ عِـــنْدَنَا [وإلا فكُـنْ فـي الـسِّرِّ وَالجَهْـرِ مُـسْلِمَا]

فإنّ المراد كمال إظهار كراهة الإقامة وقوله (لا تقيمنّ عندنا) أوفى بتأديته لدلالته عليه بالمطابقة مع التأكيد بالنون بخلاف (ارحل) فإنّ دلالته عليه بالتضمّن، فهو وزان(حسنها) في (أعجبني في الدار حسنها)، لأنّ عدم الإقامة مغاير للارتحال فلا يكون تأكيداً وغير داخل فيه فلا يكون بدل بعض مع ما بينهما من الملابسة فيكون بدل اشتمال، وأمّا بدل الكلّ فلا يتأتّى هنا استغناءً بعطف البيان لأنّه قريب منه، وقال في الإيضاح(٤٠٠): لأنّه تأكيد في المعنى ولأنّه مقصود دون متبوعه والمقصود في البيان ونحوه الأوّل والثاني توضيح له، ومن أمثلة ذلك من القرآن ﴿ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ ٱتَّبِعُواْ ﴾ (يس: من الآيتين٢٠ - ٢١) الآية(٤٠١) فإنّ المراد حمل المخاطبين على اتباع الرسل، وقوله ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝ ﴾ (يس: الآية ٢١) أوفى بتأديته وهو مشتمل عليه، وقولنا في الموضعين (أوفى) بصيغة أفعل المقتضية لكون الأولى وافية أيضاً مع ما تقدّم من أنّها غير وافية لأنّ الأولى وافية مع ضرب من القصور باعتبار الإجمال وعدم مطابقته الدلالة فصارت كغير الوافية، وأمّا البيان أي كونها عطف بيان للأولى لخفائها مع اقتضاء المقام إزالته فكقوله تعالى ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ ﴾ (طه: من الآية ١٢٠) الآية(٤٠٢) فصل (قال) عن (وسوس) لأنّ فيها تفسيراً لها وبياناً

(٣٩٩) نسبه العباسي في معاهد التنصيص إلى الأخطل: ١/٢٧٨، وليس في ديوانه.

(٤٠٠) الإيضاح: ١/ ١٥٣.

(٤٠١) وتمامها قوله تعالى: ﴿ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾.

(٤٠٢) وتمامها قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾.

لها وكذا ﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ (البقرة: من الآيتين ٨ - ٩)، ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾(يوسف: من الآية ٣١) فإنّه إذا خرج من جنس البشر فقد دخل في جنس آخر فاحتاج إلى بيان تعيينه، وقال أبو العلاء في سيف(٤٠٣):

مُقيمُ النَّصْلِ في طَرَفَيْ نَقيضٍ ... يكُونُ تَبايُنٌ منه اشْتِكالا
تَبيّنُ فَوْقَهُ ضَحْضَاحَ ماءٍ ... وتُبْصِرُ فيه للنّارِ اشْتِعالا

أخفى في البيت الأوّل الماء والنار المشبه بهما طرائف السيف التي هي متنه وعرائقه بقوله (طرفي نقيض) وبالغ فيه حيث جعل التباين فيه تشابهاً وتشاكلاً ثمّ أوضحه بالبيت الثاني، وذلك وزان (عمر) في قوله (اقسم بالله أبو حفص عمر)، روى الحارث بن أبي أسامة في مسنده قال حدثنا أشهل بن حاتم قال حدثنا ابن عون بن محمد قال سأل عمر رجلاً عن إبله فذكر عجفاء ودبراء فقال عمر: إنّي لأحسبها ضخاماً سماناً، قال فمضى فمرّ عليه عمر وهو في إبله يحدوها وهو يقول:

أقْسَمَ باللهِ أبُو حَفْصٍ عُمَرْ
مَا إنْ بِهَا مِنْ نَقَبٍ وَلا دَبَرْ
فَاغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ إنْ كَانَ فَجَرْ

فقال عمر: ما هذا؟ قال: أمير المؤمنين سألني عن إبلي فأخبرته عنها فزعم أنّه يحسبها سماناً ضخاماً وهي كما ترى، قال: فإنّي أمير المؤمنين ائتني في مكان كذا وكذا فأتاه فأمر بها فقبضت فأعطاه مكانها من إبل الصدقة(٤٠٤).

***

وَشِبْهُ الانْقِطَاعِ كَوْنُ عَطْفِ ذِي ... يُوهِمُهُ عَلَى سِوَاهَا وَخُذِ
تَظُنُّ سَلْمَى أنَّنِي البَيْتُ مَثَلْ ... وَسَمّ بِالقَطْعِ الذي قَدِ انْفَصَلْ

الحال الثالث شبه الانقطاع بأن يكون عطف الثانية على الأولى موهماً لعطفها على غيرها، وشبه كمال الانقطاع باعتباره اشتماله على مانع من العطف إلا أنّه لما كان خارجياً يمكن رفعه بنصب قرينة لم تكن من كمال الانقطاع ويسمى الفصل لذلك قطعاً وهو أخصّ من الاصطلاح السابق بقصر القطع الذي هو ترك العطف على تركه في هذا

---

(٤٠٣) شروح سقط الزند: ١/ ٩٢.

(٤٠٤) مسند الحارث بن أبي اسامة: ٢/٨٩٢.

القسم مثاله[٤٠٥]:

وَتَظُنُّ سَلْمَى أَنَّنِي أَبْغِي بِهَا ... بَدَلاً أُرَاهَا فِي الضَّلالِ تَهِيمُ

فصل (أراها) لأنّه لو عطف لظنّ أنّه معطوف على (أبغي) وليس مراداً بل يفسد المعنى.

***

وَشِبْهُ الاتِّصَالِ كَوْنُهَا جَوَابْ ... سُؤَالِ الأولَى اقْتَضَتْهُ وَالصَّوَابْ

تَنْزِيلُهَا مَنْزِلَةً فَتُفْصَلُ ... فَصْلَ جَوَابِهِ وَقِيلَ يُجْعَلُ

مُقَدَّراً لِنُكْتَةٍ كَالاغْتِنَا ... عَنْهُ وَتَرْكُ السَّمْعِ مِنْهُ يُعْتَنَى

وَسَمِّهَا وَفَصْلَهَا اسْتِئْنَافَا ... وَهْوَ ثَلاثُ أَضْرُبٍ قَدْ وَافَى

إِذِ السُّؤالُ قَدْ يَكُونُ عَنْ سَبَبْ ... حُكْمٍ عُمُوماً أَوْ خُصُوصاً يُنْتَخَبْ

أَوْ غَيْرَ ذَيْنِ ثُمَّ مِنْهُ مَا أَتَى ... باسمِ الذي اسْتُؤْنِفَ عَنْهُ كَالفَتَى

أَحْسِنْ إِلَيهِ، الفَتَى بِهِ حَرِي ... أَوْ وَصْفَهُ وَهْوَ أَشَدُّ فَاذْكُرِ

نَحْوُ صَدِيقُكَ القَدِيمُ قَدْ أَهَلّ ... وَصَدْرُ الاسْتِئْنَافِ رُبَّمَا خُزِلْ

فَكُلُّهُ مَعْ قَائِمٍ مَقَامَهُ ... أَوْ دُونَهُ وَدَافِعٌ إِيهَامَهُ

يُوصِلُهُ كَمِثْلِ قَوْلِ الدَّاعِ لاَ ... وَأَيَّدَ اللهُ حِمَاكَ بِالعُلاَ

الحال الرابع شبه الاتصال: بأن تكون الثانية جواباً عن السؤال اقتضته الأولى فتنزل الأولى منزلة السؤال فتفصل منها الثانية كما يفصل الجواب عن السؤال، وقال السكاكي[٤٠٦]: ينزل السؤال المفهوم منزلة السؤال الواقع لنكته كإغناء السامع عن أن يسأل أو قصد أن لا يسمع منه لاحتقاره أو كراهة كلامه أو نحو ذلك، قال في الإيضاح[٤٠٧]: كقصد أن لا ينقطع كلامك لكلامه أو تكثير المعنى بقليل اللفظ بطيّ السؤال والعاطف ويسمى الفصل بذلك استئنافاً وكذا الجملة الثانية تسمى استئنافاً ومستأنفة، والاستئناف ثلاثة أضرب لأن السؤال الذي تضمّنته الأولى والمقدر على

(٤٠٥) لم نعثر للبيت على نسبة، ولم ينسبه في معاهد التنصيص: ١/ ٢٧٩.

(٤٠٦) مفتاح العلوم: ١٢٧ - ١٢٩.

(٤٠٧) الإيضاح: ١/ ١٥٥.

رأي السكاكي إمّا عن سبب عامّ أو خاصّ أو لا عن سبب، فالعامّ كقوله(٤٠٨):

قَالَ لِي: كَيْفَ أَنْتَ؟ قُلْتُ: عَلِيلُ ... سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلُ

كأنّ المخاطب لمّا سمع (عليل) قال (ما سبب علتك)، قال (سهر) الخ، وإنّما كان عامًّا إذ العادة إذا قيل (فلان مريض) أن يُسأل عن مرضه وسببه لا أن يقال هل سبب علته كذا وكذا حتى يكون السؤال عن سبب خاص. والخاص نحو ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ (يوسف: من الآية ٥٣) كأنّه قيل (هل النفس أمارة بالسوء) بقرينة التأكيد، وهذا الضرب يُستحسن له التأكيد كما سبق، والثالث نحو ﴿ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ ﴾ (هود: من الآية ٦٩) أي فماذا قال، قال الشيخ عبد القاهر في الدلائل(٤٠٩): وكلّ ما في القرآن من (قال) بلا عاطف فقدِّره على هذا، قال الشيخ بهاء الدين(٤١٠): يعني على الاستئناف، ومنه(٤١١):

زَعَمُوا العَوَاذِلُ أَنَّنِي فِي غَمْرَةٍ ... صَدَقُوا وَلَكِنْ غَمْرَتِي لاَ تَنْجَلِي

كأنّه قيل (هل صدقوا)، ثم من الاستئناف ما يأتي بإعادة اسم من استؤنف عنه مثل (أحسن إلى زيدٍ زيدٌ حقيق بالإحسان) بإعادة اسم (زيد)، وقول أبي تمام(٤١٢):

سَلَبنا غِطاءَ الحُسنِ عَن حُرِّ أَوجُهٍ ... تَظَلُّ لِلُبِّ السالِبيها سَوالِبا

وُجوهٌ لَوَ أَنَّ الأَرضَ فيها كَواكِبٌ ... تَوَقَّدُ لِلسارينَ كانَتْ كَواكِبا

ومنه ما ينبني على صفة وهو أبلغ لأنّ فيه ذكر السبب بخلاف الأوّل نحو (أحسن إلى زيد، صديقك القديم أهل لذلك) والسؤال المقدر في القسمين (لماذا أحسن إليه وهل هو حقيق بالإحسان)، ومن هذا القسم قول أبي العلاء(٤١٣):

وقد غَرِضْتُ من الدّنيا فهَلْ زَمَني ... مُعْطٍ حَيَاتي لِغِرٍّ بَعْدُ مَا غَرِضا

---

(٤٠٨) لم نعثر للبيت على نسبة، وقد استشهد به الجرجاني في دلائل الإعجاز: ٢٣٦.

(٤٠٩) دلائل الإعجاز: ٢٣٨.

(٤١٠) عروس الأفراح: ١/٥٠٧.

(٤١١) لم نعثر للبيت على نسبة، وقد استشهد به الجرجاني في دلائل الإعجاز: ٣٣٤.

(٤١٢) ديوان أبي تمام: ١/١٣٩. والبيت الثاني فيه وُجوهٌ لَوَ:

أَنَّ الأَرضَ فيها كَواكِبٌ ... تَوَقَّدُ لِلساري لَكُنَّ كَواكِبا

(٤١٣) شروح سقط الزند: ٢/٦٥٥.

جَـرّبْتُ دَهْـري وأهلِـيه فَمـا تَـرَكتْ لـيَ الـتّجارِبُ فـي وُدّ امـرِئٍ غَرَضـا

فإنّه حين أبدى شاكية الزمن حمل السامع على سؤال: ماذا تشكوا منه؟ ولماذا استحق الشكاية؟ فقال إني جربت دهري وأهليه ومارستهم فلم يبقَ لي فيهم غرض وقد يحذف صدر الاستئناف فعلاً كان أو اسماً نحو ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝ رِجَالٌ﴾ (النور: من الآية ٣٦ - ٣٧) كأنّه قيل: من يسبح؟ فقال: يسبحه رجال، أو المسبح رجال. وقد يحذف الاستئناف كله إمّا مع قيام شيء مقامه يدل على المحذوف كقوله[٤١٤]:

يازَعمْـتُمْ أَنَّ إِخـوَتَكُمْ قُـرَيْشٌ لَهُـمْ إِلْـفٌ وَلَـيْسَ لَكُـمْ إِلافُ

كأنّه قيل: صدقنا أم كذبنا؟ فقال مقدراً: كذبتم، ثمّ استدلّ عليه بقوله لهم إلف الخ، أو لا نحو ﴿ فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ ﴾ (الذاريات: من الآية ٤٨) أي: نحن.

الحال الخامس الوصل لدفع الإبهام، وهو معنى قولي (ودافع إبهامه بوصله)، كقولهم (لا وأيدك الله) وصلت وإن كان بينهما كمال الانقطاع لأنّ الأولى خبر والثانية إنشاء لئلاّ يتوهم أنّ (لا) داخلة على جملة (أيدك الله) فتكون دعاء عليه، وفي ربيع الأبرار[٤١٥] أنّ أبا بكر (رضي الله تعالى عنه) مرّ برجل يقال له أبو لفانة في يده ثوب فقال له الصديق (رضي الله تعالى عنه): أتبيع هذا الثوب؟ قال: لا رحمك الله. فقال الصديق: قد قُوِّمت ألسنتكم لو تستقيمون، لا تقل هكذا قل: لا ورحمك الله. وحكاها صاحب المغرب[٤١٦] بلفظ (وعافاك الله). وسأل المأمون اليزيدي[٤١٧] عن شيء، قال: لا وجعلني الله فداك، فقال المأمون: لله درك ما وضعت الواو موضعاً قط أحسن منها هنا. وقد وجدت لهذا النوع مثالاً من الحديث وهو ما أخرجه أحمد في مسنده عن أبي

(٤١٤) البيت لمساور بن هند، فارس مخضرم من شعراء الحماسة، ينظر شرح ديوان الحماسة: ٣/ ١٤٤٩.

(٤١٥) ربيع الأبرار: ٥/٢٦٣.

(٤١٦) المغرب في ترتيب المعرب: ٢/٢٤٧، وأورده تحت الجذر لقف فقال: (تلقَّفْتُ) الشيءَ: إذا أخذَته من يَدِ رامٍ رماك به. ومنه: تَلقَّف مِن فيه كذا: إذا حَفِظه وبِفَعَّالة منه: كُني البدويُّ الذي قال له أبو بكرٍ رضي الله عنه: أبا لَقَّافَةَ هل تبيع هذا البعير بمائة؟ قال: لا عافاك الله، فقال له: لا تقل هكذا ولكن قل: عافاك الله لا.

(٤١٧) تنظر الحادثة في: الأذكياء، ابن الجوزي: ١١١.

هريرة قال (كنا مع رسول الله ﷺ في المسجد فجاءه أعرابي، فقال: أعطني يا محمد، فقال: لا وأستغفر الله، قال: وكانت يمينه أن يقول لا واستغفر الله)[418].

وربّما يقصد الشاعر المواربة فيترك الوصل، قال شيخ الإسلام أبو الفضل ابن حجر[419]:

الــدَّوادَارُ قَــالَ لِــي سَــوْفَ أقْــضِي مَآرِبَــكْ
أبْــذُلِ المَــالَ قُلْــتُ لاَ حَفِــظَ اللهُ جَانِــبَكْ

***

ياوَصِــلْ إذَا تَوَسُّــطٌ بَيْــنَهُمَا يَكُــونُ فِــيهَما كَــأنْ تلْفِــيهِمَا
تَــوَافَقَا إنْــشَاءً اوْ فَخَبَــرَا فِــي لَفْــظٍ اوْ مَعْنــىً بِجَامِــعٍ يُــرَى

الحال السادس: الوصل لتوسط الجملتين بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع بأن تتفق الجملتان في الخبرية والإنشائية لفظاً ومعنىً أو معنىً فقط وتحت ذلك ثمانية أقسام: أن تكونا خبريّتين لفظاً ومعنىً، إنشائيّتين كذلك، إنشاءين معنىً والأوّل خبر لفظاً، إنشاءين معنىً والأوّل إنشاء، خبرين معنىً والأوّل إنشاء، خبرين معنىً والأوّل خبر، إنشاءين معنىً وهما خبران لفظاً، خبرين معنىً إنشاءين لفظاً، ولا بدّ من تحقيق جامع بينهما على ما سيأتي مثاله ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ ﴾ (الانفطار: الآيتان ١٣ - ١٤) من الأول والجامع التّضاد، ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ (الأعراف: من الآية ٣١) من الثاني، ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (البقرة: من الآية ٨٣) أي لا تعبدوا وأحسنوا من الثالث أو يقدر وتحسنون بمعنى أحسنوا فيكون من السابع.

***

(٤١٨) في مسند أحمد (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فلما قام قمنا معه فجاءه أعرابي فقال أعطني يا محمد قال فقال لا واستغفر الله فجذبه فخدشه قال فهموا به قال دعوه قال ثم أعطاه قال وكانت يمينه أن يقول لا واستغفر الله) ٢/ ١٢٨٨.

(٤١٩) لم نعثر على ديوان ابن حجر ولم نجد من ذكر البيتين.

وَهْــوَ يَكُــونُ باعْتِبَارِ المُسْنَدِ إلَيْهِما وَالمُسْنَدَيْنِ فَقَدِ

الجامع بين الجملتين يجب أن يكون باعتبار المسند إليهما والمسندين جميعا: أي المسند إليه في الأولى والمسند إليه في الثانية وكذلك المسند في الأولى والمسند في الثانية نحو (يشعر زيد ويكتب) للمناسبة بين الشعر والكتابة و(يعطى ويمنع) لتضادّ الإعطاء والمنع، و(زيد شاعر وعمرو كاتب) و(زيد طويل وعمرو قصير) للمناسبة بينهما من أخوّة أو صداقة أو عداوة أو نحو ذلك من الملابسات، بخلاف ما إذا لم تكن كذلك وإن اتحد المسندان نحو (خُفِّي ضيّق وخاتمي ضيّق) أو كانت ولا مناسبة نحو (زيد شاعر وعمرو طويل) وإن كان بين زيد وعمرو مناسبة لعدم تناسب الشعر وطول القامة.

***

يافَمِنْهُ عَقْلِيٌّ بِأَنْ يَكُونَ فِي تَصَوُّرٍ بَيْنَهُمَا إذَا يَفِي
تَمَاثُلٌ أو اتِّحَادٌ أوْ يُرَى تَضايُفٌ كَأَصْغَرٍ وَأَكْبَرَا
وَإنْ يَكُنْ بَيْنَ تَصَوُّرَيْهِمَا شِبْهُ تَمَاثُلٍ فَلِلْوَهْمِ انْتَمَى
كَلَوْنَيِ البَيَاضِ وَالصُّفْرَةِ إذْ يَبْرُزُهُمَا كَالمِثْلِ وَهْمٌ مَا انْتُبِذْ
كَذَا تَضَادٌ كَالبَيَاضِ وَالسَّوَادْ أوْ كَالسَّمَا وَالأَرْضِ يشِبْهُ التَضَادّ
وإنْ يَكُنْ يَسْبِقُ فِي الخَيَالِ تَقَارُنٌ فَجَامِعٌ خَيَالِيْ
وَاخْتَلَفَتْ أسْبَابُهُ فَاخْتَلَفَتْ صُوَرُهُ فَوَضُحَتْ أوْ فَخَفَتْ

الجامع بين الشيئين عقليّ أو وهميّ أو خياليّ، فالعقلي علاقة تجمع الشيئين في القوة المفكرة بأن يكون بينهما اتحاد في التصوّر مثاله في الطرفين (قام زيد أمس وقام زيد أمس) مريداً بذلك قياماً واحداً للتأكيد، ومنه ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ﴾ (التكاثر: الآيتان٣ – ٤) وحديث (أن بني هشام بن مغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن ثم لا آذن)[٤٢٠]، وفي المسند فقط (زيد يكتب وأخوه يكتب) وفي المسند إليه فقط نحو (زيد يكتب ويشعر)، أو تماثل فيهما مثاله (زيد يعطي وأخوه يعطي)، وفي المسند (زيد يعطي وهو يعطي) إذا قصد غير الإعطاء

---

(٤٢٠) صحيح مسلم ١٩٠٢/٤.

الأوّل، وفي المسند إليه (زيد يعطي وأخوه يمنع)، أو تضايف بأن يكون كلٌّ من الشيئين لا يمكن تعقله إلا بقياس إلى تعقّل الآخر كالأصغر والأكبر والأقل والأكثر والأعلى والأسفل، والوهمي بأن يكون بين تصوريهما شبه تماثل كلوني البياض والصفرة فإنّ الوهم يبرزهما في معرض المثلين لتقاربهما فيسبق إليه أنّهما نوع واحد زيد في أحدهما عارض، بخلاف العقل فإنّه يعرف أنّهما نوعان متباينان، أو يكون بين تصوّريهما تضادّ كالسواد والبياض والإيمان والكفر وما يتصف بهما الأبيض والأسود والمؤمن والكافر، أو شبه التضادّ كالسماء والأرض لأنّ الأوّل في غاية الارتفاع والثاني في غاية الانحطاط وليستا من المتضادّات لأنّهما لم يتعاقبا على محلّ واحد كالأوّل والثاني، لأنّ الأوّل هو السابق والثاني هو المسبوق بواحد والوهم ينزل التضادّ وشبهه منزلة التضايف في أنّه لا يحضره أحد المتضادّين أو شبهه إلاّ ويحضره الآخر، ولذلك تجد الضدّ أقرب خطوراً بالبال مع الضدّ من سواه من المغايرات، والخيالي بأن يكون بين تصوّريهما تقارن في الخيالات سابق على العطف لأسباب مؤدية إلى ذلك وهي مختلفة، فلذلك اختلفت الصور الثابتة في الخيالات ترتباً ووضوحاً، وربّ شيئين يجتمعان في خيال زيد دون خيال عمرو لملابسة لهما دون غيره ونحو ذلك، وربّما كان بين الأمرين جامع خياليّ عند قوم دون قوم كقوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ ﴾ (الغاشية: ١٧) الآيات[٤٢١]، فإنّ هذه الأمور مجتمعة في خيال أهل البوادي فإنّ أكثر انتفاعهم بالإبل وانتفاعهم بها بالمرعى الناشئ عن المطر النازل من السماء المقتضي تقلّب وجوههم إليها ولا بدّ من مأوى وحصن، فكثر نظرهم إلى الجبال ولا بدّ لهم من التنقّل من أرض إلى أرض فذكرت الأرض فصور هذه الأمور حاضرة في ذهنهم على الترتيب المذكور بخلاف الحاضر.

يَاوَحَسَّنَ الوَصْلَ تَنَاسُبٌ وُجِدْ فِي اسْمِيَّةٍ وَفِي مُضِيِّهَا وَضِدّ
قُلْتُ وَفِي الشَّرْطِيَّةِ الظَّرْفِيَّةِ وَالحَصْرِ وَالتَّأْكِيدِ لِلْمِزِيَّةِ

من محسنات الوصل بعد وجود المصحح تناسب الجملتين في الاسميّة والفعليّة

(٤٢١) والآيات هي: ﴿ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾.

وتناسب الفعليّتين في المضيّ والمضارعة ما لم يكن مانع من إرادة التجدد في إحداهما والثبوت في الأخرى نحو (قام زيد وعمرو قاعد) ومنه ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَـٰمِتُونَ ﴾ (الأعراف: من الآية ١٩٣) أي أأحدثتم الدعوة أم استمرّ صمتكم عن دعائهم، أو المضيّ في إحداهما والمضارعة في الأخرى أو في إحداهما على الإطلاق وفي الأخرى التقييد بالشرط نحو ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ (الأنعام: من الآية ٨)، قاله الشيخ بهاء الدين نقلاً[٤٢٢]، ومن التناسب أيضاً أن تكون الجملتان سواء في الشرطية والظرفية أي إذا كان المعطوف عليها شرطية أو ذات ظرف فلتكن الثانية كذلك، قال: وينبغي أن يدخل في هذا القسم ما إذا كان في إحداهما أداة حصر أو تأكيد بأنّ واللام ونحو ذلك.

***

تذنيب:

الأَصْـلُ فِـي الحَـالِ المُفِـيدِ نَقْلَـهْ ... خُلُـوُّهَا فَـإِنْ أَتَـاكَ جُمْلَـهْ

تَحْـتَجْ لِمَـا يَـرْبِطُهَا فَـإِنْ خَلَـتْ ... عَـنْ مُـضْمَرٍ فَهْـيَ بِـوَاوٍ قُـرِنَتْ

لمّا كانت الحال الواقعة جملة تارة تدخلها الواو وتارة لا تدخلها صار لها في الصورة حالتا وصل وفصل فناسب ذكره ذلك في بابه وجعل كالذنابة لما قبله، ثمّ الحال إمّا مؤكدة ولا تدخلها الواو أبداً لأنّها في معنى ما قبلها، أو متنقلة وهو الأكثر، والأصل فيها مفردة كانت أو جملة خلوّها من الواو لأنّها في المعنى حكم على صاحبها كالخبر ووصف له كالنعت، وكلّ منهما لا يصلح عطفه فكذا الحال لكن الجملة منه تحتاج لما يربطها بصاحبها لاستقلالها بالإفادة كالواقعة صلة وخبراً وصفة، وكلٌّ من المضمر والواو صالح للربط، والأصل هو الضمير[٤٢٣]بدليل الاقتصار عليه في الحال المفردة والخبر والنعت الصلة وإنّما يعدل عنه إذا تعذّر.

***

وَكُـلُّ جُمْلَـةٍ تُـرَى عَـنْ مُـضْمَرِ ... مَـا صَـحَّ عَـنْهُ نَـصْبُهَا حَـالاً عَـرِي

(٤٢٢) عروس الأفراح: ١/٥٤٠.

(٤٢٣) في ط [المضمر].

تَـصُحُّ أنْ تكُـونَ حَـالاً عَـنْهُ ... بِالـوَاوِ أمَّـا إنْ تكُـنْ حَـوَتْهُ
فَمَا عَلَى حُصُولِ وَصْفٍ مَا ثَبَتْ ... مُقَـارِنٌ لِمَـا لَـهُ قَـدْ قُـيِّدَتْ
دَلَّ فَـضَاهَى المُفْـرَدَ المُؤَصَّـلاَ ... فَامْـنَعْ بِهَـا الـوَاوَ وَمَـا لَـيْسَ فَـلاَ
فَـأَوَّلٌ مُـضَارِعٌ قَـدْ أُثْبِـتَا ... فَالاقْتِـرَانُ إذْ مُـضَارِعاً أَتَـى
وَبِالثُّـبُوتِ فَالـصِّفَاتِ تَحْـصُلُ ... وَمَـا حَـوَاهَا شَـذَّ أوْ مُـؤَوَّلُ
وَإنْ نُفِـي تَجَـوُّزاً لِكَـوْنِهِ ... دَلَّ عَلَـى القِـرَانِ لاَ حُـصُولِهِ
كَمُثْـبتِ المَاضِـي فَلِلْحُـصُولِ لاَ ... لِلاقْتِـرَانِ وَلِـذَا قَـدْ دَخَـلاَ
مُقَـرَّباً وَبَعْـضُهُمْ لَـمْ يَـشْتَرِطْ ... وَقَـالَ مَـنْ أوْجَـبَهَا فَقَـدْ غَلَـطْ
وَمَـا نُفِـي فَـلاَ حُـصُولَ إذْ نُفِـي ... وَلَكِـنِ اقْتِـرَانُهُ حَقَّـاً يَفِـي
لأَنَّ لَمَّـا نَفْـيُهَا يَـسْتَغْرِقُ ... وَغَيْـرُهَا نَفْـيٌ لِمَـا قَـدْ يَـسْبِقُ
وَالأَصْـلُ الاسْـتِمْرَارُ فِـيهِ فَـإذَا ... أَطْلَقْـتَهُ فَالاقْتِـرَانُ يُحْـتَذَى
خِـلاَفُ مُثْـبَتٍ فَـإنَّ الفِعْـلاَ ... بِوَضْـعِهِ عَلَـى الحُـدُوثِ دَلاّ
وَإنْ تَكُـنْ اسْـمِيَّةٌ فَالمُرْتَـضَى ... جَـوَازُ تَـرْكِهَا بِعَكْـسِ مَـا مَـضَى
فِـي مُثْـبَتِ المَاضِـي وَلَكِـنْ رُجِّحَـا ... دُخُـولُهَا إذِ الثُّـبُوتُ مَـا انْمَحَـى
مَـعْ كَـوْنِ الاسْـتِئْنَافِ فِـيهَا قَـدْ بَـدَا ... وَقِـيلَ الْـزِمْ إذْ يَكُـونُ المُبْـتَدَا
ضَـمِيرَ ذِي الحَـالِ وَإنْ يَـسْبِقْ خَبَـرْ ... ظَـرْفٌ فَحُـسْنُ تَـرْكِهَا قَـدِ اسْـتَقَرّ
كَـذَا بِحَـرْفٍ دَاخِـلٍ فِـي المُبْـتَدَا ... أوْ تَلَـتِ الجُمْلَـةُ حَـالاً مُفْـرَدَا
قُلْـتُ وَذَاتُ الـشَّرْطِ وَاواً تُلْـزَمُ ... إذْ فُقِـدَتْ مَـا لامْتِـنَاعٍ يُحْـتَمُ

كلّ جملة خلت عن ضمير ما صحّ نصبها عنه حالاً تصحّ أن تقع حالاً عنه بالواو، وأمّا الحاوية للضمير فإن كانت فعلية وصدرها مضارع مثبت امتنع دخول الواو نحو ﴿ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ ﴾ (المدثر: ٦) لأنّ الأصل في الحال المفردة وهي تدلّ على حصول صفة غير ثابتة مقارن لما جعلت الحال قيداً له وهو العامل والمضارع المثبت كذلك، أمّا دلالته على حصول صفة فلكونه مثبتاً، وأمّا كون الصفة غير ثابتة أي منتقلة فلكونه فعلاً وهو يدلّ على التجدد وعدم الثبوت، وأمّا المقارنة فلكونه مضارعاً وهو

يصلح للحال وما ورد من قوله[٤٢٤]:

[فَلَمَّـــا خَـــشِيتُ أَضَـــافِيرَهُم] نَجَـــوْتُ وَأَرْهَـــنُهُمْ مَالِكـــا

فشاذٌ أومؤوّل على حذف المبتدأ أي: أنا أرهنهم، وإن كان مضارعاً منفياً جاز الأمران الإتيان بالواو وتركها على السواء نحو ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ ﴾ (المائدة: من الآية ٨٤)، ﴿ فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ ﴾(يونس: من الآية ٨٩) على قراءة ابن ذكوان بتخفيف النون[٤٢٥] لأنّ المانع من الواو مجموع كون الفعل دالاً على الحصول والمقارنة فزال الحصول بالنفي وبقي المقارنة للمضارعة وبزوال جزء العلة يزول الامتناع فيجوز الإتيان بالواو وتركها اكتفاءً بالضمير وكذا الماضي لفظاً إذا كان مثبتاً أو معنى وهو المضارع المنفي بـ(لم) أو (لمّا) نحو ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ ﴾ (آل عمران: من الآية ٤٠)، ﴿ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾(النساء: من الآية ٩٠)، ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ﴾(آل عمران: من الآية ٤٧)، ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ (آل عمران: من الآية ١٧٤)، ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم ﴾(البقرة: من الآية ٢١٤)، أمّا جواز الأمرين في المثبت فلأنّه دالّ على الحصول للإثبات دون المقارنة لكونه ماضياً فلا يقارن الحال ولذلك شرط أن يكون مع (قد) ظاهرة أو مقدرة كما في ﴿ حَصِرَتْ ﴾ (النساء: من الآية ٩٠) لأنّها تقرّب الماضي من الحال، هذا رأي جمهور النحاة والذي اختاره أبو حيان[٤٢٦] وجماعة آخرهم شيخنا العلامة الكافيجي منع الاشتراط، وقد غلط من أوجبها ظانًّا أنّ حال الزمان والحال المبينة للهيئة واحدة وليس كذلك كما لا يخفى، ولفظ (قد) إنما يقرّب الماضي من الحال التي هي زمان المتكلم، أمّا جواز الأمرين في المنفي فلدلالته على المقارنة دون الحصول، أمّا الثاني فلكونه منفيًّا، وأمّا الأوّل فلأنّ (لمّا) من حروف النفي للاستغراق أي لامتداد النفي من حين

---

(٤٢٤) البيت لعبد الله بن همام السلولي، طبقات فحول الشعراء: ٥٩٢/٢، الشعر والشعراء: ٦٥١/٢، دلائل الإعجاز: ٢٩٠.

(٤٢٥) قرأ ابن ذكوان (تَتْبعانِ) بتخفيف التاء والنون، كتاب السبعة في القراءات: ٣٢٩، معجم القراءات القرآنية: ٩٠/٣.

(٤٢٦) ينظر: ارتشاف الضرب: ٢٥٦/٣.

الانتفاء إلى زمن التكلم وسائر الحروف مثل (لم) و(لا) لانتفاء متقدم على زمان التكلم مع أنّ الأصل استمراره حتى تظهر قرينة على الانقطاع فيحصل بذلك الدلالة على المقارنة عند الإطلاق بخلاف المثبت فإن وضع الفعل على إرادة التجدّد من غير أن يكون الأصل استمراره وإن كانت اسمية فالمشهور جواز تركها بعكس ما تقدّم في الماضي المثبت لدلالتها على المقارنة لكونها مستمرة لا على حصول صفة غير ثابتة لدلالتها على الدوام والثبات نحو (كلمته فوه إلى فيّ)، والمشهور أيضاً أنّ دخولها أولى من تركها لعدم دلالتها على عدم الثبوت مع ظهور الاستئناف فيها فحسن زيادة رابطة نحو ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: من الآية ٢٢)، وقيل إن كان المبتدأ فيها ضمير صاحب حال وجبت سواء كان خبره فعلاً أم اسماً نحو (جاء زيد وهو يسرع) أو (وهو مسرع)، لأنّ الفائدة كانت حاصلة بدون الضمير فالإتيان به يشعر بقصد الاستئناف المنافي للاتصال فلا يصلح أن يستقلّ بالربط فتجب الواو وإن كان الخبر ظرفاً مقدّماً كثر ترك الواو نحو (جاء زيد على كتفه سيف) وقوله[٤٢٧]:

[إِذا أَنكَرَتنـــي بَلـــدَةٌ أَو نَكَـــرتُها] خَـرَجْتُ مَـعَ الـبازي عَلَـيَّ سَـوادُ

ويحسن ترك الواو في الجملة الاسمية أيضاً لعارض كدخول حرف غير الواو على المبتدأ لحصول نوع من الارتباط به كقوله[٤٢٨]:

فَقُلْـتُ عَـسَى أَنْ تُبْـصِريني كَأَنَّمَـا بَنِـيَّ حوالَـيَّ الأُسْـودُ الحَـوَارِدُ

فدخول (كأنّما) على (بنيّ) حسن ترك الواو منها لئلاّ يتوارد على الجملة حرفان وكذا إذا وقعت الجملة بعد حال مفردة كقوله[٤٢٩]:

واللّـهُ يُبْقِـيكَ لَـنا سَـالِمَاً بُـرْدَاكَ تَبْجِـيلٌ وَتَعْظِـيمُ

قال في الإيضاح[٤٣٠]: هذا كلّه إذا لم يكن صاحب الحال نكرة مقدّمة فإن كان نحو (جاءني رجل وعلى كتفه سيف) وجبت الواو لئلاّ يشتبه الحال بالنعت، هذا تقرير هذا

---

(٤٢٧) البيت لبشار بن برد، ديوانه: ٣/٤٩، وفيه:

إِذا أَنكَرَتنـي بَلـدَةٌ أَو نَكَـرتُها نَهَـضتُ مَـعَ الـبازي عَلَـيَّ سَـوادُ

(٤٢٨) البيت للفرزدق، ديوانه: ١/١٤٦. وفيه:

فَإِنّـي عَـسى أَن تُبـصِريني كَأَنَّمـا بُنَـيَّ حَوالَـيَّ الأُسـودُ اللَـوابِدُ

(٤٢٩) البيت لابن الرومي، ديوانه: ٦/٣١٥.

(٤٣٠) الإيضاح: ١/١٧٥.

الفصل على نمط ما وقع في التلخيص[٤٣١] من التفسير وفيه عسر وغموض، وأمّا النظم فإنّي سبرته سبراً حسناً حيث أصّلت أنّ الجملة الحاوية للضمير ما دلّ منها على حصول الوصف غير الثابت المقارن لما قيدته يمتنع منها وما لا فلا يمتنع، بل يجوز دخولها وتركها، ثمّ بيّنت أنّ الأوّل المضارع المثبت وعللته ثمّ ذكرت أنّه إن نفي جاز الأمران وأنّ مثله مثبت الماضي ومنفيّه، وعللّت كلّ قسم تلوه ثمّ ختمت بالاسمية وفروعها وقولي(وإن يسبق خبر ظرف) فيه تصريح بضابط المسألة واقتصر في التلخيص[٤٣٢] على التمثيل، ثمّ نبّهت من زيادتي على أنّ جملة الحال إن وقعت شرطية تلزمها الواو نحو (جاء زيد وإن يَسألْ يُعْطَ) إذ لا حصول فيها ولا مقارنة فبعدت على المفردة بزوال كلّ من خاصّيّتها، وقد جزم أبو حيّان في الارتشاف[٤٣٣] بجواز وقوع الشرطية حالاً وكذا أعرب الزمخشريّ[٤٣٤]قوله تعالى ﴿إن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾ (الأعراف: من الآية ١٧٦) حالاً.

***

المساواة والإطناب والإيجاز

يـــاالمُفْهَمُ المُـــرَادُ مِمَّـــا يُقْـــبَلُ ... إنْ لَفظُـــهُ سَـــاوَاهُ فَهْـــوَ الأوَّلُ

أوْ زَادَ مَـــعْ فَائِـــدَةٍ فَالـــثَّانِ أوْ ... وَفَـــى بِـــنَقْصٍ فَهْـــوَ الإيجَـــازُ رَأَوْا

وَخَـــرَجَ الـــتَّطْوِيلُ وَالحَـــشْوُ كَمَـــعْ ... فَائِـــدَةٍ وَبِالـــوَفَا الإخْـــلالَ دَعْ

وَمَـــنْ نَفَـــى حَـــدَّهُمَا أوِ ادَّعَـــى ... فَقْـــدَ المُـــسَاوَاةِ فَـــلَنْ يُتَّـــبَعَا

هـذا هـو البـاب الثامن وهـو بـاب عظيم حتى نقل صاحب سر الفصاحة[٤٣٥] عن بعضهم أنّ البلاغة هي الإيجاز والإطناب، وقد اختلف في حقيقتهما فقال السكاكي[٤٣٦] ومن تبعه كالطيبي[٤٣٧] أنّهما لكونهما من الأمور النسبية لا يتيسّر الكلام فيهما إلاّ بترك

---

(٤٣١) التلخيص: ٥١.

(٤٣٢) ينظر التلخيص: ٥٢ – ٥٣.

(٤٣٣) ارتشاف الضرب: ٢/٣٦٣.

(٤٣٤) الكشاف: ٣٩٦.

(٤٣٥) سر الفصاحة: ٥٩.

(٤٣٦) مفتاح العلوم: ١٣٣.

(٤٣٧) التبيان في البيان: ١١٤.

التحقيق والرجوع إلى أمر عرفي وهو متعارف كلام الأوساط الذين ليسوا في مرتبة البلاغة، فالإيجاز أداء مقصود بأقلّ من عبارة المتعارف، والإطناب أداؤه بأكثر منها، وتارة يرجع فيه إلى كون المقام خليقاً بأبسط مما ذكر، قال صاحب التلخيص(٤٣٨): وفيه نظر لأنّ كون الشيء نسبياً لا يقتضى تعسّر تحقق معناه، والبناء على المتعارف والبسط والموصوف ردّ إلى الجهالة، وإلى ذلك أشرت بقولي (ومن نفى حدهما)، وقال ابن الأثير(٤٣٩) وغيره: الإيجاز التعبير عن المراد بلفظ غير زائد، والإطناب بلفظ زائد فلا واسطة عنده، والمساواة داخلة في الإيجاز، والسكاكي(٤٤٠) يراها واسطة لكن يجعلها أبداً غير مقبولة بل بها يعتبر الإيجاز والإطناب المقبولان، والى ذلك أشرت بقولي (أو ادعى فقد المساواة) والتصريح به من زيادتي. وقال صاحب التلخيص(٤٤١): الأقرب أن يقال إنّ المقبول من طرق التعبير عن المراد تأدية أصله إمّا بلفظ مساوٍ له أي للأصل المراد أو ناقص عنه واف أو زائد عليه لفائدة، والأوّل المساواة، والثاني الإيجاز، والثالث الإطناب، واحترز بـ(واف) عن الإخلال بأن يقصر اللفظ عن أداء الكلام على وجه يطابق مقتضى الحال كقوله(٤٤٢):

وَالعَـــيْشُ خَيْـــرٌ فِـــي ظِـــلاَ ... لِ الـــنُّوكِ مِمَّـــنْ عَـــاشَ كَـــدًّا

فإنّ المراد العيش الناعم في ظلال الجهل خير من العيش الشاق في ظلال العقل، واللفظ غير وافٍ بذلك، قلت: لكن المقام يدلّ عليه وهو من باب الاحتباك الآتي واحترز بـ(فائدة) عن التطويل وهو زيادة لفظ غير متعين لا لفائدة كقوله(٤٤٣):

[فَقَـــدَّمَتِ الأدِيـــمَ لِرَاهِـــشِيهِ] ... وَأَلْفَـــى قَـــوْلَهَا كَـــذِباً وَمَيْـــنَا

فإنّ الكذب والمَين واحد والزائد أحدهما غير متعين، وعن الحشو وهي زيادة

(٤٣٨) التلخيص: ٥٤.
(٤٣٩) المثل السائر: ٣٦٧/٢.
(٤٤٠) مفتاح العلوم: ١٣٣.
(٤٤١) التلخيص: ٥٤.
(٤٤٢) البيت للحارث بن حلزة، ديوانه: ٢٠، وفيه:
فالـــنوكُ خَيـــرٌ فـــي ظِـــلا ... لِ العَـــيشِ مِمَّـــن عـــاشَ كَـــدّا
(٤٤٣) البيت لعدي بن زيد، ديوانه: ١٣٨.

متعينة لا لفائدة مفسداً كان كـ(الندى) في قوله[٤٤٤]:

وَلا فَضلَ فيها لِلشَجاعَةِ وَالنَدى وَصَبرِ الفَتى لَولا لِقاءُ شَعوبِ

مفهومه أنّه لا فضل له للشجاعة والندى لولا الموت وهو مستقيم لأنّ المقدام إذا تيقّن الموت ثمّ أقدم عليه حمد دون البذل لأنّ التيقّن من الموت وتخليف المال لم يحمد على البذل وإنّما يحمد عليه من يرجو الحياة والحاجة، أو غير مفسد كقوله[٤٤٥]:

وَأَعلَمُ عِلمَ اليَومِ وَالأَمسِ قَبلَهُ [وَلَكِنَّني عَن عِلمِ ما في غَدٍ عَمي]

فقوله (قبله) حشو لكنّه غير مفسد.

***

ضَرْبَانِ لِلإيجَازِ قَصْرٌ قَدْ خَلاَ بِلاَ يَحِيقُ المَكْرُ مِثْلُ أوّلاَ

فَقَدْ حَوَتْ فَوَائِدَ اخْتِصَاصِ مِنْ حَذْفِ شَيْءٍ آيَةُ القِصَاصِ

القَتْلُ أنْفَى بَعْدَ لِلْقَتْلِ ذُكِرْ عَلَى الذي أُوْجِزَ مَا فِيهِ شُهِرْ

مَطْلُوبِهِ وَالنُّكْرِ تَعْظِيماً جَلاَ بِقِلَّةِ الحُرُوفِ وَالنَّصِّ عَلَى

غِنَىً وَإنْ خَلاَ عَنِ التَّكْرِيرِ وَبِالطِّبَاقِ وَعَنِ التَّقْدِيرِ

أمّا المساواة فكقوله تعالى ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ (فاطر: من الآية ٤٣)، واعترض على هذا المثال بأنّ فيه إيجازاً بحذف المستثنى منه وإطناباً بقوله (السيء) إذ المكر لا يكون إلاّ سيئاً، وأجاب الشيخ سعد الدين[٤٤٦] عن الأوّل بأنّ هذا الحذف رعاية لأمر لفظيّ لا يفتقر إليه تأدية أصل المراد حتى لو صرّح به لكان إطناباً أو تطويلاً، ومثّل في الإيضاح[٤٤٧] بقوله تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ (الأنعام: من الآية ٦٨)، قيل: وفيه حذف موصوف (الذين) ويجاب بما تقدّم.

وأمّا الإيجاز فضربان: إيجاز القصر وهو ما ليس فيه حذف وإيجاز الحذف،

---

(٤٤٤) البيت للمتنبي، شرح ديوانه: ١/١٧٥.

(٤٤٥) البيت لزهير بن أبي سلمى، ديوانه: ٢٩.

(٤٤٦) مختصر السعد: ٢٥٦.

(٤٤٧) الإيضاح: ٢/١٨١.

فالأوّل كقوله تعالى ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ (البقرة: ١٧٩)، فإنّ معناه كثير ولفظه يسير، لأنّ معناه أنّ الإنسان إذا علم أنّه متى قَتَلَ قُتِلَ كان ذلك داعياً إلى أن لا يقدم على القتل، فارتفع بالقتل الذي هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض وكان ارتفاع القتل حياة لهم وليس فيه حذف شيء، وفضّلت هذه الجملة على أوجز ما كان عند العرب في هذا المعنى وهو قولهم (القَتْلُ أنْفَى لِلقَتْلِ)[٤٤٨] بقلّة حروف ما يقابله منه وهو (القصاص حياة) فإنّها عشرة وتلك أربعة عشرة حرفاً، وبالنصّ على المطلوب الذي هو الحياة فيكون أزجر عن القتل والعدوان، وبما يفيده تنكير (حياة) من التعظيم، وبالمطابقة وهي الجمع بين متقابلين في الجملة كالقصاص والحياة، وباستغنائه عن تقدير محذوف بخلاف قولهم، فإنّ تقديره: القتل أنفى للقتل من تركه، وبخلوّه عن التكرير ولا شكّ أنّ الخالي عنه أفضل من المشتمل عليه، وإن لم يكن مخلاً بالفصاحة ولهذا قيل في قول الشاعر[٤٤٩]:

وَكَأنَّ العِذَارَ فِي حُمْرَةِ الخَدِّ ... عَلَى حُسْنِ خَدِّكَ المَنْعُوتِ
صَوْلَجَانٌ مِنَ الزُّبُرْجد معطو ... فٌ على أُكْرَةٍ مِنَ اليَاقُوتِ

إنّه أحسن ما وصف به العذار لولا ما فيه من تكرير الخدّ ولفضله أيضاً بالاطراد إذ القصاص مطلقاً سبب الحياة بخلاف القتل فإنّه قد يكون أنفى للقتل وقد يكون أدعى له كالقتل ظلماً، وبأمور أخر أوصلها الشيخ بهاء الدين[٤٥٠] إلى عشرين هذه محاسنها.

***

قُلْتُ لَقَدْ قَسَّمَ فِي التِّبْيَانِ ذَا ... إلَى ثَلاثٍ كُلُّ قِسْمٍ يُحْتَذَى
أنْ يُقْصَرَ اللَّفْظُ عَلَى مَعْنَاهُ ... قَصْراً يُرَى فَقْدُ الذي سَاوَاهُ
وَزَائِدُ المَعْنَى عَلَى المَنْطُوقِ ... إيجَازُ تَقْدِيرٍ مَعَ التَّضْيِيقِ
وَالجَامِعُ اللفْظُ حَوَى المَعَانِي ... كَآيَةِ العَدْلِ مَعَ الإحْسَانِ

قسم الطيبي في التبيان[٤٥١] الإيجاز الخالي من الحذف إلى ثلاثة أقسام: إيجاز قصر

---

(٤٤٨) مجمع الأمثال ١/١٠٥.

(٤٤٩) لم نعثر للبيتين على نسبة.

(٤٥٠) عروس الأفراح: ١/٥٨٧ – ٥٨٩.

(٤٥١) التبيان في البيان: ١٢١.

وهو أن يقصر اللفظ على معناه كقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَـٰنَ ﴾(النمل: من الآية ٣٠) إلى قوله تعالى ﴿ وَأۡتُونِى مُسۡلِمِينَ ﴾ (النمل: من الآية ٣١)[٤٥٢]، جمع في أحرف العنوان الكتاب، وقيل في وصف بليغ: (كانت ألفاظه قوالب معناه)، قلت: وهذا رأي من يدخل المساواة في الإيجاز.

الثاني: إيجاز التقدير وهو أن يُقدّر معنى زائد على المنطوق ويسمّى بالتضييق أيضاً، وبه سماه في المصباح[٤٥٣] لأنّه نقص من الكلام ما صار لفظه أضيق من معناه نحو ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ ﴾ (البقرة: من الآية ٢٧٥) أي خطاياه غفرت فهي له لا عليه، ﴿ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: من الآية ٢) أي الضالين الصائرين بعد الضلال إلى التقوى. وقال بعضهم في رجل بلغه عنه كلام قبيح: الحمد لله الذي أحوجه إلى الكذب عليّ ونزّهني عن قول الحقّ فيه. أي جعلني محسوداً له فكذب عليّ ومع هذا نزهني أن أقول ما فيه.

الثالث: الإيجاز الجامع، وهو أن يحتوي اللفظ على معانٍ متعددة نحو ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَـٰنِ ﴾ (النحل: من الآية ٩٠) الآية[٤٥٤]، فإنّ العدل هو الصراط المستقيم المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط المومى به إلى جميع الواجبات في الاعتقاد والأخلاق والعبودية، والإحسان هو الإخلاص في واجبات العبودية لتفسيره في الحديث بقوله (أن تعبد الله كأنك تراه)[٤٥٥] أي تعبده مخلصاً في نيتك واقفاً في الخضوع آخذاً أهبة الحذر إلى ما لا يحصى، وإيتاء ذي القربى هو الزيادة على الواجب من النوافل هذا في الأوامر، وأمّا النواهي فبالفحشاء الإشارة إلى القوة الشهوانية، وبالمنكر الإفراط الحاصل من آثار الغضبية أو كلّ محرّم شرعاً، وبالبغي إلى الاستعلاء

---

(٤٥٢) والآيتان هما: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِى مُسۡلِمِينَ ۝ ﴾.

(٤٥٣) المصباح: ٣٦.

(٤٥٤) وتمامها قوله تعالى: ﴿ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡىِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.

(٤٥٥) المعجم الأوسط، الطبراني: ٥/٢٣٧.

الفائض على الوهمية. قلت: ولهذا روى الحاكم في المستدرك عن ابن مسعود قال: (ما في القرآن آية أجمع للخير والشر من هذه الآية)[٤٥٦]، وروى البيهقيّ في شعب الإيمان عن الحسن أنّه قرأ يوماً هذه الآية ثمّ وقف فقال: (إنّ الله تعالى جمع لكم الخير كلّه والشرّ كلّه في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والإحسان من طاعة الله شيئاً إلاّ جمعه ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئاً إلاّ جمعه)[٤٥٧]، وروى أيضاً عن ابن الشهاب في معنى حديث الشيخين (بعثت بجوامع الكلم)[٤٥٨] قال: (بلغني أنّ جوامع الكلم أنّ الله تعالى يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ ﴾ (الأعراف: من الآية ١٩٩) الآية[٤٥٩]، فإنّها جامعة لمكارم الأخلاق لأنّ في أخذ العفو التساهل والتسامح في الحقوق واللين والرفق في الدعاء إلى الوالدين وفي الأمر بالعرف كفّ الأذى وغضّ البصر وما شاكلهما من المحرمات، وفي الإعراض الصبر والحلم والتودد والآيات والأحاديث مشحونة بذلك.

***

وَالـثَّانِ ذُو الحَـذْفِ فَمَـا قَـدْ حُـذِفَا ... مُـضَافٌ اوْ مَوْصُـوفٌ اوْ مَـا وُصِـفَا
أَوْ شَـرْطٌ اوْ جَـوَابُهُ حَـصْرٌ عُنِـي ... أَوْ يَـذْهَبُ الـسَّامِعُ كُـلَّ مُمْـكِنِ
قُلْـتُ وَمَوْصُـولٌ وَوَصْـلٌ وَكَـذَا ... جُـزْآ إِضَـافَةٍ وَثَانِـيهَا خُـذَا
وَذُو تَعَلُّـقٍ مَـعَ المَجْـرُورِ ... وَالعَطْـفِ وَالمَعْطُـوفِ وَالتَّفْـسِيرِ
وَالحَـالِ وَالمُـبْدَلِ وَالمُـسْتَثْنَى ... وَجُـزْءِ كِلْمَـةٍ وَحَـرْفِ مَعْنَـى

(٤٥٦) المستدرك: ٣٨٨/٢، وفيه: (إن أجمع آية في القرآن للخير والشر في سورة النحل: أن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون).

(٤٥٧) شعب الإيمان: ١٦٢/١.

(٤٥٨) لم نجده في مسند ابن الشهاب، وفي صحيح البخاري: ٢٥٧٣/٦: وفيه (بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي قال أبو عبد الله وبلغني أن جوامع الكلم أن الله يجمع الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين أو نحو ذلك)

(٤٥٩) وتمامها قوله تعالى: ﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾.

أَوْ جُمْلَةٍ مُسَبَّباً أَوْ سَبَبَا كَقَوْلِهِ فَانْفَجَرَتْ أَيْ ضَرَبَا
أَوْ فَوْقَهَا فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ ومِنْهُ مَا لاَ نَوْبَ عَمَّا يُحْذَفُ
وَقَدْ يُنَابُ ثُمَّ عَقْلٌ قَدْ يَدُلّ عَلَيْهِ وَالتَّعْيِينُ مَقْصُودٌ يَحُلّ
أَوْ عَادَة أَوِ اقْتِرَانٌ أَوْ شُرُوعْ فِي الفِعْلِ بِسْمِ اللهِ مَثِّلْ فِي الفُرُوعْ

الضرب الثاني إيجاز الحذف، قال الشيخ بهاء الدين: لا يقال إيجاز القصر فيه أيضاً حذف لكلام كثير، لأنّ إيجاز القصر يؤتى فيه بلفظ قليل يؤدّي معنى لفظ كثير، وإيجاز الحذف يُترك فيه شيء من ألفاظ التركيب الواحد مع إبقاء غيره بحاله(٤٦٠)، والمحذوف إمّا جزء كلمة أو جملة أو أكثر، والأوّل إمّا مضاف نحو: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾(يوسف: من الآية ٨٢) أي أهل القرية، ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ (البقرة: ١٨٩) أي ذا البرّ أو برّ من اتقى، أو مضاف إليه كما رويته في قوله (وثانيها خذا) نحو ﴿ كُلٌّ فِى فَلَكٍ ﴾ (الأنبياء: من الآية ٣٣)، ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾(الروم: من الآية ٤)، أو المضاف والمضاف إليه معاً نحو ﴿ مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ ﴾ (طه: من الآية ٩٦) أي أثر حافر فرس الرسول، وهو معنى قولي من زيادتي: (جزآ إضافة)، أو موصوف نحو ﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾ (الإسراء: من الآية ٥٩) أي آية مبصرة [وقول الشاعر](٤٦١):

أَنـا اِبـنُ جَـلا وَطَـلاعِ الثَـنايا [مَتى أَضَعِ العِمامَةَ تَعرِفوني]

إي ابن رجل جلا، أو صفة نحو: ﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾(الكهف: من الآية ٧٩) أي صالحة، أو شرط كما تقدّم في آخر الإنشاء تقديره أو جوابه إمّا لمجرّد الاختصار نحو ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ ﴾ (يس: من الآية ٤٥) الآية(٤٦٢) أي أعرضوا، وإمّا لقصد أن يذهب السامع كلّ مذهب ممكن فلا يتصوّر مطلوباً أو مكروهاً إلاّ ويجوز أن يكون

---

(٤٦٠) عروس الأفراح: ٥٩١/١.

(٤٦١) البيت لسحيم الرياحي من بني حمير شاعر مخضرم عاش في الجاهلية أربعين سنة وفي الإسلام ستين سنة.والبيت في: الأصمعيات: ١٧٢، طبقات فحول الشعراء: ٥٧٩/٢، البيان والتبيين: ٣٠٨/٢.والبيت تمثل به أبو محجن الثقفي في خطبته الشهيرة، تنظر الخطبة في: البيان والتبيين: ٢٠٨/٢.

(٤٦٢) والآية كاملة قوله تعالى﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.

الأمر أعظم منه بخلاف ما لو اقتصر على ذكر شيء نحو ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ (الأنعام: من الآية ٢٧)، أو موصول وهو وما بعده من زيادتي ومثله الطيبي[٤٦٣] والشيخ بهاء الدين[٤٦٤] بقوله تعالى ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ (الرعد: من الآية ١٠) أي ومن هو سارب، قلت وخرجوا عليه قول هرقل: (هذا يملك هذه الأمّة قد ظهر)، أي الذي يملك، أو صلته قال السكاكي[٤٦٥] والطيبي[٤٦٦] كقولهم (جاء بعد اللتيا والتي)[٤٦٧]، أي بعد الشدائد التي بلغت فظاعتها مبلغاً يبهت السامع فلا يدري ما يقول، أو متعلّق قال الطيبي[٤٦٨]: نحو ﴿ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا ﴾ (مريم: من الآية ٧٣) أي أيُّ الفريقين أبلغ في خير مقامه من الآخر في شرّه، أقيم المتعلّق مقام متعلّقه، أو جار ومجرور قال الطيبي[٤٦٩]: نحو ﴿ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾ (التوبة: من الآية ١٠٢) أي صالحاً بسيّئ وآخر سيّئاً بصالح، قلت: وهذا هو النوع المسمى بالاحتباك وسيأتي في البديع، أو حرف عطف مع المعطوف نحو ﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾ (آل عمران: من الآية ٢٦) أيّ والشرّ، ﴿ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ (النحل: من الآية ٨١) أي والبرد، أو تمييز وهو المراد بقولي والتفسير نحو (كم سرت أي ميلاً)، أو حالاً نحو ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ ﴾ (الرعد: من الآيتين٢٣ - ٢٤) أي قائلين، أو المبدل منه نحو ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ ﴾ (النحل: من الآية ١١٦)، أو المستثنى نحو (قبضت عشرة ليس إلاّ أو ليس غير)، وتقدّم حذف المسند إليه والمسند والفعل والمفعول، وقد يكون المحذوف جزء كلمة كالنون في ﴿ لَمْ يَكُ ﴾ (الأنفال: من الآية ٥٣) والياء في ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ ﴾ (الفجر: ٤)، وسأل المؤرجُ السدوسي الأخفشَ عن

(٤٦٣) التبيان في البيان: ١٢٠.

(٤٦٤) عروس الأفراح: ١/٥٩٣.

(٤٦٥) مفتاح العلوم: ١٣٤.

(٤٦٦) التبيان في البيان: ١٢٠.

(٤٦٧) مجمع الأمثال: ١/١٦٤.

(٤٦٨) التبيان في البيان: ١٢٠.

(٤٦٩) المصدر نفسه: ١١٩.

هذه الآية، فقال: لا أجيبك حتى تنام على بابي ليلة، ففعل، فقال: إنّ عادة العرب أنّها إذا عدلت بالشيء عن معناه نقصت حروفه والليل لمّا كان لا يسري وإنّما كان يسرى فيه نقص منه حرف كما قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ (مريم: من الآية ٢٨) والأصل: باغية، فلمّا حوّلها عن فاعل نقص منه حرف. وأشار إلى ذلك الطيبي[٤٧٠]، وقد يكون حرفاً من حروف المعاني كهمزة الاستفهام وواو العطف وربّ ونحو ذلك وهو كثير، والجملة إمّا سبب لمذكور نحو: ﴿ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ ﴾(البقرة: من الآية ٦٠) أي فضربه بها فانفجرت، أو مسبب عن مذكور نحو ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ ﴾ (الأنفال: من الآية ٨) الآية[٤٧١] أي فعل ما فعل ليحقّ، ومثال أكثر من جملة، ﴿ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ۝ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ ﴾ (يوسف: من الآيتين ٤٥ - ٤٦) أي فأرسلون إلى يوسف لاستعبره الرؤيا ففعلوا وأتاه فقال له يا يوسف، ثمّ قد لا يقام شيء مقام المحذوف وقد يقام، ثمّ قد يدلّ العقل على المحذوف والمقصود الأظهر على التعيين نحو ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾ (المائدة: من الآية ٣) الآية[٤٧٢]، فالعقل دلّ على أنّ هنا حذفاً إذ الأحكام الشرعية إنّما تتعلّق بالأفعال دون العيان والمقصود الظهر من هذه الأشياء تناولها الشامل للأكل وشرب اللبان فدلّ على تعيين المحذوف، وقد يدلّ على التعيين العقل أيضاً نحو ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ (الفجر: من الآية ٢٢) أي أمره أو عذابه، أو العادة نحو ﴿ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ﴾ (يوسف: من الآية ٣٢) يحتمل أن يقدر لمتنني في حبه لقوله ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ (يوسف: من الآية ٣٠)، وفي مرادوته

---

(٤٧٠) التبيان في البيان: ١١٨.

(٤٧١) وتمامها قوله تعالى: ﴿ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾.

(٤٧٢) والآية كاملة قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾.

﴿ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦ ﴾ (يوسف: من الآية ٣٠)، والعادة دلّت على الثاني لأنّ الحبّ المفرط لا يلام صاحبه عليه لأنّه ليس اختيارياً، أو الاقتران كقولهم للمعرّس (بالرفاء والبنين)[٤٧٣]، أي أعرست بالملاءمة والاتفاق، أو الشروع في الفعل نحو (بسم الله)، فيقدّر ما جعلت مبتدأ له في القراءة أقرأ وفي السفر أرتحل ونحو ذلك على اعتبار ذلك التصريح في حديث الصحيحين في الذكر عند النوم (باسمك ربي وضعت جنبي)[٤٧٤].

***

وَيَــــرِدُ الإطْــــنَابُ للإيــــضَاحِ[٤٧٥] مِــــنْ بَعْــدِ إبْهَــامٍ لِقَــصْدٍ ضَــاحِي
مِــثْلُ الْــتِذاذٍ كَامِــلٍ لِلْعِلْــمِ بِــهْ أَوْ مُكْــنَةٍ فِــي الــنَّفْسِ بَعْــدَ طَلَــبِهْ

الإطناب يكون بأمور: منها الإيضاح بعد الإبهام أي إذا أردت أن تبهم ثمّ توضح فإنّك تطنب، وفائدته إمّا تكميل لذّة العلم به لأنّ الشيء إذا عرف من وجه ما تشوّقت النفس للعلم به من باقي وجوهه وتأمّلتَ، فإذا حصل العلم على بقية الوجوه كانت لذّته أشدّ من علمه من جميع وجوهه دفعة واحدة، وإمّا ليتمكّن المعنى في النفس تمكّناً زائداً لوقوعه بعد الطلب، ومن أمثلة ذلك ﴿ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴾ (طه: ٢٥) فإنّ (اشرح) يفيد طلب شرح شيء ما له و(صدري) يفسّره، ومثله ﴿ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۝٢٦ ﴾ (طه: ٢٦) والمقام يقتضي التأكيد للإرسال المؤذن بتلقّي الشدائد وكذا ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ ﴾ (الشرح: ١) والمقام مقام الامتنان والتفخيم.

***

وَمِــــنْهُ تَوْشِــــيعٌ بِآخَــــرٍ تَــــرِدْ تَثْنِــــيَةٌ مَــــضْمُونُهَا بَعْــــدَ فَــــرِدِ

من الإيضاح بعد الإبهام التوشيع وهو لغة لف القطن المندوف، واصطلاحاً أن يؤتى في آخر الكلام بمثنى يفسره باسمين ثانيهما معطوف على الأوّل، وقال في المصباح[٤٧٦] هو مأخوذ من الوشيعة وهي الطريقة في البرد، كقوله ﷺ (يكبر ابن آدم

(٤٧٣) مجمع الأمثال: ١/١٠٠.

(٤٧٤) صحيح البخاري: ٥/٢٣٢٩، صحيح مسلم: ٤/٢٠٨٥.

(٤٧٥) في ر، ح [بالإيضاح].

(٤٧٦) المصباح: ٨٠.

ويكبر معه اثنتان الحرص وطول الأمل) رواه البخاري من حديث انس[٤٧٧]، وقوله (عليكم بالشفاءين العسل والقرآن) رواه ابن ماجه عن ابن مسعود[٤٧٨]، وقوله (اقتدوا بالذين من بعدي: أبي بكر وعمر) رواه الترمذي عن حذيفة[٤٧٩]، وقوله (للمرأة ستران: القبر والزوج) رواه الطبراني عن ابن عباس[٤٨٠]، وقوله (لكلّ أحد حرفة وحرفتي شيئان الجهاد والفقر)[٤٨١]، وقوله (احذروا الشهرتين الصوف والخزّ) رواهما الديلمي في مسند الفردوس[٤٨٢]، وقوله (أخرجوا حقّ الضعيفين المرأة واليتيم) رواه ابن حبان في الثواب[٤٨٣]، وقوله (أكثروا من ذكر القرينتين: سبحان الله وبحمده) رواه الديلمي[٤٨٤]، وقوله (أكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان الفم والفرج)[٤٨٥]، وقوله (اقتلوا الأسودين الحية والعقرب) رواهما الترمذي وغيره[٤٨٦]، وقوله (الخمر من هاتين الشجرتين: النخلة والعنبة) رواه مسلم[٤٨٧]، وقوله (غشيتكم السكرتان حبّ العيش وحب الجهل) رواه في الحلية[٤٨٨]، وقول أبي بكر (أهلكهنّ الأحمران الذهب والزعفران) رواه مسدد في

---

(٤٧٧) لم نجد الحديث في صحيح البخاري وقد وجدناه في سنن البيهقي الكبرى: ٣٦٨/٣ وفيه (يهرم ابن آدم ويبقى منه اثنان الحرص وطول الأمل) وقال عقبه (اخرجه البخاري ومسلم) ولم نجده فيهما فيما بحثنا، وينظر الحديث في المسند المستخرج على صحيح مسلم: ١١٣/٣، مسند أحمد: ١١٩/٣.

(٤٧٨) سنن ابن ماجه: ١٤٢/٢.

(٤٧٩) سنن الترمذي: ٦٠٩/٥.

(٤٨٠) المعجم الأوسط: ١٥١/٨، المعجم الصغير: ٢٣٠/٢. وفيهما (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة ستران قيل وما هما قال الزوج والقبر).

(٤٨١) الفردوس بمأثور الخطاب: ٣٣٩/٣.

(٤٨٢) المصدر نفسه: ٨٣/١.

(٤٨٣) صحيح ابن حبان: ٣٧٦/١٢، وفيه: (أخرج حقّ الضعيفين المرأة واليتيم).

(٤٨٤) الفردوس بمأثور الخطاب: ٨١/١.

(٤٨٥) سنن الترمذي: ٣٦٣/٤، وفيه (سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال الفم والفرج).

(٤٨٦) سنن الترمذي: ٢٣٣/٢، مسند الطيالسي: ١/ ٦٤ وفيهما: (أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الاسودين في الصلاة يعني الحية والعقرب).

(٤٨٧) صحيح مسلم: ١٥٧٣/٣.

(٤٨٨) حلية الأولياء: ٨/ ٤٨ - ٤٩، وفيه: (غشيتكم السكرتان سكرة حب العيش وحب الجهل...) وفيه أيضاً (غشيتكم السكرتان سكرة الجهل وسكرة حب العيش...).

مسنده(٤٨٩)، وقول الشاعر(٤٩٠):

أُمْسِي وَأُصْبِحُ مِنْ تَذْكارِكُم وَصِبَا ... يَرْثِي لَهُ المُشْفِقَانِ الأهْلُ وَالوَلَدُ
قَدْ خَدَّدَ الدَّمعُ خَدِّي مِنْ تَذَكُّرِكُمْ ... واعْتَادَنِي المُضْنِيَانِ الوَجْدُ وَالكَمَدُ
وَغَابَ عَنْ مُقْلتِي نَوْمِي لِغَيْبَتِكُمْ ... وَخَانَنِي المُسْعِدانِ الصَّبْرُ وَالجَلَدُ
لا غَرْوَ لِلدَّمْعِ أنْ تَجْرِي غَوارِبُهُ ... وَتَحْتَهُ المُظْلِمَانِ القَلْبُ وَالكَبِدُ
كَأنَّمَا مُهْجَتِي شِلْوٌ بمَسْبَعَةٍ ... يَنْتَابُهَا الضَّارِيَان الذِّئْبُ وَالأَسَدُ
لَمْ يَبْقِ غَيْرُ خَفِيِّ الرُّوحِ في جَسَدِي ... فَذَلَكَ البَاقِيَانِ الرُّوحُ وَالجَسَدُ

وقال عبد الباقي اليمني وقد يجيء في آخر العجز والصدر معاً كقوله(٤٩١):

فَمَا زِلْتُ فِي لَيْلَيْنِ شَعْرٍ وَظُلْمَةٍ ... وَشَمْسَيْنِ مِنْ خَمْرٍ وَوَجْهِ حَبِيبِ

قال: وقد يجيء بدل المثنى بمعطوفين بعدهما معطوفان كقوله(٤٩٢):

للهِ لَيْلَتُنَا إِذْ صَاحِبَايَ بِهَا ... بَدْرٌ وَبَدْرٌ سَمَاوِيٌّ وَأرْضِيُّ

قال: وقد يفسر المثنى بمفرد مضاف كقول البحتري(٤٩٣):

وَمَتَى تَسَاهَمْنا الوِصَالُ وَدُونَنَا ... يَومانِ يَومُ نَوىً وَيَومُ صُدودِ

ولم أر من ذكر هذه الفروع غيره، وبقي فرع لم أرَ من نبّه عليه وهو أن يؤتى بمثنيين ومثنيين ثم بأربع مفردات اثنين للأولين واثنين للآخرين كحديث (تعوذوا بالله من عذابين وفتنتين عذاب جهنم وعذاب القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات)(٤٩٤)، وحديث (أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال)

---

(٤٨٩) لم نجد هذا الكتاب، وقد رواه البيهقي في شعب الإيمان: ٣٦٥/٧، وعبد الرزاق في مصنفه: ١١/ ٧٢.

(٤٩٠) لم نعثر للأبيات على نسبة، وقد استشهد بها تحرير التحبير: ٣١٦، البديع في نقد الشعر: ٩٥، نهاية الإرب: ١٤٩/٧.

(٤٩١) البيت لابن المعتز كما في الإيضاح: ١٩٦/١، وهو غير موجود في ديوانه.

(٤٩٢) البيت لابن منير الطرابلسي، ديوانه: ١٤٠.

(٤٩٣) ديوان البحتري: ٦٩٨/٢، وفيه:

وَمَتَى يُساعِدُنا الوِصالُ وَدَهرُنا ... يَومانِ يَومُ نَوىً وَيَومُ صُدودِ

(٤٩٤) لم نجد من ذكر الحديث بهذا اللفظ وأقرب لفظ إلى ما ذكره المؤلف ما رواه الديلمي في الفردوس: ٥٠/٢ وفيه (تعوذوا بعد التشهد من أربع من عذابين وفتنتين اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المسيح الدجال ومن فتنة المحيا والممات).

رواه الحاكم[٤٩٥].

وَذِكْــرُ خَــاصٍّ بَعْــدَ ذِي عُمُــومِ ... مُنَــبِّهاً بِفَــضْلِهِ المَعْلُــومِ

كَعَطْــفِ جِبْــرِيلَ وَمِــيكَالَ عَلَــى ... مَلائِــكٍ قُلْــتُ وَعَكْــسُهُ جَــلاَ

وَمِــنْهُ تَكْرِيــرٌ لأَجْــلِ نُكْــتَةِ ... مِــثْلُ تَأَكّــدٍ وَنَفْــيِ الــتُّهْمَةِ

أَوْ طُــولٍ اوْ تَــنْوِيهٍ اوْ تَلَــذُّذِ ... أَوِ الجَــزَاءِ نَفْــسُ شَــرْطِهِ احْــتُذِي

أَوْ قَــصْدِ الاسْــتِيعَابِ وَالتَّــرْدِيدِ حَــقّ ... عُلِّــقَ تَكْرِيــرٌ بِغَيْــرِ مَــا سَــبَقْ

وَمِــثْلُهُ تَعَطُّــفٌ لَكِــنْ حَــذَا ... فِــي فَقْــرَتَيْنِ ثُــمَّ تَــرْجِيعٌ شَــذَا

من أسباب الإطناب ذكر الخاص بعد العام وذلك للتنبيه على فضل الخاص حتى كأنّه ليس من جنس العام تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات نحو ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ (البقرة: من الآية ٢٣٨)، ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ (البقرة: من الآية ٩٨)، ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (آل عمران: من الآية ١٠٤)، ومنها عكسه أي ذكر العام بعد الخاص كما زدته نحو ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ (نوح: من الآية ٢٨)، ومنها التكرير لنكتة وقد بينت نكتته من زيادتي وذلك كالتأكيد للإنذار في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ ﴾ (النبأ: ٥ الآيتان ٤ – ٥)، أو لغيره كقوله تعالى﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ ﴾ (الانفطار: الآيتان ١٧ – ١٨)، ولزيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول نحو ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ﴾ (غافر: من الآية ٣٠) الآيات[٤٩٦]، كرّر

---

(٤٩٥) لم نجده في المستدرك، وأقرب لفظ ما رواه البيهقي في سننه: (أحلت لنا ميتتان ودمان الجراد والحيتان والكبد والطحال)١/٢٥٤، وفيه رواية أخرى وهي (أحلت لنا ميتتان ودمان الميتتان الحوت والجراد والدمان أحسبه قال الكبد والطحال) ٧/٢٥٧، وتنظر روايات أخرى في: مسند أحمد: ٢/٩٧، شعب الإيمان: ٥/٢١، سنن ابن ماجه: ٢/١١٠٢.

(٤٩٦) والآيات هي: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ۝٣٠ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ۝٣١ وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ

=

فيه النداء لذلك، أو لطول الكلام لئلاّ يجيء مبتوراً ليس له طلاوة نحو ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ (النحل: ١١٩)، ﴿ أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم ﴾ (المؤمنون: من الآية ٣٥)، أو تنويه بشأن المذكور كحديث (إنّ الكريم ابن الكريم ابن الكريم)[٤٩٧] وقول أبي الطيب[٤٩٨]:

العـارِضُ الهَـتِنُ اِبـنُ العـارِضِ الهَـتِنِ اِبـ ـنِ العـارِضِ الهَـتِنِ اِبـنِ العـارِضِ الهَـتِنِ

أو تلذذ بذكره كقوله[٤٩٩]:

سَـقَى اللهُ نَجْـداً وَالـسّلامُ عَلَـى نَجْـدِ وَيَـا حَـبَّذَا نَجْـدٌ عَلَـى الـنَّأْيِ وَالـبُعْدِ

أو إيقاع الجزاء نفس الشرط نحو قولهم (من أدرك الصميماء فقد أدرك) أي أدرك مرعى ليس بعده مرعى، ومنه ﴿ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ ﴾ (المائدة: من الآية ٦٧) أي فقد ارتكبت أمراً عظيماً، وحديث (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله) الحديث[٥٠٠]، أو بقصد الاستيعاب قال ابن الحاجب[٥٠١]: العرب تكرر الشيء مرتين لتستوعب تفصيل جميع جنسه باعتبار المعنى الذي دلّ عليه اللفظ المذكور كقوله (بينت الكتاب كلمة كلمة) أي مفصلاً باعتبار كلماته، وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ ﴾ (الملك: من الآية ٤) أي مرة بعد مرة، ثمّ نبهت من زيادتي أيضاً على أنواع خاصة من التكرير: أحدها يسمّى الترديد وهو أن يعلّق المكرّر ثانياً بغير ما يعلق

=

﴿ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ۝ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴾ (غافر، ٣٠ - ٣٤).

(٤٩٧) صحيح البخاري: ١٢٩٨/٣.

(٤٩٨) شرح ديوان المتنبي: ٣٤٨/٤.

(٤٩٩) البيت لأبي السمط مروان بن أبي الجنوب بن مروان بن أبي حفصة الملقب بمروان الأصغر، والبيت في المثل السائر: ٢٧/٣.

(٥٠٠) صحيح البخاري: ٣٠/١.

(٥٠١) الإيضاح في شرح المفصل: ٣٤٠/١.

به الأوّل كقوله تعالى ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ﴾ (النور: من الآية ٣٥) وقع فيها الترديد أربع مرات، وحديث الترمذي (السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة)[٥٠٢]، وجعل منه قوله تعالى ﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن: ١٣)، فإنّها وإن تعددت فكلّ واحدة منها تتعلّق بما قبلها ولذلك زادت على ثلاثة ولو كانت عائدة لواحد لم ترد كما هو شأن التوكيد، كما ذكر الشيخ عز الدين بن عبد السلام وغيره[٥٠٣]: وإن كان بعضها ليس بنعمة فذِكْر النعمة للتحذير نعمة، وقد سئل أيّ نعمة في قوله تعالى ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ (الرحمن: ٢٦) وأجيب بأجوبة أحسنها النقل من دار الهموم إلى دار السرور وراحة المؤمن والناس من الفاجر كما وردت في الأحاديث، ثانيها التعطف وهو مثل الترديد إلاّ أنّه يشترط في إعادة اللفظ أن يكون في فقرة أخرى أو مصراع آخر[٥٠٤]، كقوله[٥٠٥]:

يُسَاقُ إِلَيْهِ المَدْحُ غَيْرَ مُكَرَّرٍ وَسُقْتُ إِلَيْهِ المَدْحَ غَيْرَ مُذَمَّمِ

ثالثها الترجيع، قال الطيبي[٥٠٦]: وهو أن يكون المعنى مهتمًّا بشأنه فإذا شرع في نوع من الكلام نظر إلى ما يتلخّص إليه فإذا تمكّن من إيراده كرّ إليه كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ ﴾(التوبة: من الآية ٨٥) الآية[٥٠٧]، قال الزمخشري في تجديد النزول[٥٠٨]:

---

(٥٠٢) لم نجد هذا الحديث بهذه الرواية، وهناك روايات مختلفة منها (السخي قريب من الله بعيد من النار قريب من الجنة قريب من الناس والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار) المعجم الأوسط: ٢٧/٣، (السخي قريب من الله قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار) شعب الإيمان: ٢٢٨/٧.

(٥٠٣) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز: ١٢٥.

(٥٠٤) في ط زيادة [قال في المصباح: فكأنّ الكلمة على عطف البيت] المصباح: ٧٧.

(٥٠٥) شرح ديوان المتنبي: ٢٧٠/٤، فيه:

فَسَاق إِلَيْهِ المَدْحُ غَيْرَ مُكَدَّرٍ وَسُقْتُ إِلَيْهِ الشكْرَ غَيْرَ مُجمجمِ

(٥٠٦) التبيان في البيان: ٣٠٠.

(٥٠٧) وتمامها قوله تعالى ﴿ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾.

له شأن في تقرير ما نزل له وتأكيده وإرادة أن يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه لقوّته فأشبه الشيء الذي أهمّ صاحبه فهو يرجع إليه في أثناء حديثه ويتخلّص إليه.

***

وَمِنْهُ إيغَالُ كَلاَمٍ قَدْ خُتِمْ بِمَا يُفِيدُ مَا بِدُونِهِ يَتِمّ
ثُمَّ الأصَحُّ أنَّهُ لَيْسَ يُخَصّ بِالشِّعْرِ فَالقُرْآنُ فِيهِ جَاءَ نَصّ

من أسباب الإطناب الإيغال وهو الإمعان وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتمّ المعنى بدونها كزيادة المبالغة في قول الخنساء(٥٠٩):

وَإِنَّ صَخراً لَتَأتَمَّ الهُداةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ في رَأسِهِ نارُ

شبهته بالعلم الذي هو الجبل وزادت بأن جعلت في رأسه ناراً مبالغة في الاهتداء به وتحقيق التشبيه في قول امرئ القيس(٥١٠):

كَأَنَّ عُيونَ الوَحشِ حَولَ خِبائِنا وَأَرحلِنا الجَزعَ الَّذي لَم يُثَقَّبِ

زاد قوله (لم يثقب) تحقيقاً للتشبيه لأنّه حينئذ أشبه بالعين، والأصحّ أنّه لا يختصّ بالشعر فقد جاء في القرآن قوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١ ﴾ (يس: الآيتان ٢٠ - ٢١) فقوله (وهم مهتدون) يتمّ المعنى بدونه لأنّ الرسول مهتد لا محالة إلا أنّ فيه زيادة حث على الإتباع وترغيب في الرسل، ومن قال بتخصيصه به قال في حده ختم البيت.

***

وَمِنْهُ تَذْيِيلٌ بِجُمْلَةٍ حَوَتْ مُؤَكِّداً مَعْنى التي قَبْلُ خَلَتْ
فَمِنْهُ مَا كَمَثَلٍ وَمِنْهُ لاَ وَأكِّدِ المَنْطُوقَ وَالضِّدَّ جَلاَ
وَمِنْهُ تَكْمِيلٌ وَرُبَّمَا سُمِي بِالاحْتِرَاسِ أنْ يَجِي فِي مُوهِمِ

=

(٥٠٨) لم نعثر على هذا الكتاب في بحثنا.

(٥٠٩) شرح ديوان الخنساء: ٤٠.

(٥١٠) ديوان امرئ القيس: ٥٣.

فَــــإنْ لِغَيْــــرِ مُــــوهِمٍ اتَّــــبَعَهْ خِــــلافَ مَقْــــصُودٍ بِمَــــا يَدْفَعُــــهْ
فَــــذَاكَ تَتْمِــــيمٌ وَمِــــنْهُ الاعْتِــــرَاضْ بِفَــــضْلَةٍ لِنُكْــــتَةٍ فِــــيهَا تَــــرَاضْ

من أسباب الإطناب التذييل والتكميل والتتميم. فالأول أن يأتي بجملة عقب الجملة والثانية تشتمل على معنى الأولى للتأكيد، وهو ضربان: ما خرج مخرج المثل بأن يُقصد حكمٌ كليٌّ منفصلٌ عمّا قبله جارٍ مجرى الأمثال نحو ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ (سبأ: ١٧) أي هل يُعَاقَبُ، على أنّ المراد أعمّ من الجزء الأوّل، ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ (الإسراء: ٨١) وقال الصفي[٥١١]:

فَلَــم تَــدُم لــي وَغَيــرُ اللَّــهِ لَــم يَــدُمِ لِلَّــهِ لَــذَّةُ عَــيشٍ بِالحَبــيبِ مَــضَت

وما ليس كذلك بأن لم يستقل بإفادة المراد بل توقف على ما قبله كالآية الأولى إذ جعل التقدير وهل يُجازَى ذلك الجزاء المخصوص، واجتمعا في قوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ (الأنبياء: ٣٤ - ٣٥) فقوله (أفإن مت فهم الخالدون) من الثاني، و(كل نفس ذائقة الموت) من الأوّل، ومنه ما كان لتأكيد منطوق كالآية السابقة فإنّ زهوق الباطل منطوق في (وزهق الباطل). وما لتأكيد مفهوم كقول النابغة[٥١٢]:

عَلــى شَــعَثٍ أَيُّ الــرِجالِ المُهَــذَّبُ وَلَــستَ بِمُــستَبقٍ أَخــاً لا تَلُمُّــهُ

فإنّ صدر البيت دلّ بمفهومه على نفي الكمال من الرجال فأكّد ذلك بقوله (أي الرجال المهذب)، والثاني أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يرفع ذلك الوهم، فمنه ما يقع بين المسند إليه والمسند كقوله[٥١٣]:

صَــوْبُ الــرَّبيعِ وَديمَــةٌ تَهْمِــي فَــسَقَى دِيَــارَكِ غَيْــرَ مُفْــسِدِهَا

لما كان المطر قد يؤدي إلى خراب الديار وفسادها أتى بقوله (غير مفسدها) لذلك

---

(٥١١) ديوان صفي الدين الحلي: ٤٦٨.

(٥١٢) ديوان النابغة الذبياني: ٧٤.

(٥١٣) البيت لطرفة بن العبد، ديوانه: ١١٩، وفيه:

صَــوْبُ الغَمَــامِ وَديمَــةٌ تَهْمِــي فَــسَقَى بِــلادَكِ غَيْــرَ مُفْــسِدِهَا

ولهذا عيب على القائل[٥١٤]:

[أَلا يا اسلَمي يا دارَ مَيَّ عَلى البِلى] وَلا زالَ مُـــنهَلاً بِجَـــرْعائِكِ القَطْـــرُ

حيث لم يأت بهذا القيد ومنه، ما يقع في آخره نحو ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (المائدة: من الآية ٥٤) فإنّه لو اقتصر على (أذلّة) لتوهّم أنّه لضعفهم فدفعه بقوله تعالى (أعزة)، والثالث أن يؤتى في كلام لا يوهم غير المراد بفضله لنكته كالمبالغة في قوله تعالى ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ (الإنسان: من الآية ٨) أي مع حبه أي الطعام أي اشتهائه فإنّ الإطعام حينئذ أبلغ وأكثر أجراً، ومن أمثلته قوله ﷺ (ما من عبد مسلم يصلي لله كلّ يوم اثنتي عشرة ركعة من غير الفريضة إلاّ ابتنى الله له بيتاً في الجنة) رواه مسلم[٥١٥]، فقوله (من غير الفريضة) تتميم، وقولي (ومنه **الاعتراض**) يأتي شرحه فيما بعده.

***

لطيفة:

تسمية هذه الأنواع أنواع البديع أمور اصطلاحية لا مشاحة فيها، وقد يذكر فيها معان ليست بلازمة قال الشيخ بهاء الدين[٥١٦]: ليت شعري أيّ فرقٍ في اللغة بين التكميل والتتميم وهما شيء واحد، ثم قال: ويمكن أن يفرّق بأنّ التكميل استيعاب الأجزاء التي لا توجد الماهية إلاّ بها، والتتميم لما وراء الأجزاء من زيادات يتأكد بها الشيء الكامل ويستأنس لذلك بقوله تعالى ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ (البقرة: من الآية ١٩٦) أي لم تنقص أجزاؤها قوله تعالى ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ (البقرة: من الآية ١٩٦) رُوي إتمامُها أن يحرم بها من دويرة أهله وهو وصف فيه زيادة على الأجزاء فإنّ ماهيتي الحج والعمرة تجوزان بدونه، وقد جمع تعالى بينهما بقوله ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ (المائدة: من الآية ٣) لما كانت أركان الدين وجد منها

---

(٥١٤) البيت لذي الرمة، ديوانه: ٢٩٠.

(٥١٥) صحيح مسلم ٥٠٣/١، وفيه (ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة فريضة إلا بنى الله له بيتا في الجنة أو إلا بني له بيت في الجنة).

(٥١٦) ينظر: عروس الأفراح: ٢٣٦/١.

الجزء الأخير إذ ذاك استعمل فيه الكمال، ولمّا كانت نعم الله تعالى حاصلة للمؤمنين قبل ذلك اليوم غير ناقصة استعمل فيها الإتمام لأنّه زيادة على نعم الله التي كانت قبل كاملة، قال: فإن تمّ هذا ظهر وجه تسمية الأوّل بالتكميل لأنّه يدفع إيهام غير المراد وذلك كالجزء من المراد إذ الكلام إذا أوهم خلاف المراد كان كالذي دلالته ناقصة بخلاف التتميم.

***

تنبيه:

ربّما يُسمّى التكميل احتراساً، وقوم منهم أصحاب البديعيات فرّقوا بينهما قال ابن حجة[٥١٧]: التكميل يأتي لنقص المعنى والوزن معاً والاحتراس لدخل يتطرّق المعنى وإن كان كلاماً تامًّا ووزن الشعر صحيحاً، قلت وهذا فرق غير واضح، وقال عبد الباقي اليمني: لا يكاد البديعيون يحررون ثلاثة أشياء للتتميم والتكميل والاحتراس لتداخلهما، ثمّ قسّم التتميم إلى أنواع: الأوّل تتميم المعنى للمبالغة كالآية السابقة، الثاني تتميمه للصيانة عن الخطأ كقوله (غير مفسدها)، الثالث تتميم اللفظ بما يقوم به الوزن فمنه حشو لطيف وهو حشو اللوزينج كقوله[٥١٨]:

[وَتحتَقِرُ الدُنيا اِحتِقارَ مُجَرِّبٍ] يَرى كُلَّ مَن فيها وَحَاشَاكَ فانِيا

ومنها ما لا يعدّ بديعاً، وفسّر الاحتراس بأن يؤتى بمدح أو غيره بكلام للانتقاد فيه مجال فيحترس من ذلك بكلام آخر كما في حديث أمّ زرع: (المسّ مسّ أرنب والريح ريح زرنب وأغلبه والناس يغلب)[٥١٩] لو اقتصر على قولها(وأغلبه) لتوجه عليها أن يقال إنّ رجلاً تغلبه امرأة لضعيف فاحترست بقولها (والناس يغلب)، وقول الخنساء[٥٢٠]:

وَلَولا كَثرَةُ الباكينَ حَولي عَلى إِخوانِهِم لَقَتَلتُ نَفسي

---

(٥١٧) خزانة الأدب: ٣٧٥/١.

(٥١٨) البيت للمتنبي، شرح ديوانه: ٤٢٧/٤، وفيه:

وَتَحتَقِرُ الدُنيا اِحتِقارَ مُجَرِّبٍ يَرى كُلَّ ما فيها وَحاشاكَ فانِيا

(٥١٩) السنن الكبرى، النسائي: ٣٥٧/٥ وفيه (ألمس مس أرنب والريح ريح زرنب وأنا أغلبه والناس يغلب).

(٥٢٠) شرح ديوان الخنساء: ٦٢.

كأنّها فطنت أن يقال لها لقد ساويت أخاك بالهالكين فاحترست بقولها[٥٢١]:

وَمــا يَــبكونَ مِــثلَ أَخــي وَلَكِــن أُعَــزّي الــنَفسَ عَــنهُ بِالتَأَسّــي

وفسر التكميل بأن يؤتى بكلام ناقص من جهة مفهومه فيكمله بجملة ترفع عنه النقص كقوله[٥٢٢]:

وَما ماتَ مِنّا سَيِّدٌ في فِراشِهِ

لو اقتصر عليه لكان وصفاً لقومه بالصبر على القتل دون الانتصار فكمّله بقوله:

وَلا طُلَّ مِنّا حَيثُ كانَ قَتيلُ

قلت لا يكاد يتبيّن لي الفرق بين الاحتراس والتكميل.

***

بِجُمْلَــةٍ أَوْ فَــوْقَ مَــا لَهَــا مَحَــلّ بَــيْنَ كَــلاَمٍ أَوْ كَلاَمَــيْنِ اتَّــصَلْ
لِنُكْـــتَةٍ تُقْـــصَدُ كَالتَّنْـــزِيهِ لأَدْفَـــعَ الإِيهَـــامَ كَالتَّنْبِـــيهِ
وَكَالـــدُّعَا فِـــي قَـــوْلِهِم بَلَّغْـــتُهَا بَعْـــدَ الثَّمَانِـــينَ وَمَـــا أَشْـــبَهَهَا
وَبَعْـــضُهُم جَـــوَّزَهُ فِـــي الطَّـــرَفِ وَقَـــالَ قَـــوْمٌ غَيْـــرُ جُمْلَـــةٍ يَفِـــي

من أسباب الإطناب الاعتراض وهو الإتيان بجملة أو أكثر لا محلّ لها من الإعراب في أثناء الكلام أو كلامين اتصلا معنى لنكتة غير دفع الإيهام كالتنزيه في قوله تعالى ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَـٰتِ سُبْحَـٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (النحل: ٥٧) فقوله (سبحانه) اعتراض لتنزيه الله تعالى عن البنات، والتنبيه في قوله[٥٢٣]:

وَاعْلَـــمْ فَعِلْـــمُ المَـــرْءِ يَـــنْفَعُهُ أَنْ سَـــوْفَ يأتـــي كُـــلُّ مـــا قُـــدِرَا

فقوله (فعلم المرء ينفعه) اعتراض، والدعاء في قول عوف بن محلم الشيباني[٥٢٤]:

إنَّ الثمانـــــــينَ وبُلِّغْـــــــتها قَـدْ أَحْـوَجَتْ سَـمْعِي إِلَـى تَـرْجُمَانْ

فقوله (وبلغتها) اعتراض في أثناء الكلام لقصد الدعاء، وما اشبه ذلك كالتسلي في

---

(٥٢١) المصدر نفسه: ٦٢.

(٥٢٢) البيت للسموأل، ديوانه: ١٣، وفيه:

وَمـا مـاتَ مِـنّا مـيّتٌ فِـي فراشِـهِ وَلا طُـلَّ مِـنّا حَـيثُ كـانَ قَتـيلُ

(٥٢٣) لم نعثر للبيت على نسبة ولم ينسب في التلخيص: ٥٩، ومعاهد التنصيص: ١/٣٧٧.

(٥٢٤) ديوان ابن الوردي: ٣٦٧.

قول جرير(٥٢٥):

وَلَقَــدْ أَرانــي وَالجَديــدُ إِلــى بِلــىً ... فــي مَــوْكِبٍ طُـرُفِ الحَـديثِ كِـرامِ

فقوله (والجديد إلى بلى) اعتراض للتعزّي عمّا مضى من لذّة عشرة الأحباب، والاستعطاف في قول المتنبي(٥٢٦):

وَخُفــوقُ قَلْــبٍ لَــو رَأَيْــتِ لَهيــبَهُ ... يــا جَنَّتــي لَــرأيْتِ فــيهِ جَهَــنَّما

وقال كثير(٥٢٧):

لَــوَ أَنَّ البَاخِلِــينَ وَأَنْــتِ مِــنْهُمْ ... رَأَوْكِ تَعَلَّمُــوا مِــنْكِ المَطَــالاَ

فقوله (وأنت منهم) اعتراض في غاية الحسن، ومن وقوعه بأكثر من جملة قوله تعالى ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ (البقرة: من الآيتين ٢٢٢ - ٢٢٣) فقوله (نساؤكم) متصل بقوله (فأتوهن) لأنّه بيان له وما بينهما اعتراض، وقوله تعالى ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ ﴾ (هود: من الآية ٤٤) إلى قوله ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا ﴾ (هود: من الآية ٤٤) فيه اعتراض بثلاث جمل، وهي ﴿ وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ﴾ (هود: من الآية ٤٤)، وقوله تعالى ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الرحمن: ٤٦) إلى قوله ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ ﴾ (الرحمن: من الآية ٥٤) فيه اعتراض بسبع جمل إذا أعرب حالاً منه، وقد يقع اعتراض في اعتراض نحو ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ (الواقعة: الآيات ٧٥ - ٧٧) فقوله (وإنّه لقسمٌ) الآية اعتراض، وقوله (لو تعلمون) اعتراض في اعتراض، قال الطيبي(٥٢٨): ووجهه حسن الاعتراض حسن الإفادة مع أنّ مجيء ما لا يترقب فيكون ألذّ كالحسنة تأتيك من حيث لا تحتسب، وقال قوم: يجوز وقوع الاعتراض في آخر الكلام فقد يجامع التكميل

---

(٥٢٥) البيت غير موجود في ديوانه.

(٥٢٦) شرح ديوان المتنبي: ١٤٣/٤. وفيه:

وَخُفــوقُ قَلْــبٍ لَــو رَأَيْــتِ لَهيــبَهُ ... يــا جَنَّتــي لَــرأيْتِ فــيهِ جَهَــنَّما

(٥٢٧) ديوان كثير عزة: ٥٠٧.

(٥٢٨) استشهد الطيبي بهذه الآية ولم يذكر هذا التعليق عليها، ينظر: التبيان في البيان ٣١٨.

والتذييل حيث لا محل لهما، وقال قوم: يجوز أن يكون غير جملة لكن في الأثناء فيجامع في التتميم والتكميل ما وقع في الأثناء.

***

وَقَـــدْ يَكُـــونُ مُطْنِـــباً بِغَيْـــرِ ذَا   مِـــنْ جُمَـــلٍ وَأَحْـــرُفٍ لَهَـــا شَـــذَا

قد يكون الإطناب بغير ما تقدم كتكسير الجمل قال تعالى ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (البقرة: من الآية ١٦٤) الآية(٥٢٩)، طوّلها في سورة البقرة وأطنب فيها أبلغ إطناب ليكون الخطاب مع الثقلين وفي كل عصر وحين، للعالم منهم والجاهل والموافق والمنافق، وقال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ (غافر: من الآية ٧)، قوله (ويؤمنون به) إطناب لأنّ إيمان حملة العرش معلوم، وحسنه إظهار شرف الإيمان ترغيباً فيه، ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۞ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ﴾ (فصلت: من الآيتين ٦ - ٧)، وليس في المشركين مزكٍ والنكتة الحث للمؤمنين على أدائها والتحذير مع المنع، حيث جعل من أوصاف المشركين ومن ذلك ﴿ حمٓ ۞ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۞ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ (الزخرف: الآيات١ - ٣) لتناسب القسم والمقسم عليه ومنه الإتيان بحروف التنبيه والصلات كـ ﴿ لَآ أُقْسِمُ ﴾ (القيامة: ١)، ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ ﴾(آل عمران: من الآية ١٥٩) ونحو ذلك.

***

وَبِهِمَـــا كَلاَمُهُـــمْ مَوْصُـــوفُ   إِنْ كَثُـــرَتْ أَوْ قَلَّـــتِ الحُـــرُوفُ
بِنِـــسْبَةٍ إِلَـــى كَـــلاَمٍ آخَـــرَا   سَـــاوَاهُ فِـــي المَعْنَـــى إِذَا مَـــا نُظِـــرَا

قد يوصف الكلام بالإيجاز والإطناب باعتبار كثرة حروفه وقلتها بنسبة إلى كلام آخر مساوٍ له في أصل المعنى، فيقال للأكثر حروفاً إنّه مطنب وللأقلّ إنّه موجز

---

(٥٢٩) وتمامها قوله تعالى: ﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

كقوله(٥٣٠):

يَـصُدُّ عَـنِ الدُنـيا إذا عَـنَّ سُـؤدُدٌ [وَلَـو بَـرَزَت فـي زِيِّ عَـذراءَ ناهِـدِ]

فإنّه بمعنى قوله(٥٣١):

وَلـستُ بـنظّار إلـى جانِـب الغِنـى إذا كانَـت العَلـياء فـي جانِـب الفَقـرِ

والأوّل أقل حروفاً ويقرب منه قوله تعالى ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الأنبياء: ٢٣) مع قول الحماسي(٥٣٢):

وَنُنكِـرُ إن شِـئنا عَلـى الـناسِ قَـولَهُم وَلا يُنكِـرونَ القَـولَ حـينَ نَقـولُ

***

فائدة:

ذكر قدامة(٥٣٣) من أنواع البديع الإشارة وفسرها بالإتيان بكلام قليل ذي معانٍ جمّة وهذا هو الإيجاز بعينه، وذكر جماعة منها البسط وفسروه ببسط الكلام وتكثيره بلا حشو وهذا هو الإطناب، لكن ينقدح عندي أنّه خاصّ بنوع واحد منه، والإطناب بتكثير الجمل بخلاف الأنواع السابقة وعلى هذا يكون مقابلاً لإيجاز القصر، والإطناب بالأنواع السابقة مقابلاً لإيجاز الحذف.

خاتمة:

قد انتهى القول في علم المعاني، ولله الحمد والمنّة، وفيه أمور أوردها جمع في البديع منهم الطيبي في التبيان وأصحاب البديعيات، وهي الالتفات والخطاب العام والتغليب والأسلوب الحكيم والإيضاح بعد الإبهام والتكرار والترديد والتعطّف والترجيح وذكر الخاص بعد العام وعكسه، والإيغال والتذييل والتكميل والاحتراس والتتميم والاعتراض والإشارة والبسط، ويليه علم البيان بحمد الله وإعانته.

---

(٥٣٠) ديوان أبي تمام: ٧٣/٢.

(٥٣١) البيت منسوب لأعرابي كما في البيان والتبيين: ٣٦٥/١، الأغاني: ٢٥٣/٣، وفيهما:

وَلـست بـنظّار إلـى جانِـب الغِنـى إذا كانَـت العَلـياء فـي جانِـب الفَقـرِ

(٥٣٢) هو السموأل: ديوانه: ١٧.

(٥٣٣) نقد الشعر: ١٥٢.

الفن الثاني علم البيان

تعريف علم البيان

عِلْــمُ البَـيَانِ هُــوَ مَــا بِــهِ عُـرِفْ　　إِيْــرَادُ مَعْنــىً وَاحِــدٍ بِالمُخْــتَلِفْ
مِــنْ طُـرُقٍ فِــي الاتِّـضَاحِ مُكْمِلَـهْ　　فَــاللفْظُ إنْ دَلَّ عَلَــى المَوْضُــوعِ لَــهْ
فَــسَمِّهَا دِلاَلَــةً وَضْــعِيَّهْ　　أَوْ جُــزْئِهِ أَوْ خَــارِجٍ عَقْلِــيَّهْ
وَإِنَّمَــا يَخْــتَلِفُ الإيــرَادُ فِــي　　عَقْلِــيَّةٍ وَلَــيْسَ فِــي تِلْــكَ يَفِــي
وَمَــا بِــهِ أُرِيــدَ لازِمٌ وَقَــدْ　　قَامَــتْ قَــرِينَةٌ عَلَــى أنْ لَــمْ يُــرَدْ
مجَــازٌ أو لاَ فَكِــنَايَةٌ وَقَــدْ　　يُبْنَــى عَلَــى التَّــشْبِيهِ أَوَّلٌ وَرَدْ

علم البيان أخصّ من علم المعاني، فلذا تأخّر عنه وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد المدلول عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال بطرق مختلفة في إيضاح الدلالة عليه بأن يكون بعض الطرق واضح الدلالة وبعضها أوضح، فخرج معرفة إيراده بطرق مختلفة في اللفظ والعبارة فقط والمراد بالمعنى الواحد كلّ معنى يدخل تحت قصد المتكلّم وإرادته، فلو عرف أحد إيراد معنى قولنا (زيد جواد) بطرق مختلفة لم يكن بمجرد ذلك عالماً بالبيان وبالطرق والتراكيب، قال الطيبي(٥٣٤): مثاله أنّا إذا أردنا إيراد معنى قولنا: (زيد جواد) مثلاً في الأصول الثلاثة تقول في طرق التشبيه (زيد كالبحر في السخاء)، (زيد كالبحر)، (زيد بحر)، وفي طرق الاستعارة (رأيت بحراً في الدار) ثمّ (لجة زيد كثرت)، ثمّ (لجة زيد متلاطم أمواجها)، وفي طرق الكناية: (زيد مضياف)، (زيد كثير أضيافه)، (زيد كثير رماده)، ثمّ (إنّ الرماد كثر في ساحة زيد) ثمّ (إنّ الجود في قبة ضربت على زيد) ثمّ (إنّه مصوّر من الجود)، فظهر أنّ مرجع البيان إلى اعتبار المبالغة في إثبات المعنى للشيء، ولمّا لم تكن كلّ دلالة قابلة للوضوح والخفاء احتيج إلى تقسيمها وتعيين المقصود منها بدلالة اللفظ على تمام ما وضع له وضعية كدلالة الإنسان على الحيوان الناطق، وعلى جزئه كدلالة الإنسان على الحيوان فقط أو الناطق

---

(٥٣٤) التبيان في البيان: ١٤٣.

فقط، وخارج عنه كدلالة الإنسان على الضاحك عقلية لأنّ ذلك من جهة حكم العقل بأنّ حصول الكلّ أو الملزوم مستلزم لحصول الجزء أو اللازم، وإيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في الوضوح لا يتأتّى بالوضعية لأنّ السامع إذا كان عالماً بوضع الألفاظ لذلك المعنى لم يكن بعضها عنده أوضح من بعض، وإن لم يكن عالماً بذلك لم يكن كلّ واحد من الألفاظ دالاّ عليه لتوقف الفهم على العلم بالوضع، ويتأتّى بالعقلية لجواز أن تختلف مراتب اللزوم في الوضوح، ثمّ اللفظ المراد به لازم ما وضع له سواء كان جزءاً أو خارجاً إن قامت قرينة على عدم إرادة ما وضع له فمجاز وإلا فكناية، ثم من المجاز ما يبني على التشبيه فتعين التعرض له فانحصر المقصود من البيان في هذه الثلاثة، وعبر الطيبي[٥٣٥] بطريقة أخرى في وجه الحصر فقال: اعتبار المبالغة في إثبات أصل المعنى للشيء إمّا على طريقة الإلحاق أو الإطلاق، والثاني إمّا إطلاق الملزوم على اللازم أو عكسه وما يبحث فيه عن الأول التشبيه وعن الثاني المجاز وعن الثالث الكناية فانحصر الكلام فيه في الثلاثة، فإن قلت ما بالك تكلمت عن تقسيم الدلالة وذلك من علم المنطق؟ قلت ليس منه بل هو أمر لغوي وهم مصرحون بأنه ليس من علمهم وأنهم إنما يذكرونه في كتبهم لاحتياجهم إليه.

***

التشبيه

هُــوَ الدِلاَلَــةُ عَلَــى اشْــتِرَاكِ ... أَمْــرٍ لآخَــرَ بِمَعْنًــى زَاكِــي

لاَ كَاسْــتِعَارَةٍ بِتَحْقِــيقٍ وَلاَ ... كِــنَايَةٍ لاَ كَتَجْــرِيدٍ خَــلاَ

فَــدَخَلَ الــذي أَدَاتُــهُ فَقَــدْ ... كَقَــوْلِهِ صُــمٌّ وَنَحْــوُ ذَا أَسَــدْ

أَرْكَانُــهُ أَرْبَعَــةٌ أَدَاتُــهُ ... وَوَجْهُــهُ وَالطَّــرَفَانِ ذَاتُــهُ

وَهَاهُــنَا يُنْظَــرُ فِــي هَــذي وَفِــي ... أَقْــسَامِهِ وَغَــرَضٌ مِــنْهُ وَفِــي

فَالطَّــرَفَانِ مِــنْهُ حِــسِّيَّانِ ... مُخْــتَلِفَانِ أَوْ فَعَقْلِــيَّانِ

كَالخَــدِّ وَالــوَرْدِ وَنُــورٍ وَهُــدَى ... وَالــسَّبْعِ وَالمَــوْتِ وَجَهْــلٍ وَرَدَى

فَكُــلُّ مَــا يُــدْرِكُ إِحْــدَى الخَمْــسِ ... إِيَّــاهُ أَوْ مَادَّتَــهُ فَالحِــسِّي

مِــنْهُ الخَيَالِــيُّ كَتَــشْبِيهِ الــشَّقِيقْ ... بِعَــلَمِ الــيَاقُوتِ وَالعُــودِ الــرَّقِيقْ

(٥٣٥) التبيان في البيان: ١٤٣.

بِالـرُّمْحِ مِـنْ زُبُـرْجُدٍ فِـي الـنَّظْمِ وَغَيْـرُهُ العَقْلِـيْ وَمِـنْهُ الوَهْمِـي
مَـا لَـيْسَ مُـدْرَكاً وَلَـوْ قَـدْ أُدْرِكَـا كَـانَ بِحِـسٍّ لاَ سَـوَاهُ مُـدْرَكَا
وَمِـنْهُ ذُو الـوُجْدَانِ نَحْـوُ الأَلَـمِ وَوَجْهُـهُ ذُو الاشْـتِرَاكِ فَـاعْلَمِ

التشبيه الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى لا على وجه الاستعارة التحقيقية نحو (رأيتُ أسداً في الحمام)، ولا على وجه الاستعارة بالكناية نحو (أنشبت المنيةُ أظفارَها)، ولا على وجه التجريد الآتي في البديع نحو (لقيت من زيد أسداً)، فإنّ في كلّ من هذه الثلاثة دلالة على مشاركة أمر لأمر في المعنى ولا يسمَّى شيء منها تشبيهاً، فدخل فيه ما حذف منه الأداة وهو خبر مبتدأ أو ما في حكمه إمّا مع المشبّه نحو قوله تعالى ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ (البقرة: من الآية ١٨) أو لا نحو (زيدٌ أسدٌ)، فإنّ المحققين على أنّه تشبيه بليغ لا استعارة لأنّ المستعار له مذكور وهم المنافقون في الآية تقديراً: أي المنافقون صُمٌّ، وفي (زيد أسد) صريحاً، وإنّما تطلق الاستعارة حيث يُطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوًّا عنه صالحاً لأن يراد به المنقول عنه والمنقول إليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام، ومن ثم ترى المفلقين السحرة يتناسون التشبيه ويضربون عنه صفحاً، وقال الشيخ بهاء الدين[٥٣٦]: الذي يتضح لي أنّه الصواب أن ذلك على قسمين: تارة يقصد به التشبيه فتكون أداته مقدرة وتارة يقصد به الاستعارة فلا، ويكون الأسد مستعملاً في حقيقته ويكون ذكر زيد والإخبار عنه بما لا يصلح له حقيقة قرينة صارفة إلى الاستعارة دالة عليها فإن قامت قرينة على حذف الأداة صرنا إليه وإلاّ فنحن بين إضمار واستعارة والاستعارة الأولى فيه.

والنظر هنا في أركان التشبيه وأقسامه والغرض منه. فأركانه أربعة: طرفاه المشبه والمشبه به والوجه والأداة وهو بهذا الاعتبار شبيه بالقياس، فالطرفان إما حسّيّان أو عقليّان أو مختلفان بأن يكون المشبه حسياً والمشبه به عقلياً أو عكسه، فالأوّل كالخدّ والورد في المبصرات كقوله[٥٣٧]:

مـا الدهـرُ إلا الـربيعُ المـستنيرُ إذا أتـى الـربيعُ أتـاكَ الـنَّورُ والـنورُ

---

(٥٣٦) عروس الأفراح: ٢/٢٣.

(٥٣٧) البيت للصنوبري، ديوانه: ٤٢. والبيت الثاني فيه:

فـالأرض فيـروزج والجـو لؤلـؤة والأرض ياقـوتة والمـاء بلـور

فـالأَرضُ ياقـوتةٌ والجـوُّ لؤلـؤةٌ   والنـبتُ فيـروزجٌ والمـاءُ بَلُّـورُ

وكالنكهة والعنبر في المشمومات، والصوت الضعيف والهمس في المسموعات، والريق والشهد في المذوقات، والجلد الناعم والحرير في الملبوسات.

والثاني كالعلم والحياة لأنهما جهتا إدراك النور والهدى قال(٥٣٨):

أَخُـو العِلْـمِ حَـيٌّ خَالـدٌ بَعْـدَ مَـوْتِهِ   وَأَوْصَـالُهُ تَحْـتَ التُّـرَابِ رَمِـيمُ

وَذُو الجَهْلِ مَيْتٌ وَهْوَ مَاشٍ عَلَى الثَّرَى   يُظَـنُّ مِـنَ الأَحْـيَاءِ وَهْـوَ عَـدِيمُ

والثالث كالسبع والموت. والرابع كالعطر والخلق الكريم والجهل والهلاك، والمراد بـ(الحسيّ) المدرك هو (أو مادته) بإحدى الحواس الخمسة الظاهرة: البصر والسمع والذوق والشم واللمس، فدخل فيه بسبب قولنا (أو مادته الخيالي) وهو المعدوم الذي فرض مجتمعاً من أمور، كلّ واحد منها ممّا يدرك بالحس كقوله(٥٣٩):

وكـأَنَّ مُحْمَـرَّ الـشَّقِيـ   ـقِ إِذَا تَـصَوَّبَ أَوْ تَـصَعَّدْ

أَعْـلامُ يَاقُـوتٍ نُـشِرْ   نَ عَلَـى رِمَـاحٍ مِـنْ زُبُـرْجَدْ

فإن كلاًّ من (العلم) و(ياقوت) و(الرمح) و(الزبرجد) محسوس لكن المركّب الذي هذه الأمور مادّته ليس بمحسوس لأنّه غير موجود والحس لا يدرك إلاّ ما هو موجود والعقليّ ما عدا ذلك، فدخل فيه الوهمي وهو ما ليس مدركاً بإحدى الحواس ولكنّه لو أدرك لكان بها مدركاً كما في قوله(٥٤٠):

[أَيَقتُلُنـي وَالمَـشرَفِيُّ مُـضاجِعي]   وَمَـسنونَةٌ زُرقٌ كَأَنـيابِ أَغـوالِ

فـ(أنياب الأغوال) ممّا لا يدركه الحس لعدم وجودها كما ثبت في الصحيح(٥٤١) ولا (غول) مع أنّها لو أُدركَت لم تدرك بحاسة البصر والوجداني وهو ما يدرك بالقوى الباطنية كاللذة والألم والجوع والشبع والهم والفرح ونحو ذلك كقولي (وجهه) الخ متعلق بالأبيات الآتية:

***

(٥٣٨) البيت للبطليوسي وقد استشهد به الطيبي في التبيان في البيان: ١٤٦.

(٥٣٩) البيت للصنوبري، ديوانه: ٤٧٧/٢.

(٥٤٠) البيت لامرئ القيس، ديوانه: ٣٣.

(٥٤١) في صحيح مسلم: ١٧٤٤/٤، ومسند أحمد: ٣١٢/٣: (لا عدوى ولا غول ولا صفر).

وَلَـوْ تَخَـيُّلاً كَتَـشْبِيهِ الـنُجُمْ بِـسُنَنٍ بَـيْنَ ابْـتِدَاعٍ فِـي الظُّلَـمْ
وَوَجْهُـهُ حُـصُولُ شَـيْءٍ أَزْهَـرَا أَبْـيَضَ فِـي جَـنْبِ الظَّـلامِ أَغْبَـرَا
وَذَاكَ فِـي الـسُّنَّةِ لَـيْسَ يُـوجَدُ إلاَّ عَلَـى التَّخْيِـيلِ فِـيمَا يَـرِدُ
لأنَّ الابْـتِدَاعَ يَجْعَـلُ الَّـردِي كَالمَـاشِ فِـي الظُّلْمَـةِ لَـيْسَ يَهْـتَدِي
وَعَكْـسُهُ الـسُّنَّةُ فَهْـيَ وَالهُـدَى كَالـنُّورِ ثُـمَّ شَـاعَ هَـذَا وَغَـدَا
يَطْـرُقُ فِـي الخَـيَالِ إنَّ الثَّانِـي مِمَّـا لَـهُ البَـيَاضُ كَاللَّمْعَـانِ
وَأَوَّلٌ خِلاَفُـهُ فَهْـوَ كَمَـنْ تَـشْبِيهُهُ بِالـشَّيْبِ فِـي الـشَّبَابِ عَـنْ
مِـنْ ثَـمَّ وَجْـهُ الـنَّحْوِ فِـي الكَـلاَمِ كَـالمِلْحِ إذْ يَكُـونُ فِـي الطَّعَـامِ
هُـوَ الـصَّلاَحُ فِـي الوُجُـودِ وَالفَـسَادْ بِالفَقْـدِ لاَ مَـا قَالَـهُ بَعْـضُ العِـبَادْ
كَـوْنُ القَلِـيلِ مُـصْلِحاً وَيُفْـسِدُ كَثْـرَتُهُ فَالـنَّحْوُ حَقّـاً يَفْقِـدُ

وجه التشبيه ما يشتركان فيه، أي المعنى الذي قُصد اشتراك الطرفين فيه تحقيقاً أو تخييلاً بأن لا يوجد ذلك المعنى إلاّ على سبيل التخييل والتأويل كما في قوله(٥٤٢):

وَكَـأَنَّ الـنُّجُومَ بَـيْنَ دُجَاهَـا سُـنَنٌ لاحَ بَيْـنَهُنَّ ابْـتِدَاعُ

فإنّ وجه الشبه وهو الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيض في جوانب شيء مظلم أسود وتلك الهيئة غير موجودة في المشبه به وهو السنن بين الابتداع إلا على طريق التخيل لأنّه لمّا كانت البدعة وكلّ الجهالات تجعل صاحبها كمن يمشي في الظلمة ولا يهتدي للطريق ولا يأمن أن ينال مكروها شبهت بها، ولزم بطريق العكس أن تشبه السنة وكلّ ما هو علم بالنور لأنّ السنة والعلم يقابل البدعة والجهل كما أنّ النور يقابل الظلمة وشاع ذلك حتى تخيّل أنّ السنة ونحوها ممّا له بياض وإشراق نحو (تركتكم على الحنيفية البيضاء)(٥٤٣)، وتخيّل أنّ الأوّل وهو البدعة ونحوها على خلاف ذلك أي ممّا له ظلام وسواد كقولك (شاهدت سواد الكفر من جبين فلان)، فصار

---

(٥٤٢) البيت للقاضي التنوخي أبي القاسم محمد بن محمد بن داود من أعيان أهل العلم والأدب تقلّد قضاء البصرة والأهواز، ينظر ترجمته في يتيمة الدهر: ٩٣/٢، والبيت في يتيمة الدهر ٣٩٥/٢:

وكـأنَّ الـنجوم بـين دُجـاه سُـنَنٌ لاحَ بيـنهُنَّ ابـتداع

(٥٤٣) لم نجد من ذكر هذا اللفظ، وفي المستدرك ١٧٥/١، وسنن ابن ماجه٤١٦/١ (تركتكم على البيضاء).

بسبب ذلك تشبيه النجوم بين الدجى بالسنن بين الابتداع كتشبيهها ببياض الشيب في سواد الشباب من أجل ذلك أي وجوب اشتراك الطرفين في وجه التشبيه كأنّ وجه الشبه في قولهم (النحو في الكلام كالملح في الطعام) هو الصلاح بوجوده والفساد بعدمه لا ما قيل كون القليل مصلحاً والكثير مفسداً لأنّ المشبه وهو النحو لا يشترك في هذا المعنى إذ لا يقبل التفاوت بالقلّة والكثرة لأنّ المراد رعاية قواعده واستعمال أحكامه كرفع الفاعل ونصب المفعول وهذه إن وجدت في الكلام بكمالها صلح وإن لم توجد فسد، فقولي أوّل الأبيات الآتية (تفاوتاً) متعلّق بـ (يفقد) مفعوله:

***

تَفَاوُتاً وَالوَجْهَ قِسْمَيْنِ اقْسِمَنْ ... فَغَيْرُ خَارِجٍ عَنْ الطَّرَفَيْنِ مَنْ
شَبَّهَ فِي نَوْعٍ وَجِنْسٍ مِلْحَفَهْ ... بِمِثْلِهَا وَخَارِجٌ وَهْوَ صِفَهْ
مِنْهَا الحَقِيقِيَّةُ كَالحِسِّيَّةِ ... كَيْفِيَّةٌ تَخْتَصُّ بِالجِسْمِيَّةِ
كَمُدْرِكِ الطَّرْفِ مِنَ اللَّوْنِ وَمِنْ ... شَكْلٍ وَقَدْرٍ وَتَحَرُّكٍ زُكِنْ
وَالسَّمْعِ مِنْ صَوْتٍ ضَعِيفٍ أَوْ قَوِي ... وَالذَّوْقِ مِنْ طَعْمٍ كَرِيهٍ أَوْ شَهِي
والشَّمِ مِنْ رِيحٍ كَذَاكَ اللَّمْسُ مِنْ ... حَرٍّ وَمِنْ بَرْدٍ وَيَبْسٍ وَخَشِنْ
وَنَحْوُ ذَاكَ وَكَالعَقْلِيَّهْ ... كَيْفِيَّةٌ مِثْلُ الذَّكَا نَفْسِيَّهْ
ثُمَّ الإِضَافِيَّةُ كَالإِزَالَةِ ... لِلحُجْبِ فِي الشَّمْسِ شَبِيهِ الحُجَّةِ

ينقسم وجه التشبيه إلى خارج عن حقيقة الطرفين وغير خارج، فالثاني كما في تشبيه ثوب بآخر في الجنس والنوع كما يقال (هذا القميص مثل هذا) في كونهما كتاناً و(هذا الثوب مثله) في كونه قميصاً، والأوّل صفة أي معنى قائم بهما، وهما قسمان: حقيقية أي هيئة متمكنة في الذات وهي نوعان: حسية أي تدرك بإحدى الحواس كالكيفيات الجسمية أي المختصة بالأجسام ممّا يدرك بالبصر من الألوان والأشكال والمقادير والحركات والسمع من الأصوات الضعيفة والقوية وما بينهما والذوق من المطعوم والشمّ من الروائح واللمس من الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة والخشونة والملاسة واللين والصلابة والخفة والثقل وما يتصل بها من البلّة والجفاف واللزوجة وغير ذلك، والنوع الثاني عقلية كالكيفيات النفسانية من الذكاء والعلم والغضب والحلم والكرم والبخل والشجاعة والجبن وسائر الغرائز.

القسم الثاني: إضافية بأن يكون معنى متعلقاً بشيئين كإزالة الحجاب في تشبيه الحجة بالشمس فإنّها ليست هيئة متقررة في ذات الحجة ولا في ذات الحجاب.

***

وَاقْسِمْهُ وَاحِداً مُرَكَّباً عَدَدْ وَكُلُّهَا حِسِّيٌّ أَوْ عَقْلِيْ وَرَدْ
فِي ثَالِثٍ مُخْتَلِفاً وَالحِسُّ ثُمّ طَرْفَاهُ حِسِّيَّيْنِ وَالغَيْرُ أَعَمّ
فَكُلُّ مَا شُبِّهَ بِالحِسِّيِّ صَحّ بَغَيْرِهِ مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ وَوَضُحْ
مُرَادُهُمْ بِالحِسِّ مَا أَفْرَادُهُ تُدْرَكُ بِالحِسِّ وَذَا تِعْدَادُهُ
الوَاحِدُ الحِسِّيُّ حُمْرَةٌ خَفَا وَالطِيبُ وَاللَّذَّةُ وَالطِّينُ وَفَا
فِي الخَدِّ بِالوَرْدِ وَصَوْتٍ قَدْ ضَعُفْ بِالهَمْسِ وَالعَنْبَرِ نَكْهَةٍ رَشُفْ
وَالجِلْدِ بِالحَرِيرِ وَالشَّيْءِ بِمَنّ وَالوَاحِدُ العَقْلِيُّ كَالعَرَاءِ عَنْ
فَائِدَةٍ وَجُرْأَةٍ وَالاهْتِدَا مَعَ اسْتِطَابِ النَّفْسِ فِيمَا فُقِدَا
نَفْعاً بِمَعْدُومٍ وَعِلْمٍ بِفَلَقْ وَالشَّخْصِ بِالسَّبْعِ وَعِطْرٍ بِخَلَقْ

ينقسم وجه التشبيه أيضاً إلى ثلاثة أقسام: واحد ومركب من متعدد تركيباً حقيقياً بأن تكون حقيقة ملتئمة من أمور مختلفة أو اعتبارياً بأن تكون هيئة انتزعها العقل من عدة أمور، وإلى متعدد بأن ينظر إلى عدّة أمور ويقصد اشتراك الطرفين في كلّ منها ليكون كلّ منها وجه تشبيه، بخلاف المركب فإنّه لم يقصد اشتراك الطرفين في كلّ من تلك الأمور بل في الهيئة المنتزعة أو في الحقيقة الملتئمة منها وكلّ من هذه الثلاثة إمّا حسي أو عقلي فهذه ستة، ويختصّ الثالث بأن يكون مختلفاً بعضه حسيّ وبعضه عقليّ، فهي سبعة والحسيّ طرفاه حسيان لا غير إذ لا يدرك بالحسّ شيء غير المحسوس، والعقلي أعمّ لجواز أن يدرك بالعقل من المحسوس شيء، فكلّ ما صحّ فيه التشبيه بالوجه الحسيّ صحّ بالوجه العقليّ ولا عكس كما صرّحت به من زيادتي، وهو معنى قول التلخيص[٥٤٤]، ولذلك يقال التشبيه بالوجه العقليّ أعمّ والمراد بكون وجه التشبيه حسيًا أنّ أفراده مدركة بالحسّ كالحمرة التي تدرك بالبصر جزئياتها الحاصلة في المرائي فالواحد الحسي كالحمرة والخفاء وطيب الرائحة ولذّة الطعم

(٥٤٤) التلخيص: ٦٢.

ولين الملمس في تشبيه الخدّ بالورد والصوت الضعيف بالهمس والنكهة بالعنبر والشيء بالمنّ والجلد الناعم بالحرير والواحد العقليّ كالعراء عن الفائدة والجرأة والهداية واستطابة النفس في تشبيه العديم بالمعدوم والعلم بالنور والشجاع بالأسد والعطر بخلق كريم، ومن الأوّل وطرفاه حسيان قول ابن سكرة[٥٤٥]:

الخَدُّ وَرْدٌ وَالصَّدْغُ غَالِيَةٌ وَالرِّيقُ خَمْرٌ وَالثَّغْرُ مِنْ بَرَدِ

ومن الثاني وطرفاه حسّيان حديث الترمذي (مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق)[٥٤٦]، وحديث أبن ماجه (أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم)[٥٤٧] شُبِّهُوا بالسفينة والنجوم في مطلق حصول النجاة والاهتداء، ومنه وطرفاه عقليان قوله[٥٤٨]:

أخلاقهُ نُكَتٌ في المجدِ أَيسَرُها لُطْفٌ يُؤَلِّفُ بينَ الماءِ والنّارِ
لَوْ زُرْتَهُ لَرَأَيْتَ النَّاسَ فِي رَجُلٍ وَالدَّهْرَ فِي سَاعَةٍ وَالأرْضَ فِي دَارِ

ومنه وطرفاه عقليّ وحسيّ قوله[٥٤٩]:

كَأَنَّ ثَبَاتَهُ لِلقَلْبِ قَلْبٌ وَهَيْبَتَهُ جَنَاحٌ لِلجَنَاحِ

وعكسه[٥٥٠]:

وأرضٍ كأَخلاق الكريم قَطَعْتُها وقد كَحَلَ الليلُ السِّماكَ فأَبصَرا

وقوله تعالى ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ (البقرة: من الآية ١٨٧)، يحتمل أن يكون حسياً بحيث إنّ الرجل والمرأة في المعانقة كاللباس المشتمل، وعقلياً على معنى

---

(٥٤٥) البيت في يتيمة الدهر: ٣/٨.

(٥٤٦) لم نجد هذا الحديث في سنن الترمذي، وقد روي في المستدرك: ٢/٣٧٣، المعجم الأوسط: ٥/ ٣٥٥، ٦/٨٥، شعب الإيمان: ٤/٣٠٦. وفي جميعها (مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق).

(٥٤٧) لم نجد هذا الحديث في سنن ابن ماجه، وقد روي في نوادر الأصول في أحاديث الرسول: ٢/ ٤٨١.

(٥٤٨) البيتان للأرجاني، يوانه: ٢/٧٨٦. والبيت الأوّل ليس من القصيدة التي منها البيت الثاني، والبيت الثاني في الديوان:

لقيته فرأيت الناس في رجل والدهر في ساعة والأرض في دار

(٥٤٩) البيت لأبي فراس الحمداني، شرح ديوانه: ٢٤٦.

(٥٥٠) البيت لابن بابك كما في أسرار البلاغة: ٢٣٠.

أنّ كلاً منهما يصون صاحبه من الوقوع في الفضيحة كاللباس الساتر.

***

وَذُو تَـــرَكُّبٍ غَـــدَا حِـــسّيًا فِـــي مُفْـــرَدٍ طَـــرْفَاهُ كَالثُّـــرَيَّا
شُـــبِّهَ بِالعُـــنْقُودِ مِـــنْ كَـرْمٍ لِمَــا حَـــوَتْهُ مِـــنْ صُـــورَتِهِ إذْ نُظِمَــا
وَحَـــبُّهُ أبْـــيَضُ واسْـــتَدَارَا وَقَـــارَبَ الـــرُّؤْيَةَ وَالمِقْـــدَارَا
وَمَـــا تَـــرَكَّبَا كَقَوْلِـــي أخَـــذَا مِـــنْ قَـــوْلِ بَـــشَّارٍ مُمَـــاثِلاً لِـــذَا
وَالـــنَّقْعُ فَـــوْقَ رُؤْسِـــنَا وَالأسْـــيُفُ لَـــيْلٌ تَهَـــاوَى شِـــبْهُهُ وَتَخْطُـــفُ
بِجَامِـــعِ الـــسُّقُوطِ فِـــي أجْـــرَامِ مُـــشْرِقَةٍ طَـــوِيلَةِ الأجْـــسَامِ
تَنَاسَـــقَتْ أقْـــدَارُهَا مُفَـــرَّقَهْ فِـــي جَـــنْبِ شَـــيْءٍ مُظْلِـــمٍ مُتَّـــسِقَهْ
وَمَـــا تَخَالَفَـــا كَمَـــا الـــشَّقِيقُ مَـــرّ وَالزَّهْـــرُ فِـــي رُبَـــا بِلَـــيْلٍ ذِي قَمَـــرْ
وَحُـــسْنُهُ فِـــي هَيْـــئَةٍ بِهَـــا تَقَـــعْ حَـــرَكَةٌ أوْ وَصْـــفُ اوْ جُـــرِّدَ مَـــعْ
تَحَـــرُّكٍ إلَـــى جِهَـــاتٍ فَـــالأوَلْ كَالـشَّمْسِ كَالمِـرْآةِ فِـي كَـفِّ الأشَـلّ
وَالـــثَّانِ كَالبَـــرْقِ إذَا بَـــدَا وَلاَحْ كَمِـصْحَفِ القَـارِي انْطِـبَاقاً وَانْفِـتَاحْ
وَهَيْـــئَةُ الـــسُّكُونِ رُبَّمَـــا تَلِـــي يَقْعَـــى جُلُـــوسَ الـبَدَوِيّ المُـصْطَلِي

المركب الحسي من وجه التشبيه طرفاه إمّا مفردان أو مركّبان بأن يقصد على عدّة أشياء مختلفة فينتزع منها هيئة ويجعلها مشبهاً ومشبهاً به، أو أحدهما مفرد والآخر مركّب، فالمركّب الذي طرفاه مفردان كقوله[٥٥١]:

وَقَد لاحَ في الصُبحِ الثُريّا كَمَا تَرى كَعُـــنقودِ مُلاّحِـــيَّةٍ حَـــينَ نَـــوَّرا

شبّه الثريا بعنقود عنب لما حواه من الهيئة الحاصلة من تقارب الصور البيض المستديرة الصغار المقادير في المرائي على الكيفية المخصوصة لا شديدة الافتراق ولا الانضمام إلى المقدار المخصوص من الطول والعرض فنظر إلى عدّة أشياء وقصد إلى هيئة حاصلة منها والطرفان مفردان وهما الثريا والعنقود، والذي طرفاه مركبان كقول

(٥٥١) نسب البيت إلى قيس بن الأسلت في الأغاني: ١٣٠/١٧ونظرة الإغريض: ٧٤، ونسب إلى قيس ابن الخطيم في اسرار البلاغة: ٩٥.

بشار[٥٥٢]:

كَـأَنَّ مُـثارَ الـنَقعِ فَـوقَ رُؤُوسِـنا وَأَسـيافَنا لَـيلٌ تَهـاوى كَواكِـبُه

لما فيه من الهيئة الحاصلة من سقوط أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة في جوانب شيء مظلم فهو مركب، وكذا الطرفان لأنّه لم يقصد تشبيه الليل بالنقع والكواكب بالسيوف، بل عمد إلى تشبيه هيئة السيوف وقد سلت من أغمادها وهي تعلو وترسب وتجيء وتذهب وتضطرب اضطراباً شديداً وتتحرك بسرعة إلى جهات مختلفة وعلى أحوال تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة والارتفاع والانخفاض مع التلاقي والتداخل والتصادم والتلاحق وكذا في جانب المشبه به فإنّ للكواكب في تهاويها تواقعاً وتداخلاً واستطالة لأشكالها، ويحكى عن بشار أنّه قال لما سمعت قول امرئ القيس (كأنّ قلوب الطير البيت، لم يستقرّ لي قرار حسداً له حتى قلت هذا البيت في صفة الحرب)[٥٥٣].

والذي طرفاه مختلفان بأن يكون الأوّل مفرداً والثاني مركّباً كما مرّ في تشبيه الشقيق بأعلام الياقوت نشرت على رماح من زبرجد من الهيئة الحاصلة من نشر أجرام حمر مبسوطة على رؤوس أجرام خضر مستطيلة فالمشبّه مفرد وهو الشقيق والمشبّه به مركب، وعكسه تشبيه نهار مشمس شابه زهر الربا بليل مقمر في قوله[٥٥٤]:

تَـرَيا نَهـاراً مُشمِـساً قَـد شـابَهُ زَهـرُ الـرُبا فَكَأَنَّمـا هُـوَ مُقمِـرُ

ومن بديع المركب الحسي ما يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركة سواء قرنت بشيء من أوصاف الجسم كالشكل واللون أو جرّدت حتى لا يراد غيرها ولا بدّ حينئذ من اختلاف حركات إلى جهات مختلفة له ليتحقق التركيب، فالأوّل كقوله[٥٥٥]:

وَالشَمسُ كَالمِرآةِ في كَفِّ الأَشَل

لما فيه من الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق والحركة السريعة المتصلة من

---

(٥٥٢) ديوان بشار بن برد: ١/٣١٨.

(٥٥٣) ينظر قول بشار في العمدة: ١/٢٩١. وبيت امرئ القيس الذي يذكره هو في الديوان: ٣٨ والبيت هو:

كَـأَنَّ قُلـوبَ الطَيـرِ رَطـباً وَيابِـساً لَدى وَكرِها العُنّابُ وَالحَشَفُ البالي

(٥٥٤) شرح ديوان أبي تمام: ٢/١٩٤.

(٥٥٥) البيت للشماخ، ديوانه: ٣٩٣.

تموّج الإشراق حتى يرى الشعاع كأنّه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة ثمّ يبدو له فيرجع على الانقباض والثاني كقوله[٥٥٦]:

فَكَـأَنَّ البَـرقَ مُـصحَفُ قـارٍ فَانطِـباقاً مَـرَّةً وَانفِـتاحا

وجه التركيب أنّ المصحف يتحرك في حالتي الانطباق والانفتاح إلى جهتين في كلّ حالة إلى جهة بخلاف حركة الرحى والسهم مثلاً فلا تركيب فيها لاتحادها، وقد يقع التركيب في هيئة السكون كقول المتنبي في صفة الكلب[٥٥٧]:

يُقعـي جُلـوسَ البَدَوِيّ المُصطَلي [بِأَربَـعٍ مَجدولَـةٍ لَـم تُجـدَلِ]

لما فيه من الهيئة الحاصلة من موقع كلّ عضو منه في إقعائه، فإنّ لكلٍّ موقعاً خاصًّا وللمجموع صورة خاصة مؤلفة من تلك المواقع وكذا صورة جلوس البدويّ عند اصطلاء بالنار موقدة على الأرض.

***

وَذُو تَـرَكُّبٍ إِلَـى العَقْـلِ انْتَسَبْ كَمِـثْلِ حِـرْمَانِ انْـتِفَاعٍ مَـعْ تَعَـبْ
فِـي مَـثَلِ الـيَهُودِ بِالحِمَـارِ وَالحَمْـلِ لِلـتَّوْرَاةِ وَالأَسْـفَارِ
وَرَاعِ فِـي تَعَـدُّدٍ مَـا يَحْـصُلُ بِـهِ إِذَا أُسْـقِطَ مِـنْهُ خَلَـلُ

المركب العقليّ من وجه الشبه كحرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب في استصحابه في قوله تعالى ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ (الجمعة: من الآية ٥)، وربّما ينتزع وجه الشبه من متعدد فيقع الخطأ لوجوب انتزاعه من أكثر كما إذا انتزع من الشطر الأوّل من قوله[٥٥٨]:

كما أَبْـرَقتْ قَـوْماً عِطَاشـاً غَمَامَـةٌ فلمّـا رَأَوْهَـا أقْـشَعَتْ وتجَلَّـتِ

لوجوب انتزاعه من الجميع فإنّ المراد التشبيه باتصال ابتداء مطمع بانتهاء مؤيس فليراعَ ما يختلّ بإسقاط المعنى.

***

(٥٥٦) لم نعثر للبيت على نسبة.

(٥٥٧) شرح ديوان المتنبي: ٣/٣٢٠.

(٥٥٨) البيت لكثير عزة، ديوانه: ١٠٧.

وَذُو تَعَــدُّدٍ مِــنَ الحِـسِّي كَمَــنْ   شَــبَّهَ فَــنَّاً فِــي صِــفَاتِهِ بِــفَنّ
وَضِــدُّهُ مَــنْ بالغُــرَابِ فِــي الحَــذَرْ   شَــبَّهَ طَيْــراً وَالــسِّفَادَ وَالنَظَــرْ
وَالــثَّالِثُ التَّــشْبِيهُ لِلإِنْــسَانِ   بِالـشَّمْسِ فِـي الحُسْنِ وَرَفْـعِ الـشَّانِ
وَرُبَّمَــا يُــؤْخَذُ وَجْــهٌ لِلــشَّبِيهْ   مِــنَ التَّــضَادِّ لاشْـتِرَاكِ الـضِّدِّ فِـيهْ
لِقَــصْدِ تَلْمِــيحٍ أوِ الــتَّهَكُّمِ   كَوَصْــفِهِ مُــبَخِّلاً بِحَــاتَمِ

التعدد الحسّي كاللون والطعم والرائحة في تشبيه فاكهة بأخرى وكقوله(٥٥٩):

حَكَــتْ قَــوْلاً وَلِيــناً وَاعْــتِدَالاً   وَلَحْظــاً قَــاتِلاً سُــمْرَ الــرِّمَاحِ

والعقلي كحدّة النظر وكمال الحذر وإخفاء السفاد(٥٦٠) في تشبيه طائر بالغراب وكقول أبي العلاء(٥٦١):

والخِــلُّ كالمــاء يُبْدي لــي ضَــمائِرَه   مــع الــصّفاء ويُخْفــيها مــع الكَــدَرِ

والمختلف كحسن الطلعة ونباهة الشأن في تشبيه إنسان بالشمس، وقد ينتزع وجه الشبه من نفس التضادّ لاشتراك الضدين فيه ثمّ ينزل منزلة التناسب بواسطة تلميح أي تحسين أو تهكم أي سخرية واستهزاء فيقال للجبان ما أشبهه بالأسد وللبخيل إنّه حاتم.

***

أدوات التشبيه

أَدَاتُــهُ الكَــافُ وَمِــثْلٌ وَكَــأَنْ   وَالأَصْـلُ فِـي الكَـافِ وَمَـا أَشْبَهَ أَنْ
تُولَــى مُــشَبَّهاً بِــهِ وَرُبَّمَــا   تولَــى سِــوَاهُ مَــثَلُ الدُّنْــيَا كَمَــا
قُلْــتُ وَلاَ يَكُــونُ مِــثْلُ إلاَّ   فِــي ذِي غَــرَابَةٍ وَشَــأْنٍ جَــلاَّ
وَرُبَّمَــا يُذْكَــرُ فِعْــلٌ يُنْبِــي   عَــنْهُ فَــإِنْ كَــانَ مُــرِيدَ القُــرْبِ
عَلِمْــتُ زَيْــداً أَسَــداً وَالمُــبْعَدُ   حَــسِبْتُهُ قُلْــتُ وَذَا مُنْــتَقَدُ

أداة التشبيه (الكاف) و(مثل) و(كأنّ) ونحوها ممّا يشتق من المماثلة والمشابهة

(٥٥٩) البيت لأبي محمد الحسن علي بن مطران الشاشي، ينظر البيت في لباب الآداب، الثعالبي: ٢/ ١٢٢، يتيمة الدهر: ٤/١١٥.

(٥٦٠) السِّفَادُ: نَزو الذكر على الأنثى، وتقال للسباع والتيس والثور والبعير والطير، لسان العرب: ٤/ ٥٩٥.

(٥٦١) شروح سقط الزند: ١/١٣٢.

ك(نحو) و(شبه)، ولا يستعمل (مثل) إلاّ في حال أو صفة لها شأن وفيها غرابة نبّه عليه الطيبي[٥٦٢]، والأصل في الكاف وما أشبهها كلفظ (نحو) و(شبه) و(مثل)، بخلاف تماثل وتشابه وتكافأ أن يليه المشبه به لفظاً نحو (زيد كالأسد) أو تقديراً نحو ﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ (البقرة: من الآية ١٩) على تقدير أو كمثل ذي صيب، وربما يليه غيره ونحو ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ ﴾ (الكهف: من الآية ٤٥) الآية[٥٦٣]، ليس المراد تشبيه الدنيا بالماء بل تشبيه حالها في بهجتها وما يعاقبها من الهلاك بحال النبات الحاصل من الماء يكون أخضر ثم ييبس فتطيره الرياح، وربّما يذكر فعل ينبئ عن التشبيه فيؤتى في التشبيه القريب بنحو (علمت زيداً أسداً) الدال على التحقيق، وفي البعيد (حسبت زيداً أسداً) الدال على الظنّ وعدم التحقيق، هكذا قال في التلخيص[٥٦٤] واعترض بأنّ في مثل كون هذه الأفعال منبئة عن التشبيه نوع خفاء، والأظهر أنّ الفعل ينبئ على حال التشبيه في القرب والبعد وأن الأداة محذوفة مقدرة لعدم استقامة المعنى بدونه نحو (زيد أسد) لا أنّ (علمت) منبئ عنه وقد مشى على ذلك الطيبي[٥٦٥].

***

أغراض التشبيه

غَرَضُـــــهُ يَعُـــــودُ لِلْمُـــــشَبَّهِ ... فِـــي أَكْثَـــرِ الأَمْـــرِ وَفِـــي أَغْلَـــبِهِ
بَـــيَانُ إِمْكَـــانٍ وَفِـــي حَـــالٍ كَـــذَا ... قَـــدْرٌ وَتَقْرِيـــرٌ لَهَـــا وَكُـــلُّ ذَا
يَقْـــضِي بِـــأَنَّ الـــوَجْهَ فِـــي المُـــشَبَّهِ ... بِـــهِ أَتَـــمُّ وَهْـــوَ أَشْـــهَرُ بِـــهِ
وَفِـــيهِ نَقْـــدٌ ثُـــمَّ لِلتَّـــشْوِيهِ ... وَزِيـــنَةٍ وَالظُّـــرْفِ كالتَّـــشْبِيهِ
لِلفَحْـــمِ ذِي الجَمْـــرِ بِبَحْـــرِ مِـــسْكِ ... وَمَـــوْجِهِ مِـــنْ ذَهَـــبٍ ذِي سَـــبْكِ
وَوَجْـــهُ ظُـــرْفٍ كَـــوْنُهُ يَبْـــرُزُ فِـــي ... مُمْتَـــنِعٍ أَوْ قَـــلَّ فِـــي الـــذِّهْنِ يَفِـــي
وَبِمُـــشَبَّهٍ بِـــهِ الغَـــرَضُ عَـــمّ ... إِمَّـــا لإِبْهَـــامٍ بِأَنَّـــهُ أَتَـــمّ

---

(٥٦٢) التبيان في البيان: ١٧٤.

(٥٦٣) وتمامها قوله تعالى: ﴿ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴾.

(٥٦٤) التلخيص: ٦٦.

(٥٦٥) التبيان في البيان: ١٧٣.

وَذَاكَ فِي المَقْلُوبِ أوْ للاِهْتِمَامْ كَجَائِعٍ يُشْبِهُ خُبْزاً بِالتَّمَامْ
إظْهَارُ مَطْلُوبٍ وَكُلُّ ذَا إذَا إلْحَاقُ نَاقِصٍ بِغَيْرِ يُحْتَذَى
وَقَدْ يُرَادُ الجَمْعُ لِلشَّيْئَيْنِ فِي أمْرٍ وَلَمْ يُنْظَرْ لِنَقْصٍ أوْ وَفِي
فَالأحْسَنُ العُدُولُ لِلتَّشَابُهِ وَذِكْرُهُ التَّشْبِيهَ مِنْ صَوَابِهِ

الغرض من التشبيه هو ما يقصده المتكلم من إيراده وهو عائد إلى المشبه غالباً وقد يعود إلى المشبه به، فالأوّل على وجوه: أحدها بيان إمكان وجوده بأن يكون أمراً غريباً يمكن أن يخالفه فيه ويُدَّعَى امتناعه فيستشهد له بالتشبيه كقول المتنبي(٥٦٦):

فَإن تَفُقِ الأَنامَ وَأَنتَ مِنهُم فَإِنَّ المِسكَ بَعضُ دَمِ الغَزالِ

فإنّه لمّا أدّعى أنّ الممدوح فاق الناس حتى صار أصلاً برأسه وجنساً بنفسه وكان هذا الظاهر كالممتنع، احتجّ لهذه الدعوى وبين إمكانها بأن شبه هذه الحال بحال المسك الذي هو من الدماء، ثمّ إنّه لا يُعَدّ من الدماء لما فيه من الأوصاف الشريفة التي لا توجد في الدم، والتشبيه فيه ضمنيّ لا صريح.

ثانيها: بيان حال المشبه بأنّه على أي وصف من الأوصاف كما في تشبيه ثوب بآخر في السواد إذا علم السامع لون المشبه به دون المشبه. ثالثها: بيان قدر الحال المشبه بالقوة والضعف والزيادة والنقصان كما في تشبيه الثوب الأسود بالغراب في شدة السواد وكقوله(٥٦٧):

فَأَصبَحتُ مِن لَيلى الغَداةَ كَقابِضٍ عَلى الماءِ خانَتهُ فُروجُ الأَصابِعِ

رابعها: تقرير حال المشبه في نفس السامع وتقوية شأنه كما في تشبيه من لا يحصل من سعيه على طائل بمن يرقم على الماء، قال ﷺ (مثل الذي يتعلم العلم في صغره كالنقش على الحجر ومثل الذي يتعلم العلم في كبره كالذي يكتب على الماء) رواه الطبراني في الكبير من حديث أبي الدرداء(٥٦٨)، وقال ابن العميد(٥٦٩):

ذِي مِلَّةٍ يَأْتِيكَ أثْبَتُ عَهْدِهِ كَالخَطِّ يُرْسَمُ فِي بَسِيطِ المَاءِ

---

(٥٦٦) شرح ديوان المتنبي: ٣/١٥١.

(٥٦٧) البيت لمجنون ليلى، ديوانه: ١٨٨.

(٥٦٨) لم نجد الحديث فيما بحثنا في المعجم الكبير، وقد رواه الديلمي في الفردوس: ٤/١٣٥، والهيثمي في مجمع الوزائد: ١/٢٥.

(٥٦٩) ينظر البيت في يتيمة الدهر: ٣/٢٠٣.

قال صاحب التلخيص[٥٧٠] وهذه الأغراض الأربعة تقتضي أن يكون وجه التشبيه في المشبه به أتمّ وأن يكون المشبه به بوجه الشبه أشهر وأعرف، قال الشيخ سعد الدين[٥٧١]: والتحقيق أنّ بيان الإمكان والحال لا يقتضيان الأشهرية ليصح القياس ويتم الاحتجاج في الأوّل ويعلم الحال في الثاني وكذا بيان المقدار لا يقتضي الأتمية بل أن يكون المشبه به على حدّ مقدار المشبه لا أزيد ولا أنقص لتعين مقدار المشبه على ما هو عليه. وأما تقرير الحال فيقتضي الأمرين جميعاً لأنّ النفس إلى الأتمّ والأشهر أميل فالتشبيه به لزيادة التقرير والتقوية أجدر وإلى ذلك أشرت بقولي (وفيه نقد).

خامسها وسادسها: قصد تشويه المشبه أي تقبيحه في عين السامع وتزيينه ليرغب عنه أو فيه كما في تشبيه وجه مجدور بسلحة جامدة قد نقرها الديكة وتشبيه وجه أسود بمقلة الظبي قال ابن الرومي[٥٧٢]:

تَقُولُ هَذَا مُجَاجُ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ ... وَإِنْ تَعِبْ قُلْتَ ذَا قَيْءِ الزَّنَابِيرِ

سابعها: قصد استطرافه كما في تشبيه فحم فيه جمر ببحر من المسك موجه الذهب ووجه ظُرْفِهِ إبرازُه في صورة الممتنع عادة وقد يكون الظرف لكون المشبه به نادر الحضور في الذهن إمّا مطلقاً كالمذكور أو عند حضور المشبه كقول ابن المعتز في البنفسج[٥٧٣]:

ولازَوَرْدِيَّةٍ تزهُو بزُرْقَتِهَا ... وسطَ الرياض على حُمْرِ اليواقيتِ
كأَنَّها وضِعافُ القُضْبِ تحملها ... أوائلُ النَّار في أطرافِ كِبْرِيتِ

فإنّ صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لا يندر حضورها في الذهن ندرة بحر من المسك موجه الذهب، لكن يندر حضورها عند حضور البنفسج فيستظرف. ويحكى أنّ

---

(٥٧٠) التلخيص: ٦٧.

(٥٧١) مختصر السعد: ٣٥٠.

(٥٧٢) البيت غير موجود في الديوان، وهو في الإيضاح: ٢/٢٣٨، والتبيان: ١٥٩، وعروس الأفراح: ٢/٨٢.

(٥٧٣) ديوان ابن المعتز: ٢/٨٢، وفيه:

ولازَوَرْدِيَّةٍ أوْفَتْ بزُرْقَتِهَا ... بَيْنَ الرياض على زُرْقِ اليواقيتِ
كأنّها فَوْقَ طاقاتٍ ضَعفْنَ بِهَا ... أوائلُ النَّار في أطرافِ كِبْرِيتِ

جريراً قال: أنشدني عديّ[٥٧٤]:

عَرَفَ الدِيارَ تَوَهُّماً فَاعتادَها [مِن بَعدِ ما شَمِلَ البِلى أَبلادَها]

فلما بلغ قوله[٥٧٥]:

يَزجي أَغَنَّ كَأَنَّ إِبرَةَ رَوقِهِ

رحمته وقلت: قد وقع، ما عساه أن يقول؟ فلما بلغ قوله:

قَلَمٌ أَصابَ مِنَ الدَواةِ مَدادَها

استحالت الرحمة حسداً له لأنه رآه حين افتتح التشبيه بذكر ما لا يحضر له شبه في بدء الفكرة فرحمه، وحين رآه ظفر بأقرب صفة من أبعد موصوف حسده. وأمّا القسم الثاني وهو ما يعود من الغرض إلى المشبه به فمرجعه إمّا لإيهام أنّه أتمّ من المشبه في وجه الشبه وذلك في التشبيه المقلوب بأن يجعل الناقص مشبهاً به قصداً إلى ادعاء أنّه أكمل كقوله[٥٧٦]:

وبدا الصباحُ كأنَّ غُرَّتَه وجهُ الخليفةِ حينَ يُمتَدَحُ

قصد إيهام أن وجهه أتمّ من الصباح في الضوء والضياء وقوله[٥٧٧]:

في طَلْعَةِ البَدْرِ شَيءٌ مِن مَحاسِنِهَا وَلِلقَضيبِ نَصيبٌ مِن تَثَنّيها

فإنّ العادة أن تُشبّه الطلعة بالبدر والقدّ بالقضيب فعكس مفضلاً حسن الطلعة على البدر والقدّ على القضيب قال المعري[٥٧٨]:

ظَلَمْنَاكَ فِي تَشْبِيهِ صَدْغَيْكَ بِالمِسْكِ وَقَاعِدَةُ التَّشْبِيهِ نُقْصَانُ مَا يَحْكِي

وإمّا لبيان الاهتمام بالمشبه به كتشبيه الجائع وجهاً بالبدر في الإشراق والاستدارة بالرغيف ويسمّى إظهار المطلوب ولا يحسن إلاّ بمقام الطمع كما روي أنّ

(٥٧٤) شعر عدي بن الرقاع العاملي: ٨٢.
(٥٧٥) المصدر نفسه.
(٥٧٦) البيت لمحمد بن وهب الحميري، شعر محمد بن وهب الحميري، تحقيق: محمد جبار معيبد، مجلة الخليج العربي، العدد الأوّل، ١٩٨٥: ٦٢.
(٥٧٧) البيت للبحتري: ٢٤١٠/٣.
(٥٧٨) البيت غير موجود في شروح سقط الزند ولا في اللزوميات، وقد استشهد به في عروس الأفراح: ٨٢/٢.

الصاحب بن عباد مدح قاضي سجستان بقوله[٥٧٩]:

وَعَالِمٌ يَعْرِفُ بِالسَّجْزِي

وأشار إلى الندماء بإجازة هذا النصف فلما انتهت النوبة إلى شريف قال:

أَشْهى إِلَى النَّفْسِ مِنَ الخُبْزِ

فأمر بإحضار المائدة. ثم هذا الذي ذكر من جعل أحد الشيئين مشبهاً والآخر مشبَّهاً به إنّما يكون إذا أريد إلحاق الناقص بالزائد حقيقةً أو ادعاءً، فإن أريد الجمع بين الشيئين في أمر من الأمور من غير قصد إلى كون أحدهما ناقصاً والآخر زائداً سواء وجد أم لا فالأحسن ترك التشبيه إلى الحكم بالتشابه ليكون كلّ من الشيئين مشبهاً ومشبهاً به احترازاً من ترجيح أحد المتساوين كقوله[٥٨٠]:

تَشَابَهَ دَمْعِي إِذْ جَرَى وَمُدَامَتِي ... فمِنْ مِثْل مَا في الكأسِ عَيْنِي تَسْكبُ
فوالله ما أَدْري أَبالخَمْرِ أَسْبَلَتْ ... جُفونيَ أمْ من عِبْرَتي كُنْتُ أَشْرَبُ

لمّا اعتقد التساوي بين الدمع والخمر ترك التشبيه إلى التشابه ويجوز أيضاً التشبيه في مثل ذلك لسبب من الأسباب كزيادة الاهتمام وكون الكلام فيه.

***

أقسام التشبيه

فَباعْتِبَارِ الطَّرَفَيْنِ مُفْرَدُ ... بِمُفْرَدٍ كِلاَهُمَا مُقَيَّدُ
أَمْ لاَ أَوِ الخِلاَفُ فِيهِمَا حَصَلْ ... كَالشَّمْسُ كَالمِرْآةِ فِي كَفِّ الأَشَلّ
وَذُو تَرَكُّبٍ بِهِ وَمُفْرَدِ ... وَعَكْسُهُ وَالطَّرَفَيْنِ فَاعْدُدِ
بِالمُشْبَهَاتِ فَابْدَأَنْ أَوْ لاَ تُحِقّ ... وَالأَوّلُ المَلْفُوفُ وَالثَّانِي فُرِقْ
كَالنَّشْرُ مِسْكٌ وَالوُجُوهُ أَنْجُمُ ... وَالرِّيقُ خَمْرٌ والبَنَانُ عَنْدَمُ
وَإِنْ تُعَدِّدْ أَوّلاً فَالتَّسْوِيَهْ ... أَوْ ثَانِياً تَشْبِيهَ جَمْعٍ سُمِّيَهْ

---

(٥٧٩) البيت غير موجود في الديوان، وذكره صاحب الإيضاح: ٢/٢٤٢.

(٥٨٠) البيتان لأبي إسحاق الصابي، خاص الخاص، الثعالبي: ١٦٣، لباب الآداب، الثعالبي: ٢/١١٠، أنوار الربيع: ٥/١٢٦، والأبيات في كلها كالآتي:

تورّد دَمْعِي فَاسْتَوَى وَمُدَامَتي ... فمِنْ مِثْل مَا في الكأسِ عَيْنَي تَسْكبُ
فوالله ما أَدْري أَبالخَمْرِ أَسْبَلَتْ ... جُفونيَ أمْ من دَمْعَ عيني أَشْرَبُ

التشبيه له أقسام باعتبارات، فيقسم باعتبار طرفه إلى أربعة أقسام لأنّه إمّا تشبيه مفرد بمفرد وهما مقيدان كقولهم لمن لا يحصل من سعيه على طائل: (هو كالراقم على الماء)، فالمشبه (الساعي) مفرد مقيد بأن لا يحصل من سعيه على شيء والمشبه به (الراقم) مقيد بكونه رقمه على الماء لأنّ وجه الشبه هو التسوية بين الفعل وعدمه وهو موقوف على اعتبار هذين القيدين، أو غير مقيدين كتشبيه الخد بالورد أو مختلفين نحو(٥٨١):

وَالشَمسُ كَالمِرآةِ في كَفِّ الأَشَل

المشبه به وهو (المرآة) مقيد بكونه في كفّ الأشلّ بخلاف المشبه وهو (الشمس)، وعكسه (المرآة في كفّ الأشلّ كالشمس)، وأمّا تشبيه مركب بمركب بأن يكون كلّ من الطرفين كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى صارت شيئاً واحداً كما تقدّم في قوله (كأنّ مثار النقع البيت) وأمّا تشبيه مركب بمفرد كقوله(٥٨٢):

يا صاحِبَيَّ تَقَصَّيا نَظَرَيكُما تَرَيا وُجوهَ الأَرضِ كَيفَ تَصَوَّر
تَرَيا نَهاراً مُشمِساً قَد شابَهُ زَهرُ الرُبا فَكَأَنَّما هُوَ مُقمِرُ

فالمشبّه وهو (نهار مشمس شابه زهر الربا) مركب والمشبه به مفرد وهو (مقمر)، أو عكسه أي تشبيه مفرد بمركب كما مرّ من تشبيه الشقيق وهو بأعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد وهو مركب من عدّة أمور.

وينقسم باعتبار تعدد الطرفين أيضاً إلى أربعة أقسام فإن تعدد أو بُدِئ بالمشبهات أوّلاً ثمّ بالمشبهات بها فملفوف كقوله(٥٨٣):

كَأَنَّ قُلوبَ الطَيرِ رَطباً وَيابِساً لَدى وَكرِها العُنّابُ وَالحَشَفُ البالي

شبه الرطب واليابس من قلوب الطير بالعناب والحشف البالي، ومنه في تشبيه ثلاثة بثلاثة قوله(٥٨٤):

لَيْلٌ وَبَدْرٌ وَغُصْنٌ شَعْرٌ وَوَجْهٌ وَقَدُّ
خَمْرٌ وَدُرٌّ وَوَرْدٌ رِيقٌ وَثَغْرٌ وَخَدُّ

---

(٥٨١) البيت للشماخ، ديوانه: ٣٩٣.
(٥٨٢) البيت لأبي تمام، ديوانه: ١٩٤/٢.
(٥٨٣) البيت لامرئ القيس، ديوانه: ٣٨.
(٥٨٤) ينسب البيتان لابن المعتز، كما في العمدة: ٢٩٢/١، وهما غير موجودين في ديوانه.

وأربعة بأربعة قول الشاعر(٥٨٥):

ثَغْــرٌ وَخَــدٌّ وَنَهْــدٌ وَاْحمِــرَارُ يَــدٍ　　كَالطَّلْــعِ وَالــوَرْدِ وَالــرُّمَّانِ وَالــبَلَحِ

وخمسة بخمسة قول أبي الفرج الوأوأ(٥٨٦):

قَالَـتْ مَتَـى الظَّعْـنُ يَـا هَـذَا فَقُلْـتُ لَهَـا　　إمّــا غَــداً زَعَمُــوا أوْ لاَ فَــبَعْدَ غَــدِ

فَأمْطَـرَتْ لُؤْلُـؤاً مِـنْ نَـرْجِسٍ وَسَـقَتْ　　وَرْداً وَعَــضَّتْ عَلَـى العُـنَّابِ بِالبَـرَدِ

وستة بستة قول ابن جابر(٥٨٧):

إنْ شِــئْتَ ظَبْــياً أوْ هِــلاَلاً أوْ دُجَــىً　　أوْ زَهْـرَ غُـصْنٍ فِـي الكَثِـيبِ الأمْلَـدِ

فَلِلَحْظِهَــــا وَلِــــوَجْهِهَا وَلِــــشَعْرِهَا　　وَلِخَــدِّهَا وَالقَــدِّ وَالــرِّدْفَ اقْــصُدِ

وسبعة بسبعة قول النجم البارزي(٥٨٨):

يُقَطِّــعُ بِالــسِّكِّينِ بِطِّــيخَةً ضُــحىً　　عَلَــى طَـبَقٍ فِــي مَجْلِـسٍ لأصْــحَابِهْ

كَــشَمْسٍ بِبَــرْقٍ قَــدْ بَــدَا وَأهِلَّــةً　　لَـدَى هَالَـةٍ فِـي الأُفْـقِ بَـيْنَ كَوَاكِـبِهْ

وثمانية بثمانية قول الآخر(٥٨٩):

خُــدُودٌ وَأصْــدَاغٌ وَقَــدٌّ وَمُقْلَــةٌ　　وَثَغْــرٌ وَأرْيَــاقٌ وَلَحْــنٌ وَمُعْــرِبُ

وَوَرْدٌ وَسَوْسَــانٌ وَبَــانٌ وَنَــرْجِسٌ　　وَكَــأسٌ وَجِـرْيالٌ وَجَـنْكٌ وَمُطْـرِبُ

وعشرة بعشرة قوله(٥٩٠):

فَــرْعٌ جَبِــينٌ مُحَــيًّا مِعْطَــفٌ كَفِــلٌ　　صَــدْغٌ فَــمٌ وَجَــنَاتٌ نَاظِــرٌ ثَغْــرُ

لَــيْلٌ هِــلاَلٌ صَــبَاحٌ بَانَــةٌ كَــثِبٌ　　آسٍ إقَــاحٌ شَــقِيقٌ نَــرْجِسٌ دُرُّ

وإن أتى بمشبه ومشبه به ثمّ بآخر وآخر فمفروق كقوله(٥٩١):

النَّــشْرُ مِــسْكٌ والوُجُــوهُ دَنَــا　　نِيــرٌ وَأطْــرَافُ الأكُــفِّ عَــنَمْ

---

(٥٨٥) نسب ابن رشيق البيت لأبي العباس النعمان، العمدة: ٢٩٣/١.

(٥٨٦) ديوان الوأوأ الدمشقي: ٨٤/١، والبيت الأوّل غير موجود في الديوان، وذكر في فوات الوفيات: ٣٠١/٢.

(٥٨٧) البيت في نفح الطيب: ١٠ / ١٩٧، معاهد التنصيص: ٢٧٦/٢.

(٥٨٨) نهاية الإرب: ٤٦/٧، معاهد التنصيص: ٢٧٦/٢.

(٥٨٩) البيت لعلي بن مقاتل صاحب الأزجال، خزانة الأدب: ٧٦/٢.

(٥٩٠) لم نعثر للبيت على نسبة، ولم ينسب في خزانة الأدب: ٧٦/٢، نفحات الأزهار: ٥١.

(٥٩١) البيت للمرقش الأكبر، كما في المفضليات: ٤٨٦.

وإن تعدد الأوّل فقط أي المشبه دون المشبه به فتشبيه تسوية كقوله[٥٩٢]:

صَـــدْغُ الحَبِــيبِ وَحَالِــي كِلاَهُمَــا كَاللَّيَالِــي

أو الثاني: أي المشبه به دون المشبه فتشبيه جمع كقوله[٥٩٣]:

كَأَنَّمَــا يَبْــسِمُ عَــنْ لُؤْلُــؤٍ مُنَــضَّدٍ أَوْ بَــرَدٍ أَوْ أَقَــاحْ

***

وَبِاعْتِــبَارِ الــوَجْهِ تَمْثِــيلٌ غَــدَا مُنْتَــزَعاً مِــنْ عَــدَدٍ وَقَــيِّدَا
بِكَــوْنِهِ غَيْــرَ الحَقِيقِــي يُوسَــفُ وَغَيْــرُ تَمْثِــيلٍ لَــهُ مُخَالِــفُ
وَمُجْمَــلٌ مَــا وَجْهُــهُ لَــمْ يُذْكَــرِ فَظَاهِــرٌ وَذُو خَفَــا بِالنَّظَــرِ
فَمِــنْهُ مَــا مِــنْ وَصْــفِ طَــرْفَيْهِ عَــرَا أَوْ مُــشْبِهٍ أَوْ وَصْــفُ كُــلٍّ ذُكِــرَا
وَغَيْــرُهُ مُفَــصَّلٌ وَالمُبْــتَذَلْ فِــيهِ إِلَــى مُــشَبَّهٍ بِــهِ انْــتَقَلْ
مِــنْ غَيْــرِ تَدْقِــيقٍ وَغَيْــرُهُ الغَــرِيبْ إِذْ وَجْهُــهُ فِــي ظَاهِــرٍ غَيْــرُ قَــرِيبْ
لِكَثْــرَةِ التَّفْــصِيلِ أَوْ حُــضُورِ مُــشَبَّهٍ بِــهِ عَلَــى نُــدُورِ
لِــبُعْدِ مَــا نَاسَــبَ أَوْ وَهْمِــيَّا يَأْتِــيكَ أَوْ مُــرَكَّباً عَقْلِــيَّا
كَــذَا خَيَالِــيًّا كَــذَاكَ الحِــسِّي تِكْــرَارُهُ قَــلَّ كَبَــيْتِ الــشَّمْسِ
وَكَثْــرَةُ التَّفْــصِيلِ أَنْ يَنْظُــرَ فِــي أَكْثَــرَ مِــنْ وَصْــفٍ وَأَوْجُهــاً يَفِــي
أَعْــرِفُهَا أَخْــذَكَ بَعْــضاً وَتَــدَعْ بَعْــضاً وَإِنْ تَعْتَبِــرِ الكُــلَّ وَمَــعْ
كَثْــرَتِهِ وَهْــوَ البَلِــيغُ وَالغَــرِيبْ لِــبُعْدِهِ وَقَــدْ يُجَــاءُ فِــي القَــرِيبْ
بِنُكْــتَةٍ تُقَــرِبُهُ كَذِكْــرِ شَــرْطٍ وَمَــا مُحَــسَّنٌ ذُو حَــصْرِ

ينقسم التشبيه باعتبار وجهه إلى تمثيل وغيره فالأوّل ما كان وجه الشبه فيه وصفاً منتزعاً من تعدد كما سبق من تشبيه الثريا ومثار النقع وغير ذلك وكقوله[٥٩٤]:

اصْــبِرْ عَلَــى مَــضَضِ الحَــسُو دِ فَــإِنَّ صَــبْرَكَ قَاتِلُــهْ
كَالــنَّارِ تَأْكُــلُ نَفْــسَهَا إِنْ لَــمْ تَجِــدْ مَــا تَأْكُلُــهْ

---

(٥٩٢) البيت للمرقش الأكبر، كما في المفضليات: ٢٣٨، دلائل الإعجاز: ٤٦٧، أسرار البلاغة: ١٠٩.

(٥٩٣) ديوان البحتري: ١/١٧٠، وفي الديوان:

كَأَنَّمَــا يَــضْحكُ عَــنْ لُؤْلُــؤٍ مُنَــضَّدٍ أَوْ بَــرَدٍ أَوْ أَقَــاحْ

(٥٩٤) البيت لابن المعتز: ٣٨٩، نشرة ميشيل نعمان.

شبه الحسود المتروك مقابلته بالنار التي لا تمدّ بالحطب فيسرع إليه الفناء وقيده السكاكي[٥٩٥] بكونه غير حقيقي كما في تشبيه مثل اليهود بمثل الحمار فإنّ وجه التشبيه هو حرمان الانتفاع بأبلغ نافع من الكدّ والتعب في حمله، فهو وصف مركب من متعدد عائد إلى توهم. والثاني بخلافه وهو ما لا يكون وجهه منتزعاً من تعدد، ويزيد السكاكي[٥٩٦]: ولا يكون وهمياً واعتبارياً بل حقيقياً فتشبيه الثريّا بالعنقود المنور تمثيل عند الجمهور دونه.

وينقسم أيضا باعتباره إلى مجمل ومفصل: فالأوّل ما لم يذكر وجهه وهو ظاهر يفهمه كلّ أحد كـ(زيد أسد) أي في الشجاعة. وخفيٌّ لا يدركه إلا الخواصّ بالنظر كقول فاطمة الأنمارية فيما رواه المبرد في الكامل[٥٩٧] أنّها لما سئلت عن بنيها وهم عمارة وربيع وقيس وأنس أيهم أفضل؟ فقالت عمارة لا بل فلان ثم قالت: ثكلتهم إن كنت أعلم أيّهم أفضل، هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها: أي هم متناسبون في الشرف كما أنّ الحلقة متناسبة الأجزاء في الصورة بحيث يمتنع تعيين بعضها طرفاً وبعضها وسطاً، ثمّ من المجمل ما لم يذكر فيه وصف المشبه ولا المشبه به أي الوصف المشعر بوجه التشبيه، ومنه ما ذكر فيه وصفهما، ومنه ما ذكر فيه وصف المشبه به فقط، فالأوّل نحو (زيد أسد)، والثاني كقوله[٥٩٨]:

صَدَفتُ عَنهُ فَلَم تَصدِف مَواهِبُهُ عَنّي وَعاوَدَهُ ظَنّي فَلَم يَخِبِ
كَالغَيْثِ إنْ جِئْتَهُ وَافَاكَ رَيُّقُهُ وَإنْ تَرَحَّلْتَ عَنْهُ لَجَّ فِي الطَّلَبِ

وصف المشبه به وهو الغيث بأنه يصيبك جئته أو ترحلت عنه والمشبه وهو الممدوح بالإعطاء حال الطلب وعدمه والإقبال والإعراض، والثالث كقولها (هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها) أما المفصل فهو ما ذكر وجهه كقوله[٥٩٩]:

---

(٥٩٥) مفتاح العلوم: ١٦٤.

(٥٩٦) مفتاح العلوم: ١٦٤.

(٥٩٧) الكامل: ١/٢٢٦.

(٥٩٨) البيت لأبي تمام، ديوانه: ١/ ١١٣، وفيه:

صَدَفتُ عَنهُ فَلَم تَصدِف مَوَدَّتُهُ عَنّي وَعاوَدَهُ ظَنّي فَلَم يَخِبِ

(٥٩٩) لم نعثر للبيت على نسبة وهو في الإيضاح: ٢: ٢٤٨، عروس الأفراح: ٢/١٠٤، مختصر السعد: ٣١٤.

وَثَغْرُهُ فِي صَفَاءٍ وَأدْمُعِي كَاللآلِي

وربَّما يتسامح بذكر ما يستلزمه كقولهم للكلام الفصيح (هو كالعسل في الحلاوة) فإنّ الجامع لازمها وهو ميل الطبع.

وينقسم أيضاً باعتباره إلى قريب مبتذل وبعيد غريب، فالأوّل ما ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق نظر لظهور وجهه في بادئ الرأي لكونه أمراً إجمالياً، فإنّ الجملة أسبق إلى النفس من التفصيل لأن الشيء يدرك إجمالاً أوّلاً، ثمّ إن أمعن النظر أدرك تفصيله، أو ككون التفصيل مع غلبة حضور المشبه به في الذهن مطلقاً لتكراره على الحس كتشبيه الشمس بالمرآة المجلوّة في الاستدارة والاستنارة أو عند حضور المشبه لقرب المناسبة كتشبيه الجرة الصغيرة بالكوز في المقدار والشكل، وإنّما كان مبتذلاً مع أنّ فيه تفصيلاً لمعارضة التكرار والقرب للتفصيل، والبعيد ما لا ينقل فيه إلاّ بعد فكرة ونظر لخفائه وذلك إمّا لكثرة التفصيل كقوله(٦٠٠):

وَالشَمسُ كَالمِرآةِ في كَفِّ الأَشَل

كما سبق تقريره، أو لندور حضور المشبه به إمّا عند حضور المشبه لبعد المناسبة كما في تشبيه البنفسج بنار الكبريت أو مطلقاً لكونه وهمياً كقوله(٦٠١):

[أَيَقتُلُني وَالمَشرَفِيُّ مُضاجِعي] وَمَسنونَةٌ زُرقٌ كَأَنيابِ أَغوالِ

أو مركباً عقلياً كما تقدم في مثل اليهود، أو مركباً خيالياً كما في تشبيه الشقيق بأعلام ياقوت نشرن على الرماح من زبرجد، أو قليل التكرار على الحس كقوله(٦٠٢):

وَالشَمسُ كَالمِرآةِ في كَفِّ الأَشَل

فربّما يقضى الرجل دهره ولا يتفق له أن يرى مرآة في كف أشل فالغرابة فيه من جهة الندور ومن جهة كثرة التفصيل، والمراد بالتفصيل أن ينظر في أكثر من وصف أي اثنين فصاعداً وله وجوه فاعرفها، ومن جهة أن تأخذ بعض الأوصاف وتدع بعضاً كقوله في الرمح(٦٠٣):

حَمَلْتُ رُدَيْنِيّاً كَأَنَّ سِنَانَهُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِ

---

(٦٠٠) البيت للشماخ، ديوانه: ٣٩٣.

(٦٠١) البيت لامرئ القيس، ديوانه: ٣٣.

(٦٠٢) البيت للشماخ، ديوانه: ٣٩٣.

(٦٠٣) البيت لامرئ القيس، ديوانه: ٤٠٠.

فاعتبر في اللهب الشكل واللون واللمعان وترك الاتصال بالدخان ونفاه. وإن تعتبر الجميع كما تقدم في تشبيه الثريا بالعنقود، وكلّما كان التركيب من أمور أكثر كان التشبيه أبعد من الذهن وأبلغ لغرابته ولأنّ نيل الشيء بعد طلبه ألذّ كقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (يونس: من الآية ٢٤) إلى قوله ﴿ كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾ (يونس: من الآية ٢٤)[٦٠٤]، فإنّها عشر جمل وقع التركيب من مجموعها بحيث لو سقط منها شيء اختل التشبيه إذ المقصود تشبيه حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها واغترار الناس بها بحال ماء نزل من السماء وأنبت أنواع العشب وزين بزخرفها وجه الأرض كالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة حتى إذا طمع أهلها فيها وظنوا أنّها مسلّمة من الجوائح أتاها بأس الله فجأة فكأنّها لم تكن بالأمس وقال ابن المعتز[٦٠٥]:

كَأَنّا وَضَوءُ الصُبحِ يَستَعجِلُ الدُجى　　نُطيرُ غُراباً ذا قَوادِمِ جُونِ

شبه ظلام الليل عند انفجار الصبح بغربان لها قوادم بيض ثم جعل قوة ظهور الوضوء ودفعه الظلام كأنّه يستعجله، ثم راعى معنى الاستعجال في قوله (نطير غراباً) لأنّ الطائر إذا أزعج كان أسرع منه في الطيران إذا كان على اختيار منه، وقد يتصرّف في التشبيه القريب بما يجعله غريباً ويخرجه عن الابتذال كذكر شرط ويسمّى التشبيه المشروط كقوله[٦٠٦]:

عَزَماتهُ مِثْلُ النُّجُوم ثَواقِباً　　لو لم يكن للثّاقِبَاتِ أفُولُ

فتشبيه العزم بالنجم مبتذل إلاّ أنّ اشتراط عدم الأفول أخرجه إلى الغرابة، ومثله قول الآخر[٦٠٧]:

---

(٦٠٤) والآية كاملة ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

(٦٠٥) ديوان ابن المعتز: ٢/٢٧١، نشرة مجيد طراد.

(٦٠٦) البيت لرشيد الدين الوطواط، كما في التلخيص: ٧١ والإيضاح: ٢/٢٦١ ومعاهد التنصيص: ٢/٩٤.

(٦٠٧) البيت لبديع الزمان الهمذاني، ديوانه: ٣٤، والبيت الأول فيه:

يَكَادُ يَحْكِيكَ صَوْبُ الغَيْثِ مُنْسَكِباً　　لَوْ كَانَ طَلْقُ المُحَيَّا يُمطِرُ الذَّهَبَا

يَكَادُ يَحْكِيكَ صَوْبُ الغَيْثِ مُنْسَكِباً لَوْ كَانَ طَلْقُ المُحَيَّا يُمْطِرُ الذَّهَبَا
وَالدَّهْرُ لَوْ لَمْ يَخُنْ وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ وَاللَّيْثُ لَوْ لَمْ يُصَدْ وَالبَحْرُ لَوْ عَذُبَا

وقوله(٦٠٨):

لَم تَلقَ هَذا الوَجهَ شَمسُ نَهارِنا إِلاَّ بِوَجهٍ لَيسَ فيهِ حَياءُ

فتشبيه الوجه بالشمس مبتذل إلاّ أنّ حديث الحياء وما فيه من الدقة والخفاء أخرجه إلى الغرابة وقوله(٦٠٩):

فَوَاللهِ مَا أَدْرِي أَزَهْرُ خَمِيلَةٍ بِطِرْسِكَ أَمْ دُرٌّ يَلُوحُ عَلَى نَحْرِ
فَإِنْ كَانَ زَهْراً فَهْوَ صُنْعُ سَحَابَةٍ وَإِنْ كَانَ دُرًّا فَهْوَ مِنْ لُجَّةِ البَحْرِ

فإنّ تشبيه الخطّ الحسن بالزهر والدر مبتذل لكن لمّا قيد الزهر بقوله (خميلة) وقوله (يلوح على نحر) ثمّ ضمّ إليه التعليل بقوله (صنع سحابة) و(لجّة البحر) خرج إلى الغرابة والحسن ومثله(٦١٠):

إنْ كَانَ خَطُّكَ دُرًّا فَلَيْسَ ذَلِكَ نُكْرَا
لأنَّ كَفَّكَ بَحْرٌ وَالبَحْرُ يَقْذِفُ دُرًّا

وقال الآخر(٦١١):

وَمُلْتَفِتَاتٍ فِي النِّقَابِ كَأَنَّمَا هَزَزْنَ سُيُوفاً وَانْتَضَيْنَ خَنَاجِرَا
سَفَرْنَ بُدُوراً وَانْتَقَيْنَ أَهِلَّةً وَمِسْنَ غُصُوناً وَالتَفَتْنَ جَآذِرَا

فإن أخذ مع التشبيه معنى كلّ قيد من القيود زاد حسناً وكمالاً، ومما يخرج إلى الحسن الجمع بين عدة تشبيهات كقوله(٦١٢):

أَنَا مِنْ خَدِّهِ وَعَيْنَيْهِ وَالثَّغْـ ـرِ وَمِنْ رِيقِهِ البَعِيدِ المَرَامِ
بَيْنَ وَرْدٍ وَنَرْجِسٍ وَتَلاَلِي أُقْحُوَانٍ وَبَابِلِيِّ المُدَامِ

---

(٦٠٨) البيت للمتنبي، شرح ديوانه: ١/ ١٥٥.
(٦٠٩) البيت لابن الحلاوي في خزانة الأدب: ١/٤٦٢، وهو أحمد بن محمد بن أبي الوفاء بن الخطاب الموصلي أبو الطيب شرف الدين من أهل الموصل توفي سنة: ٦٥٦هـ، الأعلام، ١/٢١١.
(٦١٠) لم نعثر للبيت على نسبة، ولم نجد من ذكره.
(٦١١) البيتان لأبي القاسم الزاهي علي بن إسحاق بن خلف، شاعر وصّاف من أهل بغداد وأكثر شعره في آل البيت، الأعلام: ٥/٦٨، ينظر الأبيات في يتيمة الدهر: ١/٢٨٩، وفيات الأعيان ٣/٥٤.
(٦١٢) البيتان لابن سكرة كما في الأغاني: ٣/٤.

وَباعْتِبَارٍ فِي الأداةِ يُخْزَلُ   مُؤَكّدٌ وَمَا عَدَاهُ مُرْسَلُ

ينقسم التشبيه باعتبار أداته على مؤكد وهو ما حذفت فيه الأداة كقوله تعالى ﴿ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ (النمل: من الآية ٨٨) أي مثل مدّ السحاب، وقول الشاعر(٦١٣):

وَالريحُ تَعبَثُ بِالغُصونِ وَقَد جَرى   ذَهَبُ الأَصيلِ عَلى لُجَينِ الماءِ

وإلى مرسل وهو ما لم تحذف فيه الأداة.

***

وَباعْتِبَارِ غَرَضٍ فَإنْ وَفَى   إفَادَةً كَأنْ يَكُونَ أعْرَفَا
بِوَجْهِهِ فِي حَالَةِ المُشْبَهِ بِهْ   أوْ بَالِغَ التَّمَامِ فِي ذي سَبَبِهْ
أوْ حُكْمُهُ لَيْسَ مُخَاطَبٌ جَحَدْ   فَذَاكَ مَقْبُولٌ وَمَا عَدَاهُ رَدّ

ينقسم التشبيه باعتبار الغرض إلى مقبول ومردود، فالأوّل الوافي بإفادة الغرض كأن يكون المشبه به أعرف شيء بوجه التشبيه في بيان حاله أو أتمّ شيء فيه في إلحاق الناقص بالكامل أو مسلّم الحكم عند المخاطب في بيان إمكانه أو مساوياً له في بيان قدره، والمردود بخلافه مثاله تشبيه الشيء بالمسك في الرائحة فإنّه مقبول لأنّ المسك أعرف الأشياء فيها ولو شبه به في السواد لكان مردوداً لأنّه ليس معروفاً من هذه الجهة عرفانه من تلك، قال عبد الباقي اليمني في كتابه: اللهم إلاّ أن يذكر الغرض مصرّحاً به كقول القائل(٦١٤):

أَشبَهَكِ المِسكُ وَأَشبَهتِهِ   في لَونِهِ قائِمَةً قاعِدَه
لا شَكَّ إذ لَونُكُما واحِدٌ   أَنَّكُما مِن طينَةٍ واحِدَه

***

خاتمة

أعْلاَهُ فِي قُوَّةٍ حَذْفُ وَجْهِهِ   وَآلَةٍ أوْ ذَاكَ مَعْ مُشَبَّهِ
فَحَذْفُ وَجْهٍ أوْ أدَاةٍ هَكَذَا   وَقَدْ خَلاَ عَنْ قُوَّةٍ خِلاَفُ ذَا

تقدّم أنّ أركان التشبيه أربعة فالمشبه به مذكور قطعاً والمشبه إمّا مذكور أو

(٦١٣) البيت لابن خفاجة، ديوانه: ١١.
(٦١٤) البيت لبشار بن برد، ديوانه: ٣٤/٤.

محذوف، وعلى التقديرين فوجه الشبه إمّا مذكور أو محذوف، وعلى التقادير فالأداة إمّا مذكورة أو محذوفة، فهي ثمان مراتب، وأعلاها في القوة المبالغة ما حذف فيه وجهه وأداته فقط نحو (زيد أسد) أو مع حذف المشبه نحو (أسد) في مقام الإخبار عن زيد، ويليه ما حذف الوجه فقط أو الأداة فقط أو مع حذف المشبه وهو معنى قولي (هكذا) نحو (زيد كالأسد) ونحو (كالأسد) في مقام الإخبار عن زيد ونحو (زيد أسد في الشجاعة) ونحو (أسد في الشجاعة) عند الإخبار عن زيد ولا قوة لخلاف ذلك بأن تذكر الأداة والوجه إمّا مع المشبه أو بدونه نحو (زيد كالأسد في الشجاعة) ونحو (كالأسد في الشجاعة) خبراً عن زيد لأنّ القوة إمّا لعموم وجه الشبه ظاهراً أو لحمل المشبه به على المشبه بأنّه هو هو، فما اشتمل على الوجهين جميعاً فهو غاية القوة وما خلا عنهما فلا قوة له وما اشتمل على أحدهما فقط فهو متوسط.

***

فائدة:

الحاصل من أنواع التشبيه السابقة: ملفوف ومفروق وتسوية وجمع وتمثيل وتفصيل ومؤكد ومشروط ومقلوب، وفي روضة الفصاحة التشبيه سبعة: معلق ومشروط وتفضيل ومؤكد وعكس وإضمار وتسوية، وفسّر التفضيل بأن تشبّه شيئاً بشيء ثمّ تفضّله عليه كقوله(٦١٥):

حَسِبْتُ جَمَالَهُ بَدْراً مُنِيراً ... وَأَيْنَ البَدْرُ مِنْ ذَاكَ الجَمَالِ

وقال الشيخ بهاء الدين(٦١٦): وفيه نظر، بل هو رجوع عن التشبيه وسيأتي في البديع وفسّر العكس بأن يشبه كلا الشيئين بالآخر كقوله(٦١٧):

رقَّ الزجاجُ وَرَقَّت الخمرُ ... وَتشابها فَتَشاكل الأَمرُ

فَكَأَنَّما خمرٌ وَلا قَدحٌ ... وَكَأَنَّما قَدحٌ وَلا خمرُ

وفسّر الإضمار بأن يذكر قضية ويذكر بعدها أخرى لا ارتباط لها بها دون إضمار

---

(٦١٥) البيت لبدر الدين ابن النحوية، خزانة الأدب: ١/٣٧٨، وينظر: نهاية الإرب: ٧/٤٤.

(٦١٦) عروس الأفراح: ٢/٩٢.

(٦١٧) البيت للصاحب بن عباد، ديوانه: ١٧٦.

التشبيه فيكون مضمراً مقصوداً كقوله(٦١٨):

وَأُخْصِبُ آمَالِي بِفَيْضِ يَمِينِهِ   وَهَلْ تُجْدِبُ الآفَاقُ وَالغَيْثُ هَطَّالُ

***

الحقيقة والمجاز

الأَوَّلُ الكَلِمَةُ المُسْتَعْمَلَهْ   فِي الاصْطِلاحِ فِي الذي تُوضَعُ لَهْ
وَغَيْرِهِ مَعَ قَرِينَةٍ عَلَى   وَجْهٍ يَصِحُّ وَإِرَادَةٍ جَلاَ
عَدَمُهَا فَهْوَ المَجَازُ المُفْرَدُ   فَالْزَمْ عَلاَقَةً وَكُلٌّ عَدَدُ
يُعْزَى لِعُرْفٍ وَلِشَرْعٍ وَلُغَهْ   وَالعُرْفُ عَمٌّ أَوْ فَخُصَّ مُبْلِغَهْ
كَدَابَّةِ الأَرْبَعِ وَالإِنْسَانِ   وَالفِعْلُ لِلَّفْظِ وَلِلحِدْثَانِ
كَذَا الصَلاَةُ لِلسُّجُودِ وَالدُّعَا   وَأَسَدٌ لِسَبِعٍ وَالشُّجَعَا
وَمَنْ يَزِدْ تَحْقِيقاً أَوْ تَأْوِيلاَ   فِي الحَدِّ زَادَ فِيهِمَا تَطْوِيلاَ

هذا هو القصد الثاني من علم البيان، والمقصود المجاز وذكر الحقيقة لأنّها أصله، فالحقيقة الكلمة المستعملة في معنى وضعت له في اصطلاح التخاطب، فخرج بـ(المستعملة) المهملة وبما بعده الغلط، والمجاز بقولنا (في اصطلاح التخاطب) المجاز المستعمل فيما وضع له في اصطلاح آخر غير الذي يقع به التخاطب كالصلاة إذا استعملها المخاطب بعرف الشرع في الدعاء فإنّها تكون مجازاً لاستعمالها في غير ما وضع له شرعاً وإن وضع له لغة، والمجاز مفرد ومركب فالأوّل الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب على وجه تصحّ معه قرينة عدم إرادته، فقولي (وغيره) بالجر أي والمستعملة في غير ما وضعت له في الاصطلاح إلخ، فخرج المهملة فليست حقيقة ولا مجازاً، والحقيقة وما له معنى آخر باصطلاح آخر كالصلاة في العبادة والغلط لأنّه ليس على وجه يصحّ، والكناية لفقد قرينة عدم الإرادة، وزاد السكاكي(٦١٩) في حدِّ الحقيقة والمجاز لفظ التأويل والتحقيق فقال: الحقيقة الكلمة المستعملة فيما وضعت له من غير تأويل، والمجاز الكلمة المستعملة في غير ما

(٦١٨) لم نعثر للبيت على نسبة.
(٦١٩) مفتاح العلوم: ١٦٩.

وضعت له بالتحقيق، وأتى بذلك ليخرج من الأول الاستعارة ويدخلها في الثاني بناءً على أنَّها مجاز لغوي لأنّها مستعملة فيما وضعت له لكن بالتأويل، وهو ادعاء دخول المشبّه في جنس المشبّه به بجعل أفراده قسمين متعارفاً وغير متعارف بالتحقيق، ورُدَّ بأنّ لفظ الوضع إذا أطلق لا يتناول الوضع بتأويل فلا حاجة إلى زيادة في الحدّ لأنّه تطويل والحدود تصان عن التطويلات وهذا معنى قولي (ومن يزد تحقيقا) الخ، وهو مذكور في التلخيص[٦٢٠] في أواخر الباب في فصل عقده لمناقشات مع السكاكي، ولا بدّ للمجاز من العلاقة ليخرج الغلط، وكلّ من الحقيقة والمجاز ينقسم إلى لغويّ وشرعيّ وعرفيّ خاصّ يتعيّن ناقله كالنحويّ والصرفيّ وعرفيّ عام، فالأول كـ(الأسد) للسبع حقيقة لغوية والشجاع مجازاً لغوياً، والثاني كـ(الصلاة) للعبادة المخصوصة حقيقة شرعية و(الدعاء) مجازا شرعياً، والثالث كـ(الفعل) للفظ المخصوص حقيقة عرفية خاصة أي نحوية ومطلق الحدث مجازاً نحوياً، والرابع كـ(الدابة) لذوات الأربع حقيقة عرفية عامة والإنسان مجازاً عرفياً عاماً.

***

المجاز المرسل وعلاقاته

ثُـــمَّ المَجَـــازُ المُرْسَـــلُ العَلاَقَـــةْ لاَ شَـــــبَهٌ وَغَيْـــــرُهُ اسْـــــتِعَارَةْ
وَغَالِـباً يُطْلَـقُ فِـي اسْـتِعْمَالِ سِـمْ مُـــشَبَّهٌ بِـــهِ لِمُـــشْبِهٍ رُسِـــمْ
فَالطَّـــرَفَانِ المُـــسْتَعَارُ مِـــنْهُ لَـــهْ وَالمُـــسْتَعَارُ اللَّفْـــظُ ثُـــمَّ المُرْسَـــلَهْ
كَالـــيَدِ فِـــي القُـــدْرَةِ وَالتَّـــسْمِيَةِ بِالكُـــلِّ أَوْ بِالجُـــزْءِ أَوْ بِالآلَـــةِ
أَوْ سَـــبَبٍ مُـــسَبَّبٍ حَـــالٍ مَحَـــلّ مُجَـــاوِرٍ آلَ لَـــهُ عَـــنْهُ انْـــتَقَلْ

المجاز أقسام عقلي وتقدم في المعاني وتغييري وسيأتي في خاتمة هذا الباب وخال عن الفائدة وذكره في الإيضاح[٦٢١] والتبيان[٦٢٢] كإطلاق المقيد على المطلق كاستعمال المرسن في أنف إنسان مجازاً، وهو موضوع لمعنى الأنف مع قيد أن يكون مرسوناً، ومرسل واستعارة، فالمرسل ما علاقته المصححة له غير

(٦٢٠) التلخيص: ٧٢.
(٦٢١) الإيضاح: ٣١٧/٢.
(٦٢٢) لا وجود لهذه الإشارة في التبيان للطيبي، ولا في التبيان لابن الزملكاني.

المشابهة والاستعارة ما علاقته المشابهة، فهي اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي لعلاقة المشابهة كـ(أسد) في قولنا (رأيت أسداً يرمي)، وكثيراً ما تطلق الاستعارة على فعل المتكلم أي استعمال اسم المشبه به في المشبه ويكون حينئذٍ بمعنى المصدر والطرفان حينئذٍ أي المشبه به والمشبه مستعار منه ومستعار له، واللفظ أي لفظ المشبه به مستعار، ومثال المرسل كـ(اليد) في النعمة والقدرة وأصلها الجارحة أطلقت عليهما لأنَّ النعمة منها تصدر والقدرة بها تكون، ومن استعمالها في النعمة حديث الصحيحين (أسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً)(٦٢٣) أي أكثركن عطاء، ومنه القدرة كقوله ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ (الفتح: من الآية ١٠)، وكاستعمال الجزء في الكل إذا كان له مزيد اختصاص بالمعنى الذي قصد بالكل كإطلاق العين على الربيئة أي الرقيب وهي جزؤه ومثل له في الإيضاح(٦٢٤) بقوله تعالى ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ ﴾ (المزمل: من الآية ٢) فأطلق القيام وهو جزء الصلاة عليها لأنَّه أظهر أركانها، وعكسه أعني استعمال الكل في الجزء كالأصابع في الأنامل من قوله تعالى ﴿ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم ﴾ (البقرة: من الآية ١٩)، وكحديث مسلم (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين)(٦٢٥) أي الفاتحة، وتسمية الشيء باسم آلته نحو ﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤ ﴾ (الشعراء: ٨٤) أي ثناءً حسناً واللسان آلته، أو سببه نحو (رعينا الغيث) أي النبات الذي سببه الغيث، أو مسببه نحو (أمطرت السماء نباتاً)، أو حاله أي ما يحلّ في ذلك الشيء نحو ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران: من الآية ١٠٧)أي في الجنة التي تحل فيها الرحمة، أو محله أي ما يحلّ منه في ذلك الشيء نحو ﴿ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ١٧ ﴾ (العلق: ١٧) أي أهل ناديه الحال فيه وهو المجلس، أو مجاوره كإطلاق الراوية على المزادة وهي للبعير أو ما يؤول إليه نحو ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ

---

(٦٢٣) في صحيح البخاري ٥١٥/٢ (أن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن للنبي صلى الله عليه وسلم أينا أسرع بك لحوقاً، قال أطولكن يداً فأخذوا قصبة يذرعونها فكانت سودة أطولهن يدا) وفي صحيح مسلم ١٩٠٧/٤ (أسرعكن لحاقا بي أطولكن يداً).

(٦٢٤) الإيضاح: ٢٧٢/٢.

(٦٢٥) صحيح مسلم: ٢٩٦/١ – ٢٩٧.

خَمۡرٗا﴾ (يوسف: من الآية ٣٦) أي عصيراً يؤول إلى الخمر، أو ما كان عليه ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ (النساء: من الآية ٢) أي الذين كانوا يتامى إذ لا يتم بعد البلوغ، فهذه عشر علاقات وذكرت علاقات أخر ترجع إليها.

***

الاستعارة التحقيقية

وَالاسْتِعَارَةُ فَتَحْقِيقِيَّةُ ... وَهْيَ مَجَازٌ لُغَوِيٌّ أَثْبَتُوا
إنْ حَقَّقَ المَعْنَى بِهَا فِي الحِسِّ أَوْ ... عَقْلٍ وَمَنْ جَعَلَهَا عَقْلاً أَبَوْا
مِنْ كَذِبٍ تُمَازُ بالتَّأْوِيلِ ثُمّ ... إنْ لَمْ تَشِبْ وَصْفاً فَلاَ تَأْتِي عَلَمْ
وَاشْرُطْ لَهَا قَرِينَةً فَوَاحِدا ... كَأَسَدٍ يَرْمِي تَرَى فَصَاعِدا
كَإِنْ تَعَافُوا العَدْلَ وَالإِيمَانَا ... فَإنَّ فِي إيمَانِنَا نِيرَانَا

الاستعارة لها أقسام باعتبارات وتقدم على ذلك أنَّ الأصح أنَّها مجاز لغوي لأنّها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا لأعمّ منهما، فـ(أسد) في قولك (رأيت أسداً يرمي) موضوع للسبع لا للشجاع، ولا لمعنى أعمّ منهما كالحيوان الجريء مثلاً ليكون إطلاقه عليهما حقيقة كإطلاق الحيوان عليهما وهذا معلوم بالنقل عن أئمة اللغة قطعاً، فإطلاقه على الشجاع إطلاق على غير ما وضع له مع قرينة مانعة من إرادة ما وضع له، وقيل مجاز عقلي بمعنى أنَّ التصرف فيها في أمر عقلي لا لغويّ لأنّها لا تطلق على المشبه إلاّ بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به فكان استعمالها فيما وضعت له فتكون حقيقة لغوية ليس فيها غير نقل الاسم وحده، وليس نقل الاسم المجرد استعارة لأنّه لا بلاغة فيه بدليل الأعلام المنقولة فلم يبق إلاّ أن تكون مجازاً عقلياً، وردَّ بأنَّ هذا الادعاء لا يقتضي كونها مستعملة فيما وضعت له للعلم بأنّ (أسداً) في قولنا (رأيت أسداً يرمي) مستعمل في الرجل الشجاع والموضوع له هو السبع، فقولي (وهي مجاز) إلخ معترض، وقولي (إن حقق) إلخ معترض بينه وبين قولي (من جعلها عقلاً أبوا)، ثمَّ الاستعارة قد تقيد بالتحقيقية، وهي ما تحقق معناها حسًّا أو عقلاً، فالأول كقولك (رأيت أسداً يرمي) فإنَّ (أسداً) هنا تحقيقيّة لأنَّ معناه وهو الرجل الشجاع أمر محقق حسي، والثاني نحو (أبديت نوراً) أي حجة فإنَّ الحجة عقلية لا حسية فإنَّها تدرك بالعقل ومنه ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ (الفاتحة: ٦) أي الدين الحق وهو

أمر محقق عقلاً وأصله الطريق الجادة، فالاستعارة ما تضمن تشبيه معناه بما وضع له وتفارق الكذب بالتأويل ونصب القرينة على إرادة خلاف الظاهر، والقرينة إمّا أمر واحد كقولك (رأيت أسداً يرمي) أو أكثر كقول بعض العرب[٦٢٦]:

فَإِنْ تَعَافُوا الْعَدْلَ والإِيمَانَا فَإِنَّ فِي أَيْمَانِنَا نِيرَانَا

أي سيوفاً تلمع كشعل النيران فتعلّق قوله (تعافوا) بكلّ واحد من العدل والإيمان قرينة على أنّ المراد بالنيران السيوف لدلالته على أن جواب هذا الشرط تحاربون وتلجؤون إلى الطاعة بالسيوف، وقد يُستدلّ بمعانٍ ملتئمة أي مرتبطة بعضها ببعض يكون الجميع قرينة لا كلّ واحد وهو معنى قولي في أول الأبيات الآتية (أو يستدل بمعان تلتئم) كقوله[٦٢٧]:

وَصَاعِقَةٍ مِن نَصْلِهِ يَنكَفِي بِهَا عَلى أَرؤُسِ الأَقرانِ خَمسُ سَحائِبِ

استعار السحاب لأنامله وجعل القرينة صاعقة من نصل سيفه على رؤوس الأقران ثم عدد الأنامل، ولا تكون الاستعارة عَلَماً لأنّها تقتضي إدخال المشبه في جنس المشبه به بجعل أفراده قسمين متعارفاً وغير متعارف ولا يمكن ذلك في العلم لأنّه يقتضي التشخيص ومنع الاشتراك وهو ينافي الجنسية لاقتضائها العموم وتناول الأفراد، فإن تضمّنت نوع وصفية كحاتم علم يتضمن الوصف بالجود ومادر بالبخل وسحبان بالفصاحة جاز أن يشبه شخص بها فيُتأوّل فيها الوضع للجود والبخل والفصاحة سواء في ذلك الرجل المعهود أو غيره.

***

الاستعارة الوفاقية والعنادية

أَوْ يُسْتَدَلُّ بِمَعَانٍ تَلْتَئِمْ وَباعْتِبَارِ الطَّرَفَيْنِ تَنْقَسِمْ
إِلَى الوِفَاقِيَّةِ أَنْ يَجْتَمِعَا فِي مُمْكِنٍ وَذِي العِنَادِ امْتَنَعَا
وَمَا بِضِدٍّ وَالنَّقِيضُ اسْتُعْمِلاَ ذَاتُ تَهَكُّمٍ وَتَمْلِيحٌ حَلاَ

---

(٦٢٦) لم نعثر للبيت على نسبة والبيت في دلائل الإعجاز: التلخيص: ٧٥، والإيضاح: ٢/٢٨٨، والتبيان: ١٨٨.

(٦٢٧) البيت للبحتري، ديوانه: ١/١٧٩، وفيه:

وَصَاعِقَةٍ فِي كَفِّهِ يَنكَفِي بِهَا عَلى أَرؤُسِ الأَقرانِ خَمسُ سَحائِبِ

تنقسم الاستعارة باعتبار الطرفين إلى وفاقية بأن يكون اجتماعهما في شيء ممكناً نحو ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ ﴾ (الأنعام: من الآية ١٢٢) أي ضالاً فهديناه، استعار الإحياء من جعل الشيء حياً للهداية التي هي الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب والأحياء والهداية ممّا يمكن اجتماعهما في شيء، وعنادية وهي ما لا يمكن اجتماعهما في شيء كاستعارة اسم المعدوم للموجود لعدم نفعه أي نفع ذلك الموجود كالمعدوم وعكسه أعني استعارة الموجود لمن عدم وفقد وبقيت آثاره الجميلة التي تحيي ذكره واجتماع الوجود والعدم في شيء واحد ممتنع، ومن العنادية التهكمية والتمليحية وهما ما استعمل في ضدٍ أو نقيض نحو ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ (آل عمران: من الآية ٢١) أي أنذرهم استعيرت البشارة وهي لإخبار بما يسرّ للإنذار الذي هو ضده بإدخال الإنذار في جنس البشارة على سبيل التهكم والاستهزاء، وكقولك (رأيت أسداً) وأنت تريد جباناً على سبيل التمليح والظرافة.

***

وَباعْتِبَارِ جَامِعٍ قِسْمَيْنِ   فَدَاخِلٌ أوْ لَيْسَ فِي الطَّرْفَيْنِ
وَإنْ خَفَى غَرِيبَةٌ وَإنْ بَدَا   عَامِيَّةٌ إلاّ بِتَصْرِيفٍ شَدَا

تنقسم الاستعارة باعتبار الجامع أي ما قصد اشتراك الطرفين فيه إلى ما هو داخل في مفهوم الطرفين كحديث (خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله كلما سمع هيعة أو فزعة طار على متن فرسه فالتمس القتل والموت) رواه مسلم من حديث أبي هريرة(٦٢٨)، الهيعة الصياح الذي يُفْزَع منه، استعار الطيران للعَدْو، والجامع بين العَدْو والطيران قطع المسافة بسرعة وهو داخل فيهما إلاّ أنّه في الطيران قوي، وما هو غير داخل كاستعارة الأسد للرجل الشجاع لأنَّ الشجاعة عارض للأسد لا داخل في مفهومه، وتنقسم أيضاً باعتباره إلى عامية مبتذلة وهو ما يظهر الجامع فيها نحو (رأيت أسداً يرمي). وخاصية غريبة وهي ما لا يظهر إلا بدقة كقوله يصف فرساً بأنه مؤدب(٦٢٩):

---

(٦٢٨) صحيح مسلم: ١٥٠٣/٣ وفيه (خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه يبتغي القتل والموت)

(٦٢٩) البيت لمحمد بن يزيد بن مسلمة، الكامل: ٩٠/٢، دلائل الإعجاز: ١١٢، الإيضاح: ٢٩٣/٢.

وَإِذَا احْتَبَى قُرْبُوسُهُ بِعَنَانِهِ [عَلَكَ الشَّكِيمَ إِلى انْصِرَافِ الزَّائِرِ]

شبه هيئة وقوع العنان في موقعه من قربوس السرج أي مقدمه ممتداً إلى جانبي فم الفرس بهيئة وقوع الثوب موقعه من ركبة المحتبي ممتداً إلى جانب ظهره، ثم استعار الاحتباء وهو أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بثوب لوقوع العنان في قربوس السرج فجاءت الاستعارة غريبة، وقد يتصرف في العامية بما يجعلها غريبة كقوله(٦٣٠):

[أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الأَحَادِيثِ بَيْنَنَا] وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المَطِيّ الأَبَاطِحُ

استعار سيلان السيول الواقعة في الأباطح لسير الإبل سيراً حثيثاً في غاية السرعة المشتمل على لين وسلاسة وأصل تشبيه السير السريع بالسيل معروف ظاهر وإنما حسنه إسناد الفعل إلى الأباطح دون المطي وأعناقها حتى أفاد أنَّ الأباطح امتلأت من الإبل.

***

الاستعارة الحسية والعقلية

وَبِاعْتِبَارِ ذِي الثَّلاَثِ سِتَّةُ أَوَّلُ هَذِي كُلُّهَا حِسِّيَّةُ
أَوْ جَامِعٌ عَقْلِيٌّ اوْ قَدْ اخْتَلَفْ أَوْ غَيْرُ حِسِّيٍّ بِفَرْعِهِ الطَّرَفْ
كَمِثْلِ عِجْلاً، نَسْلَخُ، المُطَّلِعَه شَمْسٌ وَمِنْ مَرْقَدِنَا لِلأَرْبَعَهْ
فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ لِلْمُخْتَلِفِ كَذَا طَغَا المَاءُ بِعَكْسِهِ يَفِي

تنقسم الاستعارة باعتبار الثلاثة: المستعار منه وله والجامع ستة أقسام، لأنّهما إما حسّيّان أو عقليّان أو المستعار منه حسي والمستعار له عقلي أو بالعكس، فهي أربعة والجامع في الثلاثة الأخيرة عقلي لا غير لما تقدّم في التشبيه، وفي الأوّل إمّا حسيّ أو عقليّ أو مختلف، فالأوّل كقوله تعالى ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ (طه: من الآية ٨٨) فالمستعار منه ولد البقرة والمستعار له الحيوان الذي خلقه الله تعالى من حلي القبط(٦٣١) والجامع الشكل، فإنَّ ذلك الحيوان كان على شكل ولد البقرة والجميع حسي مدرك بالبصر، والثاني كقوله تعالى ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ (يس: من الآية ٣٧) فإنَّ المستعار منه معنى السلخ الذي هو كشط الجلد عن الشاة مثلاً

(٦٣٠) البيت ليزيد بن الطثرية، شعره: ٦٤.
(٦٣١) كذا في جميع النسخ، والأصحّ أخرجه السامريّ من حلي القبط.

والمستعار له كشف الضوء عن مكان الليل وهما حسيان والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر وحصوله عقب حصوله كترتب ظهور اللحم على الكشط وظهور الظلمة على كشف الضوء مكان الليل والترتب أمر عقلي، وبيان ذلك أنَّ الظلمة هي الأصل والنور طارئ عليها يسترها بضوئه فإذا غربت الشمس فقد سلخ النهار من الليل أي كشط وأزيل عنه كما يكشط الشيء عن الشيء الطارئ عليه الساتر له، فجعل ظهور الظلمة بعد ذهاب ضوء النهار بمنزلة ظهور المسلوخ بعد سلخ إهابه عنه، والثالث نحو (رأيت شمساً) أي إنساناً كالشمس في حسن الطلعة وهي حسي ونباهة الشأن وهي عقلية فالطرفان حسيان وكذا بعض الجامع وبعضه عقلي، والرابع نحو ﴿ مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَا ﴾ (يس: من الآية ٥٢) المستعار منه الرقاد أي النوم والمستعار له الموت والجامع عدم ظهور الفعل والكل عقلي، والخامس نحو ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾ (الحجر: من الآية ٩٤) المستعار منه كسر الزجاجة وهو حسي والمستعار له التبليغ والجامع التأثير وهما عقليان، والسادس نحو ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ ﴾ (الحاقة: من الآية ١١) المستعار له كثرة الماء وهو حسي والمستعار منه التكبّر والجامع الاستعلاء وهما عقليان

***

الاستعارة الأصلية والتبعية

وَباعْتِبَارِ اللَّفْظِ فَاسْمُ الجِنْسِ ... أَصْلِيَّةٌ كَأَسَدٍ وَحَبْسِ
وَتَبَعِيَّةٌ سَوَاهُ فَالذي ... فِي الفِعْلِ وِالمُشْتَقّ لِلأَصْلِ خُذِ
وَمَا يَكُونُ شَبَهاً فِي الحَرْفِ ... فَذُو تَعَلُّقٍ بِهِ فَقُلْ فِي
نَطَقَتِ الحَالَةُ لِلدِّلالَةِ ... بالنُّطْقِ أَوْ نَاطِقَةٍ ذِي الحَالَةِ
وَالدَّوْرُ فِي قَرِينَةِ المَذْكُورِ ... لِلفَاعِلِ المَفْعُولِ وَالمَجْرُورِ

تنقسم الاستعارة باعتبار اللفظ إلى أصلية وهي ما كان اللفظ المستعار اسم جنس كاستعارة (أسد) للرجل الشجاع و(حبس) للمنع من الشيء، وتبعية بأن لا يكون اسم جنس كالفعل والمشتق منه وهو اسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة وغير ذلك والحرف، ووجه التسمية أن الاستعارة مبناها على التشبيه وهو وصف والأصل فيما يوصف الحقائق والذوات دون معاني الأفعال والصفات ودون الحروف فإذا وقعت

فيها فالتشبيه في الأفعال والصفات بمعنى المصدر وفي معاني الحروف لمتعلق معناها، قال السكاكي[٦٣٢] والطيبي[٦٣٣]: والمراد بمتعلقات معاني الحروف ما يعبر بها عنها عند تفسير معانيها كقولنا من معناها ابتداء الغاية وفي معناها الظرفية فقولك (نطقت الحال بكذا) أو (الحال ناطقة بكذا)، التشبيه فيه للنطق بجعل دلالة الحال مشبهاً ونطق الناطق مشبهاً به، ووجه التشبيه إيضاح المعنى وإيصاله للذهن، ثم أُستُعير للدلالة لفظُ النطق، ثم اشتقّ من النطقِ المستعارِ الفعلُ والوصفُ، فالاستعارة في المصدر أصلية وفيهما تبعية وقوله تعالى ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ (القصص: من الآية ٨) شبّه ترتب العداوة والحزن على الالتقاط بترتب علته الغائية عليه ثم استعمل في المشبه اللام الموضوعة للمشبه به أعني ترتب علّة الالتقاط الغائية عليه فجرت الاستعارة أولاً في العلية والغرضية وتبعيتها في اللام فصار حكمها حكم الأسد حيث استعيرت لما يشبه العلية وصار متعلق معنى اللام هو العلية والغرضية، ومثله (لِدوا لِلمَوتِ وابنوا لِلخَرابِ)[٦٣٤]، شبه ترتب الموت على الولادة والخراب على البناء بترتب علته الغائية عليه على حدّ ما ذكر، وقرينة التبعية في الفعل والصفات تعود تارة إلى الأفعال كما في (نطقت الحال) أو (الحال ناطقة بكذا) لأنَّ النطق الحقيقي لا يسند إلى الحال وتارة إلى المفعول كقول ابن المعتز[٦٣٥]:

جُمِعَ الحَقُّ لَنا في إمامٍ قَتَلَ البُخلَ وَأَحيا السَماحا

أي أزال البخل واظهر السماح، والقتل والإحياء الحقيقيان لا يتعلقان بهما والقرينة جعلهما مفعولين، والثاني كقول كعب[٦٣٦]:

نُقْريهِمُ لَهَذْمِياتٍ نَقُدُّ بها ما كان خاطَ عليهم كُلَّ زَرَّادِ

(اللهذميات) الطعنات بالأسنة وهو قرينة على أن (نقريهم) استعارة وهو مفعول ثانٍ، (والزراد) ناسج الدروع، أو الأول والثاني معاً كقول الحريري[٦٣٧]:

---

(٦٣٢) مفتاح العلوم: ١٧٦.

(٦٣٣) التبيان في البيان: ١٩٨.

(٦٣٤) شعب الايمان: ٣٩٦/٧.

(٦٣٥) ديوان ابن المعتز: ٣٢٦/١.

(٦٣٦) البيت ليس لكعب بل هو للقطامي التغلبي، ديوانه: ٩٠.

(٦٣٧) مقامات الحريري: ٢٨٤.

وأقْـــري المَـــسامِعَ إمّـــا نطَقْـــتُ بَـــياناً يقـــودُ الحَـــرونَ الـــشَّموسا

وتارة إلى المجرور نحو ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (آل عمران: من الآية ٢١) فقوله (بعذاب) قرينة على أنّ (بشّر) استعارة، وتارة إلى الجميع الفاعل والمفعول الأوّل والثاني، والمجرور بمعنى كلاً منها قرينة مستقلة كقوله[٦٣٨]:

تَقْـرِي الـرِّيَاحُ رِيَـاضَ الحُـزْنِ مُزْهِـرَةً إِذَا سَـرَى الـنَّوْمُ فِـي الأَجْفَـانِ إِيقَاظَـا

فائدة:

كثر الاستشهاد في فنون متعددة بقولهم (لدوا للموت وابنوا للخراب) وهذا اللفظ رواه البيهقي في الشعب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ (إنَّ ملكاً بباب السماء ينادي كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب)[٦٣٩]، وروي أيضاً عن ابن الزبير مرفوعاً (ما من صباح يصبح على العباد إلا وصارخ يصرخ لدوا للموت واجمعوا للفناء وابنوا للخراب)[٦٤٠] وروى أبو نعيم في الحلية عن أبي ذر أنه قال (تلدون للموت وتبنون للخراب)[٦٤١]، وفيها عن مجاهد: (أوحى الله تعالى إلى آدم لد للفناء وابن للخراب)[٦٤٢]، وروى أحمد في الزهد عن عبد الواحد بن زياد قال: قال عيسى ابن مريم (يا بني آدم لدوا للموت وابنوا للخراب)[٦٤٣]، وروى الثعلبي في تفسيره عن كعب قال صاح ورشان عند سليمان بن داود فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: يقول: لدوا للموت وابنوا للخراب[٦٤٤].

الاستعارة المطلقة والمجردة

وَبِاعْتِـــــبَارٍ آخَـــــرٍ مُطْلَقَـــــةُ إنْ لَـــمْ يُقَـــارَنْ فَـــرْعٌ اوْ فَـــصِفَةُ

---

(٦٣٨) لم نعثر للبيت على نسبة وقد استشهد به في الإيضاح: ٢/٣٠٠، التبيان: ١٩٦.

(٦٣٩) شعب الإيمان: ٧/٣٩٦.

(٦٤٠) المصدر نفسه: ٧/٣٩٦.

(٦٤١) حلية الأولياء: ١/١٦٣، وفيه (يولدون للموت ويعمرون للخراب).

(٦٤٢) حلية الأولياء: ٣/٢٨٦، وفيه (لما أهبط آدم إلى الأرض قال له ربه عز وجل: ابن للخراب ولد للفناء).

(٦٤٣) لم نجد هذا الحديث في كتاب الزهد لابن حنبل، بل في كتاب الزهد لابن المبارك: ١/٨٨.

(٦٤٤) لم نعثر على تفسير الثعلبي ((يراجع الشاملة)))، وقد ذكره بنفس الإسناد محمد بن محمد بن محمد الغزي ت(١٠٦١هـ) في كتابه إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسنة: ٢/١٣٩٧.

وَإنْ بِمَـــا لاءَمَ مَـــا لَـــهُ اسْـــتُعِيرْ تَجِـــرِيدٌ اوْ مِـــنْهُ فَتَرْشِـــيحاً يَـــصِيرْ
وَرُبَّمَـــا يَجْـــتَمِعَانِ وَالأجَـــلْ مُرَشَّـــحٌ ثَمَّـــتَ مَبْـــنَاهُ حَـــصَلْ
عَلَـــى تَنَاسِـــي شَـــبَهٍ فَيُدَّعَـــى المَـــنْعَ وَاسْـــتِوَاءِ طَـــرَفَيْهِ مَعَـــا

تنقسم الاستعارة باعتبار آخر غير الطرفين والجامع واللفظ إلى ثلاثة أقسام، مطلقة وهي ما لم تقرن بصفة ولا تفريع والمراد بالصفة المعنوية لا النعت النحوي الذي هو أحد التوابع نحو (عندي أسد)، ومجردة وهي ما قرن بما يلائم المستعار له كقوله[٦٤٥]:

غمـــرُ الـــرداءِ إذا تبَـــسَّمَ ضـــاحِكاً غَلِقَـــت بِـــضَحكَتِهِ رِقـــابُ المـــالِ

أي كثير العطاء استعار الرداء له لأنّه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه ثمّ وصفه بالغمر الذي يناسب العطاء تجريداً للاستعارة والقرينة ما بعده، ومرشحة وهي ما قرن بما يلائم المستعار منه نحو ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ ﴾ (البقرة: من الآية ١٦) استعير الاشتراء للاستبدال والاختيار ثمّ فرع عليها ما يلائم الاشتراء من الربح والتجارة، وقوله ﷺ (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسق ماءه زرع غيره) رواه الترمذي[٦٤٦]، استعير الزرع للحمل وقرن بما يلائمه وهو السقي بالماء، وقد يجتمع التجريد والترشيح وهو قسم رابع كما نبه عليه الشيخ بهاء الدين[٦٤٧] كقوله[٦٤٨]:

لَـــدى أَسَـــدٍ شـــاكي الـــسِلاحِ مُقَـــذَّفٍ لَـــهُ لِـــبَدٌ أَظفـــارُهُ لَـــم تُقَلَّـــمِ

فقوله (شاكي السلاح) تجريد لأنّه وصف بما يلائم المستعار له وهو الشجاع، وما بعده ترشيح لأنّه يلائم المستعار منه وهو الأسد الحقيقي، والترشيح أبلغ من الإطلاق ومن التجريد ومن جمع التجريد والترشيح، كذا قاله الشيخ سعد الدين[٦٤٩] واقتصر الشيخ بهاء الدين[٦٥٠] على الثاني لاشتماله على تحقيق المبالغة في التشبيه، لأنّ

---

(٦٤٥) البيت لكثير عزة، ديوانه: ٢٨٨.
(٦٤٦) سنن الترمذي: ٣/٤١٧.
(٦٤٧) عروس الأفراح: ٢/١٤٤.
(٦٤٨) البيت لزهير بن أبي سلمى، شرح ديوانه: ٢٣.
(٦٤٩) مختصر السعد: ٣٣٢.
(٦٥٠) عروس الأفراح: ٢/١٤٤.

الاستعارة مبالغة فيه وترشيحها بما يلائم المستعار منه تحقيق لذلك وتقوية له، ومبنى الترشيح على تناسي التشبيه وادعاء أنّ المستعار له نفس المستعار منه لا شيء يشبه به ولذلك يبنى على علوّ القدر ما يبنى على علوّ المكان في قول أبي تمام مدحا[٦٥١]:

ويَصْعَدُ حتى يَظُنَّ الجَهُولُ ... بأنَّ لهُ حاجَةً في السماء

استعار الصعود لعلوّ القدر والارتقاء في مدارج الكمال ثمّ بنى عليه ما يبنى على علوّ المكان والارتقاء إلى السماء من ظنّ الجهول أنّ له حاجة في السماء ومثله قول ابن الرومي[٦٥٢]:

شافهتُمُ البدرَ في السؤالِ عن الـ ... أمرِ إلى أن بلغتُمْ زُحَلا

وقول بشار[٦٥٣]:

أَتَتني الشَمسُ زائِرَةً ... وَلَم تَكُ تَبرَحُ الفَلَكا

وصح التعجب في قول ابن العميد[٦٥٤]:

قَامَتْ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ ... نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي
قامَتْ تُظَلِّلُنِي ومِنْ عجَبٍ ... شَمْسٌ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ

والنهي عنه في قول الآخر[٦٥٥]:

لاَ تَعْجَبوا مِنْ بلى غِلاَلَتِه ... قَدْ زُرَّ أَزْرارهُ عَلَى القَمَرِ

***

(٦٥١) ديوان أبي تمام: ٣٤/٤. وفيه:

ويَصْعَدُ حتى يَظُنَّ الجَهُولُ ... بأنَّ لهُ حاجَةً في السماء

(٦٥٢) البيت غير موجود في الديوان، وهو في الإيضاح: ٣٠٣/٢، عروس الأفراح: ١٨١/٢.

(٦٥٣) ديوان بشار بن برد: ١٢٢/٤.

(٦٥٤) البيتان في يتيمة الدهر: ٢٠٩/٣، وفيه:

ظَلَّتْ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ ... نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي
فَأَقُولُ وَاعَجَباً ومِنْ عجَبٍ ... شَمْسٌ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ

(٦٥٥) شعر ابن طباطبا العلوي: ٧٧، وفيه:

لاَ تَعْجَبوا مِنْ بلى غِلاَلَتِه ... قَدْ زُرَّ كتانها عَلَى القَمَرِ

الاستعارة التمثيلية

أَمَّـــا المُـــرَكَّبُ فَمَــــا يُـــسْتَعْمَلُ   فِـيمَا لِمَعْنَـى الأَصْـلِ قَـدْ يُمَـثَّلُ
مُـــبَالِغاً وَسُــــمِّيَ التَّمْثِـــيلاَ   مُطْلَقَـــاً اوْ سَـــالِكاً الــسَّبِيلاَ
فَـــإِنْ فَـــشَا كَـــذَاكَ الاسْـــتِعْمَالُ   فَمَـــثَلٌ تَغْيِيـــرُهُ مُحَـــالُ
وَالمُـــسْتَعَارُ مِـــنْهُ فِـــي كِلَـــيْهِمَا   لَـــدَى تَحَقُّـــقٍ وَفَـــرْضٍ قُـــسِمَا

المجاز المركب هو اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه تمثيل بأن يكون وجهه منتزعاً من متعدد للمبالغة في التشبيه كأن يقال للمتردد في أمر (إني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى) شبه صورة تردده في ذلك الأمر بصورة تردد من قام ليذهب فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلاً وتارة لا يريد فيؤخر أخرى فاستعمل في الصورة الأولى الكلام الدال على الصورة الثانية، ووجه التشبيه وهو الإقدام تارة والإحجام أخرى منتزع من عدّة أمور ويسمّى هذا المجاز التمثيل على سبيل الاستعارة، والتمثيل مطلقاً بدون قولنا (على سبيل الاستعارة)، ومتى فشا استعمال المجاز المركب على سبيل الاستعارة سمّي مثلاً ولأجل كون المثل تمثيلاً فشا استعماله على سبيل الاستعارة لا تغير الأمثال لأنّ الاستعارة يجب أن تكون لفظَ المشبه به المستعملَ في المشبه فلو غير المثل لما كان لفظ المشبه به فلا يكون استعارة فلا يكون تمثيلاً ولهذا لا يلتفت في الأمثال إلى مضاربها تذكيراً وتأنيثاً وإفراداً وتثنية وجمعاً، بل إنّما ينظر في مواردها كما يقال للرجل (الصيف ضيعتِ اللبن)[٦٥٦] بكسر تاء الخطاب لأنّه الأصل لامرأة.

ثمّ نبّهت من زيادتي على أنّ المستعار منه في التمثيل والمثل قد يكون محققاً واقعاً، وقد يكون مقدراً مفروضاً، فالأوّل من التمثيل كقوله تعالى ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران: من الآية ١٠٣) شبّه استظهار العبد بالله تعالى ووثوقه بحمايته والنجاة من المكاره باستمساك الواقع في مهواة بحبل وثيق مدلّى من مكان مرتفع أمن انقطاعه، ومن المثل كقوله ﷺ (إن من البيان لسحراً)[٦٥٧] يضرب في استحسان المنطق

---

(٦٥٦) المستقصى من أمثال العرب: ٣٢٩/١.

(٦٥٧) صحيح البخاري: ١٩٧٦/٥.

وإيراد الحجة البالغة، والثاني من التمثيل كقوله تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (الأحزاب: من الآية ٧٢)الآية[٦٥٨] مثلت حال التكليف في صعوبتها وثقل حملها بحال معروضة ومن المثل كقولهم (طارت به العنقاء)[٦٥٩] أي طالت غيبته وليس للعنقاء عمل فيه ذكر ذلك الطيبي[٦٦٠].

***

الاستعارة المصرحة والمكنية

قَدْ يُضْمَرُ التَّشْبِيهُ فِي النَّفْسِ فَلاَ   يُذْكَرُ شَيْءٌ مِنْ أَدِلَّةٍ خَلاَ
مُشَبَّهاً ثُمَّ لِهَذَا يُثْبَتُ   مَا اخْتَصَّ بِالآخَرِ ذَا القَرِينَةُ
فَسَمِّ ذَا التَّشْبِيهَ بالمَكْنِيَّهْ   عَنْهَا وَذَا الإِثْبَاتَ تَخْيِيلِيَّهْ

هذا الفصل في الاستعارة التي ليست بتحقيقية وهي التخييلية والمكنية وهما عند صاحب التلخيص[٦٦١] حقيقتان لغويتان غير داخلتين في قسم المجاز لأنّها لم تستعمل في المشبه به وذلك أن يضمر التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء من أركانه سوى المشبه ويدلّ على ذلك التشبيه المضمر في النفس بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به فيسمّى ذلك التشبيه المضمر استعارة بالكناية ومكنياً عنها لأنّه لم يصرح به بل دلَّ عليه بذكر خواصّه، ويسمّى إثبات ذلك الأمر المختص بالمشبه به للمشبه استعارة تخييلية لأنّه قد استعير للمشبه ذلك الأمر المختصّ بالمشبه به، وبه يكون كمال المشبه به وقوامه في وجه الشبه لتخييل أن المشبه من جنس المشبه به كقوله[٦٦٢]:

وَإِذا المَنِيَّةُ أَنشَبَت أَظفارَها   [أَلفَيتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنفَعُ]

شبّه في نفسه المنية بالسبع في اغتيال النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار فأثبت لها الأظفار التي لا يكمل ذلك الاغتيال في السبع بدونها تحقيقاً

---

(٦٥٨) وتمامها قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾.

(٦٥٩) مجمع الأمثال: ٤٢٩/١.

(٦٦٠) التبيان في البيان: ١٩٩.

(٦٦١) التلخيص: ٧٤.

(٦٦٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، ديوان الهذليين: ٣.

للمبالغة في التشبيه، فتشبيه المنية بالسبع استعارة بالكناية وإثبات الأظفار لها تخييلية وكلّ من لفظي الأظفار والمنية حقيقة مستعملة في معناها الموضوع له وليس في الكلام مجاز لغوي، وكقوله[٦٦٣]:

وَلَئِنْ نَطَقْتُ بِشُكْرِ بِرِّكَ مُفْصِحاً فَلِسَانُ حَالِي بِالشِّكَايَةِ أَنْطَقُ

شبه الحال بإنسان متكلم في الدلالة على المقصود وهو استعارة بالكناية فأثبت لها اللسان الذي به قوام الدلالة في الإنسان وهي تخييلية.

***

الاستعارة عند السكاكي

وَالاسْتِعَارَةُ لَدَى يُوسُفَ أَنْ يُذْكَرَ مَا مِنْ طَرَفِ التَّشْبِيهِ عَنْ
مُرِيداً الآخَرَ بِادِّعَاءِ دُخُولِ مَا شُبِّهَ بِاقْتِفَاءِ
فِي جِنْسِ مُشَبَّهٍ بِهِ وَقَسَّمَا إِلَى مُصَرَّحٍ وَمَكْنِيٍّ فَمَا
يُنْوَى مُشَبَّهٌ فَقَطْ مُصَرَّحَهْ وَعَكْسُهَا المَكْنِيُّ قَوْلٌ رَجَّحَهْ
وَالتَّبَعِيَّةَ إِلَيْهَا رُدَّا وَشَيْخُنَا يَقُولُ عَكْسٌ أَجْدَى
وَفِي الحَقِيقَةِ تَمْثِيلٌ دَخَلْ لَدَيْهِ وَالتَّخْيِيلُ عَكْسُهُ جَعَلْ

هذا الفصل فيه مذهب السكاكي[٦٦٤] في الاستعارة وأقسامها، فعنده أن الاستعارة أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الآخر المتروك مدعياً دخول المشبه به في جنس المشبه كما تقول (في الحمام أسد) وأنت تريد الرجل الشجاع أنّه من جنس الأسود فتثبت له ما يخصّ المشبه به وهو اسم جنس، وكما تقول (أنشبت المنية أظفارها) تريد بالمنية السبع بادعاء السبعية لها فتثبت لها ما يخصّ السبع المشبه به وهو الأظفار وتسمي المشبه به مذكوراً أو متروكاً مستعاراً منه واسم المشبه مستعاراً والمشبه به مستعاراً له.

ثمّ قسّم الاستعارة إلى مصرّح بها ومكني عنها، وفسّر الأولى بأن يكون المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به والمحذوف المشبه، والثانية بالعكس بأن يكون المذكور المشبه والمحذوف المشبه به على أن المراد بـ(المنية) في (أنشبت المنية

(٦٦٣) البيت لأبي نصر العتبي، قرى الضيف: ٤/٤٦٦، الإيضاح: ١/٢١٩.
(٦٦٤) مفتاح العلوم: ١٧٤.

أظفارها) هو السبع بادعاء السبعية بقرينة إضافة الأظفار التي هي من خواصّه إليها، فقد ذكر المشبه وهو المنية وأراد المشبه به وهو السبع، وردَّ ذلك بأن لفظ المشبه فيها وهو المنية مستعمل فيما وضع له قطعاً وهو الموت وإضافة الأظفار قرينة تشبيهها بالسبع المضمر في النفس وهو ينافي تفسيره الاستعارة بذكر أحد الطرفين مراداً به الآخر، واختار السكاكي ردَّ التبعية إلى المكني أي جعلها قسماً منها بجعل قرينتها مكنياً عنها وجعل التبعية قرينة المكني عنها، ففي (نطقت الحال) جعل القوم (نطقت) استعارة عن (دلّت) بقرينة (الحال) وهو حقيقة وهو يجعل (الحال) استعارة بالكناية عن المتكلم ونسبة النطق إليها قرينة الاستعارة، وإنّما اختار ذلك إيثاراً للضبط وتقليل الأقسام وردَّ بأنه إن قدر التبعية حقيقة لم تكن تخييلية لأنّها مجاز عنده حيث جعلها من أقسام المصرّحة المفسرة بذكر المشبه به وإرادة المشبه، وحينئذ لا تكون المكني عنها مستلزمة للتخييلية وذلك باطل بالاتفاق إذ لا توجد مكنية بدون تخييلية قطعاً، وإن قدّرها مجازاً فتكون استعارة ضرورة ويحتاج إلى القول بها وعدّها في الأقسام، وقال شيخنا العلامة الكافيجي: لو قيل برجوع الاستعارة بالكناية إلى التبعية كان أولى لكونها أظهر من الكناية، وأما المصرّحة فجعل السكاكي[٦٦٥] منها تحقيقية وتخييلية وفسّر التحقيقية بما تقدّم من تفسيرها وعدَّ منها التمثيل، وردَّ بأنّه مستلزم للتركيب المنافي للإفراد فلا يصح عدَّه من الاستعارة التي هي من أقسام المجاز المفرد، وفسر التخييلية بضدّ تفسير التحقيقية وهو ما لا تحقق لمعناه حسًّا ولا عقلاً بل هو صورة وهمية محضة كلفظ الأظفار فإنّه لما شبّه المنية بالسبع في الاغتيال أخذ الوهم في تصويرها بصورة السبع فاخترع لها صورة مثل صورة أظفاره ثمّ أطلق عليها لفظ الأظفار فتكون تصريحية لا مكنية لأنّه أطلق اسم المشبه وهو الأظفار المحققة على المشبه به وهو صورة وهمية شبيهة بصورة الأظفار المحققة والقرينة إضافتها إلى المنية، فالتخييلية عنده قد تكون بدون المكنية وهو مخالف لتفسير غيره على ما فيه من التعسف بكثرة الاعتبارات التي لا حاجة إليها ولا دليل عليها.

***

(٦٦٥) مفتاح العلوم: ١٧٦.

حسن الاستعارة

الحُسْنُ فِي اسْتِعَارَةِ التَّخْيِيلِ بِحَسَبِ المُكْنِيّ وَالتَّمْثِيلِي
وَذِي الكِنَايَةِ وَذِي التَّحْقِيقِ أنْ يُرْعَى الذي فِي وَجْهِ تَشْبِيهٍ زُكِنْ
وَلاَ يُشَمُّ رِيحُهُ لَفْظاً وَإنْ يَجْلُو وَلاَ يَكُونُ كَالألْغَازِ عَنْ
فَلاَ يُقَالُ لأسَدٍ لأبْخَرَا وَإنْ قَوَى التَّشْبِيهَ حَتَّى صَيَّرَا
طَرْفَيْهِ كَالوَاحِدِ مِثْلُ العِلْمِ وَالنُّورِ فَاسْتِعَارَةٌ ذُو حَتْمِ

هذا فصل في شرائط حسن الاستعارة، فالتخييلية حسنها بحسب المكني عنها لأنّها لا تكون إلاّ تابعة لها وليس لها في نفسها تشبيه بل هي حقيقة فحسنها تابع لحسن متبوعها، وأمّا التحقيقية والتمثيلية فحسنها برعاية جهات حسن التشبيه بأن يكون وجه الشبه شاملاً للطرفين والتشبيه وافياً بإفادة العرض ونحو ذلك، وأن لا تشمّ رائحة التشبيه من جهة اللفظ لأنّه يبطل الغرض من الاستعارة بادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به لما في التشبيه من الدلالة على أن المشبه به أقوى من المشبه، وأن يكون الشبه جلياً لئلاّ تصير الاستعارة إلغازاً وتعمية كما لو قيل (رأيت أسداً) مراداً به إنساناً أبخر[٦٦٦] فإنّ وجه التشبيه بين الطرفين خفيّ فيتعين التشبيه حينئذٍ ولا تحسن الاستعارة، فإن قوي الشبه بين الطرفين حتى اتحدا كالعلم والنور والشبهة والظلمة تعينت الاستعارة ولم يحسن التشبيه لئلا يصير كتشبيه الشيء بنفسه فيقال عند فهم مسألة (حصل في قلبي نور) ولا يقال (علم كالنور)، فالأقسام ثلاثة كما يحسن فيه التشبيه والاستعارة، وما يتعين فيه التشبيه، وما يتعين فيه الاستعارة، وأمّا الاستعارة بالكناية فكالتحقيقية أيضاً في أن حسنها برعاية جهات التشبيه لأنّها تشبيه مضمر وقد تقدم أنّ الترشيحية أبلغ من التجريدية والمطلقة، فالترشيح من شرائط حسن الاستعارة، وقد ذكر الطيبي[٦٦٧] في هذا الفصل وتقدّم أيضاً أنّ الغريبة أحسن من القريبة والتفصيلية أحسن من الإجمالية وذكره الطيبي[٦٦٨] هنا وزاد أن تكون

---

(٦٦٦) البَخَرُ: الرائحة المتغيرة من الفم، النتونة التي تكون في الفم وغيره. لسان العرب، ابن منظور: ١/ ٣٤٠.

(٦٦٧) التبيان في البيان: ٢٠٦.

(٦٦٨) المصدر نفسه: ٢٠٦.

التخييلية مؤكدة بمعنى المشاكلة كقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (الفتح: من الآية ١٠)، أكد بقوله (يد الله) بعد التخييل لمعنى المشاكلة في (يبايعونك)، وأن يكون في الكلام عدة استعارات نحو ﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ ﴾ (النحل: من الآية ١١٢)، استعار (القرية) للأهل على سبيل الكناية والذوق للكسوة على التحقيقية وعدل عن (كساها) لأنّ الإذاقة أقوى في الإدراك من اللمس واللباس للجوع.

***

خاتمة: معان أخرى للمجاز

قَـدْ يُطْلَـقُ المَجَـازُ فِـيمَا غُيِّـرَا إعْـرَابُهُ بِـزَيْدٍ اوْ حَـذْفٍ عَـرَا

لَـيْسَ كَمِـثْلِهِ يُـرِيدُ المِـثْلاَ وَكَاسْـألِ القَـرْيَةَ يَعْنِـي الأهْـلاَ

قد يطلق المجاز عل كلمة تغير إعرابها بزيادة لفظ أو حذفه نحو ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ (الشورى: من الآية ١١) أي ليس مثله، لأنّ المقصود نفي أن يكون شيء مثله تعالى لا نفي أن يكون شيء مثل مثله، فالأصل فيه نصب خبر (ليس) فتغير إلى الجرّ بزيادة الكاف وقوله تعالى ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ (يوسف: من الآية ٨٢) أي أهل القرية وأصله الجرّ فتغير إلى النصب بسبب حذف المضاف، قال في الإيضاح[٦٦٩] فإن كان الحذف أو الزيادة لا يوجب تغيير الإعراب كقوله تعالى ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ (البقرة: من الآية ١٩) إذ أصله كمثل ذوي صيب لدلالة ما قبله عليه، وقوله تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (آل عمران: من الآية ١٥٩)، ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ ﴾ (الحديد: من الآية ٢٩) فلا توصف الكلمة بالمجاز.

***

(٦٦٩) الإيضاح: ٢/ ٣١٧.

الكناية

لَفْــظٌ أُرِيــدَ لاَزِمٌ مَعْــنَاهُ مَــعْ ... جَــوَازِ أَنْ يُقْــصَدَ مَعْــنَاهُ تَــبَعْ
وَمِــنْ هُــنَا تُخَالِــفُ المَجَــازَا ... أَقْــسَامُهَا ثَلاثَــةٌ مَــا انْحَــازَا
بِهَــا سِــوَى نِــسْبَةٍ اوْ وَصْــفٍ وَذَا ... يَكُــونُ مَعْنَــى أَوْ مَعَــانٍ يُحْــتَذَى
شَــرْطُهُمَا التَّخْـصِيصُ بِالَّـذي كُنِـي ... عَــنْهُ وَمَــا يُطْلَــبُ بِهَــا الوَصْــفُ إِنِ
تُــنْقَلْ بِــلاَ وَاسِــطَةٍ قَــرِيبَهْ ... وَهَــذِهِ وَاضِــحَةٌ خَفِــيَّهْ
طُــولُ الــنِّجَادِ عَــنْ طَــوِيلِ القَامَــةِ ... وَذُو القَفَــا العَــرِيضِ عَــنْ بَــلاَدَةِ
وَنِــسْبَةُ التَّــصْرِيحِ مَــا مِــنْهَا حَــوَتْ ... مُــضْمَرُهُ سَــاذِجَةً مَــا قَــدْ خَلَــتْ
أَوْ بِوَسَــاطَةٍ فَــذُو الأبْعَــادِ ... كَلِلْكَــرِيمِ مُكْثِــرُ الــرَّمَادِ
وَلِلوُقُــودِ فَالطَّبِــيخ يَنْــتَقِلْ ... فَكَثْــرَةُ الآكِــلِ فَالــضَّيْفُ وَصِــلْ
وَمَــا عَــدَا النِّــسْبَةُ مِــنْ مَطْلُــوبِهِ ... كَالمَجْــدِ فِــي بُــرْدَيْهِ أَوْ فِــي ثَــوْبِهِ
إِذْ لَــمْ يُــصَرِّحْ بِثُــبُوتِ ذَاكَ لَــهْ ... بَــلْ فِــي الــذي احْــتَوَى عَلَــيْهِ جَعَلَــهْ
وَرُبَّمَــا فِــي ذَيْــنِ يُحْــذَفُ الــذي ... بِوَصْــفِ مِــثْلِ مَــا تَقُــولُ لِلَــبذِي
مَــنْ سَــلِمَ الأَنَــامُ مِــنْ لِــسَانِهِ ... وَيَــدِهِ فَمُــسْلِمٌ لِــشَأْنِهِ
قُلْــتُ وَقَــدْ يُــرَادُ هَــذَانِ مَعَــا ... فَهْــوَ كِنايَــتَانِ فِــيهِ وَقَعَــا

هذا هو المقصد الثالث من علم البيان، والكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه كقولك (طويل النجاد) مريداً طول القامة لجواز إرادة طول حمائل السيف معه أيضاً، وعبارة التبيان(٦٧٠) ترك التصريح بالشيء إلى ما يساويه في اللزوم فينتقل منه إلى الملزوم، وبجواز إرادة المعنى الحقيقي مع اللازم تخالف المجاز فإنّه لا يراد فيه المعنى الحقيقي مع المجازي للزوم القرينة المانعة من إرادته. قال في المصباح(٦٧١): وإنّما يعدل عن التصريح إلى الكناية لنكتة كالإيضاح أو بيان حال الموصوف أو مقدار حاله أو القصد إلى المدح أو الذمّ أو الاختصار أو الستر أو الصيانة أو التعمية والإلغاز أو التعبير عن الصعب بالسهل أو عن المعنى القبيح باللفظ الحسن، والكناية أقسام ثلاثة:

---

(٦٧٠) التبيان في البيان: ٢١٣.
(٦٧١) المصباح: ٧١.

الأول: ما يطلب بها غير صفة ولا نسبة بل نفس الموصوف، فمنها ما هو معنى واحد بأن يتفق في صفة من الصفات اختصاص بموصوف معين فتذكر ليتوصل بها إليه كقولك (مضياف) كناية عن (زيد) بسبب اختصاصه، ومنها ما هي مجموع معانٍ بأن تؤخذ صفة فتضمّ إلى لازم آخر وآخر فتصير جملتها مختصة بموصوف فيتوصل بذكرها إليه كقولنا كناية عن الإنسان (حي مستوي القامة عريض الأظفار)، وشرط هاتين الكنايتين الاختصاص بالمكنى عنه بأن لا يوجد لغيره ليحصل الانتقال.

الثاني: ما المطلوب بها صفة من الصفات كالجود والكرم ونحو ذلك، وهي ضربان: قريبة وهي ما ينتقل الذهن منها إلى المطلوب بلا واسطة، وهي نوعان: واضحة يحصل الانتقال منها بسهولة كقولهم كناية عن طول القامة (طويل النجاد) و(طويل نجاده)، وما كان منها حاوياً لضمير الموصوف ففيها شوب تصريح كالمثال الأوّل وما لا فساذجة كالثاني، وخفية، وهي ما يتوقف الانتقال منها على فكر وتأمّل كقولهم كناية عن البليد (عريض القفا) فإنّ عرض القفا ممّا يستدل به على البلادة والبلاهة فهو ملزوم لها بحسب الاعتقاد لكن الانتقال منه فيه نوع خفاء، الضرب الثاني ما ينتقل فيها بواسطة وهي بعيدة كقولهم (كثير الرماد) كناية عن الكرم فإنّه ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة الوقود للحطب تحت القدر ومن كثرة الوقود إلى كثرة الطبخ إلى كثرة الأكلة ومن كثرة الأكلة إلى كثرة الضيفان ومنها إلى المقصود وهو الكرم.

القسم الثالث: ما يطلب به نسبه أي إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه كقولهم (المجد بين ثوبيه) و(الكرم بين برديه)، لم يصرح بثبوت المجد والكرم له بأن يقول هو مختص بهما أو نحوه بل كنّى عن ذلك بكونهما بين برديه أو ثوبيه وجعلهما فيما يختص به ويشتمل عليه، فإنّ الأمر إذا أثبت فيما يختص بالرجل ويحويه من ثوب أو مكان فقد أثبت له، وقد يحذف الموصوف في هذين القسمين الثاني والثالث كقولك في عرض من يؤذي المسلمين بيده ولسانه أي يفحش (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[٦٧٢] فإنّه كناية عن نفي صفة الإسلام عن المؤذي وهو غير مذكور في الكلام، وأمّا الأوّل وهو ما يطلب بالكناية منه نفس الصفة وتكون النسبة مصرحاً بها فالموصوف فيها مذكور لا محالة.

---

(٦٧٢) صحيح البخاري: ١/٦٥.

وبقي للكناية قسم رابع لم يتعرض له في التلخيص وذكرته من زيادتي[٦٧٣] وهو ما يكون المطلوب بها صفة ونسبة معاً كقولنا (كثر الرماد في ساحة زيد) كناية عن نسبة الضيافة إليه، وقيل في الاعتذار عن عدم عدّه أنّه ليس بكناية واحدة بل كنايتان، إحداهما المطلوب بها نفس الصفة وهي كثرة الرماد كناية عن المضيافية، والثانية المطلوب بها نسبة المضيافية إلى زيد وهي جعلها في ساحته ليفيد إثباتها وهذا معنى قولي (فهو كنايتان فيه وقعا)، واستنبط الزمخشري[٦٧٤] كناية خامسة وهي أن تعمد إلى جملة معناها على خلاف الظاهر فتأخذ الخلاصة من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة والمجاز فتعبر بها عن المقصود كما تقول في نحو ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾ (طه: ٥): إنّه كناية عن الملك فإنّ الاستواء على السرير لا يحصل إلاّ مع الملك فجعل كناية عنه وكذا قوله تعالى ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ (الزمر: من الآية ٦٧) كناية عن تصور عظمته وكنه جلاله.

***

أنواع الكناية

وَيُوسُفُ قَسَّمَ ذَا البَابَ إلَى ... رَمْزٍ وَتَعْرِيضٍ وَتَلْوِيحٍ تَلاَ
إشَارَةٍ إيماءٍ فَالذي حُذِفْ ... مَوْصُوفُهُ نَاسَبَ تَعْرِيضاً عُرِفْ
وَوَجْهُهُ التَّنْوِيهُ وَالتَّلَطُّفُ ... أوْ يَتْرُكُ الإغْلاَظَ أوْ يَسْتَعْطِفُ
وَمِنْهُ مَا يُرَادُ مَعْنَاهُ مَعَهْ ... وَمِنْهُ لاَ حَرَّرَهُ مَنْ جَمَعَهْ
إنْ كَثُرَتْ وَسَائِطٌ فَوُصِفَا ... مُلَوِّحاً وَإنْ تَقُلْ مَعَ خَفَا
رَمْزٌ وَإلاّ فَالأخِيرَانِ وَقَدْ ... مَجَازاً التَّعْرِيضُ فِي بَعْضٍ وَرَدْ
كَقَوْلِهِ آذَيْتَنِي سَتَعْرِفُ ... يُرِيدُ مَنْ لاَ بِالخِطَابِ يُوصَفُ
وَإنْ تُرِدْ بِذَاكَ كَلاًّ مِنْهُمَا ... كِنَايَةً وَاشْرُطْ دَلِيلاً لَهُمَا

قال السكاكي: الكناية تتفاوت إلى تعريض وتلويح ورمز وإشارة وإيماء، فالتعريض ما سبق آنفاً لأجل موصوف غير مذكور كما تقدّم في مثال المؤذي لأنّه

---

(٦٧٣) هذه الزيادة ذكرها أيضاً السبكي في عروس الأفراح: ٢/٦٣٠.
(٦٧٤) الكشاف ٦٥١، ٩٤٧ - ٩٤٨.

أَمَالَ الكلام إلى جانب مشيراً به إلى آخر، يقال (نظر إليه بعرض وجهه) أي جانبه، قال الطيبي[٦٧٥] وذلك يفعل إمّا لتنويه جانب الموصوف نحو (أمر المجلس السامي نافذ) ومنه ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ (البقرة: من الآية ٢٥٣)أي محمد ﷺ إعلاءً لقدره لأنّه العلم الذي لا يشتبه، وإمّا لتلطف به كقول الخاطب (عسى الله أن ييسر لي امرأة صالحة)، أو استعطاف كقول المحتاج (جئتُ لأسلمَ عليك وأنظرَ إلى وجهك الكريم) قال[٦٧٦]:

أرُوحُ لِتَسْلِيمٍ عَلَيْكِ وَأغْتَدِي ... وَحَسْبُكَ بِالتَسْلِيمِ مِنِّي تَقَاضِيَا

أو احتراز عن المخاشنة كما تقدم في مثال المؤذي، وإهانة وتوبيخ نحو ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝ ﴾ (التكوير: الآيتان ٨ - ٩)، قال التقي السبكي[٦٧٧] والتعريض قسمان، قسم يراد به معناه الحقيقي ويشار به إلى المعنى الآخر المقصود كما تقدم، وقسم لا يراد بل يضرب مثلاً للمعنى الذي هو مقصود التعريض كقول إبراهيم عليه السلام ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ (الأنبياء: من الآية ٦٣) وقد نبهت على ذلك كله من زيادتي، وأمّا التلويح فهو ما لم يُسَق لأجل موصوف محذوف مع كثرة الوسائط لأنّ التلويحَ الإشارةُ من بعد كما في (كثير الرماد)، والرمز ما يشار به إلى المطلوب مع قلة الوسائط وخفاء في اللزوم ك(عريض القفا) و(عريض الوسادة) وسمي رمزاً لأنّه الإشارة من قرب على سبيل الخفية، ونكتته إمّا مراعاة الموصوف كحديث (إنَّ وسادك لعريض)[٦٧٨]، أو الاحتراز عن بشاعة اللفظ كالإفضاء عن الجماع ونحو ذلك، والإشارة ما قلَّت وسائطه بلا خفاء سمي بها لظهور المشار إليه كقوله[٦٧٩]:

إنَّ السَّماحَةَ وَالمُروءَةَ وَالنَّدى ... فـي قُـبَّةٍ ضُـرِبَت عَلـى ابـنِ الحَشرَجِ

---

(٦٧٥) التبيان في البيان: ٢٤٤.

(٦٧٦) البيت لتوبة بن الحُميّر الخفاجي، ديوانه: ٩٩.

(٦٧٧) عروس الأفراح: ٢/٢١٧.

(٦٧٨) في صحيح البخاري: ٤/١٦٤٠ (إنّ وسادك إذاً لعريض)، وفي صحيح مسلم ٢/٧٦٦: (إنّ وسادتك لعريض).

(٦٧٩) البيت لزياد الأعجم، شعره: ٤٩.

أراد أن يخص الصفات بالممدوح من غير تصريح فجعلها مطروحة في قبة مضروبة عليه، قال السكاكي[٦٨٠]: والتعريض يكون مجازاً كقوله (آذيتني فستعرف) فإن كنت تريد بتاء الخطاب إنساناً مع المخاطب لا المخاطب فمجاز وإن أردت به المخاطب ومن معه كليهما فهو كناية لاستعمال اللفظ في معناه الأصلي وغيره، ولا بدّ في الصورتين من قرينة تبيّن أنّ المراد في الأولى الإنسان الذي مع المخاطب وحده ليكون مجازاً وفي الثانية كلاهما ليكون كناية، وتحقيق ذلك أنَّ مثل هذا الكلام دالٌّ على تهديد المخاطب بسبب الإيذاء ويلزمه تهديد كلّ من صدر عنه الإيذاء، فإن استعملته وأردت به تهديد المخاطب أو غيره من المؤذين كان كناية، وإن أردت به تهديد غير المخاطب بسبب الإيذاء لعلاقة اشتراكه للمخاطب في الإيذاء إمّا تحقيقاً وإمّا فرضاً وتقديراً مع قرينة دالة على عدم إرادة المخاطب كان مجازاً.

***

وَكَـوْنُ هَـذِي وَالمَجَـازِ أَبْلَغَـا ... مِـنْ ضِـدِّ هَـذَيْنِ اتِّفَـاقُ الـبُلَغَا
وَالاسْـتِعَارَةُ مِـنَ التَّـشْبِيهِ ... إذْ قُـوَّةُ المَجَـازِ لاَ تَلِـيهِ
قُلْـتُ وَذُو التَّمْثِـيل بِاسْـتِعَارَةِ ... أَبْلَـغُ مِـنْهُ لاَ بِـلاَ اسْـتِعَارَةِ
وَأَبْلَـغُ الأنْـوَاعِ تَمْثِيلِـيَّةُ ... مَكْنِـيَّةٌ بَعْـدُ فَتَـصْرِيحِيَّةُ
وَبَعْـدَهَا كِـنَايَةٌ وَقَـدْ عَـلاَ ... ذُو نِـسْبَةٍ فَـصِفَةٌ فَمَـا خَـلاَ
وَهَـذِهِ الـثَّلاثُ مِـنْ قِـسْمِ الخَبَـرْ ... وَالخَلْـفُ إنْـشَاء ذِي التَّـشْبِيهِ قَـرّ

أطبق البلغاء على أنَّ المجاز أبلغ من الحقيقة والكناية أبلغ من التصريح، لأنّ الانتقال فيهما من الملزوم إلى اللازم فهو كدعوى الشيء ببيّنة إذ وجود الملزوم يقتضي وجود اللازم، وأنَّ الاستعارة أبلغ من التشبيه لأنّها مجاز وهو حقيقة والمراد بالأبلغيّة إفادة زيادة تأكيد للإثبات ومبالغة في الكمال في التشبيه لا زيادة في المعنى لا توجد في الحقيقة والتصريح والتشبيه، ثمّ نبّهت من زيادتي على مراتب سائر أنواع البيان من الاستعارات والكنايات وغيرها، فالتمثيل على سبيل الاستعارة أبلغ منه لا على سبيل الاستعارة قاله في الإيضاح[٦٨١]، وأبلغ أنواع الاستعارةِ التمثيليةُ كما يؤخذ

---

(٦٨٠) مفتاح العلوم: ١٤٩.

(٦٨١) الإيضاح: ٣٢٨/٢.

من الكشاف[٦٨٢]، وتليها المكنية فهي أبلغ من التصريحية صرح به الطيبي[٦٨٣] لاشتمالها على المجاز العقلي، ومطلق الاستعارة أبلغ من الكناية كما قال الشيخ بهاء الدين[٦٨٤] إنّه الظاهر لأنّها كالجامعة بين كناية واستعارة قلت لأنّها مجاز بخلاف الكناية، قال الشيخ بهاء الدين[٦٨٥]: وأبلغ أنواع الكناية ما طلب فيه نسبة ثمّ صفة ثمّ ما لم يكن فيه واحد منهما، ثمّ نبهت أيضاً على أنّ التشبيه والاستعارة والكناية من قبيل الخبر لا الإنشاء على خلاف التشبيه حكاه التقي السبكي في تفسيره[٦٨٦] واختار أنّه خبر عمّا في نفس المتكلم من التشبيه كما أنّ حسبت خبر عن حسبانه، قال[٦٨٧]: ولا يختلف الحال في ذلك بين (كأنّ) والكاف، غير أنَّ (كأنّ) صريحة فيه من جهة أنّ موقعها أن تقوِّيَ التشبيه حتى يتخيل أو يكاد يتخيل أنّ المشبه هو المشبه به والكاف محتملة له وللإخبار عن المماثلة الخارجية كقولك (مثل هذا).

خاتمة:

ذكر أصحاب البديعيات في بديعياتهم من هذا المذكور في هذا الفنّ التشبيه وتشبيه شيئين بشيئين والمجاز والاستعارة والتمثيل وإرسال المثل والكناية والتعريض.

---

(٦٨٢) لم نجد ذكراً لهذه الإشارة في الكشاف.

(٦٨٣) لم يذكر الطيبي هذا بل قال: (والكناية أقوى من التصريح) ٢٢٩، وقد نقله عنه السبكي، فقال: (والذي يظهر أنّ الاستعارة بالكناية أبلغ من التصريحية وبه صرّح الطيبي) عروس الأفراح: ٢/ ٢٢٢.

(٦٨٤) عروس الأفراح: ٢/٢١٩.

(٦٨٥) المصدر نفسه: ٢/٢٢٢.

(٦٨٦) للتقي السبكي تفسير سماه (الدر النظيم في تفسير القرآن العظيم) ولم يتمّه، طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأذبروي: ١/٢٨٥ - ٢٨٦، كشف الظنون: ١/٧٣٦.

(٦٨٧) عروس الأفراح: ٢/٢٢٢.

الفن الثالث علم البديع

عِلْـمُ الـبَدِيعِ مَـا بِـهِ قَـدْ عُـرِفَا ... وُجُـوهُ تَحْـسِينِ الكَـلاَمِ إنْ وَفَـى
مُطَابِقـاً وَقَـصْدُهُ جَلِـيُّ ... فَمِـنْهُ لَفْظِـيٌّ وَمَعْـنَوِيُّ

علم البديع علم يعرف به وجوه تحسين الكلام أي تصور معانيها، وتعلم أعدادها وتفاصيلها بحسب الطاقة بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال، ورعاية وضوح دلالته أي خلوه عن التعقيد المعنوي إذ لا تعتبر وتعد محسنة للكلام إلاّ بعد رعايتهما، وإلاّ كان كتعليق الدرّ على الخنازير. قال أبو جعفر الأندلسي: وهو أخصّ الفنون الثلاثة لتركّبه من الفنّين وزيادة، قال: وهما بالنسبة إليه كالحياة والنطق بالنسبة إلى الإنسان فلا يوجد البديع بدونهما كما لا يوجد الإنسان بدون الحياة والنطق، والمعاني بالنسبة إلى البيان كالحياة بالنسبة إلى النطق، فتوجد المعاني بدونه كما يوجد الحيوان بلا نطق ولا عكس كما لا عكس، وقولي (وقصده) مصدر بمعنى المفعول أي المقصود منه، (جليّ) أي واضح.

ثمّ أنواعه تنقسم إلى قسمين: إلى ما يتعلّق بتحسين الألفاظ وإلى ما يتعلّق بتحسين المعاني، قال الشيخ سعد الدين[٦٨٨] أي بحسب الأصالة وإن كان بعضها لا يخلو عن تحسين ما للفظ، وفي شرح الفوائد الغياثية[٦٨٩]: المعنوي ما تعلّق بالبلاغة واللفظي ما تعلّق بالفصاحة، وقسّمها جماعة إلى ثلاثة فزاد، وأمّا يتعلّق بتحسينهما معاً كالمطابقة والمقابلة والأمر قريب.

***

(٦٨٨) مختصر السعد: ٣٨٥.

(٦٨٩) شرح الفوائد الغياثية: ٢٧١.وفيه (علم البديع قسمان: معنويّ يتعلّق بالمعنى وحده كالالتفات وغيره، أو مع اعتبار اللفظ كالمطابقة والمشاكلة ونحوهما وهو ليس من البلاغة لأنّه عرض وهو ذاتيّ، إلاّ أنّه من حيث المعنى قد يلتبس به. ولفظيّ متعلّق باللفظ وحده كالتجنيس والترصيع وهو بمنزلة الفصاحة في الحسن الذاتي).

تنبيهان:

الأوّل: قال أبو جعفر الأندلسي: أنواع البديع في الكلام كالملح في الطعام وكالخال في الوجنات إذا كثر قبح وخرج عن باب الاستحسان فكذلك البديع إذا كثر وتكلف مجّته الطباع وإنّما يحسن إذا وقع في الكلام سهلاً مستعذباً عارياً عن التكلف فإذا أفرط في الزيادة خاطبته الطباع(٦٩٠):

لـو اخْتَـصَرْتم مـن الإحسانِ زُرْتُكـمُ والعَـذْبُ يُهْجَـرُ للإفـراطِ فـي الخَـصَرِ

انتهى.

قلت: لم أرَ ذلك للمتقدمين إلاّ في مثل الجناس والسجع ونحوهما، أمّا مثل التورية والاستخدام واللفّ والنشر ونحوهما فحاشا وكلاّ، وقد عدّ الصفي الحلي(٦٩١) وأتباعه من أنواع البديع الإبداع بالباء الموحدة وفسروه بأن تكثر أنواع البديع في البيت، نعم التكلف مذموم كيف كان.

التنبيه الثاني: البديع في اللغة: الغريب، وأوّل من اخترعه وسماه بهذا الاسم عبد الله بن المعتز(٦٩٢) وجمع منها سبعة عشر نوعاً وقال في أول كتابه: وما جمع قبلي فنون البديع أحد ولا سبقني إليه مؤلف وألفته سنة أربع وسبعين ومئتين. وعاصره قدامة الكاتب فجمع منها عشرين نوعاً تواردا فيها على سبعة فكان ما زاده ثلاثة عشر نوعاً فتكامل لهما ثلاثون ثمّ تبعهما الناس، فجمع أبو هلال العسكري سبعة وثلاثين، ثمّ جمع ابن رشيق، وتلاهما شرف الدين التيفاشي فبلغ بها السبعين، ثمّ تكلم فيها ابن أبي الإصبع المصري فأبدع وذكر أنّه وقف على أربعين كتاباً في هذا العلم وأخذ منها سبعين نوعاً واستخرج عشرين، ثمَّ صنف ابن منقذ كتاب التفريع في البديع(٦٩٣) جمع فيه خمسة وتسعين نوعاً، ثمّ جاء صفي الدين الحلي فجمع فيها مائة وأربعين نوعاً في قصيدة نبوية(٦٩٤)، ثم زاد من زاد، ثمّ رأيت بديعية فيها أكثر من مئتي

(٦٩٠) شروح سقط الزند: ١/١٢٠.

(٦٩١) العاطل الحالي والمرخص الغالي: ١٠٦.

(٦٩٢) البديع: ٥٨.

(٦٩٣) حقق الكتاب مرتين بعنوانين مختلفين فقد حققه أحمد أحمد بدوي سنة ١٩٦٠ بعنوان: (البديع في نقد الشعر)، وحققه عبد علي مهنا سنة ١٩٨٧ بعنوان: (البديع في البديع في نقد الشعر).

(٦٩٤) سماها بـ(الكافية البديعية في المدائح النبوية)، ديوان صفي الدين الحلي: ٤٦٦ - ٤٧٩.

نوع، وأمّا السكاكي فذكر منها تسعة وعشرين ثمّ قال ولك أن تستخرج من هذا القبيل ما شئت وتقلّب كلاً من ذلك ما أحببت، وذكر صاحب التلخيص من البديع المعنوي ثلاثين نوعاً ومن اللفظي سبعة وذكر في أثنائها أموراً ملحقة بها تصلح أن تعدّ أنواعاً أخر، وقد زدت عليه الجم الغفير كما سيأتي مبيناً إن شاء الله تعالى وقد التزمت أن آتي في كل نوعٍ بمثال فأكثر من الحديث النبوي تمريناً وتشريفاً وتيمناً به.

***

المحسنات المعنوية

الطباق

مِنْهُ الطِّبَاقُ بِالتَّضَادِّ مَاثِلْ ... الجَمْعُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ذِي تَقَابُلْ

فِي جُمْلَةٍ مِنْ نَوْعٍ أَوْ نَوْعَيْنِ ... اسْمَيْنِ أَوْ فِعْلَيْنِ أَوْ حَرْفَيْنِ

كَمِثْلِ أَيْقَاظاً وَهْمْ رُقُودُ ... يُحْيِي يُمِيتُ وَلَهُ تَعْدِيدُ

طِبَاقُ مَنْفِيٍّ طِبَاقٌ مُوجَبْ ... كَاخْشَ وَلاَ تَخْشَ وَذِي تَسَبُّبْ

قُلْتُ وَقِيلَ الشَّرْطُ فِي الطِّبَاقِ ... أَنْ يَأْتِيَ اللَّفْظَانِ بِالوِفَاقِ

وَإِنَّمَا يُحْسَنُ مَعْ مَزِيدِ ... وَلَهُمْ تَطَابُقُ التَّرْدِيدِ

وَمِنْهُ تَدْبِيجٌ بِأَلْوَانٍ تَرِدْ ... مَكْنِيّاً اوْ تَوْرِيَةً لِمَا قُصِدْ

الطباق ويقال له المطابقة والتطبيق، والتطابق لغة أن يضع البعير رجله في موضع يده يقال منه طابق البعير إذا فعل ذلك، واصطلاحاً الجمع بين متضادين أو متقابلين في الجملة أي سواء كان التقابل حقيقياً أو اعتبارياً، أو بالإيجاب والسلب وليس المراد الضدين اللذين لا يجتمعان كالبياض والسواد مثلاً ويقال لهذا النوع أيضا التضاد والمقاسمة والتكافؤ، وله أقسام: لأنّهما تارة يكونان من نوع واحد كاسمين نحو ﴿ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ (الكهف: من الآية ١٨)، ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ ﴾ (فاطر: ١٩)، أو فعلين نحو ﴿ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ﴾ (البقرة: من الآية ٢٥٨) وحديث (من تأنى أصاب أو كاد ومن عجل أخطأ أو كاد) رواه الطبراني[٦٩٥]، وحديث مسلم (من يصعد

---

(٦٩٥) المعجم الأوسط ٣/٢٥٩، ٣٠٠.

فوق الثنية فإنه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل)[٦٩٦]، واجتمعا في حديث مسلم (من حاول أمراً بمعصية كان أبعد لما رجا وأقرب لمجيء ما اتقى) رواه في الحلية[٦٩٧]، وحديث (من اقتراب الساعة أن ترفع الأشرار وتوضع الأخيار ويفتح القول ويحبس العمل) رواه الطبراني[٦٩٨]، أو حرفين نحو ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ (البقرة: من الآية ٢٨٦)، وتارة من نوعين نحو ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾ (الأنعام: من الآية ١٢٢)، ثمّ تارة يكونان حقيقيين كالأمثلة السابقة أو مجازيين كالآية الأخيرة وكقوله[٦٩٩]:

إِذا نَحنُ سِرنا بَينَ شَرقٍ وَمَغرِبٍ ... تَحَرَّكَ يَقظانُ التُرابِ وَنائِمُه

فالمطابقة بين (يقظان) و(نائم) ونسبتهما إلى التراب مجاز، أو مختلفين كقوله[٧٠٠]:

لا تَعجَبي يا سَلمَ مِن رَجُلٍ ... ضَحِكَ المَشيبُ بِرَأسِهِ فَبَكى

لأنّ ضحك المشيب مجاز وبكاء الرجل حقيقة، وتارة يكون الطباق في الإيجاب كهذه الأمثلة، وتارة في النفي نحو قوله تعالى ﴿ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ (المائدة: من الآية ٤٤)، وقوله ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: من الآية ١٨٧)، وحديث (كونوا للعلم وعاة ولا تكونوا له رواة) أخرجه في الحلية[٧٠١]، وقول بعضهم[٧٠٢]:

خُلِقُوا وَمَا خُلِقُوا لِمَكْرُمَةٍ ... فَكَأَنَّهُمْ خُلِقُوا وَمَا خُلِقُوا
رُزِقُوا وَمَا رُزِقُوا سَمَاح يَدٍ ... فَكَأَنَّهُمْ رُزِقُوا وَمَا رُزِقُوا

---

(٦٩٦) صحيح مسلم: ٢١٤٤/٤ وفيه (من يصعد الثنية ثنية المرار فإنه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل).

(٦٩٧) حلية الأولياء: ٣٣٩/٦.

(٦٩٨) مسند الشاميين: ٢٧٦/١، وفيه (إن من أشراط الساعة أن توضع الأخيار وترفع الأشرار ويفتح القول ويخزن العمل)

(٦٩٩) نسب المظفر العلوي البيت للمغطمش الضبي، نضرة الإغريض: ١٠٢.

(٧٠٠) البيت لدعبل الخزاعي، ديوانه: ١٧٨.

(٧٠١) لم نجد الحديث في الحلية، وقد رواه الديلمي في الفردوس: ٢٤١/٣.

(٧٠٢) لم نعثر للبيت على نسبة، وقد استشهد به في خزانة الأدب: ١٥٩/١، الإيضاح: ٣٣٧/٢.

ويلحق بالطباق ما كان راجعاً للمضادة بتأويل كالتسبب في قوله تعالى ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح: من الآية ٢٩)، طوبق بين (الأشداء) و(الرحماء) لأنَّ الرحمة متسببة عن اللين الذي هو ضد الشدة، وكذا قوله تعالى ﴿ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ (القصص: من الآية ٧٣)، فإنَّ الابتغاء لا يضاد السكون لكنّه يستلزم الحركة التي هي ضده. ونبهت من زيادتي على أنّ بعضهم شرط في الطباق توافق اللفظين فلا يجيء في اسم مع فعل ولا عكسه، ولا في حقيقة ومجاز فذلك يخصّ باسم التكافؤ على أنّ بعضهم ذكر أنّ المطابقة مجرّدة ليس تحتها كبير أمر فإنّ قصارى ذلك أن يطابق الضد بالضد وهو شيء سهل إلا أن يترشح بنوع من أنواع البديع شاركه في البهجة والرونق كقوله تعالى ﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ (آل عمران: من الآية ٢٧)[٧٠٣]، انضمّ إلى المطابقة العكس والتكميل وكقول امرئ القيس[٧٠٤]:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبِلٍ مُدبِرٍ مَعاً ... كَجُلمودِ صَخرٍ حَطَّهُ السَيلُ مِن عَلِ

انضمّ إلى التكميل في قوله (معاً) المقصود منه قرب الحركة في حالتي الإقبال والإدبار وحالتي الكرّ والفرّ والاستطراد بالتشبيه وكقول أبي تمام[٧٠٥]:

بيضُ الصَفائِحِ لا سودُ الصَحائِفِ في ... مُتونِهِنَّ جَلاءُ الشَكِّ وَالرِيَبِ

انضمّ إليها الجناس، وقول الأرجاني[٧٠٦]:

تَعلّق بينَ الهَجْرِ والوَصْلِ مُهْجَتي ... فلا أَربى في الحُبِّ أقضِي ولا نَحْبي

انضم إليها اللف والنشر، وقول الفاضل[٧٠٧]:

دامَ صاحي وِدادِهِ عُمُرَ الدَهـ ... ـرِ جَنيناً لِشُكرِيَ النَشوانِ

---

(٧٠٣) في جميع النسخ (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) ولم نجد فيما بحثنا من القراء من قرأ بالتاء.

(٧٠٤) ديوان امرئ القيس: ١٩.

(٧٠٥) ديوان أبي تمام: ١/٤٠.

(٧٠٦) ديوان الأرجاني: ١/٢١٧.

(٧٠٧) ديوان القاضي الفاضل: ١/٣١٤.

انضم إليها الاستعارة وقول ابن خطيب داريا[٧٠٨]:

يَـا مَعْـشَرَ الأصْـحَابِ قَـدْ عَـنَّ لِـي مَعْنَـى يُـزِيلُ الحُمْـقَ فَاسْـتَظْرِفُوهُ
لاَ تَحْـضُرُوا إلاّ بِأخْفَـافِكُمْ وَمَـنْ تَـثَاقَلَ مِـنْكُمْ خَفِّفُـوهُ

انضمّ إليها التورية، (ولهم تطابق الترديد) كما ذكرته وهو من زيادتي، وهو أن تردّ أواخر الكلم المطابق على أوّله، فإن خلا من الطباق فهو رد العجز على الصدر مثاله قول الأعشى[٧٠٩]:

لا يَرقَعُ الناسُ ما أَوهى وَإِن جَهَدوا طولَ الحَياةِ وَلا يوهونَ ما رَقَعوا

وفي الأحاديث من ذلك كثير، ومن الطباق ما يسمى التدبيج، وقد ذكرته من زيادتي وإن مثل في التلخيص[٧١٠] لأحد قسميه، وهو أن يؤتى في المدح أو غيره بألوان لقصد الكناية أو التورية لما بين اللونين من التقابل مثال تدبيج الكناية قول أبي تمام[٧١١]:

تَرَدّى ثِيابَ المَوتِ حُمراً فَما أَتى لَها اللَيلُ إِلّا وَهيَ مِن سُندُسٍ خُضرُ

ذكر الحمرة والخضرة وكنّى بالأول عن القتل وبالثاني عن الجنة، وحديث (ما من عبد يموت فيترك صفراء أو بيضاء إلا وجعل الله له بكل قيراط منها صفحة من نار) رواه أحمد[٧١٢]، ومثال الثاني قول الحريري (فمذ أغبر العيش الأخضر، وازور المحبوب الأصفر، اسود يومي الأبيض، وابيض فودي الأسود، حتى رثى لي العدو الأزرق، فيا حبذا الموت الأحمر)[٧١٣]، فالمعنى القريب للمحبوب الأصفر هو الإنسان الذي به صفرة والبعيد هو الذهب وهو المراد فيكون تورية، وقريب منه قولي في إحدى

(٧٠٨) لم نعثر على ديوان للشاعر.

(٧٠٩) ديوان الأعشى: ١٠٩ وفيه:

لا يَرقَعُ الناسُ ما أَوهى وَإِن جَهَدوا طولَ الحَياةِ وَلا يوهونَ ما رَقَعا

(٧١٠) التلخيص: ٨٦.

(٧١١) ديوان أبي تمام: ٨١/٤.

(٧١٢) لم نجد هذا الحديث في مسند أحمد، ورواه الديلمي في الفردوس: ١٢/٤ وفي مسند الشاميين: ٣٩٤/١: (ما من عبد يموت فيترك صفراء أو بيضاء إلا وجعل الله له بكل قيراط منها صفيحة من نار).

(٧١٣) مقامات الحريري: ١١٣.

مقاماتي (وأقمنا ذلك اليوم الأبيض، نمرح في الروض الأخضر، ونسبح في الماء الأسمر، على رغم العدو الأزرق، إلى أن غرب الكوكب الأصفر، وأقبل الشفق الأحمر، فاخضر الأسودان، وافترقنا واجتمع الفرقدان)[٧١٤].

***

المقابلة

وَمِنْهُ نَوْعٌ سُمِّيَ المُقَابَلَهْ ... وَهْيَ مَجِيءُ أَحْرُفٍ مُقَابِلَهْ
تَرَتَّبَ الثَّانِي عَلَى الأَوَائِلِ ... كَمِثْلِ قَوْلِي فِي خِطَابِ العَاذِلِ
اعْفُفْ وَذُمَّ صِلْ وَعِزَّ وَافِقِ ... أَوْ خُنْ وَزَكِّ اقْطَعْهُ هُنْ وَشَاقِقِ
وَقَالَ فِي المِفْتَاحِ مَهْمَا شُرِطَا ... فِي أَوَّلٍ فَالضِّدَّ فِي الثَّانِي اشْرُطَا
قُلْتُ وَذَا المِثَالُ بِالمُفَوَّفِ ... يُسْمَى وَمِنْ أَنْوَاعِهِ عَدَّ الصَّفِي

من الطباق نوع يسمى المقابلة وهي أخصّ منه، وهو أن تذكر لفظين أو أكثر ثمّ أضدادها على الترتيب الأول فالأول كقوله تعالى ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا ﴾ (التوبة: من الآية ٨٢)، وقوله تعالى ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ (الأنعام: من الآية ١٢٥)، وقوله تعالى ﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ (القصص: من الآية ٧٣)، وقوله ﷺ (إنَّ لله عباداً جعلهم مفاتيح للخير مغاليق للشر)[٧١٥]، وقوله ﷺ (ما كان الرفق في شيء إلا زانه وما كان الخرق في شيء إلا شانه) رواه مسلم[٧١٦]، وقوله ﷺ (ما كان الفحش في شيء إلا شانه وما كان الحياء في شيء إلا زانه) رواه الترمذي[٧١٧]، وقوله ﷺ (مروا بالمعروف وإن لم تفعلوه وانهوا عن المنكر وإن كنتم تفعلونه) رواه الطبراني[٧١٨]، ومن

---

(٧١٤) مقامات السيوطي: ١١٦.

(٧١٥) حلية الأولياء: ٣/٢٢٣.

(٧١٦) صحيح مسلم: ٤/٢٠٠٤ وفيه (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه).

(٧١٧) سنن الترمذي: ٤/٣٤٩.

(٧١٨) في المعجم الأوسط: ٦/٣٦٥ وفيه (مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله). وفي المعجم الصغير ٢/١٧٥ (مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به وانهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله).

مقابلة ثلاثة بثلاثة قول أبي دلامة[٧١٩]:

ما أحسَنَ الدِّينَ والدُّنيا إذا اجتَمَعا وأقبَحَ الكُفرَ والإفلاسَ بالرَّجُلِ

قال السكاكي[٧٢٠] إذا شُرِطَ في الأوّل أمرٌ شُرِطَ في الثاني ضدّه كقوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ (الليل: ٥) الآيتين[٧٢١] قابل بين الإعطاء والبخل والاتقاء والاستغناء والتصديق والتكذيب واليسرى والعسرى، ولمّا جعل التيسير في الأوّل مشتركاً بين الإعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده وهو التعسير مشتركاً بين أضدادها وهي البخل والاستغناء والتكذيب، قال الشيخ سعد الدين[٧٢٢]: وعلى هذا لا يكون بيت أبي دلامة من المقابلة لأنّه شرط في الدين والدنيا الاجتماع ولم يشرط في الكفر والإفلاس ضدّه، والآية المذكورة فيها مقابلة أربعة بأربعة وكذا حديث الطبراني في السابق، ومن مقابلة خمسة بخمسة قول المتنبي[٧٢٣]:

أَزورُهُم وَسَوادُ اللَيلِ يَشفَعُ لي وَأَنثَني وَبَياضُ الصُبحِ يُغري بي

وستة بستة قول القائل[٧٢٤]:

على رأس عبدٍ تاجُ عِزٍّ يزينهُ وفي رِجْلِ حرّ قيد ذُلٍّ يَشينهُ

والبيت الذي نظمته في مثال هذا النوع فيه نوع من البديع بينته من زيادتي وهو التفويف ذكره الصفي[٧٢٥] ومتابعوه والطيبي في التبيان[٧٢٦]، وفسروه بأن يؤتى بمعانٍ

---

(٧١٩) البيت في التلخيص: ٨٧، المصباح: ١٩٣، حسن التوسل: ٢٥٠، الإيضاح: ٣٤١/٢، معاهد التنصيص: ٢٠٧/٢، منسوباً لأبي دلامة وهو زند بن الجون الأسدي بالولاء، وهو شاعر من أهل الظرف والدعابة توفي سنة (١٦١هـ).

(٧٢٠) مفتاح العلوم: ٢٠٠.

(٧٢١) والآيات الآتية - وليس آيتين كما ذكر المؤلف - موضع التحليل هي: ﴿ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ (الليل: الآيات ٦ - ١٠).

(٧٢٢) مختصر السعد: ٣٩٠.

(٧٢٣) شرح ديوان المتنبي: ٢٩٠/١.

(٧٢٤) لم نعثر للبيت على نسبة ولم ينسبه في خزانة الأدب: ١٣٢/١.

(٧٢٥) ديوان صفي الدين الحلي: ٤٦٨.

(٧٢٦) التبيان في البيان: ٣٢٤.

ملائمة في جمل مستوية المقدار من قولهم (ثوب مفوّف) إذا فيه خطوط، ومثل له الشيخ بهاء الدين(٧٢٧) بقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ (الشعراء: ٧٨ الآيات(٧٢٨)، وقوله تعالى ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيۡلِ ﴾ (الحج: من الآية ٦١)، ومثّل الصفي(٧٢٩) بقول أبي الطيب المتنبي(٧٣٠):

أَقِل أَنِل أَقطِعِ اِحمِل عَلِّ سَلِّ أَعِد ... زِد هَشَّ بَشَّ تَفَضَّل أَدنِ سُرَّ صِلِ

ومثّل الطيبي بقول الآخر(٧٣١):

فَلَوْ أَنَّ مَا بِي بِالجِبَالِ لَهَدَّهَا ... وَبِالنَّارِ أَطْفَاهَا وَبِالمَاءِ لَمْ يَجْرِ

وَبِالنَّاسِ لَمْ يَحْيَوْا وَبِالدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ ... وَبِالشَّمْسِ لَمْ تَطْلَعْ وَبِالنَّجْمِ لَمْ يَسْرِ

ومثل الأندلسي بقول الآخر(٧٣٢):

يَا مَنْ يُؤَمِّلُ أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ ... كَصِفَاتِ عَبْدِ اللهِ أَنْصِتْ وَاسْمَعِ

اصْدُقْ وَعِفَّ وَبِرَّ وَاصْبِرْ وَاحْتَمِلْ ... وَاحْلُمْ وَدَارِ وَكَافِ وَابْذِلْ وَاشْجَعِ

وأمّا ابن مالك(٧٣٣) وعبد الباقي فجعلاه ثلاثة أقسام: ما تكون جمله قصاراً كبيت أبي الطيب، وطوالاً كبيتي الطيبي، ومتوسطة كبيت الأندلسي، وأمّا ابن خطيب زملكا(٧٣٤) فإنّه فسره بأن تصف المذكور بما يدلّ على مدحه ثمّ بما يدلّ على ذمّه لكن تقرنه بما يشعر بأنّه مدح كقوله(٧٣٥):

---

(٧٢٧) عروس الأفراح: ٢/٣٨٠، وهذا النوع سماه السبكي (التوقيف).

(٧٢٨) والآيات هي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ (الشعراء: الآيات٧٩ - ٨٢).

(٧٢٩) ديوان صفي الدين الحلي: ٤٦٨.

(٧٣٠) شرح ديوان المتنبي: ٣/٢٠٩.

(٧٣١) لم نعثر للبيتين على نسبة والبيتان في التبيان: ٣٢٥ من دون نسبة.

(٧٣٢) البيتان لأبي العثميل عبد الله بن خليد مولى جعفر بن سليمان كان مؤدباً لولد عبد الله بن طاهر توفي سنة (٢٤٦هـ)، العمدة: ٢/٤٥، خزانة الأدب: ٢/٢٤٩.

(٧٣٣) المصباح: ٨٢.

(٧٣٤) التبيان في علم البيان: ١٨٧.

(٧٣٥) البيتان لجرير، ديوانه: ١/٤٦٢ والبيت الثاني فيه:

بهِمْ حَرْبُ الكِرَامِ عَلَى المَوَالِي ... وَفِيْهِمْ عَنْ مَسَاءَتِهِمْ فُتُورُ

هُـــمُ الأَخْـــيَارُ مَنْـــسَكةً وَهَـــدْياً وَفِـــي الهَـــيْجَا كَـــأَنَّهُمُ صُـــقُورُ
فَهُـــمْ حَـــرْبُ الكِـــرَامِ عَلَـــى المَعَالِـــي وَفِـــيْهِمْ عَـــنْ مَـــسَاءَتِهِمْ فُـــتُورُ

***

مراعاة النظير

ثُـــمَّ مُـــرَاعَاةُ النَّظِيـــرِ جَمْـــعُ أَمْـــرٍ وَمَـــا نَاسَـــبَهُ وَيَدْعُـــو
تَنَاسُـــباً فَـــإِنْ مُنَاسِـــبٌ خُـــتِمْ مُبْـــتَدَأً تَـــشَابَهَ الأَطْـــرَافِ سَـــمّ

مراعاة النظير ويسمى أيضاً التناسب كما في النظم والتوفيق كما في التلخيص(٧٣٦) والائتلاف والمؤاخاة إن تجمع أمراً وما يناسبه لا بالتضاد وهو أصناف: الأول أن يناسب اللفظ المعنى كقول زهير(٧٣٧):

أَثافِـيَّ سُـفعاً فـي مُعَـرَّسِ مِـرجَلٍ وَنُـؤياً كَجِـذمِ الحَـوضِ لَـم يَتَـثَلَّمِ
فَلَمّـا عَـرَفتُ الـدارَ قُلـتُ لِـرَبعِها أَلا عِـم صَـباحاً أَيُّهـا الـرَّبعُ وَاسـلَمِ

فأتى في البيت الأول لكون معانيه أعرابية بألفاظ غريبة وأتى في البيت الثاني لكونها عرفية بألفاظ مستعملة ومثال ذلك من الحديث حديث الصحيحين (ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر)(٧٣٨)، وفي رواية أحمد (أهل النار كل جعظري جواظ)(٧٣٩)، وفي رواية أبي نعيم (كل شديد قعبري مستكبر)(٧٤٠)، أتى في أهل الجنة بألفاظ سهلة رقيقة وفي أهل النار بألفاظ فجة شديدة وليس في التلخيص تعرض لهذا القسم.

---

(٧٣٦) التلخيص: ٨٨.

(٧٣٧) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: ٧.

(٧٣٨) في صحيح البخاري (ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر) ٤/١٨٧٠، وفي صحيح مسلم (ألا أخبركم بأهل الجنة قالوا بلى قال ﷺ: كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ثم قال ألا أخبركم بأهل النار قالوا بلى قال كل عتل جواظ مستكبر) ٤/٢١٩٠.

(٧٣٩) مسند أحمد: ٣/١٤٥.

(٧٤٠) لم نجد هذا الحديث في حلية الأولياء، وقد وجدنا لفظ (القعبري) في حديث (كل شديد قعبري) في: التاريخ الكبير، البخاري: ٨/٨٢، الآحاد والمثاني، أبو بكر الشيباني: ٥/٢٧٧.

الثاني: أن يناسب اللفظ اللفظَ كقول البحتري في وصف الإبل التي أنحلها السير[٧٤١]:

كَالقِسي المُعَطَّفاتِ بَلِ الأَسـ ـهُمِ مَبرِيَّةً بَلِ الأَوتارِ

فإنّه لمّا شبّه الإبل بالقسي في الرقة والانحناء وأراد تكرير التشبيه كان بالعراجين وبنون الخط لوجود ذلك فيها فآثر الأسهم والأوتار لمناسبة لفظ القسي، وكذا قول ابن رشيق[٧٤٢]:

أَصَحُّ وَأَقْوى ما سَمِعْناهُ في النَّدى مِنَ الْخَبَرِ المَأْثُورِ مُنْذُ قَديمِ
أَحاديثُ تَرْويها السُّيُولُ عَنِ الْحَيا عَنْ البَحْرِ عَنْ كَفِّ الأَمِيرِ تَميمِ

فيه مناسبة بين الصحة والقوة والسماع والخبر والأحاديث والرواية، ثم بين السيل والحيا وهو المطر والبحر وكف تميم مع ما فيه من رعاية العنعنة إذ جعل الرواية لصاغر عن كابر كما يقع في مسند الأحاديث فإنّ السيول أصلها المطر والمطر أصله البحر كما قيل[٧٤٣]:

كَالبَحْرِ يُمْطِرُهُ السَّحَابُ وَمَا لَهُ فَضْلٌ عَلَيْهِ لأَنَّهُ مِنْ مَائِهِ

وكذا قول الآخر في غلام معه خادم يحرسه[٧٤٤]:

وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ يَحْرُسُوكَ بِخَادِمٍ وَخُدَّامُ هَذَا الحُسْنِ مِنْ ذَاكَ أَكْثَرُ
عِذَارُكَ رَيْحَانٌ وَثَغْرُكَ جَوْهَرٌ وَخَدُّكَ يَاقُوتٌ وَخَالُكَ عَنْبَرُ

ومثاله من الحديث (ذو الوجهين في الدنيا وذو اللسانين في النار) رواه أبو داود وغيره[٧٤٥].

الثالث: أن يناسب المعنى المعنى بأن يؤتى في آخر الكلام بما يناسب أوَّله معنى، وهذا النوع يسمى تشابه الأطراف كقوله تعالى ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ

---

(٧٤١) ديوان البحتري: ٢/٩٨٧.

(٧٤٢) البيتان في التحرير والتحبير: ٣٦٦، الطراز: ٣/١٧٤، نهاية الإرب: ٧/١٥٨.

(٧٤٣) البيت لهبة الله بن الحسين بن أحمد البغدادي المعروف بالبديع الأسطرلابي، كان أديباً فاضلاً وشاعراً بارعاً حكيماً عارفاً بالطب والرياضة والفلك، توفي سنة (١٣٤هـ)، معجم الأدباء: ٩/٢٧٥.

(٧٤٤) البيت لابن زيلاق الموصلي، ديوانه: ١٠٢، والبيت الثاني فيه:

عِذَارُكَ رَيْحَانٌ وَثَغْرُكَ جَوْهَرُ وَخَالُكَ يَاقُوتٌ وَخَدُّكَ عَنْبَرُ

(٧٤٥) لم نجد هذا الحديث عند أبي داود وذكره الديلمي في الفردوس: ٢/٢٤٦.

ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (الأنعام: ١٠٣) فإن (اللطيف) يناسب ما لا يدرك بالبصر والخبرة تناسب ما يدرك، وقد حكي أنَّ أعرابياً سمع قارئاً (فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا إنَّ الله غفور رحيم)(٧٤٦)، ولم يكن يقرأ القرآن فقال: إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه.

***

تنبيه:

لو ذكر الشيء مع ما لا يناسبه كان عيباً وإن كان جائزاً كقول أبي نواس(٧٤٧):

وَقَـــد حَلَفـــتُ يَميـــناً مَبـــرورَةً لا تُكَـــذَّبْ
بِـــرَبِّ زَمـــزَمَ وَالحَـــو ضِ وَالـــصَفا وَالمُحَـــصَّبْ

قال أبو جعفر الأندلسي عابوا عليه ذكر الحوض مع زمزم والصفا والمحصب فإنه غير مناسب وإنّما يناسب ذكر الحوض مع الميزان والصراط وشبههما من أحوال القيامة، قلت وكأنّه أراد حوض زمزم الذي يسقى منه ولو قال بدله: (والبيت)، لَسَلِم، قال الأندلسي وكذا لو جاء بمتناسبين فأفرد أحدهما وثنى الآخر أو جمعه فهو عيب كقوله(٧٤٨):

ألاَ يَـا ابْـنَ الـذينَ فَـنَوْا وَمَاتُـوا أمَـا والله مَـا مَاتُـوا لِتَبْقَـى
وَمَالُـكَ فَـاعْلَمَنْ فِـيها بَقَـاءٌ إذَا اسْـتَكْمَلْتَ آجَـالاً وَرِزْقَـا

قال فجمع الأجل وأفرد الرزق وهما متناسبان لا يوجد أحدهما بدون الآخر وكان الأولى خلافه، قلت المختار أنّ ذلك ليس بعيب.

وقد تقدّم عقب الالتفات من زوائدي أنّ تفنن الخطاب بذلك من البلاغة وقد ورد من ذلك في القرآن كثير قال تعالى ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾ (البقرة: من الآية ٧) فأفرد السمع وجمع الآخرين، وقال تعالى ﴿ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ

---

(٧٤٦) والآية كما في القرآن: ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾ (البقرة: ٢٠٩)، وقد أحسّ الأعرابي بأنّ لأسماء الله الحسنى سياقات تلائمها.

(٧٤٧) ديوان أبي نواس: ٧٢٤.

(٧٤٨) البيتان لأبي نواس كما في المثل السائر: ١٨٥/٣، وهما غير موجودين في ديوانه.

عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ ﴾ (النحل: من الآية ٤٨).

***

الإرصاد

وَمِـــنْهُ الإرْصَـــادُ وَذَا أنْ تَجْعَـــلا   مِـنْ قَـبْلُ عَجْـزَ البَـيْتِ مَـا دَلَّ عَلَـى
تَمَامِـــهِ إذَا الـــرَوِيُّ عُـــرِفَا   وَالـبَعْضُ بِالتَّـسْهِيمِ هَـذَا وَصَــفَا
قُلْــتُ بِــشَرْطِ أنْ يَكُــوَن اللَّفْــظُ دَلّ   فَــإنْ يَــكُ المَعْنَــى فَتَوْشِــيحٌ أجَــلّ

الإرصاد لغة مصدر أرصدت الشيء إذا أعددته، واصطلاحاً أن يكون فيما تقدم من البيت أو النثر دليل على آخره إذا عرف الروي فكأنّه أرصد الكلام الأوّل لمعرفة آخره، ومنهم من يسميه التسهيم من سهمت الشيء أي صوبته كأنّه صوب الكلام الأوّل لقصد الدلالة على الآخر، وهو قسمان: أحدهما أن تكون دلالته لفظية نحو ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخۡتَلَفُواْ ﴾ (يونس: من الآية ١٩) الآية[٧٤٩] فدل قوله (فاختلفوا) مع قوله (لقضي) على أن الفاصلة (يختلفون)، وكذا قوله جلّ وعَلا ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ (العنكبوت: من الآية ٤٠)، وقول زهير[٧٥٠]:

سَـئِمتُ تَكالـيفَ الحَـياةِ وَمَـن يَعِـش   ثَمانــينَ حَــولاً لا أَبــا لَــكَ يَــسأَمِ

الثاني: أن تكون معنوية كقوله تعالى ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ ﴾ (آل عمران: من الآية ٣٣) الآية[٧٥١]، فإن (اصطفى) يدل على أن الفاصلة (العالمين) لا باللفظ، لأنّ لفظ (العالمين) غير لفظ (اصطفى) ولكن بالمعنى، لأنّه يعلم من جهته أنّ من لوازم اصطفاء الشيء أن يكون مختاراً على جنسه، وجنس هؤلاء المصطفين العالمون، وأوردوا ههنا الحديث أنّه لما نزل ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾ (المؤمنون: ١٢)

---

(٧٤٩) وتمامها قوله تعالى ﴿ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ (يونس: من الآية ١٩).

(٧٥٠) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: ٢٩.

(٧٥١) والآية كاملة قوله تعالى ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (آل عمران: ٣٣).

الآيات[٧٥٢]، قال بعض الصحابة: تبارك الله أحسن الخالقين قبل أن يسمعها فقال النبي ﷺ بها ختمت، وقد روى أن قائل ذلك عمر رضي الله تعالى عنه وهي معدودة من موافقاته أخرجه ابن أبي حاتم، وروى إسحاق بن راهويه في مسنده والطبراني في معجمه من حديث زيد بن ثابت أنه معاذ بن جبل[٧٥٣].

ثم نبهت من زيادتي على التوشيح وقد اختلف فيه فقيل هو القسم الثاني من التسهيم وهو ما كانت دلالته معنوية، وقال الشيخ بهاء الدين[٧٥٤]: وهو ما كان فيه اللفظ الدال على القافية أول البيت، قال: فالتسهيم أعم، وعلى الأول مشى ابن مالك في المصباح[٧٥٥] فقال هو أن تكون في الصدر كلمة إذا عرفت معناها عرفت منه القافية لكونه من جنس معنى القافية أو ملزوماً ثم مثل بآية ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ (آل عمران: من الآية ٣٣).

***

المشاكلة

وَمِـــنْهُ مَـــا يَدْعُـــونَهُ المُـــشَاكَلَهْ ... أَنْ يُذْكَـرَ الـشَّيْءُ بِلَفْـظٍ لَـيْسَ لَـهْ

لِكَـــوْنِ صُـــحْبَتِهِ تَحْقِـــيقاً اوْ ... مُقَـــدَّراً وَمَكَـــرَ اللهُ تَلَـــوْا

وَقَــوْلُهُمْ قَالُــوا اقْتَــرِحْ شَــيْئاً نُجِــدْ ... قُلْـتُ اطْـبُخُوا لِـي جـبَّةً بَـيْتٌ عُهِـدْ

المشاكلة لغة المماثلة، واصطلاحاً ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته حقيقاً أو تقديراً، وقال بعضهم ذكره بلفظ مصاحبه لوقوعه في صحبته، قال واحترزنا بقولنا (لوقوعه في صحبته) عن الجناس التام والمجاز، فإنك إذا قلت (مال زيد)، لمن بذل المال فقد عبرت عن الثاني بلفظ مصاحبه ولكن لا لأجل المصاحبة بل لكون الواضع وضعه للثاني حقيقة كما وضعه للأول وإذا قلت (قتل الأسد، من كان أسداً؟) وأنت

---

(٧٥٢) وهي قوله تعالى ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝ ﴾ (المؤمنون: ١٣ – ١٤).

(٧٥٣) المعجم الأوسط: ٥/٥٦ وينظر: أسباب النزول: ٢٨٣.

(٧٥٤) عروس الأفراح: ٤/٢٣٥.

(٧٥٥) المصباح: ٩١.

تعني بالأول السبع وبالثاني الشجاع فقد عبرت عن الثاني بلفظ الأول لا للمصاحبة بل لوجه من وجوه المجاز، قال فالمشاكلة إذن لا حقيقة ولا مجاز، أما الأول فلأن الطبخ مثلاً في البيت الآتي لا يدلّ على الخياطة وضعاً، وأما الثاني فلعدم العلاقة المعتبرة، قال وإن أورد أن الواسطة لم يقولوا بها حيث قسموا اللفظ إلى حقيقته ومجاز، قلنا هو تقسيم باعتبار اللفظ مع معناه وهذا باعتباره مع مشاكله لا بالنظر إلى وضع اللفظ للمعنى، قلت هذا الكلام يحتاج إلى تأمل وفحص والذي يظهر في بادئ الرأي أنها مجاز وما ادعاه من عدم العلاقة ممنوع، ويكفي في العلاقة المصاحبة، مثال التحقيقي قوله تعالى: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾(المائدة: من الآية ١١٦)، ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾(آل عمران: من الآية ٥٤)، فإنّ إطلاق النفس والمكر في جانب الباري تعالى إنّما هو للمشاكلة وكذا قوله تعالى ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ (الشورى: من الآية ٤٠)، إذ الجزاء لا يوصف بكونه سيئة لأنّه حق، وفي الحديث (خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا) رواه الشيخان[٧٥٦]، المعنى لا يقطع فضله عنكم، وقول الشاعر[٧٥٧]:

قَالَ اقْتَرِحْ شَيْئاً نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ قُلْتُ اطْبُخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصا

أي أخيطوا لي، ومثال التقديري قوله تعالى ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة: من الآية ١٣٨) أي تطهير الله لأنّ الإيمان يطهر النفوس والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون إنه تطهير لهم[٧٥٨] فعبر عن الإيمان بصبغة الله للمشاكلة بهذه القرينة.

***

تنبيه:

الغالب تأخير اللفظ الذي تقع به المشاكلة عما يشاكله كما تقدم، وقد يتقدّم كقوله تعالى ﴿ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ (البقرة: من الآية ١٩٤).

---

(٧٥٦) صحيح البخاري: ٣٨٦/١، صحيح مسلم: ٥٤٠/١.

(٧٥٧) البيت لابن الرقمق، التلخيص: ٨٩، الإيضاح: ٣٤٨/٢، المصباح: ١٩٦.

(٧٥٨) ينظر: العجاب في الأسباب، العسقلاني: ٢٠٠.

المزاوجة

ثُمّ المُزَاوَجَةُ إنْ زَاوَجَ فِي ... الشَّرْطِ وَالجَزَا لِمَعْنىً قَدْ يَفِي

المزاوجة ويقال: الازدواج، وأصله اقتران الشيئين أن يؤتى في كل واحد من الشرط والجزاء بأمرين مزدوجين كقول البحتري[٧٥٩]:

إِذا ما نَهى الناهي فَلَجَّ بِيَ الهَوى ... أَصاخَت إِلى الواشي فَلَجَّ بِها الهَجرُ

وقوله[٧٦٠]:

إِذا احتَرَبَت يَوماً فَفاضَت دِماؤُها ... تَذَكَّرَتِ القُربى فَفاضَت دُموعُها

فإن كان الشرط مزدوجاً دون الجواب لم يُسمَّ بذلك كقوله تعالى ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ (البقرة: ٨١)، ومثاله من الحديث ما رواه أبو يعلى من حديث أبي موسى (من أكل فشبع وشرب فروى فقال الحمد لله الذي أطعمني فأشبعني وسقاني فأرواني خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)[٧٦١]، فوقعت في الشرط مزاوجات كثيرة لطيفة وبيان الازدواج في الجواب أن يقدر خرج من ذنوبه فهو كيوم ولدته أمه، وروى الشيخان حديث (من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه)[٧٦٢]، وروى الطبراني من حديث أنس (من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم يومئذ وكان له بعدد من دفن فيها حسنات)[٧٦٣].

***

العكس

وَالعَكْسُ تَأْخِيرُ الذي قُدِّمَ فِي ... أَحَدِ طَرَفَيْ جُمْلَةٍ إنْ تُضَفِ

أَوْ جُمْلَتَيْنِ اسْمِيَّتَيْنِ أَوْ جَلاَ ... فِعْلِيَّتَيْنِ وَالرُّجُوعُ إنْ عَلَى

---

(٧٥٩) ديوان البحتري: ٢/٨٤٥.

(٧٦٠) المصدر نفسه: ٢/ ١٢٩٩.

(٧٦١) مسند أبي يعلى: ١٢/٢٢١.

(٧٦٢) صحيح البخاري: ٢/٦٨٢، صحيح مسلم: ٢/٨٠٩.

(٧٦٣) لم نجد الحديث في كتب الطبراني، وقد روي في تحفة الأحوذي: ٣/٢٧٥، وفيه: (من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم وكان له بعدد من دفن فيها حسنات).

كَلامُهُ السَّابِقُ قَدْ يَعُودُ لِنَقْضِهِ لِنُكْتَةٍ يُرِيدُ
قُلْتُ وَمِنْهُ السَّلْبُ وَالإيجَابُ إنْ مِنْ جِهَتَيْن اشْتَمَلاهُ حَيْثُ عَنْ
وَمِنْهُ مَدْحُ الشَّيْءِ ثُمَّ ذَمُّهُ أَوْ عَكْسُهُ تَغَايُرٌ يَعُمُّهُ

في هذه الأبيات أنواع: أحدها العكس ويسمى التبديل، وهو أن يقدم في الكلام جزء ثم يؤخر وهو أنواع:

الأول أن يقع بين أحد طرفي جملة وما أضيف إليه نحو (قول الإمام إمام القول) و(عادات السادات سادات العادات)، وحديث (محرم الحلال كمحلل الحرام) رواه الطبراني[٧٦٤].

الثاني: أن يقع بين لفظين في طرفي جملتين اسميتين نحو قوله تعالى ﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ (الممتحنة: من الآية ١٠).

الثالث: أن يقع بين متعلقَيْ فعلين في جملتين نحو ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ (يونس: من الآية ٣١)، وقد يقع بين متعلقَيْ اسمية وفعلية كقوله ﷺ (لست من دد ولا دد مني) رواه الطبراني[٧٦٥].

النوع الثاني: الرجوع وهو أن يرجع المتكلم عن الكلام السابق بالنقض بأن ينفي مثبتاً أو يثبت منفياً، وإنما يكون لنكتة وإلا فهو كذب محض مثاله قول زهير[٧٦٦]:

قِفْ بِالدِيارِ الَّتي لَم يَعفُها القِدَمُ بَلى وَغَيَّرَها الأَرواحُ وَالدِيَمُ

والنكتة فيه أنه يبين برجوعه دهش عقله وعند رؤية ديار أحبّته فلم يعرف ما يقول وتوهّم ما ليس بصحيح فلمّا راجعه عقله رجع بالنقض عن الكلام الأول.

الثالث: السلب والإيجاب نبهت عليه من زيادتي وقد ذكر ابن أبي الإصبع[٧٦٧] أنه من مستخرجاته ولكنه سبقه إليه العسكري[٧٦٨]، وعرفه العسكريّ بأن يبني المتكلم كلامه على نفي شيء من جهة وإثباته من جهة أخرى كقوله تعالى ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ

(٧٦٤) المعجم الكبير: ١٧٢/٩، وفيه (محرم الحلال كمستحل الحرام).

(٧٦٥) المعجم الأوسط: ١٣٢/١.

(٧٦٦) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: ١٤٥.

(٧٦٧) تحرير التحبير: ٥٩٣.

(٧٦٨) كتاب الصناعتين: ٤٠٥.

وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾ (الإسراء: من الآية ٢٣)، قال الشيخ بهاء الدين[٧٦٩]: وهو راجع إلى الطباق، وقال ابن حجة[٧٧٠]: هو بمعنى الرجوع وفسره ابن أبي الإصبع بأن يقصد المادح إفراد ممدوحه بصفة لا يشركه فيها غيره فينفيها في أول كلامه عن الناس ويثبتها لممدوحه كقول الخنساء[٧٧١]:

فَمــا بَلَغَــت كَــفُّ اِمــرِئٍ مُتَــناوِلاً ... مِنَ المَجدِ إِلّا حَيثُ ما نِلتَ أَطوَلُ
وَمَـا بَلَـغَ المُهـدونَ للـناس مِدحَـةً ... وإن أطْنَـبُوا إلا الَّـذي فـيكَ أَفـضَلُ

الرابع: التغاير وذكرته من زيادتي ويسمى التلطف أيضاً، وهو أن يغاير ما كان عليه بأن يمدح الشيء ثم يذمه أو بالعكس كقول الصفي بعد أن شكا من العذال[٧٧٢]:

والله يَكْــلاً عذالــي ويلهمهـــم ... عذلـي فقـد فـرحوا قلبـي بذكـرهمِ

***

الإيهام

وَمِــنْهُ الايهَــامُ وَيُدْعَــى الــتَّوْرِيَهْ ... وَفَــضَّلُوا ذَا الــنَّوْعَ ثُــمَّ تَالِــيَهْ
إطْــلاَقُ لَفْــظِ شِــرْكَةٍ وَيُقْــصَدُ ... بَعِــــيدُهُ فَـــتَارَةً يُجَـــرَّدُ
مِمَّـــا يُلائِـــمُ القَـــريبَ كاسْـــتَوَى ... ثُــمَّ المُرَشَّــحُ الــذي لَــهُ حَــوَى
قُلْــتُ لَقَــدْ قَــصَّرَ فِــي بَــيَانِهَا ... فَلَــيْسَ فِــي الــبَدِيعِ مِــثْلُ شَــانِهَا
فَكُـــلُّ مَـــا بِـــلازِمٍ لا يَقْتَـــرِنْ ... لاَ لِقَــريبٍ أوْ بَعِــيدٍ قَــدْ زُكِــنْ
فَهْــيَ التــي تَجَــرَّدَتْ وَأُلْحِقَــا ... مَــا اللازِمَــانِ اسْــتَوَيَا وَاتَّفَقَــا
وَسَــمِّ مَــا بِــلاَزِمِ الــذي دَنَــا ... مُرَشَّـــحاً وَضِـــدُّهُ مُبَيَّـــنَا
كِلاَهُمَــا مِــنْ قَــبْلُ أوْ بَعْــدُ ذُكِــرْ ... ثُــمَّ المُهَــيَّاةُ فَمَــا لاَ تَــسْتَقِرّ

---

(٧٦٩) عروس الأفراح: ٢/٢٢٨.

(٧٧٠) خزانة الأدب: ٢/٢٦٨.

(٧٧١) شرح ديوان الخنساء: ٧٦، وفيه:

فَمـا بَلَغَـت كَـفُّ اِمـرِئٍ مُتَـناوِلٍ ... مِنَ المَجدِ إِلّا حَيثُ ما نِلتَ أَطوَل
وَمَـا بَلَـغَ المُهـدونَ فـي القـول مِدحَـةً ... وإلا صـدّقوا إلا الَّـذي فـيكَ أَفـضَلُ

(٧٧٢) ديوان صفي الدين الحلي: ٤٦٩.

إلاَّ بِلَفْظٍ قَبْلَهَا أوْ بَعْدَهَا أوْ لَفْظَتَيْنِ فَقْدُ لَفْظٍ فَقْدُهَا

التورية، ويقال لها الإيهام بالتحتية والتخييل فن عظيم وباب منيع، وهي والاستخدام أفضل أنواع البديع، كما نبّهت عليه في النصف الثاني من البيت وهو من زيادتي و(ثمّ) فيه للترتيب الذكري لا المعنوي لأنّ الأندلسي صرّح بأنّ الاستخدام أجلّ من التورية وأعذب وألطف وإن كان المختار عندي أنهما سيّان، وأصل التورية مصدر وريت الخبر إذا سترته وأظهرت غيره كأنه مأخوذ من وراء الإنسان كأنّ المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر، وحدُّها أن يذكر لفظ له معنيان وهو المراد بقولي (لفظ شركة) والمراد الشركة المعنوية أعم من أن يكونا حقيقتين أو أحدهما حقيقة والآخر مجازاً، لا الشركة الأصولية فإنّ ذلك لا يكون في المجاز، ويكون أحد المعنيين قريباً أي ظاهراً بحسب العرف والآخر بعيداً ويقصد البعيد ويورى عنه بالقريب فيتوهمه السامع من أول وهلة ولذلك سُمِّي أيضاً بالإيهام، ثمَّ تارةً لا يذكر فيها شيء من لوازم الموري به وهو القريب فتُسمَّى مجردة وتارةً يذكر فتُسمَّى مُرَشَّحة، هذا ما ذكره صاحب التلخيص(٧٧٣)، ولعمري لقد قصّر في شأن التورية وما أنصفها حيث أخلّ بأقسامها وهي أعظم أنواع هذا الفن وأجله، قال الزمخشري(٧٧٤): ولا ترى باباً في البيان أدق ولا ألطف من التورية ولا أنفع ولا أعون على تأويل المتشابهات في كلام الله تعالى ورسوله ﷺ ومن ذلك قوله تعالى ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾ (طه: ٥)، فإن الاستواء على معنيين: الاستقرار في المكان وهو المعنى القريب الموري به الذي هو غير مقصود لتنزيه الحق تعالى عنه، والثاني الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المقصود الذي وري عنه بالقريب المذكور انتهى، ومن ذلك قول أبي بكر رضي الله تعالى عنه في الهجرة وقد سئل عن النبي ﷺ (مَنْ هذا؟)، فقال: (رجل يهديني إلى السبيل)(٧٧٥)، أراد يهديني إلى الإسلام فورى عنه بهادي الطريق وهو الدليل في السفر،

(٧٧٣) التلخيص: ٩٠.

(٧٧٤) لم نعثر على هذا في الكشاف الذي وردت فيهل لفظة (التورية) ثلاث مرات، كذلك في أساس البلاغة مادة - وري - .

(٧٧٥) صحيح البخاري: ١٤٢٣/٣، وفيه (أقبل نبي الله ﷺ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر وأبو بكر شيخ يعرف ونبي الله ﷺ شاب لا يعرف قال فيلقى الرجل أبا بكر فيقول يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك فيقول هذا الرجل يهديني السبيل)

قال ابن حجة(٧٧٦): وكانت خواطر المتقدمين عن التورية بمعزل وأفكارهم مع صحتها ما خيمت عليها بمنزل وربما وقعت لهم عفواً من غير قصد، وأوّل من كشف غطاءها وجلا ظلمة إشكالها المتنبي وتلاه أبو العلاء فأتى بها على عقادة وتكلف، ثم القاضي الفاضل وهو الذي كشف بعد طول التحجب ستر حجابها ثمّ تداولها الناس بعده فسموا إلى أفقها واطلعوا شموسها.

وقسموا التورية على أربعة أقسام: مجردة ومرشحة ومبينة ومهيأة، وكل من هذه الأربعة قسمان فالمجردة هي التي لم يذكر فيها شيء من لوازم القريب المورى به ولا البعيد المورى عنه كالآية السابقة وقول أبي بكر السابق، وقول إبراهيم عيه السلام لما سأله الجبار عن زوجته (هذه أختي) أراد أخوّة الإسلام وقول ابن عبد الظاهر يصف وادياً(٧٧٧):

وَبَطْحَاءَ مِنْ وَادٍ يَرُوقُكَ حُسْنُهُ ... وَلاَ سِيَّمَا إنْ جَادَ غَيْثٌ مُبْكِرُ
بِهِ الفَضْلُ يَبْدُو وَالرَّبِيعُ وَكَمْ غَدَا ... بِهِ العَيْشُ يَحْيَى وَهْوَ لا شَكَّ جَعْفَرُ

فالتورية وقعت في الفضل والربيع ويحيى وجعفر والاشتراك في كل من الأربعة، وقول ابن زيلاق وقد أهدى لبدر الدين لؤلؤ حملاً(٧٧٨):

يَا أيُّهَا المَوْلَى الَّذي ... بِبَابِهِ كُلُّ أمَلْ
لَوْ لَمْ تَكُنْ بَدْراً لَمَا ... أهْدَى لَكَ الثَّوْرُ الحَمَلْ

وقعت التورية بالبدر والثور والحمل وهي مشتركة بين بدر السماء واسم الممدوح والثور والحمل بين البرجين والحيوانين، وقد وجدت من هذا في الحديث قوله ﷺ (الحجر الأسود يمين الله في أرضه فمن لم يدرك بيعة النبي ﷺ فمسح الحجر فقد بايع الله)(٧٧٩)، ويلحق بهذا النوع ما كان فيها لازمان فتكافآ ولم يترجح أحدهما على الآخر فكأنّهما لم يذكرا وصار معنى القريب والبعيد بذلك في درجة واحدة، قلت

(٧٧٦) خزانة الأدب: ٤١/٢.
(٧٧٧) البيتان في خزانة الأدب: ٣٤٦/٢.
(٧٧٨) ديوان الشهيد ابن زيلاق الموصلي: ١٣٣.
(٧٧٩) مسند الفردوس: ١٥٩/٢، وفيه: (الحجر يمين الله في الأرض فمن مسح يده على الحجر فقد بايع الله أن لا يعصيه).

وينبغي أن تسمى هذه مقترنة كقول البحتري(٧٨٠):

وَوَراءَ تَسْدِيَةِ الوُشَاةِ مَلِيَّةٌ بِالحُسنِ تَملُحُ في القُلوبِ وَتَعذُبُ

تعارض اللازمان في (تملح) فإنّه يحتمل أن يكون من الملوحة ولازمه (تعذب) وهو المعنى القريب، وأن يكون من الملاحة ولازمه (ملية بالحسن) وهو البعيد المورى عنه وقول ابن الوردي(٧٨١):

قَالَتْ إذَا كُنْتَ تَهْوى أُنْسِي وَتَخْشَى نُفُورِي
صِفْ وَرْدَ خَدِّي وَإلاَّ أجُورُ نَادَيْتُ جُورِي

وأما المرشحة فهي التي يذكر فيها لازم المورى به قبل لفظ التورية أو بعده، سميت بذلك لتقويتها به لأن المورى به غير مراد فكأنّه ضعيف فإذا ذكر لازمه تقوّى به، فالأول وهو ما ذكر اللازم من قبل كقوله تعالى ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ ﴾ (الذاريات: من الآية ٤٧) فإنه يحتمل الجارحة وهو المورى به وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح البنيان ويحتمل القوة والقدرة وهو البعيد المقصود، ومنه قول ابن دانيال الكحال(٧٨٢):

يَا سَائِلي عَنْ حِرْفَتِي فِي الوَرَى وَصَنْعَتِي فِيهِمْ وَإفْلاَسِي
مَا حَالُ مَنْ دِرْهَمُ إنْفَاقِهِ يَأْخُذُهُ مِنْ أعْيُنِ النَّاسِ

فقوله (أعين الناس) يحتمل الحسد وضيق الأعين وهو المورى به ولازمه درهم الإنفاق لأنّه من لوازم الحسد، ويحتمل العيون التي يلاطفها بالكحل وهو المورى عنه. وقول ابن نباتة في مليح له عمّ وعلى وجنته خال(٧٨٣):

لَوْلاَ سَطَا عَمُّهُ لَفُزْنَا وَيْلاَهُ مَنْ عَمُّهُ وَخَالُهْ

فـ(الخال) معناه البعيد النقطة والقريب أخو الأم والعم ترشيح له، والثاني وهو ما ذكر بعد كقول الشاعر(٧٨٤):

---

(٧٨٠) ديوان البحتري: ١/ ٧٢.

(٧٨١) ديوان ابن الوردي: ٤٠٧، وفيه:

قَالَتْ إذَا كُنْتَ تَرْجُو أُنْسِي وَتَخْشَى نُفُورِي

(٧٨٢) المختار من شعر ابن دانيال: ٩٢ – ٩٣.

(٧٨٣) البيت غير موجود في ديوان ابن نباتة المصري، ولا ديوان ابن نباتة السعدي.

(٧٨٤) لم نعثر للبيتين على نسبة ولم ينسبهما في خزانة الأدب: ٢/٢٤٦.

مُـذْ هِمْـتُ مِـنْ وَجْـدِيَ فِـي خَالِهَـا ... وَلَـمْ أصِـلْ مِـنْهُ إلَـى اللَّـثْمِ

قَالَـتْ قِفُـوا وَاسْـتَمِعُوا مَـا جَـرَى ... خَالِـي قَـدْ هَـامَ بِـهِ عَمِّـي

ذكر العم بعد الخال ترشيحاً له، وقول الآخر(٧٨٥):

أقْلَعْـتُ عَـنْ رَشْـفِ الطِّلَـى ... واللـثْمِ فِـي ثَغْـرِ الحَـبَبْ

وَقُلْـتُ هَـذِي رَاحَـةٌ ... تَسُوقُ لِلقَلْـبِ الـتَّعَبْ

فـ(راحة) معناها القريب ضد التعب وقد ذكر بعدها ترشيحاً لها والبعيد وهو المورى به الخمر. وأمّا المبينة فهي ما ذكر فيها لازم المورى عنه قبل أو بعد، سميت بذلك لتبين المورى عنه بذكر لازمه إذا كان قبل ذلك خفياً أنه المعنى فلما ذكر لازمه تبين، فالأول كقول شيخ الشيوخ الحموي(٧٨٦):

قَالُـوا أمـا فـي جلَّـقٍ نُـزْهةٌ ... تُنسِيك مَـنْ أَنْـتَ بِـهِ مُغْـرَى

يـا عَاذلـي دُونَـكَ مِـنْ لَحْظِـهِ ... سَـهْماً ومِـنْ عارِضِـهِ سَـطْرَا

فالسهم والسطر موضعان من منتزهات دمشق وذلك البعيد المورى عنه وذكر النزهة بجلق قبلهما مبين لهما والقريب سهم اللحظ وسطر العارض، وقلت في ذلك أرثي غصوناً أم أولادي رحمها الله تعالى:

يَـا مَـنْ رَآنـي بِالهُمُـومِ مُطَـوَّقاً ... وَظَلَلْتَ مِنْ فَقْدِي غُصُوناً فِي شُجُونْ

أتَلُومُنِـي فِـي عَظْـمِ نَوْحِـي وَالـبُكَا ... شَـأْنَ المُطَـوَّقِ أنْ يَنُوحَ عَلَى غُصُونْ

والثاني كقول ابن سناء الملك(٧٨٧):

أمَـا وَاللهِ لَـوْلاَ خَـوْفُ سَـخْطِكْ ... لَهَـانَ عَلَـيَّ مَـا ألْقَـى بِـرَهْطِكْ

مَلَكْـتَ الخَافِقَـيْنِ فَـتِهْتُ عُجْـباً ... وَلَـيْسَ هُمَـا سِـوَى قَلْبِـي وَقِـرْطِكْ

فـ(الخافقين) يحتمل القرط والقلب وهو البعيد وقد بينه بعدُ والمشرق والمغرب وهو المورى به.

وأمّا المهيأة فما لا تقع التورية فيه ولا تتهيأ إلا بلفظ قبلها أو بعدها أو تكون

---

(٧٨٥) لم نعثر للبيت على نسبة

(٧٨٦) هو الصاحب شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عيد المحسن الأنصاري ت(٦٦٣هـ)، الأشباه والنظائر، الخالديان:

(٧٨٧) ديوان ابن سناء الملك: ٤/٥.

التورية في لفظين لولا كل منهما لما تهيأت التورية وهو معنى قولي (فقد كل فقدها) أي يوجب فقدها، فالأول وهو ما يتهيأ بلفظ قبل كقول ابن سناء[٧٨٨]:

وَسَــيْرُكَ فِيــنَا سِــيْرَةً عُمَــرِيَّةً فَرَوَّحْتَ عَنْ قَلْبِي وَفَرَّجْتَ عَنْ كَرْبِي

وَأظْهَــرْتَ فِيـنَا مِــنْ سِــمَاتِكَ سُـنَّةً فَأظْهَرْتَ ذَاكَ الفَرْضَ مِنْ ذَلكَ النَّدْبِ

فـ(الفرض) و(الندب) معناهما القريب الحكمان الشرعيان، والبعيد الفرض بمعنى العطاء والندب الرجل السريع في قضاء الحوائج، ولولا ذكر السنة لما تهيأت التورية ولا فُهم الحكمان، والثاني وهو ما تهيأ بلفظ بَعْدُ كقول علي ﷺ في الأشعث بن قيس (إنه كان يحوك الشمال باليمين)، فالشمال معناه القريب ضد اليمين والمورى عنه جمع شملة، ولولا ذكر اليمين بعده ما فهم السامع معنى اليد الذي به التورية، وقول الشاعر[٧٨٩]:

لَــوْلا التَّطَيُّــرُ بِــالخِلافِ وَأنَّهُــمْ قَالُــوا مَــرِيضٌ لاَ يَعُــودُ مَرِيــضَا

لَقَـضَيْتُ نَحْـباً فِـي جَـنَابِكَ خِدْمَـةً لأكُــونَ مَــنْدُوباً قَــضَى مَفْرُوضَــا

فالمندوب معناه المورى عنه الميت الذي يبكي عليه والمورى به الحكم الشرعي ولولا ذكر المفروض بعده لما تهيأت التورية. والثالث وهو ما لا يقع إلا بلفظين لولا كل منهما لم تتهيأ كقول عمر بن أبي ربيعة المخزومي لما تزوج سهيل رجل في غاية القبح ثريا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية وهي في غاية الجمال[٧٩٠]:

أيُّهــا المُــنكِحُ الثُــرَيّا سُــهَيلاً عَمــرُكَ اللَّــهُ كَــيفَ يَلتَقِــيانِ

هِــيَ شــامِيَّةٌ إذا مــا اِســتَقَلَّت وَسُــهيلٌ إذا اِســتَقَلَّ يَمــانِ

فالمعنى المورى به الكوكبان والمورى عنه الزوجان ولولا الثريا الذي هو النجم لم يتنبه السامع لسهيل وكل منهما صالح للتورية.

***

(٧٨٨) ديوان ابن سناء الملك: ٢٩، وفيه:

وَسَــيْرُكَ فِيــنَا سِــيْرَةً عُمَــرِيَّةً فَرَوَّحْتَ عَنْ قَلْبٍ وَفَرَّجْتَ عَنْ كَرْبِ

وَأظْهَــرْتَ فِيـنَا مِــنْ سـمَيكَ سُـنَّةً فَأظْهَرْتَ ذَاكَ الفَرْضَ مِنْ ذَلكَ النَّدْبِ

(٧٨٩) البيتان لابن الربيع في الإيضاح: ٢٩٩، عروس الأفراح: ٢/٢٤٥، خزانة الأدب: ٣/٥٤٢.

(٧٩٠) البيتان لعمر بن أبي ربيعة، ديوانه: ٢٢٩.

تنبيهات:

الأول: قال أهل الفن ليس كل لفظ مشترك بين معنيين تتصور فيه التورية كاللغات التي تدور على الألسنة وإنما تتصور حيث يكون المعنيان ظاهرين إلا أن أحدهما أسبق إلى الفهم من الآخر وهذا يختلف باختلاف الأماكن والعرف وبحسب اللوازم المبينة والمرشحة.

الثاني: قال الشيخ بهاء الدين(٧٩١): التورية المجردة تدخل فيها الاستعارة المجردة والمطلقة، والتورية المرشحة نوع من الاستعارة المرشحة في الأصل، والفرق بينهما أنّ مع الاستعارة قرينة تصرف اللفظ لها وتجعل المعنى البعيد قريباً والتورية ليست كذلك والغالب عليها الترشيح بما يبعد إرادة المجاز.

الثالث: الفرق بين اللفظ الذي تتهيأ به التورية والذي تترشح به والذي تتبين به أنّ الأول لو لم يذكر لم تتهيأ التورية أصلاً، والآخران يقرّبان للتورية ولو لم يذكرا كانت موجودة.

الرابع: قال الأندلسي المجردة أعم من المهيأة لأنّه كلّما وجدت المهيأة وجدت المجردة ولا عكس لأنّ المجردة تكون في لفظ واحد فإن تعلق بغيره فمهيأة أيضاً وإلا فلا.

الخامس: المراد باللازم شيء يختص بأحد المعنيين وشرطه أن لا يكون لفظه مشتركاً.

السادس: الفرق بين التورية واللغز أن لفظ التورية يكون المعنى المراد منه مدلولاً عليه باللفظ حقيقة كان أو مجازاً، والمعنى المراد من اللغز لا يدلّ عليه اللفظ بحقيقة ولا مجاز ولا يكون من عوارض ذلك اللفظ إنّما هو أمر مدرك بالحدس والتخمين ولذلك تتفاوت الأذهان في استخراجه.

السابع: حكى بعضهم في التورية قولاً نادراً فقال: هي أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى ثم يرددها بعينها ويعلقها بمعنى آخر نحو ﴿ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (الأنعام: من الآية ١٢٤) فجاء بلفظ الجلالة مضافاً، ثم جاء به

(٧٩١) عروس الأفراح: ٢ /٢٤٤.

مبتدأ مثل قوله ﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ﴾ (التوبة: من الآية ١٠٨) (فيه) الأول متعلق بـ(تقوم)، والثاني خبر (رجال) كذا أورده الأندلسي نقلاً عن ابن النقيب في تفسيره[٧٩٢]، ونظيره من الحديث (من تمام الصلاة الصلاة في النعلين) رواه الطبراني[٧٩٣]. قلت: الظاهر أن هذا القول تصحف على ناقله فإنّ هذا النوع المسمى بالترديد السابق في الإطناب فتحرف على الناقل الترديد بالتورية ثمّ رأيت في المصباح لابن مالك[٧٩٤] التمثيل بالآية الأولى للترديد فصح ما قلته.

الترشيح والتوهيم

وَاعْـدُدْ هُـنَا التَّرْشِـيحَ وَالتَّوْهِـيمَا   وَافْـرُقْ بِـذِهْنٍ قَـدْ حَـوَى تَقْـوِيمَا

هذا البيت أيضاً من زيادتي، وفيه نوعان: الترشيح والتوهيم ولهما مناسبة بالتورية، والترشيح أن يأتي المتكلم بكلمة لا تصلح لضرب من المحاسن حتى يؤتى بلفظة ترشحها وتؤهلها لذلك، وذلك شامل لترشيح التورية والاستعارة والتشبيه والطباق وغير ذلك ولذلك أفردوه بنوع كقوله[٧٩٥]:

وَإِذا رَجَـوتَ المُـستَحيل فَإِنَّمـا   تَبنـي الـرَجاءَ عَلـى شَـفيرٍ هـارِ

فلولا (الشفير) لم يكن في (الرجاء) تورية برجا البئر، وقوله[٧٩٦]:

وَخُفـوقُ قَلـبٍ لَـو رَأَيـتِ لَهيـبَهُ   يـا جَنَّتـي لَظَنَـنتِ فـيهِ جَهَـنَّما

فقوله (يا جنتي) رشحت لفظة (جهنم) للمطابقة، وأمّا التوهيم فذكر لفظ يوهم خلاف المقصود وهو أيضاً شامل لتوهيم التورية والطباق وغيرهما، فأمّا إيهام التورية فكقول الصفي[٧٩٧]:

حَتّـى إِذا صَـدَروا وَالخَـيلُ صـائِمَةٌ   مِن بَعدِ ما صُلَّتِ الأَسيافُ في القِمَمِ

فذكر صيام الخيل يوهم أنَّ (صُلّت) من الصلاة والمراد الصليل وهو صوت

---

(٧٩٢) لم نعثر على تفسير لابن النقيب.

(٧٩٣) المعجم الأوسط: ٥٤/١.

(٧٩٤) المصباح: ٧٦.

(٧٩٥) البيت لأبي الحسن التهامي ديوانه: ٤٦١.

(٧٩٦) البيت للمتنبي، ديوانه: ١٣٤/٤.

(٧٩٧) ديوان صفي الدين الحلي: ٤٧٥.

الحديد ومنه قوله تعالى ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝ ﴾ (الرحمن: الآيتان ٥ – ٦)، فذكر النجم توهيم لأنّه يوهم أنّ المراد نجم السماء والمراد نجم النبات، قلت ومنه حديث الديلمي (مثل الناظر في النجوم كالناظر في عين الشمس كلما اشتد نظره فيها ضعف بصره)[٧٩٨]، في هذا الحديث ثلاث توهيمات في النظر وفي النجوم وفي بصره فتأمل.

وأما توهيم الطباق فكقوله[٧٩٩]:

تَرَدّى ثِيابَ المَوتِ حُمراً فَما أَتى لَها اللَّيلُ إِلّا وَهيَ مِن سُندُسٍ خُضرُ

فإنّه أوهم الطباق بين الأحمر والأخضر ولا مطابقة إذ لا تضادّ بينهما، قلت: ومثاله من الحديث حديث مسلم (من لطم حرَّ وجه عبده فإن كفارته عتقه)[٨٠٠]، فذكر (حرَّ) توهيم للطباق مع (عبده) وليس بطباق إذ ليس ضدَّه، ومنها أن يأتي المتكلم بكلمة توهم بما بعدها أنّه أراد تصحيفها ومراده خلاف ما يتوهمه السامع كقوله[٨٠١]:

وَإِنَّ الفِئامَ الَّتي حَولَهُ لَتَحسُدُ أَرجُلَها الأَرؤُسُ

فلفظة (الأرجل) توهم السامع أنّ لفظة (الفئام) بالقاف ومراده بالفاء وهي الجماعات الكثيرة.

***

الاستخدام

وَمِنْهُ الاسْتِخْدَامُ أنْ يُرَادَا بِكِلْمَةٍ بَعْضُ الذي أفَادَا
ثُمَّ بِمُضْمَرٍ لَهَا البَوَاقِي أوْ أوَّلٍ بِمُضْمَرٍ وَالبَاقِي
بِآخَرٍ كَجَلَّ عَيْناً أحْمَدُ أخْجَلَهَا وَهَابَهَا المُعْتَمِدُ

الاستخدام استفعال وهو كما قال السكاكي[٨٠٢] وأتباعه إطلاق لفظ مشترك بين معنيين مريداً به أحدهما ثم يعاد عليه ضمير مراد به المعنى الآخر أو يعاد عليه ضميران

(٧٩٨) الفردوس: ١٤٦/٤، وفيه (مثل الناظر في القَدَر كالناظر في عين الشمس كلما اشتد نظره فيها ذهب بصره).

(٧٩٩) البيت لأبي تمام، ديوانه: ٨١/٤.

(٨٠٠) صحيح مسلم ١٢٧٨/٣ وفيه (من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه).

(٨٠١) البيت للمتنبي، شرح ديوانه: ٣١٥/٢.

(٨٠٢) لم نجد النص ومصطلح الاستخدام في المفتاح.

مراد بكل واحد واحداً منهما، مثال الأول قول الشاعر(٨٠٣):

إِذَا نَــزَلَ الــسَّمَاءُ بِــأَرْضِ قَــوْمٍ   رَعَيْــنَاهُ وَلَــوْ كَانُــوا غِــضَابَا

فالسماء يراد بها المطر وهو المراد أولاً والنبات وهو المراد بضميره، ومنه المثال المذكور في البيت فـ(العين) فيه بمعنى الذات والضمير في (أخجلها) لها بمعنى الشمس وفي (وهابها) بمعنى الذهب، وأحلى ما قيل في هذا النوع قول بعضهم(٨٠٤):

وَلِلْغَــزَالَةِ شَــيْءٌ مِــنْ تَلَفُّــتِهِ   وَنُــورهَا مِــنْ ضِــيَا خَدَّيْــهِ مُكْتَــسَبُ

ومثال الثاني قول البحتري(٨٠٥):

فَــسَقَى الغَــضَى وَالــسَّاكِنِيهِ وَإِنْ هُــمُ   شَــبُّوهُ بَــيْنَ جَوَانِحِــي وَضُــلُوعِي

فالضمير راجع من ساكنيه إلى (الغضى) باعتبار المكان ومن (شبوه) باعتبار الشجر، وقال صاحبنا الشهاب المنصور(٨٠٦):

مَــا أَحْــسَنَ الــنَّجْمَ عَلَــى   سَــمَائِهِ وَنَهْــرِهِ

بِــنُورِهِ وَزَهْــرِهِ   وَنُــورِهِ وَزَهْــرِهِ

فأتى مع الاستخدام اللطيف بالجناس واللف والنشر.

***

تنبيهان:

أحدهما: الفرق بين الاستخدام والتورية أنّ التورية يراد بها أحد المعنيين والاستخدام يراد به كلاهما.

الثاني: قد عرف بدر الدين بن مالك(٨٠٧) وأتباعه الاستخدام بإطلاق لفظ مشترك ثم يؤتى بلفظين يفهم من أحدهما أحد المعنيين ومن الآخر الآخر، قال الأندلسي والتعريفان راجعان إلى مقصود واحد وهو استعمال المعنيين، بيانه في البيت الأول أنّ

---

(٨٠٣) نسب المفضل الضبي البيت لمعاوية بن مالك: المفضليات: ٣٥٩. ونسبه ابن رشيق في العمدة: ١١٤/١ وابن أبي الأصبع في تحرير التحبير: ٤٨٥ لجرير وهو غير موجود في ديوانه.

(٨٠٤) لم نعثر للبيت على نسبة، ولم ينسبه في خزانة الأدب: ١٢١/١.

(٨٠٥) البيت غير موجود في الديوان، وذكره صاحب التلخيص: ٩٠، والإيضاح: ٣٥٥/٢.

(٨٠٦) لم نعثر للشاعر على ديوان، ولم نجد من ذكر البيت.

(٨٠٧) لم نجد هذه الإشارة في المصباح، وإنّما ورد ذكرها في خزانة الأدب: ١١٩/١، وأنوار الربيع: ٣٠٨/١.

(نزل) و(رعيناه) يخدمان معنى السماء، (نزل) للمطر و(رعيناه) للنبات، وفي البيت الثاني (الساكنيه) يخدم المكان (وشبوه) يخدم الشجر، ومما يجيء على طريقة ابن مالك دون الأخرى قول أبي العلاء[٨٠٨]:

قَصَدَ الدهر من أبي حَمزَةَ الأوْ وَابِ مَوْلى حِجىً وخِدن اقتصادِ
وفَقيهاً أفكارُهُ شِدْنَ للنّعْ مانِ ما لم يَشْدُهُ شعرُ زِيادِ

فـ(النعمان) يحتمل أبا حنيفة ﷺ وابن المنذر ملك الحيرة، وفقيها يخدم الأول و(شعر زياد) وهو النابغة شاعره يخدم الثاني، وليس ضمير (يشده) للنعمان حتى يجيء على طريقة التلخيص بل اللفظ المشترك فصار طيب الذكر الذي شاده زياد لا يعلم من هو، نعم إن قدر ما لم يشد له عاد إليه بهذا التقدير.

***

لطيفة:

قد تتبعت الأحاديث لأجد فيها مثالاً للاستخدام فلم أجد إلا حديث (صلوا ركعتي الضحى بسورتيهما الشمس وضحاها والضحى) رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث عقبة[٨٠٩] فأعاد الضمير على الركعتين باعتبار الضحاءين.

***

الإرداف

وَمِنْهُ الإرْدَافُ بِأَنْ يُذْكَرَ مَا يُرَادِفُ المَقْصُودَ لا مَا لَزِمَا

هذا النوع من زيادتي وفيه شبه بالتورية والاستخدام وهو الإرداف وهو أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له بل بما يرادفه كقوله تعالى﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾ (هود: من الآية ٤٤) حقيقة ذلك جَلَستْ على المكان، فعدل عن اللفظ الخاص بالمعنى إلى مرادفه لما في الاستواء من الإشعار بجلوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل وهذا لا يحصل من لفظ الجلوس، وقال ﷺ (كلّ شيء من المرأة للصائم حلال إلا ما بين الرجلين) رواه الطبراني[٨١٠] عبر به عن الفرج، وقال ﷺ (من يضمن لي ما بين

---

(٨٠٨) شروح سقط الزند: ٣/٩٨٥.

(٨٠٩) الفردوس: ٣/٣٨٤.

(٨١٠) مسند الشاميين: ٢/٣٦٠.

رجليه وما بين لحييه أضمن له الجنة) رواه الشيخان[٨١١]، قالوا ومنه باب (مثلك لا يبخل) و(غيرك لا يجود)، وفرق بينه وبين الكناية بأنها انتقال من لازم إلى ملزوم وهو من مذكور إلى متروك.

التمثيل

فَــإِنْ أَتَــى بِمَــا يَكُــونُ أَبْعَــدَا ... فَــذَلِكَ التَّمْثِــيلُ إِذْ مَــا قُــصِدَا

هذا النوع أيضاً من زيادتي وهو التمثيل وفسره قدامة[٨١٢] بأن يريد معنى فلا يدل عليه بلفظه الموضوع له ولا بلفظ قريب منه بل يأتي بلفظ أبعد من لفظ الإرداف يصلح أن يكون مثالاً للفظ المعنى المراد كقولك (فلان نقي الثوب) أي مُنزَّهٌ عن العيوب ومنه قوله تعالى ﴿ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾ (هود: من الآية ٤٤) أي هلك من قضى الله تعالى هلاكه ونجا من قدر نجاته، عدل عن اللفظ الخاص إلى التمثيل لبلاغة الإيجاز ولكون الهلاك والنجاة كانا بأمر آمر مطاع ولا يحصل ذلك من اللفظ الخاص، ومنه حديث أم زرع (زوجي ليل تهامة لا حر ولا برد ولا وخامة ولا سآمة)[٨١٣] أرادت وصفه بحسن العشرة مع نسائه فعدلت إلى لفظ التمثيل لما فيه من الزيادة حيث شبهته بليل تهامة المجمع على اعتداله فتضمن حسن الوصف باعتدال المزاج المستلزم حسن العشرة وخصت الليل لما فيه من راحة الحيوان ولأنّه سكن ومحل الاجتماع بالحبيب لا سيما وقد جعلته معتدلاً بين الحر والبرد والطول والقصر وهذه صفة ليل تهامة.

***

اللف والنشر

وَاللــفُّ وَالنَّــشْرُ بِــأَنْ يُعَــدَّدا ... لَفْظــاً وَبَعْــدَ مَــا لِكُــلٍ عَــدَدَا

وَلَــمْ يُعَــيَّنْ مَــا لَــهُ تَوْكِــيلا ... لِــسَامِعٍ مُجْمَــلاً اوْ تَفْــصِيلا

مُــرَتَّباً أَوْ غَيْــرَه مَعْكُوســاً أَوْ ... مُــشَوَّشاً وَفِــيهِ رَابِعــاً حَكَــوْا

وَالخَلْفُ فِي الأَفْضَلِ مِنْ هَـذَيْنِ قَرّ ... وَقِــيلَ لا خُلْــفَ بِتَحْرِيــرِ النَّظَــرْ

اللَّفُّ مصدر لَفَّ الشيءَ إذا جمعه، والنَّشْرُ مصدر نَشَرَهُ إذا بَسَطَهُ، وفي الاصطلاح

---

(٨١١) صحيح البخاري: ٥/ ٢٣٧٦ ولم نجده في صحيح مسلم.

(٨١٢) نقد الشعر: ١٥٨.

(٨١٣) صحيح ابن حبان: ٢٦/١٧.وفيه (زوجي كليل تهامة لا حر ولا قر ولا مخافة ولا سآمة).

أن تذكر شيئين أو أشياء إمّا تفصيلاً بالنص على كلّ واحد، أو إجمالاً بأن تأتي بلفظ يشتمل على متعدد ثمّ تذكر أشياء على عدد ما ذكرته كلّ واحد يرجع واحد من المتقدم وتفوّض إلى عقل السامع ردَّ كل واحد إلى ما يليق به لا أنك تنص عليه، فالإجمالي كقوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ (البقرة: من الآية ١١١)، أي وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، وإنّما سوغ الإجمال في اللف ثبوت العناد بين اليهود والنصارى فلا يمكن أن يقول أحد الفريقين بدخول الفريق الآخر الجنة فوثق بالعقل في أنّه يردّ كل قول إلى فريقه لأمن اللبس وقائل ذلك يهود المدينة ونصارى نجران.

والتفصيل ثلاثة أقسام:

أحدها: أن يكون على ترتيب اللف كقوله تعالى ﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ (القصص: من الآية ٧٣) فالسكون راجع إلى الليل والابتغاء راجع إلى النهار وقول الشاعر(٨١٤):

وَمُقَرْطَقٍ يُغني النَّديمَ بِوَجهِهِ عَن كَأسِهِ المَلأى وَعَن إبريقِهِ
فِعلُ المُدامِ وَلَونُها وَمذاقُها في مُقلَتَيهِ وَوَجنَتَيهِ وَريقِهِ

وقول حمدة الأندلسية(٨١٥):

وَلَمّا أَبَى الوَاشُونَ إلاّ فِرَاقَنَا وَمَا لَهُمُ عِنْدِي وَعِنْدَكَ مِنْ ثَارِ
غَزَوْتُهُمُ مِنْ مُقْلَتَيْكَ وَأَدْمُعِي وَمِنْ نَفَسِي بالسَّيْفِ وَالسَّيْلِ وَالنَّارِ

الثاني: أن يكون على ترتيبه معكوساً كقوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ

(٨١٤) ديوان ابن حيوس: ٤٠٩/٢، وفي الديوان:
وَمُمَنطَقٍ يُغني النَّديمَ بِوَجهِهِ عَن كَأسِهِ المَلأى وَعَن إبريقِهِ

(٨١٥) هي حمدة بنت زياد المكتّب شاعرة أندلسية توفيت (٦٠٠هـ) الإحاطة في أخبار غرناطة: ٢٧٥/١، والبيتان فيه: ٢٧٦/١ - ٢٧٧:
وَلَمّا أَبَى الوَاشُونَ إلاّ قتالنا وَمَا لَهُمُ عِنْدِي وَعِنْدَكَ مِنْ ثَارِ
رَمَيتهم مِنْ مُقْلَتَيْكَ وَأَدْمُعِي وَمِنْ نَفَسِي بِالسَّيْفِ وَالسَّيْلِ وَالنَّارِ

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ ﴾ (آل عمران: من الآية ١٠٦) إلخ[٨١٦]، وقول الشاعر[٨١٧]:

كَـيفَ أَسـلو وَأَنـتَ حِقـفٌ وَغُـصنٌ ... وَغَـزالٌ لَحظـاً وَقَـدًّا وَرِدفـا

فاللحظ للغزال والقد للغصن والردف للحقف.

الثالث: أن يكون لا على ترتيبه لا طرداً ولا عكساً ويسمى المشوش وذكره، والبيت الذي يليه من زيادتي، وذكر الزمخشري[٨١٨] قسماً رابعاً كقوله تعالى ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓ ﴾ (الروم: من الآية ٢٣)، قال هذا من باب اللفّ وترتيبه وتقديره: ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار، إلا أنّه فصل بين منامكم وابتغاؤكم بالليل والنهار لأنّهما زمانان والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع إعانة اللف على الاتحاد، واختلف هل الأفضل المرتب أو غيره الشامل للمعكوس والمشوّش، فالشلوبين[٨١٩] على الأول وابن رشيق[٨٢٠] على الثاني، قال الشيخ عز الدين بن جماعة[٨٢١]: والحقّ عندي أنّ الأول أراد لغة والآخر أراد بلاغة وهذا معنى قولي (لا خلف) إلخ.

***

الجمع

وَالجَمْـعُ أَنْ يُجْمَـعَ فِـي حُكْـمٍ عَـدَدْ ... كَقَـوْلِ بَعْـضِ الـشُّعَراءِ إِذْ زَهَـدْ

إِنَّ الـشَّبَابَ وَالفَـرَاغَ وَالجِـدَهْ ... مَفْـسَدَةٌ لِلمَـرْءِ أَيَّ مَفْـسَدَهْ

الجمع أن يجمع بين شيئين أو أشياء متعددة في حكم كقوله تعالى ﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ (الكهف: من الآية ٤٦)، جمع (المال والبنون) في الزينة، وكذا

---

(٨١٦) نذكر هنا الآيتين موضع الشاهد في قوله تعالى ﴿ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (آل عمران: الآيتان ١٠٦ – ١٠٧).

(٨١٧) شعر أبي هلال العسكري: ١٢٣.

(٨١٨) الكشاف: ٤٨٠.

(٨١٩) لم نعثر على كتاب للشلوبين يذكر هذا الرأي.

(٨٢٠) لم نجد هذا القول في العمدة.

(٨٢١) لم نعثر على هذا في: كشف المعاني في متشابه المثاني لابن جماعة، وربما ذكره في غيره.

قوله ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝ ﴾ (الرحمن: الآيتان ٥ - ٦)، وكالبيت المذكور في النظم وهو لأبي العتاهية إسماعيل بن القاسم[٨٢٢] وكان من الشعراء ثمّ تزهد ونظم في الزهد كثيراً، فروى الخطيب البغدادي قال حدثنا أحمد بن عمر بن روح قال حدثنا المعافى بن زكريا قال حدثنا محمد بن القاسم الأنباري قال حدثنا الحسن بن عبد الرحمن قال حدثنا محمد بن إسحاق بن أحمد الكوفي قال قال أبو العتاهية عملت عشرين ألف بيت في الزهد.

***

التفريق، التقسيم، الجمع والتفريق، الجمع مع التقسيم

وَعَكْسُهُ التَّفْرِيقُ أنْ يُبَايِنَا ... بَيْنَهُمَا فِي مَدْحٍ اوْ أمْرٍ عَنَى
فَإنْ يُعَدَّدْ وَأَضَافَ مَا لِكُلّ ... إلَيْهِ تَعْيِيناً فَتَقْسِيمٌ يَحُلّ
وَإنْ هُمَا أدْخَلَ فِي مَعْنىً وَقَدْ ... فَرَّقَ وَجْهَيْ ذَاكَ أَوْ يَجْمَعْ عَدَدْ
حُكْمٌ فَتَقْسِيمٌ تَلا أَوْ عَكْسُ ذَا ... كِلاَهُمَا جَمْعٌ وَأَوَّلٌ خُذَا
إلَيْهِ تَفْرِيقاً وَذَا تَقْسِيمَا ... وَقَدْ تَجِي ثَلاثَةٌ تَضْمِيمَا
كَيَوْمَ يَأْتِي بَعْدَ لاَ تَكَلَّمُ ... لآخِرِ القِصَّةِ فَهْيَ تُنْظَمُ
وَيُطْلَقُ التَّقْسيمُ إذ مَا اسْتَوفى ... أقْسَامُهُ أوْ حَالُهُ مُضِيفَا
كَلاَ إلَى مَلائِمٍ نَحْوُ يَهَبْ ... آيَةُ شُورَى وَيُقَالُ البَيْتُ هَبْ

في هذه الأبيات أنواع: الأوّل التفريق وهو إيقاع تباين بين أمرين أو أكثر من نوع واحد ليفيد زيادة في المدح أو نحوه مما أنت بصدده كقوله[٨٢٣]:

مَا نَوَالُ الغَمَامِ يَوْمَ رَبِيعٍ ... كَنَوالِ الأمِيرِ يَوْمَ سَخَاءِ
فَنَوَالُ الأمِيرِ بَدْرَةُ عَيْنٍ ... وَنَوَالُ الغَمَامِ قَطْرَةُ مَاءِ

وقوله[٨٢٤]:

---

(٨٢٢) ديوان أبي العتاهية: ٤٩٥.

(٨٢٣) البيتان لرشيد الدين الوطواط كما في نهاية الإرب: ١٥٢/٧، الإيضاح: ٣٥٧/٢، ومعاهد التنصيص: ٢٠٠/٢.

(٨٢٤) البيتان للوأوأ الدمشقي، ديوانه: ٣٠١/٢ وفيه:
مَا انْقَاسَ جَدْوَاكَ بِالغَمَامِ فَمَا ... أَنْصَفَ فِي الحُكْمِ بَيْنَ شَيْئَيْنِ
=

مَـنْ قَـاسَ جَـدْوَاكَ بِالغَمَـامِ فَمَـا ... أَنْـصَفَ فـي الحُكْـمِ بَـيْنَ شَـكْلَيْنِ
أَنْـتَ إذا جُـدْتَ ضَـاحِكٌ أَبَـداً ... وَهْـوَ إذا جَـادَ دَامِـعُ العَـيْنِ

الثاني: التقسيم وهو أن تذكر متعدداً وتضيف ما لكلٍ إليه على التعيين وبهذا القيد يخرج اللف والنشر كقوله(٨٢٥):

وَلاَ يُقِـيمُ عَلَـى ضَـيْم يُـرَادُ بِـهِ ... إلاَّ الأذَلاَّنِ غَبْـرُ الحَـيّ وَالـوَتَدُ
هَـذَا عَلَـى الخَـسْفِ مَـرْبُوطٌ بِـرُمَّتِهِ ... وَذَا يُـشَجُّ فَـلاَ يَرْثِـي لَـهُ أَحَـدُ

وقول أبي تمام(٨٢٦):

وَمـا هُـوَ إلاّ الوَحـيُ أَو حَـدُّ مُـرهَفٍ ... تُمـيلُ ظُـباهُ أَخدَعَـي كُـلِّ مائِـلِ
فَهَـذا دَواءُ الـداءِ مِـن كُـلِّ عـالِمٍ ... وَهَـذا دَواءُ الـداءِ مِـن كُـلِّ جاهِـلِ

الثالث: الجمع والتفريق وهو أن تدخل شيئين في معنى وتفرق جهتي الإدخال كقوله(٨٢٧):

فَـوَجْهُكَ كَالـنَّارِ فِـي ضَـوْئِهَا ... وَقَلْبِـي كَالـنَّارِ فِـي حَـرِّهَا

وقول البحتري(٨٢٨):

وَلَمّـا اِلتَقَيـنا وَالـنَقا مَـوعِدٌ لَـنا ... تَعَجَّـبَ رائـي الـدُرِّ حُـسناً وَلاقِطُـه
فَمِـن لُؤلُـؤٍ تَجلـوهُ عِـندَ اِبتِـسامِها ... وَمِـن لُؤلُـؤٍ عِـندَ الحَـديثِ تُـساقِطُه

قال الطيبي(٨٢٩): ومنه قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ (الزمر: من الآية ٤٢) الآية(٨٣٠)، جمع النفسين في حكم التوفي ثمَّ فرق بين جهتي التوفي بالحكم

=

أَنْـتَ إذا جُـدْتَ ضَـاحِكٌ أَبَـداً ... وَذاكَ إذا جَـادَ دَامِـعُ العَـيْنِ

(٨٢٥) البيت للمتلمس، ديوانه: ٢٠٨ - ٢١١ والبيت الأوّل فيه:

وَلَـنْ يُقيـمَ عَلَـى خَـسْفٍ يُـسامُ بِـهِ ... إلاَّ الأذَلاَّنِ عَيْـرُ الحَـيِّ وَالـوَتَدُ

(٨٢٦) ديوان أبي تمام: ٣/٨٦.

(٨٢٧) البيت لرشيد الدين الوطواط كما نهاية الإرب: ٧/١٥٣، الإيضاح: ٢/٣٥٩، معاهد التنصيص: ٣/٤.

(٨٢٨) ديوان البحتري: ٣/ ١٢٣٠.

(٨٢٩) التبيان في البيان: ٣٣٤.

(٨٣٠) والآية بتمامها: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا
=

بالإمساك والإرسال أي الله يتوفى الأنفس التي تقبض والتي لم تقبض فيمسك الأولى ويرسل الأخرى.

الرابع: الجمع مع التقسيم، وهو جمع متعدد تحت حكم ثمّ تقسيمه أو العكس وهذا معنى قولي (يجمع عدد حكم فتقسيم تلا أو عكس ذا) فـ(حكم) فاعل (يجمع) و(عدد) مفعوله وقف عليه بالسكون على لغة ربيعة، وتقسيم (مبتدأ) خبره (تلا)، أي يَجمع المتعددَ الحكمُ ثمّ يقسّم، أو يُقسَّم أوّلاً ثمّ يجمع الأقسام تحت حكم وقولي (كلاهما جمع) أي هذا القسم والذي قبله وهو إدخال العدد في معنى وقد فرق وجهي الإدخال كل منهما يسمى جمعاً، فالأول يقال جمع مع التفريق، والثاني جمع مع التقسيم وهو معنى قولي (وأول خذا إليه تفريقا)، أي ضمه إليه في التسمية، (وذا) أي الثاني، (تقسيما) أي ضمه إليه، مثال القسم الأول من هذا النوع وهو ما تأخر فيه التقسيم قول أبي الطيب[٨٣١]:

حَتّى أَقامَ عَلى أَرباضِ خَرشَنَةٍ ... تَشقى بِهِ الرومُ وَالصُلبانُ وَالبِيَعُ
لِلسَبيِ ما نَكَحوا وَالقَتلِ ما وَلَدوا ... وَالنَهبِ ما جَمَعوا وَالنارِ ما زَرَعوا

جمع أولاً شقاء الروم بالممدوح ثم قسمه ثانياً وفصله، ومثاله من القرآن قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (فاطر: من الآية ٣٢)، ومن الحديث قوله ﷺ (لكل إنسان ثلاثة أخلاء فأما خليل فيقول ما أنفقت فلك وما أمسكت فليس لك فذلك ماله، وأما خليل فيقول أنا معك فإذا أتيت باب الملك تركتك ورجعت فذلك أهله وحشمه، وأما خليل فيقول أنا معك حيث دخلت وحيث خرجت فذلك عمله) رواه الحاكم[٨٣٢]، ومثال عكسه قول حسان[٨٣٣]:

قَومٌ إِذا حارَبوا ضَرّوا عَدُوَّهُمُ ... أَو حاوَلوا النَفعَ في أَشياعِهِم نَفَعوا

=

ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (الزمر: ٤٢).

(٨٣١) شرح ديوان أبي الطيب: ٢/٣٣٤.

(٨٣٢) المستدرك ١/٥٢٧.

(٨٣٣) شرح ديوان حسان بن ثابت: ٣٠٤.

سَـجِيَّةٌ تِلْـكَ مِـنهُم غَيـرُ مُحدَثَـةٍ إِنَّ الخَلائِـقَ فَـاعْلَمْ شَـرُّها الـبِدَعُ

قسّم أولاً صفة الممدوحين إلى الأعداء ونفع الأشياع ثم جمعهما في قوله سجية.

الخامس: الجمع مع التفريق والتقسيم وهو معنى قولي (وقد تجيء ثلاثة تضميما) كقوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ (هود: من الآية ١٠٥) الآيات[٨٣٤]، فالجمع في قوله تعالى ﴿ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾، لأنها متعددة معنى إذ النكرة في سياق النفي تعم، والتفريق في قوله ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ (هود: من الآية ١٠٥)، والتقسيم في قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ ﴾ (هود: من الآية ١٠٦)، ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ ﴾ ومنه قوله[٨٣٥]:

لِمُختَلِفـي الحاجـاتِ جَمـعٌ بِـبابِهِ فَهَـذا لَـهُ فَـنٌّ وَهَـذا لَـهُ فَـنُّ
فَلِلخامِـلِ العُلـيا وَلِلمُعـدِمِ الغِنـى وَلِلمُـذنِبِ العُتبـى وَلِلخائِـفِ الأَمـنُ

وقد يطلق التقسيم على أمرين، أحدهما أن تستوفي أقسام الشيء بالذكر كقوله تعالى ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ (الشورى: ٤٩) الآية[٨٣٦]، إذ لا يخلو حال المتزوج من أحد هذه الأقسام الأربعة إما أن يكون له إناث أو ذكور أو هما أو لا واحد منهما، وقوله تعالى ﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ (مريم: من الآية ٦٤)، استوفى أقسام الزمان، وقوله تعالى ﴿ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ (آل عمران: من الآية ١٩١) استوفى جميع الهيآت الممكنات، وقوله ﷺ (ليس

---

(٨٣٤) الآيتان المعنيّ بهما قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (هود: ١٠٥ – ١٠٨).

(٨٣٥) البيتان لابن شرف القيرواني، تحرير التحبير: ١٨٨، الإيضاح: ٣١٦/٢.

(٨٣٦) الآيات المعنى بها هي قوله تعالى ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الشورى الآيتان: ٤٩ – ٥٠).

من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت)[٨٣٧]، قال الأندلسي ومنه ما يحكى أن بعض وفود العرب قدم على عمر بن عبد العزيز فتكلم منهم شاب فقال يا أمير المؤمنين: أصابتنا سنون سنة أذابت الشحم وسنة أكلت اللحم وسنة أكلت العظم وفي أيديكم فضول مال، فإن كانت لنا فعلام تمنعونها عنا، وإن كانت لله ففرقوها على عباده وإن كانت لكم فتصدقوا بها علينا فإن الله يجزي المتصدقين. فقال عمر: ما ترك الأعرابي في واحدة عذراً. قلت: هذه الحكاية أخرجها البيهقي بإسناده في شعب الإيمان[٨٣٨] وفي ألفاظها مخالفة يسيرة لما هنا، وفيها أنّ الخليفة مروان لا عمر وأنّه قال: لو أن السؤّال يحسنون أن يسألوا هكذا ما رددنا أحداً[٨٣٩]، قال ابن الأثير[٨٤٠]: ولا يريد أهل البيان بالتقسيم القسمة العقلية كما يذهب المتكلمون لأنّها تقتضي أشياء مستحيلة بل أرادوا ما يقتضيه المعنى مما يمكن وجوده.

الثاني: أن تذكر أحوال الشيء مضافاً إلى ما يليق به كقوله[٨٤١]:

ثِقـالٍ إذا لاقَـوا خِفـافٍ إذا دُعـوا   كَثيـرٍ إذا شَـدّوا قَلـيلٍ إذا عُـدّوا

وقوله[٨٤٢]:

ثَمانِـيَةٌ لَـم تَفتَـرِق مُـذ جَمَعـتَها   فَـلا اِفتَـرَقَت مـا ذَبَّ عَـن ناظِـرٍ شُـفرُ
ضَـمِيرُكَ والـتَّقْوَى وَكَفُّـكَ وَالـنَّدَى   وَلَفْظُـكَ والمَعْنَـى وَسَـيْفُكَ والنَّـصْرُ

***

(٨٣٧) كتاب الزهد لابن أبي عاصم: ١/١١

(٨٣٨) شعب الإيمان: ٣/٢٣٢.

(٨٣٩) في شعب الإيمان: ٣/٢٣٢، وفيه: (وقف أعرابي على عبد الملك بن مروان ثم قال: أي رحمك الله إنه مرت بنا سنون ثلاثة أما إحداهما فأهلكت المواشي وأما الثانية فأنضت اللحم وأما الثالثة فخلصت الى العظم وعندك مال فإن يك لله فأعط عباد الله وإن يك لك فتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين. قال: فأعطاه عشرة آلاف درهم، وقال: لو أن الناس يحسنون أن يسألوا هكذا ما حرمنا احداً).

(٨٤٠) المثل السائر: ٣/ ١٩٤.

(٨٤١) البيت للمتنبي، شرح ديوانه: ٢/٩٢.

(٨٤٢) البيت لابن حيوس، ديوانه: ١/٢٤٢: والبيت الثاني فيه:

يَقيـنُكَ وَالـتَقوى وَجـودُكَ وَالغِنـى   وَلَفظُـكَ وَالمَعنـى وَعَـزمُكَ وَالنَـصرُ

التجريد

وَمِنْهُ تَجْرِيدٌ بِأَنْ يُنْزَعَ مِنْ ذِي صِفَةٍ آخِرُ مِثْلُه زُكِنْ
مُبَالِغاً فِي أَنَّهُ فِيهَا كَمُلْ كَمَنْ فُلانٌ لي صَدِيقٌ وَأَجَلْ
وَإنْ سَأَلْتَ أحْمَداً لَتَسْأَلَنْ بَحْراً بِهِ مُنْدَفِقاً وَمِنْهُ أنْ
يُخَاطِبَ الإنْسَانُ نَفْسَهُ وَقَدْ نُصْحاً وَتَوْبِيخاً وَتَعْرِيضاً قَصَدْ

التجريد قسمان: أحدهما أن يُنتزع من أمر ذي صفة آخرُ مثلُه مبالغةً في كمالها نحو (لي من فلان صديق حميم) جرد من الرجل الصديق آخر مثله متصفاً بصفة الصداقة، ونحو (مررت بالرجل الكريم والنسمة المباركة) جردوا من الرجل الكريم آخر مثله متصفاً صفة البركة وعطفوه عليه كأنّه غيره وهو هو، قلت: ومنه قوله ﷺ (إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالبا) رواه النسائي وابن ماجه من حديث عائشة[٨٤٣]، وهذا القسم تارة يجيء على وجه الكناية كالمثال الأول ويكون التجريد فيه بـ(مِنْ) قال الشيخ بهاء الدين[٨٤٤]: و(الباء) و(في)، وتارة على التشبيه ويكون بـ(الباء) وبـ(من) وبـ(في)، كقولك (إن سألت أحمد لتسألن به البحر) جرد منه البحر تشبيهاً له به وقوله[٨٤٥]:

وَبِي ظَبْيَةٌ أدْمَاءُ نَاعِمَةُ الصِّبَا تَغَارُ الظِّبَاءُ الغِيدُ مِنْ لَفَتَاتِهَا
أُعَانِقُ غُصْنَ البَانِ مِنْ لِينِ قَدِّهَا وَأَجْنِي جَنِيَّ الوَرْدِ مِنْ وَجَنَاتِهَا

جرد من قدها غصناً ومن وجنتها ورداً بعد التشبيه، وتقول (رأيت من فلان البحر)، وتارة يخلو منهما فيكون بدون حرف كمثال الرجل الكريم والنسمة المباركة، وبـ(في) نحو ﴿ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ﴾ (فصلت: من الآية ٢٨) فإنّها هي دار الخلد لكن انتزع منها مثلها وجعل دار الخلد تهويلا.

الثاني: أن تجرد نفسك فتخاطبها كأنّها غيرك وذلك لنكت، منها قصد النفع لها

(٨٤٣) لم نجد الحديث في سنن النسائي، وقد روي في مسند أحمد ٧٠/٦ – ١٥١، وفي سنن ابن ماجه: ١٤١٧/٢، المعجم الأوسط: ٣١/٣، ١٢٥/٤، وفيهما (يا عائشة: إياك ومحقرات الأعمال فإن لها من الله طالبا)..

(٨٤٤) عروس الأفراح: ٢٥٦/٢.

(٨٤٥) البيتان لعزّ الدين أبي علي، ينظر: التذكرة الفخرية، بهاء الدين الإربلي: ٢٣٦.

كقوله[٨٤٦]:

أَقُـولُ لَهَـا وَقَـدْ جَـشَأَتْ وَجَاشَـتْ　　مَكَانَـكِ تَحْمَـدِي أَوْ تَـسْتَرِيحِي

لمّا أراد أن يوطّن نفسه على احتمال المكروه جردها مخاطباً لها نصحاً. ومنها قصد التوبيخ كقول امرئ القيس[٨٤٧]:

تَطَـاوَلَ لَـيلُكَ بِالأَثْمَـدِ　　وَنَـامَ الخَلِـيُّ وَلَـم تَـرقُدِ

خاطب نفسه على جهة التجريد موبخاً لها، فإنّ نفسه نفس ملك فكان من حقها الصبر وعدم الجزع. ومنها التعريض بآخر كقوله[٨٤٨]:

أَتَبْكِـي عَلَـى لَيْلَـى وَأَنْـتَ تَـرَكْتَهَا　　وَكُـنْتَ عَلَـيْهَا بِـالمَلاَ أَنْـتَ أَقْـدَرُ

وذكر هذه النكت من زيادتي، ومنها قصد التحريض كقول أبي الطيب[٨٤٩]:

لا خَـيلَ عِـندَكَ تُهـديها وَلا مـالُ　　فَليُـسعِدِ الـنُطقُ إِن لَـم تُـسعِدِ الحـالُ

جرد نفسه وخاطبها على جهة التحريض على مدح الممدوح.

***

أقسام التجريد

وَأَبْلَـغُ الأَقْـسَامِ مَـا قَـدْ ثُنِـيَا　　ثُـمّ المُـبَالَغَةُ أَنْ يَدَّعِـيَا

بُلُـوغَهُ فِـي الـضّعْفِ أَوْ فِـي شِـدَّةٍ　　حَـدًّا مُحَـالاً أَوْ بَعِـيدِ الـرُّتْبَةِ

فَـإِنْ يَكُـنْ عَقْـلاً وَعَـادَة وَرَدْ　　يُمْكِـنُ فَالتَّبْلِـيغُ أَوْ فِـي العَقْـلِ قَـدْ

فَـذَاكَ إِغْـرَاقٌ كِلاَهُمَـا قُـبِلْ　　أَوْ لا وَلاَ فَهْـوَ غُلُـوٌّ مَـا احْـتُمِلْ

مَـا لَـمْ يُقَـرِّبْهُ لِـذَاكَ شَـيْءُ　　نَحْـوَ يَكَـادُ زَيْـتُهَا يُـضِيءُ

أَوْ فِـيهِ نَـوْعٌ مِـنْ تَخَـيُّلٍ حَـسَنْ　　أَوْ مُخْـرِجُ الهَـزْلِ مِـنَ الـشَّاعِرِ عَـنْ

قُلْـتُ وَبَعْـضُ وهِـيَ المُـبَالَغَهْ　　أَصْـلاً وَبَعْـضٌ فِـي الـسُّمُوِّ نَابِغَـهْ

---

(٨٤٦) البيت لعمر بن الأطنابة، الحماسة البصرية: ٤/١، ديوان المعاني، أبي هلال العسكري: ١١٤/١ وفيهما:

وَقَوْلِـي كلَّمـا جَـشَأَتْ وجاشَـتْ　　مَكانَـكِ، تُحْمَـدِي أَو تَـسْتَرِيحِي

(٨٤٧) ديوان امرئ القيس: ١٨٥.

(٨٤٨) البيت لقيس بن ذريح المشهور بقيس لبنى، ديوانه: ٧٤.

(٨٤٩) شرح ديوان المتنبي: ٣٩٤/٣.

وَضِـدُّهَا التَّفْـرِيطُ عَـدَّ اليَمَنِـيْ وَمَـا رَأَيْـتُ غَيْـرُهُ بِمُعْتَنِـي
وَجَعْلُـهُ لِلـنَّوْعِ جِنْـساً عَظُمـا إلْحَـاقُ جُزْئِـيٍّ بِكُلِّـيٍّ نَمَـا

الشطر الأول من زيادتي، ومضمونه أنّ أبلغ أقسام التجريد ما ثنى به وهو المبني على التشبيه الذي أشرت إليه بقولي (وإن سألت أحمداً لتسألن بحراً به)، ثمّ المبالغة أن يُدَّعَى لوصف بلوغه في الشدة والضعف حدًّا مستحيلاً ومستبعداً، وفائدة ذلك أن لا يتوهم السامع أنّ الموصوف قاصر في ذلك الوصف، وهي منحصرة في ثلاثة أقسام، لأنّ الصفة التي وقعت فيها المبالغة إمّا أن تمكن عقلاً وعادة، أو عقلاً لا عادةً، أو لا عقلاً ولا عادةً، والأوّل يسمّى التبليغ، والثاني الإغراق، والثالث الغلو، ومثال التبليغ قوله ﷺ (لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)[٨٥٠]، قال الأندلسي فصيرورة ريح فمه أطيب من المسك مبالغة وهو ممكن عادة وعقلاً وقول امرئ القيس يصف فرساً[٨٥١]:

فَعـادى عِـداءً بَـينَ ثَـورٍ وَنَعجَـةٍ دِراكـاً وَلَـم يَنـضَح بِمـاءٍ فَيُغـسَلِ

ادّعى أنّ فرسه أدرك ثوراً وبقرة وحشيين في مضمار واحد ولم يعرق، وهذا ممكن عقلاً وعادةً. ومثال الإغراق قوله[٨٥٢]:

وَنُكـرِمُ جارَنـا مـا دامَ فيـنا وَنُتـبِعُهُ الكَـرامَةَ حَـيثُ مـالا

ادعى أنّ جاره لا يميل إلى جانب إلاّ وهو يرسل الكرامة والعطاء على أثره وهذا ممكن عقلاً ممتنع عادة وهو معنى قولي (أو في العقل قد)، و(قد) اسم فعل بمعنى حسب كقط وهذان القسمان مقبولان.

وأمّا الغلوّ فالمقبول منه أصناف، منها ما أدخل عليه ما يقرّ به إلى الصحة كلفظ (يكاد) في قوله تعالى ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ (النور: من الآية ٣٥)، ولو ولولا ونحوهما كقوله[٨٥٣]:

لَـو كـانَ يَقعُـدُ فَـوقَ الـشَمسِ مِـن كَـرَمٍ قَـومٌ بِـأَوَّلِهِم أَو مَجـدِهِم قَعَـدوا

---

(٨٥٠) صحيح البخاري: ٢/٦٧٠.

(٨٥١) ديوان امرئ القيس: ٢٢.

(٨٥٢) البيت لعمر بن الأيهم، نقد الشعر: ١٤١، التلخيص: ٢/٣٦٥، الإيضاح: ٢/٣٦٥.

(٨٥٣) البيت لزهير بن أبي سلمى، شرح ديوانه: ٢٨٢.

وقوله[٨٥٤]:

وَلَوْ أنَّ مَا بِي مِنْ جَوىً وَصَبَابَةٍ عَلَى جَمَلٍ لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ كَافِرُ

أي لَنَحُلَ حتى يدخل في سم الخياط، ولفظة (إن) كما في قوله ﷺ (كل مسكر حرام وإن كان الماء القراح)[٨٥٥] رواه ابن منيع في مسنده عن أبي سعيد قال: إسكار الماء الخالص الذي لا يشوبه شيء محال، صححه اقترانه بـ(إن) التي هي لفرض المحال وقوعه، ومنها ما تضمن نوعاً حسناً من التخييل كقول أبي الطيب في الجياد[٨٥٦]:

عَقَدَت سَنابِكُها عَلَيها عِثيَراً لَو تَبتَغي عَنَقاً عَلَيهِ أَمكَنا

العثير الغبار والعنق نوع من السير، أدعى أن الغبار المرتفع من سنابك الخيل اجتمع فوق رؤوسها متراكماً متكاثفاً بحيث صار أرضاً يمكن أن تسير عليه وهذا ممتنع عادةً وعقلاً لكنّه تخييل حسن، وقول القاضي الأرجاني[٨٥٧]:

يُخَيَّلُ لي أنْ سُمِّرَ الشُّهْبُ في الدُّجى وشُدَّتْ بأهْدابي إليهِنَّ أجْفاني

أي يوقع في خيالي أنّ الشهب محكمة بالمسامير لا تزول عن مكانها وأنّ أجفان عيني قد شدّت بأهدابها إلى الشهب لطول سهري وعدم انطباقها وهذا ممتنع عقلاً وعادةً، لكنّه تخييل حسن ولفظ (يخيل) مما يقربه إلى الصحة، ومنها أن يخرج مخرج الهزل والخلاعة كقوله[٨٥٨]:

أَسكَرُ بالأمْسِ إنْ عَزَمْتُ عَلَى الشُّرْ بِ غَداً إنَّ ذَا مِنَ العَجَبِ

ومما لا يقبل قول أبي نواس[٨٥٩]:

وَأَخَفتَ أَهلَ الشِركِ حَتّى إِنَّهُ لَتَخافُكَ النُطَفُ الَّتي لَم تُخلَقِ

وقوله[٨٦٠]:

كَفى بِجِسمي نُحولاً أَنَّني رَجُلٌ لَولا مُخاطَبَتي إِيّاكَ لَم تَرَني

(٨٥٤) لم نعثر للبيت على نسبة، ولم ينسبه في خزانة الأدب: ١٢/٢.

(٨٥٥) لم نجد هذا الحديث في مسند ابن منيع، وقد روي في الفردوس: ٢٥٠/٣.

(٨٥٦) شرح ديوان المتنبي: ٤/ ٣٣٦.

(٨٥٧) ديوانه الأرجاني: ١٤١٩/٣.

(٨٥٨) لم نعثر للبيت على نسبة، ولم ينسب في الإيضاح: ٣٤١/١، خزانة الأدب: ١٧/٢.

(٨٥٩) ديوان أبي نواس: ٤٠١.

(٨٦٠) البيت للمتنبي، ديوانه: ٣١٩/٤.

وقول الآخر[٨٦١]:

أَنْحَلَنِـــي الحُـــبُّ فَلَـــوْ زَجَّ بِـــي فِـــي مُقْلَـــةِ الوَسْـــنَانِ لَـــمْ يَنْتَـــبِهْ

ويحكى: أن العتابي لقي أبا نواس فقال له أما تستحي من الله حيث قلت: وأخفت أهل الشرك البيت؟ فقال وأنت أما تستحي من الله حيث قلت[٨٦٢]:

مَـا زِلْـتُ فِـي غَمـرَاتِ المَـوْتِ مُطَّـرِحاً يَـضيقُ عنِّـي وَسـيعُ الـرَّأيِ مـنْ حيلِـي
فلـمْ تـزَلْ دائمـاً تَـسعَى بِلطفـكَ لـي حتَّـى اخْتلسْتَ حَياتِـي مـن يـدَيْ أَجَلـي

وقد نبّهت من زيادتي على أنّ في أصل قبول المبالغة خلافاً وأنّ بعضهم لا يرى لها فضلاً لأنّها في الصناعة كالاستراحة من الشاعر إذا أعياه إيراد المعاني فأخرجها عن حدّ الكلام الممكن إلى حدِّ الامتناع والمبالغة، وبعضهم قصّ الفضل عليها ونسب المحاسن كلها إليها محتجًّا بأنّ أحسن الشعر أكذبه أي ما كان لفظه لفظ الكذب في الظاهر وإن كان له تأويل حكاهما في المصباح[٨٦٣]، ونبهت من زيادتي أيضاً على نوع يسمى التفريط ذكره عبد الباقي اليمني في كتابه ولم أره لغيره، فقال وهو ضدّ المبالغة أن يؤتى بالوصف ناقصاً عمّا يقتضيه حال المعبّر عنه كقول الشاعر[٨٦٤]:

وَمَـــا مُـــزبِدٌ مِـــن خَلـــيجِ الفُـــرا تِ خَـــورٌ خَـــوارِبُهُ تَلْـــتَطِم
بِأَجْـــوَدَ مِـــنهُ بِماعِـــونِهُ إذا مَـــا سَـــماؤُهُم لَـــم تَغِـــم

مدح ملكاً بجوده بالماعون وفرّط، إذ ليس ذلك يُعدّ كرماً للسوقة فضلاً عن الملوك، قلت: وما في هذا من البديع إلاّ أن يكون قصد بذلك تهكماً واستهزاءً، ونبّهت أيضاً من زيادتي على نوع من البديع يسمى حصر الجزئي وإلحاقه بالكلي وهو نوع غريب صعب المسلك اخترعه ابن أبي الإصبع[٨٦٥] وهو شبيه بالمبالغة ذكرته عقبها،

---

(٨٦١) البيت للخبزأرزي، شعر الخبزأرزي في المظان، تحقيق: محمد قاسم مصطفى، سناء طاهر محمد، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد ٣٩، الجزء الثاني، ١٩٩٦: ١٥٣.

(٨٦٢) ينظر البيتان في الأغاني: ١٣ /١١٩.

(٨٦٣) المصباح: ١٠٠.

(٨٦٤) ديوان الأعشى: ١٧٠، وفيه:

وَمَـــا مُـــزبِدٌ مِـــن خَلـــيجِ الفُـــرا تِ جَـــونٌ غَـــوارِبُهُ تَلْـــتَطِم
بِأَجْـــوَدَ مِـــنهُ بِمـــا عِـــندَهُ إذا مَـــا سَـــمائُهُم لَـــم تَغِـــم

(٨٦٥) تحرير التحبير: ٦٠٠.

وذلك أن يأتي المتكلم إلى نوع فيجعله جنساً تعظيماً له ويجعل الجزئيات كلّها منحصرة فيه كقول الصفي(٨٦٦):

فَرْدٌ هُوَ العَالَمُ الكُلِّيُّ فِي شَرَفٍ   وَنفَسُهُ الجَوْهَرُ القُدْسِيُّ فِي العِظَمِ

وقول الآخر(٨٦٧):

فَبَشَّرْتُ آمَالِي بِمُلْكٍ هُوَ الوَرَى   وَدَارٌ هِي الدُّنْيَا وَيَوْمٌ هُوَ الدَّهْرُ

وقد وجدت من ذلك في الحديث (الدعاء هو العبادة)(٨٦٨).

***

المذهب الكلامي

ثَمَّةَ مِنْهُ المَذْهَبُ الكَلاَمِي   إِيرَادُهُ الحُجَّةَ للمَرَامِ

عَلَى طَرِيقِهِمْ كَقَوْلِهِ عَلاَ   لَوْ كَانَ فِيهِمَا وَمَا لَهُ تَلاَ

المذهب الكلامي إيراد الحجة للمطلوب على طريقة أهل علم الكلام في القطع والإفحام، وأوّل من اخترعه وسماه بذلك الجاحظ(٨٦٩) وسماه ابن النقيب(٨٧٠) الاحتجاج النظري كقوله تعالى ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (الأنبياء: من الآية ٢٢) أي خرجتا عن نظامهما المشاهد، وتمامه: لكنّهما لم يفسدا فليس فيهما آلهة إلا الله، وقوله تعالى حكاية عن إبراهيم ﷺ ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ

---

(٨٦٦) ديوان صفي الدين الحلي: ٤٧٦. وفيه:

شَخْصٌ هُوَ العَالَمُ الجزئيُّ فِي سَرَفٍ   وَنفَسُهُ الجَوْهَرُ القُدْسِيُّ فِي عِظَمِ

(٨٦٧) البيت لأبي الحسن محمد بن عبد الله السلامي، البداية والنهاية: ١١/٢٠٠، المثل السائر: ٢/٣١١، خزانة الأدب: ٢/٢٩٥.

(٨٦٨) سنن الترمذي: ٥/٢١١.

(٨٦٩) لم نعثر على التسمية في كتب الجاحظ، وذكر المذهب الكلامي ابن المعتز، وجعله الباب الخامس من بديعه وذهب على أنّ التسمية هي للجاحظ، قال: (وهو مذهب سمّاه عمرو الجاحظ المذهب الكلامي، وهذا باب ما أعلم أنّي وجدت في القرآن شيئاً وهو ينسب إلى التكلّف، تعالى الله تعالى عن ذلك علوًّا كبيراً): البديع: ٥٣.

(٨٧٠) محمد بن سليمان بن الحسن البلخي المقدسي ابو عبد الله جمال الدين ابن النقيب، مفسر وفقيه حنفي، أصله من بلخ ولد في القدس وانتقل إلى القاهرة وأقرأ في بعض مدارسها ثم عاد إلى القدس وتوفي بها سنة (٦٩٨هـ)، له تفسير كبير، قال عنه المقريزي إنّه في سبعين مجلد، الأعلام: ٧/٧/٢١.

﴿ٱلْمَغْرِبِ﴾ (البقرة: من الآية ٢٥٨)، وقصد شاعرٌ أبا دلف فقال ممن أنت؟ قال من تميم. فقال[٨٧١]:

تَميمٌ بِطُرقِ اللُؤمِ أَهدى مِنَ القَطا ... وَلَو سَلَكَت طُرقَ الهِدايَةِ ضَلَّتِ

فقال: نعم بتلك الهداية جئتك، فخجل واستكتمه وأجازه وأفحمه بدليل ألزمه فيه أن المجيء إليه ضلال.

ومنه قول الآخر[٨٧٢]:

دَعِ النُّجُومَ لِطَرْقِيٍّ يَعِيشُ بِهَا ... وَبِالعَزَائِمِ فَانْهَضْ أَيُّهَا المَلِكُ

إِنَّ النَّبِيَّ وَأَصْحَابَ النَّبِيِّ نَهَوْا ... عَنِ النُّجُومِ وَقَدْ أَبْصَرْتَ مَا مَلَكُوا

***

التفريع، التفضيل، حسن التعليل

وَمِنْهُ تَفْرِيعٌ وَذَا أَنْ يُثْبَتَا ... لِمُتَعَلِّقٍ بِهِ مَا أُثْبِتَا

لآخَرٍ لَهُ فَإِنْ بِمَا نَفَى ... أَوْلا عَنِ الَّذي بِشَيْءٍ وُصِفَا

أَفْعَلَ لِلوَصْفِ مُناسِباً وَقَدْ ... عَدَّى بِمَنْ إِلَى الَّذي ذَاكَ قُصِدْ

فَذَاكَ بِالتَّفْضِيلِ حَقّاً دُعِيَا ... وَالحُسْنُ فِي التَّعْلِيلِ أَنْ يَدَّعِيَا

لِلْوَصْفِ عِلَّةٌ لَهُ تُنَاسِبُ ... بِلُطْفِ مَعْنىً لاَ حَقِيقِي يُصْحَبُ

فَتَارَةً يَكُونُ ثَابِتاً قُصِدْ ... عِلَّتُهُ وَذَاكَ ضَرْبَيْنِ عُهِدْ

مَا لَم تَبِنْ عِلَّتُهُ فِي العَادَةِ ... أَوْ عِلَّةٌ خِلافُ ذِي قَدْ بَانَتِ

وَمَا قَصْدُ ثُبُوتِهِ مِنْ مُمْكِنِ ... أَوْ غَيْرِهِ وَمَا عَلَى الشَّكِّ بُنِي

في هذه الأبيات ثلاثة أنواع.

الأول: التفريع: وهو بالعين المهملة ضد التأصيل كما مقتضى كلام الجمهور وضبطه بعضهم بالمعجمة، كأنّ المتكلم فرّغ باله من الحكم أوّلاً إلى الحكم ثانياً،

---

(٨٧١) البيت للطرماح، ديوانه: ٥٩، وفيه:

تَميمٌ بِطُرقِ اللُؤمِ أَهدى مِنَ القَطا ... وَلَو سَلَكَت طُرقَ المَكارِمِ ضَلَّتِ

(٨٧٢) البيتان لطه بن إبراهيم بن أبي بكر كمال الدين الهمداني توفي سنة(٦٧٦هـ)، البداية والنهاية: ١٣/ ٢٨٢.

وحدُّه أن يرتّب حكماً على صفة من أوصاف الممدوح أو المذموم ثمّ يرتب ذلك الحكم بعينه على صفة أخرى من أوصافه على وجه يشعر بالتفريع والتعقيب كقوله(٨٧٣):

أَحْلامُكُمْ لِسَقامِ الجَهْلِ شَافِيَةٌ كَمَا دِمَاؤكُمْ تُشفَى مِن الكَلْبِ

فرّع على وصفهم بشفاء أحلامهم لسقام الجهل وصفهم بشفاء دمائهم من داء الكلب، ومثاله من الحديث (الخمر تعلو الخطايا كما أن شجرها يعلو الشجر) رواه الديلمي من حديث أنس(٨٧٤)، قال عبد الباقي وغيره، وهذا النوع قريب من الاستطراد جداً ويفارقه باشتراط كون المفرع في معنى المفرع عليه بخلاف الاستطراد.

الثاني التفضيل: وهو من زيادتي، ذكره الصفي وأتباعه(٨٧٥) وجعله الأندلسي قسماً من التفريع وكذا فعل صاحب التلخيص(٨٧٦) أوّلاً، ثم ضرب عليه بخطه كما رأيته في نسخته ومشى عليه في الإيضاح(٨٧٧) وهو أن ينفي بـ(ما) أو(لا) دون غيرهما من أدوات النفي عن ذي وصف أفعل تفضيل مناسب لذلك الوصف مُعدًّى بـ(من) إلى ما يراد مدحه أو ذمه فتحصل المساواة بين الاسم المجرور بـ(من) وبين الاسم الداخلة عليه (ما) النافية لأنّها نفت الأفضلية فتبقى المساواة كقوله(٨٧٨):

مَا رَبعُ مَيَّةَ معموراً يُطيفُ بِهِ غَيلانُ أَبهى رُبىً مِن رَبعِها الخَرِبِ
وَلا الخُدودُ وَقَد أُدمينَ مِن خَجَلٍ أَشهى إِلى ناظِري مِن خَدِّها التَرِبِ

ومثاله من الحديث (ما ذئبان ضاريان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه) رواه الترمذي(٨٧٩)، وحديث الطبراني (ما المعطي من سعة بأعظم أجراً من الآخذ إذا كان محتاجاً)(٨٨٠)، وقولي (أفعلَ) بالنصب مفعول (نفى)

(٨٧٣) البيت للكميت بن يزيد الأسدي، شعره: ٨١/١.

(٨٧٤) الفردوس: ٣١٥/٣ وفيه (وشرب الخمر يعلو الخطايا كما أن شجرها يعلو الشجر).

(٨٧٥) ديوان صفي الدين الحلي: ٤٧٧.

(٨٧٦) التلخيص: ٩٨.

(٨٧٧) الإيضاح: ٢٧٢/٢.

(٨٧٨) البيت لأبي تمام، ديوانه: ٥٦/١.

(٨٧٩) سنن الترمذي ٥٨٨/٤ وفيه (ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لهما من حرص المرء على المال والشرف لدينه).

(٨٨٠) المعجم الأوسط ١٥٠/٨، وفيه (ما الذي يعطي من سعة بأعظم أجرا من الذي يقبل إذا كان
=

و(مناسباً) صفته والوصف متعلق به، ومنهم من سمّى هذا النوع النفي والجحد، وقد اخترع ابن أبي الأصبع[٨٨١] قسماً ثالثاً وهو أن يصدر الكلام باسم أو صفة ثمّ يكرره مضافاً إلى آخر فيتفرع من ذلك معانٍ في مقصودك في مدح أو ذم كقوله[٨٨٢]:

وَفِيُّ العُهُودِ وَفِيُّ الوُعُودِ   كَرِيمُ الصِّفَاتِ كَرِيمُ الهِبَاتْ

وقول المتنبي[٨٨٣]:

أَنا اِبنُ اللِقاء أَنا اِبنُ السَّخاءِ   أَنا اِبنُ الضِراب أَنا اِبنُ الطِعانِ

طَويلُ النِجادِ طَويلُ العِمادِ   طَويلُ القَناةِ طَويلُ السِّنانِ

قالوا: وفيه نظر فهو بتعديد الصفات أنسب، قلت: وبالترديد أنسب وأنسب.

الثالث: حسن التعليل، وهو أن يدعي لوصف علّة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي في الواقع بل خياليّ، وهو أقسام: فتارة يكون الوصف ثابتاً قصد بيان علته، ثم هذا نوعان، لأنّه إمّا أن لا تظهر له في العادة علّة وإن كان في الواقع لا يخلو عن علّة، أو تظهر له علة غير المذكورة، فالأول كقوله[٨٨٤]:

لَم تَحكِ نائِلَكَ السَّحابُ وَإِنَّما   حُمَّت بِهِ فَصَبيبُها الرُحَضاءُ

فنزول المطر من السماء وصف ثابت لا يظهر له في العادة علّة وقد علّله بأنّه عرق حماها الحادثة لها بسب عطاء الممدوح حسداً له وقوله[٨٨٥]:

زَعَمَ البَنَفسَجُ أَنَّهُ كِعِذارِه   حُسناً فَسَلّوا مِن قَفاهُ لِسانَهُ

والثاني كقوله[٨٨٦]:

ما بِهِ قَتلُ أَعاديهِ وَلَكِن   يَتَّقي إِخلافَ ما تَرجو الذِئابُ

فإنّ قتل الأعادي في العادة لدفع مضرتهم لا لما ذكره من أن طبيعة الكرم غلبت عليه ومحبة صدق رجاء راجيه بعثته إلى قتلهم لما علم أنّه إذا توجه للحرب صارت

=

محتاجا)، المعجم الكبير ٤٢٣/١٢ وفيه (ما المعطي من سعة بأفضل من الآخذ إذا كان محتاجا).

(٨٨١) تحرير التحبير: ٣٧٢.

(٨٨٢) لم نعثر للبيت على نسبة.

(٨٨٣) شرح ديوان المتنبي: ٣٢٢/٤.

(٨٨٤) شرح ديوان المتنبي: ١٥٤/١.

(٨٨٥) البيت لأبي هلال العسكري، شعره: ١٥٧.

(٨٨٦) البيت للمتنبي، شرح ديوانه: ٢٦٢/١.

الذئاب ترجو الرزق من لحوم من يقتل من الأعادي، وتارة يكون الوصف غير ثابت وهو ضربان، ممكن كقوله(٨٨٧):

يـا واشِـياً حَـسُنَت فيـنا إِسـاءَتهُ نَجّـى حِـذارُكَ إِنـساني مِـنَ الغَـرَقِ

فإنّ استحسان إساءة الواشي ممكن لكنّه لما خالف الناس فيه عقبه معللاً بأنّ حذاره ومنه نجى إنسان عينه من الغرق في الدموع حيث ترك البكاء خوفاً منه ليكون مقرباً لتصديقه، وغير ممكن كقوله(٨٨٨):

لَـوْ لَـم تكـن نِـيَّةُ الجـوزاءِ خِدْمـتَهُ لَمَـا رأيـتَ علـيها عِقْـدَ مُنْـتطقِ

فإنّ (نية الجوزاء خدمته) لا ثابتة ولا ممكنة وقد علّله بقوله (عليها عقد منتطق) وهي الكواكب التي حولها يقال لها نطاق الجوزاء، ومن حسن التعليل نوع يبنى على الشك كقوله(٨٨٩):

كَـأَنَّ الـسَحابَ الغُـرَّ غَيَّـبنَ تَحـتَها حَبيـباً فَمـا تَـرقا لَهُـنَّ مَدامِـعُ

علّل على سبيل الشكّ نزول المطر من السحاب بأنّها غيّبت حبيباً تحت تلك الرّبا فهي تبكي عليه.

***

تأكيد المدح بما يشبه الذم وتأكيد الذم بما يشبه المدح

وَمِـنْهُ تَأْكِـيدُكَ لِلمَـدْحِ بِمَـا يُـشْبِهُ ذَمّـاً وَثَلاثـاً قُـسِّمَا
وَالأَفْـضَلُ اسْـتِثْنَاءُ وَصْـفِ فَـضْلِ مِـنْ وَصْـفِ ذَمٍّ قَـدْ نُفِـي مِـنْ قَـبْلِ
مُقَـدِّراً دُخُـولَهُ فِـيهِ كَـلاَ عَـيْبَ لَـهُ إلاّ ارْتِقَـاءُ للعُـلاَ
وَمِـنْهُ الاسْـتِثْنَاءُ قَـبْلَ وَصْـفِ مَـدْحٍ يَلِـي وَصْـفاً لَـهُ لاَ يَنْفِـي
وَمِـنْهُ أَنْ يُولَـى بِـهِ مُعَـرَّفا عَامِلُـهُ لِلـذَّمِّ مَعْنـىً قَـدْ وَفَـى
وَمَـا بِـهِ اسْـتُثْنِي يَحْـوِي الفَـضْلاَ نَحْـوُ وَمَـا تَـنْقِمُ مِـنَّا إلاَّ
ثَمَّـةَ الاسْـتِدْرَاكُ فِـي ذَا الـبَابِ كَمِـثْلِ الاسْـتِثْنَاءِ بِاقْتِـرَابِ
وَعَكْـسُهُ ضَـرْبَانِ أَنْ يُـسْتَثْنَى مِـنْ نَفْـيِ وَصْـفِ المَـدْحِ ذَمٌّ يُغْنَـى

---

(٨٨٧) البيت لصريع الغواني، ديوانه: ٣٢٨.
(٨٨٨) البيت ترجمه عبد القاهر من الفارسية، ينظر: أسرار البلاغة: ٢٧٨.
(٨٨٩) البيت لأبي تمام، ديوانه: ٤/٥٨٠.

إنْ دَخَلَتْ كَمِثْلِ مَا فِيهِ هُدَى إلاّ عَمَىً عَنِ الطَّرِيقِ المُقْتَدَى
وَأنْ يَجِيءَ تِلْوَ وَصْفِ ذَمِّ كَجَاهِلٍ لَكِنَّهُ ذُو ظُلْمِ
وَزِيدَ بَعْدَ الذَّمِّ وَصْفٌ يُوهِمُ زَوَالُهُ ثُمَّ لِذَمِّ يُفْهَمُ

من أنواع البديع تأكيد المدح بما يشبه الذم وتأكيد الذم بما يشبه المدح وهو من مخترعات ابن المعتز[٨٩٠]، فالأوّل ثلاثة أقسام، أفضلها أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح له بتقدير دخولها في صفة الذم كقوله[٨٩١]:

وَلا عَيبَ فيهِم غَيرَ أَنَّ سُيوفَهُم بِهِنَّ فُلولٌ مِن قِراعِ الكَتائِبِ

يعني إن كانت فلول السيف عيباً على سبيل الفرض والتقدير فلا عيب فيهم غيره وليس بعيب في التحقيق لأنّه من كمال الشجاعة، الثاني أن تثبت لشيء صفة مدح وتعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له كحديث (أنا أفصح العرب بيد أني من قريش)[٨٩٢] أي غير أنّي من قريش أورده أصحاب الغريب ولا يعلم من خرجه ولا إسناده. وإنّما كان الأوّل أبلغ لأنّه يفيد التأكيد من وجهين، أحدهما أنّه كدعوى الشيء ببيّنة حيث علّق الدعوة وهي إثبات شيء من العيب بالمحال والمتعلق بالمحال محال فيتحقق عدم العيب، والثاني أنّ الأصل في الاستثناء الاتصال، فَذِكْر أداتِه قبل المستثنى يوهم إخراج الشيء ممّا قبلها فإذا وليها صفة مدح وتحول من الاتصال إلى الانقطاع جاء التأكيد بالمدح على المدح والإشعار بأنّه لم يجد صفة ذمّ يستثنيها فاضطر إلى استثناء صفة مدح، وأمّا الثاني فإنمّا يفيد التأكيد من هذا الوجه فقط، الثالث أن يؤتى بمستثنى فيه معنى المدح وعامله فيه معنى الذمّ نحو ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا ﴾ (الأعراف: من الآية ١٢٦)، أي ما تعيب منا إلا أجلَّ المناقب والمفاخر وهو الإيمان فهو يفيد التأكيد من الوجهين الأولين والاستدراك في هذه الأنواع كالاستثناء كقوله[٨٩٣]:

---

(٨٩٠) البديع: ٦٢.

(٨٩١) البيت للنابغة الذبياني، ديوانه: ٤٤.

(٨٩٢) روي الحديث في الفائق في غريب الحديث، الزمخشري: ١١/١ وفيه (أنا افصح العرب بيد أنّي من قريش واسترضعت في بني سعد بن بكر)، وفيه أيضاً: ١٤١/١: (أنا أفصح العرب بيد أنّي من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر)، وفي النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: ٤٤٧/١، وفيه: (أنا افصح العرب بيد أنّي من قريش).

(٨٩٣) البيت لبديع الزمان الهمذاني، ديوانه: ١٢٠.

هُوَ البَدْرُ إلاّ أنَّهُ البَحرُ زاخِراً ... سِوى أنَّهُ الضِّرغامُ لكِنَّهُ الوَبْلُ

وأمّا تأكيد الذم بما يشبه المدح فضربان كالضربين الأولين من عكسه، الأول أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذمّ بتقدير دخولها في صفة المدح نحو (فلان لا خير فيه إلا أنه يسيء إلى من أحسن إليه)، والثاني أن يثبت لشيء صفة ذمّ ويعقب بأداة استثناء تليها صفة ذمّ أخرى نحو (فلان فاسق إلاّ أنّه جاهل)، ومن ألطف ما وقع فيه قول القائل(٨٩٤):

هُوَ الكَلْبُ إلاّ أنَّ فِيهِ مَلالَةً ... وَسُوءَ مُراعَاةٍ وَمَا ذَاكَ فِي الكَلْبِ

والأوّل أبلغ كما تقدم والاستدراك فيه كالاستثناء، وزاد ابن جابر الأعمى ضرباً ثالثاً، وهو أن تأتي بصفة ذمّ مثبتة ثم بصفة بعدها توهم رفع صفة الذمّ ثم تعلق بها ما يبين أنّها ذمّ فتكون ذمًّا بعد ذمّ، قال وهو أبلغ من الأوّلَيْن لما فيه من التهكم والاستهزاء، ومثاله أن تقول (رأيت عنق زيد عاطلاً فحليته بالصفع)، أثبت أولاً صفة ذم وهي كونه عاطلاً ثم أثبت تحليته فأوهمت رفعه فلمّا قلت بالصفع تبين أن هذه التحلية ذمّ آخر وأنشد فيه نظماً:

يَا زَاعِماً أنَّكَ لِي نَاصِحٌ ... إنِّي بِهَذَا غَيرُ مَغْرُورِ
لَمَّا بَدَا قُبْحُ الذي قُلْتَهُ ... حَسَّنْتَ ذَاكَ القَوْلَ بِالزُّورِ

***

الاستتباع، الإدماج

وَمِنْهُ الاسْتِتْبَاعُ مَدْحٌ بِاللَّذَا ... يَسْتَتْبِعُ المَدْحَ بِشَيْءٍ غَيْرِ ذَا
وَإنْ تَضَمَّنَ فِيهِ مَعْنىً وَهْوَ لَمْ ... يُسَقْ لَهُ فَذَاكَ إدْمَاجٌ أعَمّ
قُلْتُ الأَصَحُّ الأوَّلُ الوَصْفُ بِنَصّ ... يُفْهِمُ وَصْفاً لِلَّذي الأوَّلُ خَصّ

من أنواع البديع الاستتباع والإدماج، فالأوّل هو المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر كقوله(٨٩٥):

نَهَبتَ مِنَ الأعمارِ ما لَو حَوَيتَهُ ... لَهُنِّئَتِ الدُنْيا بِأَنَّكَ خالِدُ

مدحه بالنهاية في الشجاعة على وجه استتبع مدحه بكونه سبباً لصلاح الدنيا

---

(٨٩٤) لم نعثر للبيت على نسبة والبيت في التبيان في البيان: ٣٢٣، ثمار القلوب: ١/٣٩٧، دون نسبة.

(٨٩٥) البيت للمتنبي، ديوانه: ١/٣٩٩.

ونظامها وأنّه نهب الأعمار دون الأموال ولم يكن ظالماً في قتلهم، والثاني وأصله لفّ الشيء في ثوب وبعضهم سماه بالتعليق وقوم بالتضعيف إن تضمّن كلاماً سيق لمعنى آخر فهو أعمّ من الاستتباع لأنّ ذلك خاص بالمدح كقوله(٨٩٦):

أُقَلِّبُ فيهِ أَجفاني كَأَنّي أَعُدُّ بِهِ عَلى الدَهرِ الذُنوبا

ضمّن وصف الليل بالطول شكاية الدهر، وقول الآخر(٨٩٧):

أَبى دَهْرُنَا إسْعَافَنَا في نُفُوسِنَا وَأسْعَفَنَا فِيمَنْ نُحِبُّ وَنُكْرِمُ

فَقُلْتُ لَهُ نُعْمَاكَ فِيهِمْ أَتِمَّهَا وَدَعْ أَمْرَنَا إنَّ الأَهَمَّ المُقَدَّمُ

ضمن التهنئة شكوى الدهر، وقوله(٨٩٨):

ولا بدّ لي من جهلَةٍ في وِصالِهِ فَمن لي بخلٍّ أُودِعُ الحِلْمَ عِنْدَهُ

أدمج الفخر في الغزل بجعل حلمه لا يفارقه البتة ولا ترغب نفسه عنه، وإنّما عزم على أن يودعه إذا كان لا بدّ له من وصل هذا المحبوب لأنّ الودائع تستعاد، ثمّ استفهم عن الخل الصالح لذلك فيكون مفهومه بقاء حلمه لعدم من يصلح للوديعة، ثمّ أدمج في ضمن الفخر المدمج شكوى الزمان بقلّة وفقد من يصلح لهذا الشأن، وفسر قوم الاستتباع بأنّه الوصف بشيء على وجه يستتبع الوصف بآخر سواء كان مدحاً أو ذماً ومشى عليه الطيبي(٨٩٩) وغيره ومثل له بقول ابن الرومي(٩٠٠):

نَكْهَتُهَا تَقْتُلُ جُلاَّسَهَا لِقُرْبِ مَجْشَاهَا مِنَ المَفْسَى

وصفها بالبخر على وجه استتبع وصفها بالقصر، وقال الشيخ بهاء الدين(٩٠١): وفيه نظر لأنّه يتّحد حينئذ بالإدماج، قلت: ليس كذلك، فقد صرح الطيبي(٩٠٢) بأنّ الإدماج

---

(٨٩٦) شرح ديوان المتنبي: ١/٢٦٧.

(٨٩٧) البيتان لعبيد الله بن الطاهر، عبيد الله بن الطاهر حياته وما تبقى من شعره، تحقيق: عبد الستار الحديثى، مجلة كلية الآداب جامعة البصرة، العدد٢٠، ١٩٨٢: ٥٤.

(٨٩٨) البيت لابن نباتة السعدي، ديوانه: ٣٨٨.

(٨٩٩) التبيان في البيان: ٣٢١.

(٩٠٠) ديوان ابن الرومي: ٢/٢٠٥ وفيه:

نَكْهَتُهَا تَقْتُلُ جُلاَّسَهَا لِقُرْبِ مَفْشَاهَا مِنَ المَحسَى

(٩٠١) عروس الأفراح: ٢/٢٧٣.

(٩٠٢) التبيان في البيان: ٣٢٢.

أخصّ وهذا هو الصواب لأنّ الوصف المستتبع في الأول للموصوف أوّلاً بخلاف الثاني فإنّ الوصف المضمّن لغير الموصوف أوّلاً كما ترى، وفرق الأندلسي أيضاً بأنّ الاستتباع لا يكون بذمّ في مدح ولا عكسه بخلاف الإدماج.

***

تنبيه:

قسم عبد الباقي وابن مالك[٩٠٣] الإدماج قسمين: أحدهما ما تقدم، والثاني أن تقصد نوعاً من البديع فيجيء في ضمنه نوع آخر كقوله تعالى ﴿ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ ﴾ (القصص: من الآية ٧٠) قُصِدت المبالغة فجاء الطباق في ضمنها، قالا: ولا يمكن دعوى العكس لأنّ السياق دالّ على قصد المبالغة إذ بها يتمّ الغرض من المعنى دون الطباق فكانت مقصودة وكان تبعاً.

***

التوجيه، الإبهام، المواربة

وَمِـنْهُ تَوْجِـيهٌ بِـأَنْ يُوَافِـي مُحْـتَمِلاً وَجْهَـيْنِ بِاخْـتِلافِ
كَقَـوْلِ مَـنْ قَـالَ لِأَعْـوَرٍ أَلاَ يَـا لَـيْتَ عَيْنَـيْهِ سَـوَاءً جُعِـلاَ
قُلْـتُ الـصَّفِيُّ فَـسَّرَ التَّوْجِـيهَ أَنْ يَأْتِـي بِأَلْفَـاظٍ شَـهِيرَةٍ بِفَـنّ
يُـورِدُهَا بِغَيْـرِ مَـا لَـهُ اشْـتَهَرْ كَالـرَّفْعِ وَالنَّـصْبِ وكَالجَـزْمِ وَجَـرّ
نَحْـوُ ارْتِفَـاعٍ فِـي مَحَلِّـهِ وَجَـبْ مِـنْ أَمْـرِهِ جَـزْمٌ وَلِلحُكْـمِ انْتَـصَبْ
وَجَعَـلَ الـسَّابِقَ مِـنْ تَفْـسِيرِهِ تَفْـسِيرَ الابْهَـامِ كَـذَا لِغَيْـرِهِ
قَـالَ وَنَحْـوُ ذَلِـكَ المُـوَارَبَه لَكِـنَّهُ يَأْتِـي لِمَـنْ قَـدْ عَاتَـبَهْ
بِمُخْلِـصٍ وَلاَ يَجِـي فِـي الابْـتِدَا بِـهِ كَـذَا بَـلْ غَيْـرُهُ قَـدْ أَوْرَدَا
كَقَـوْلِهِ قَـدْ ضَـاعَ شِـعْرِي لَمَّـا أَوْخِـذَ بَـلْ قَـدْ ضَـاءَ صِـغْتُ الـنَّظْمَا

من أنواع البديع التوجيه، وعرّفه قوم بأن يحتمل الكلام وجهين متباينين من المعنى احتمالاً مطلقاً من غير تقييد بمدح أو ذمّ أو غيره، وقوم بأن يحتمل معنيين أحدهما مدح والآخر ذمّ، وهذا رأي لا نرضاه، والذي عليه حذّاق الصنعة وأصحاب البديعيات

---

(٩٠٣) المصباح: ١٢٢.

وأوّلهم الصفي الحلي(٩٠٤) أنّ هذا التفسير للنوع المسمى بالإبهام بالباء الموحدة كما اخترعه ابن أبي الإصبع(٩٠٥) وسمّاه وعرفه بذلك، ومن أمثلته أنّ شاعراً مطبوعاً فصّل له قباء عند خياط أعور، فقال له: سآتيك به لا تدري أقباء هو أم دواحة فقال الشاعر إن فعلت ذلك قلت فيك بيتاً لا يعلم من سمعه أ دعوت لك أم عليك ففعل فقال(٩٠٦):

جَـــاءَ مِـــنْ زَيْـــدٍ قِـــبَاءْ   لَـــيْتَ عَيْنَـــيْهِ سَـــوَاءْ

يحتمل في العمى والإبصار، وقال آخر في الحسن بن سهل لما زوج ابنته بوران للخليفة(٩٠٧):

بَـــارَكَ اللَّـــهُ لِلحَـــسَن   وَلِـــبورانَ فـــي الخَـــتَنْ

يـــا إِمـــامَ الهُـــدى ظَفِـــر   تَ وَلَكِـــن بِبِـــنتِ مَـــنْ

فلم يُعلم ما أراد بقوله (ببنت من) أفي الرفعة أم في الحقارة؟ وقال أبو مسلم الخراساني يوماً لسليمان بن كثير إنّك كنت في مجلس وقد جرى ذكري فقلت: اللهم سوّد وجهه واقطع رأسه واسقني من دمه، فقال: نعم قلت ذلك ونحن جلوس بكرم حصرم فاستحسن إبهامه وعفا عنه، وأورد عبد الباقي وغيره من أمثلة ذلك من الحديث حديث البخاري (إذا لم تستح فاصنع ما شئت)(٩٠٨) فإنّه يحتمل مدحاً وذمًّا، الأوّل إذا لم تفعل فعلاً تستحي منه فاصنع ما شئت، والثاني إذا لم يكن لك حياء يمنعك فاصنع ما شئت، وحديث أحمد أنه ذكر عنده شريح الحضرمي فقال (ذاك رجل لا يتوسّد القرآن)(٩٠٩) يحتمل مدحاً وهو أنّه لا ينام الليل في تلاوة القرآن فلا يكون القرآن متوسداً معه، وذمًّا وهو أنّه لا يحفظه فإذا نام لا يتوسد القرآن معه، وحديث (من جعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين)(٩١٠) يحتمل المدح بأنّه لشدة ما يحمل من وفاء حقوق

---

(٩٠٤) ديوان صفي الدين الحلي: ٤٧١.

(٩٠٥) تحرير التحبير: ٥٩٦.

(٩٠٦) البيت منسوب لبشار كما في تحرير التحبير: ٦٧، ومعاهد التنصيص: ١٣٨/٣، وهو غير موجود في الديوان.

(٩٠٧) البيت لمحمد بن حازم الباهلي كما في تحرير التحبير: ٥٩٧، خزانة الأدب: ١٧٨/١، ٣٠٢، ومعاهد التنصيص: ١٣٩/٣.

(٩٠٨) صحيح البخاري: ٢٢٦٨/٥.

(٩٠٩) مسند أحمد: ٤٤٩/٣.

(٩١٠) المعجم الأوسط ١٢٣/٣، ٧٦/٤، المعجم الصغير: ٢٩٦/١.

المسلمين والنظر في مصالحهم وقع في تعب عظيم كتعب من ذبح بغير سكين، والذم بأنّه قد وقع في ظلم الناس ولا يقدر على إقامة الحقّ فهو هالك على وجه شديد الألم كمن ذبح بغير سكين، قال الأندلسي وقد يحصل ذلك من الضمير نحو ﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ (القصص: من الآية ١٢) فالضمير من (له) يحتمل رجوعه لموسى ولفرعون، وقول من سئل عن أبي بكر وعلي رضي الله عنهما أيهما أفضل وهو في موضع لا يمكنه التصريح فيه بمذهب أهل السنة، أفضلهما من كانت ابنته تحته.

وقريب من هذا النوع المواربة، قال ابن أبي الإصبع[٩١١]: هي مشتقة من الوَرَب بفتحتين وهو العرق إذا فسد كأنّ المتكلم أفسد مفهوم كلامه بما أبداه من التأويل، وذلك أن يقول المتكلم قولاً يتضمن ما ينكر عليه فإذا حصل الإنكار استحضر بحذقه وجهاً من الوجوه يتخلص به، إمّا بتحريف كلمة أو تصحيفها أو زيادة أو نقص فمثاله بالتحريف قول عتبان الحروري[٩١٢]:

فَإنْ يَكُ مِنْكُمْ نَجْلُ مَرْوَانَ وَابْنُهُ ... وَيَحْيَى وَمِنْكُمْ هَاشِمٌ وَحَبِيبُ
فَمِنَّا حُصَيْنٌ وَالبُطَيْنُ وَقَعْنَبٌ ... وَمِنَّا أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ شَبِيبُ

فلما بلغ الشعر هشاماً وظفر به قال له أنت القائل (ومنا أميرَ المؤمنين شبيب) فتخلص بفتح الراء بعد ضمها، وشاهد الحذف قول أبي نواس يهجو خالصة جارية الرشيد[٩١٣]:

لَقَدْ ضَاعَ شِعْرِي عَلَى بَابِكُمْ ... كَمَا ضَاعَ دُرٌّ عَلَى خَالِصَهْ

فلمّا بلغ الرشيد أنكر عليه وهدده فقال لم أقل إلا (أضاء) فاستحسن مواربته، وقال بعض من حضر هذا بيت قلعت عيناه فأبصر، وشاهد التصحيف قول العز الموصلي لما مات فتح الدين بن الشهيد وشمس الدين المزين[٩١٤]:

---

(٩١١) تحرير التحبير: ٢٤٩.

(٩١٢) الحماسة البصرية: ١/١٩٥ وفيه:

فَإن يَكُ مِنهُم كانَ مَروانُ وَابنُهُ ... وَعَمرٌو وَمِنهُم هاشِمٌ وَحَبيبُ
فَمِنّا سُوَيدٌ وَالبَطينُ وَقَعنَبٌ ... وَمِنّا أَميرُ المُؤمِنينَ شَبيبُ

(٩١٣) البيت غير موجود في ديوان أبي نواس، وهو في التبيان في البيان: ٢٥٨.

(٩١٤) البيتان في خزانة الأدب: ١/٢٥٠.

دِمَشْقُ قَالَتْ لَنَا مَقَالاً مَعْنَاهُ فِي ذَا الزَّمَانِ بَيِّنْ
انْدَمَلَ الجُرْحُ وَاسْتَرَاحَتْ ذَاتِي مِنَ الفَتْحِ وَالمُزَيِّنْ

***

لطيفة:

روى الطبراني عن عائشة (أن النبي ﷺ أتته عجوز من الأنصار فقالت: يا رسول الله ادْعُ الله أن يدخلني الجنّة، فقال ﷺ: إنّ الجنة لا تدخلها عجوز، ثمّ ذهب فصلى ثمّ رجع فقالت عائشة رضي الله عنها: لقد لقيَتْ من كلمتك مشقة وشدة، فقال ﷺ: إن ذلك كذلك إن الله إذا أدخلهن الجنة حوَّلهن أبكارا)[٩١٥]، فهذه الكلمة البديعة يحتمل أن تكون من الإبهام وهو بعيد، ومن المواربة وهو قريب، ومن الهزل المراد به الجدّ وهو أقرب وقد قال ﷺ (إني لا أمزح لا أقول إلا حقاً)[٩١٦].

وأمّا تعريف التوجيه فيما حرره الصفي الحلي[٩١٧] والمتأخرون[٩١٨] فبأن يوجه المتكلم بعض كلامه إلى أسماء متلائمة اصطلاحاً من أسماء أعلام أو قواعد علوم أو غير ذلك مما تتشعب له الفنون توجيهاً مطابقاً لمعنى اللفظ الثاني من غير اشتراك حقيقي ويفارق التورية من وجهين: أحدهما أنّ التورية باللفظ المشترك والتوجيه باللفظ المصطلح، والثاني أنّ التورية بلفظ واحد والتوجيه لا يصح إلاّ بعدة ألفاظ متلائمة كقول العلاء الوداعي على اصطلاح أهل الحديث[٩١٩]:

مَنْ أَمَّ بَابَكَ لَمْ تَبْرَحْ جَوَارِحُهُ تَرْوِي أَحَادِيثَ مَا أوليتَ مِنْ مِنَنِ
فَالعَيْنُ عَنْ قُرَّةٍ وَالكَفُّ عَنْ صِلَةٍ وَالقَلْبُ عَنْ جَابِرٍ وَالسَّمْعُ عَنْ حَسَنِ

وجه بقرّة بن خالد السدوسي وصلة بن أشيم العدوي التابعي وجابر الصحابي وحسن البصري، وقول السليماني على اصطلاح النحو[٩٢٠]:

---

(٩١٥) المعجم الأوسط ٥/٣٥٧.

(٩١٦) لم نجد أحداً ذكر مثل هذا اللفظ، وفي مسند أحمد ٢/٣٦٠، شعب الإيمان ٤/٣١٦، (لا أقول إلاّ حقاً) فقط لا غير.

(٩١٧) ديوان صفي الدين الحلي: ٤٧١.

(٩١٨) ينظر: خزانة الأدب: ١/٣٠٢، أنوار الربيع: ٣/١٤٤.

(٩١٩) علي بن المظفر إبراهيم بن عمر بن زيد الأديب الاسكندراني الدمشقي توفي (٧١٦هـ). خزانة الأدب: ١/٣٠٤، ٣٠٨.

(٩٢٠) خزانة الأدب: ١/٣٠٩، ٢/٢٣٩، ٤٧٦، وفيهما:

=

أُضِيفَ الدُّجَى لَوْناً إِلَى لَيْلِ شَعْرِهِ فَطَالَ وَلَوْلاَ ذَاكَ مَا خُصَّ بِالجَرِّ
وَحَاجِبُهُ نُونُ الوِقَايَةِ مَا وَقَتْ عَلَى شَرْطِهَا فِعْلُ الجُفُونِ مِنَ الكَسْرِ

وقول الصفي الحلي في اصطلاح النحو(٩٢١):

خِلتُ الفَضائِلَ بَينَ الناسِ تَرفَعُني بِالابتِداءِ فَكانَت أَحرُفَ القَسَمِ

وقول الآخر(٩٢٢):

عَرِّجْ بِنا نَحْوَ طُلُولِ الحِمَى فلم تَزَلْ آهلَةَ الأَربُعِ
حتَّى نُطيلَ اليومَ وَقْفاً على السَّاكِنِ أَو عَطْفاً على الموضِعِ

وقول الشرف النابلسي على اصطلاح الفقه(٩٢٣):

احْجُجْ إِلَى الزَّهْرِ لِتَحْظَى بِهِ وَارْمِ جِمَارَ الهَمِّ مُسْتَنْفِرَا
مَنْ لَمْ يَطُفْ بِالزَّهْرِ فِي وَقْتِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَحْلِقَ قَدْ قَصَّرَا

وقول ابن العفيف على اصطلاح الجدل(٩٢٤):

وَمَا بَالُ بُرْهان العِذارِ مُسلَّماً وَيلْزمه دَوْرٌ وفيهِ تَسَلْسُلُ

وقول الآخر على اصطلاح العروض(٩٢٥):

وَبِقَلْبِي مِنَ الهُمُومِ مَدِيدُ وَبَسِيطٌ وَوَافِرٌ وَطَوِيلُ
لَمْ أَكُنْ عَالِماً بِذَاكَ إِلَى أَنْ قَطَعَ القَلْبَ بِالفِرَاقِ الخَلِيلُ

وقول الآخر على اصطلاح الكتابة(٩٢٦):

رَأَيْتُ فَقِيراً فِي المُرَقَّعَةِ التي عَلَى حُسْنِهِ دَلَّتْ وَحُسْنِ طِبَاعِهِ
بِخَدَّيْهِ رَيْحَانُ الحَوَاشِي مُحَقَّقٌ إِلَى الثُّلْثِ والفَضَّاحُ تَحْتَ رِقَاعِهِ

=

أُضِيفَ الدُّجَى مَعنىً إِلَى لَيْلِ شَعْرِهِ فَطَالَ وَلَوْلاَ ذَاكَ مَا خُصَّ بِالجَرِّ

(٩٢١) ديوان صفي الدين الحلي: ٤٧١.
(٩٢٢) لم نعثر للبيت على نسبة ولم ينسبه في خزانة الأدب: ٣١٠/١.
(٩٢٣) لم نجد من ذكر البيت.
(٩٢٤) ديوان الشاب الظريف: ١٩٩.
(٩٢٥) البيت لنصر الله الفقيه المصري، خزانة الأدب: ٣١١/١.
(٩٢٦) ديوان ابن الوردي: ٢٠٢. والبيت الأوّل فيه:

رَأَيْتُ فَقِيراً فِي المُرَقَّعَةِ التي عَلَى لُطْفِهِ دَلَّتْ وَحُسْنِ طِبَاعِهِ

وقول بعضهم وهو مختفٍ بسبب تزوير في رقعة لابن فضل الله: يقبل الأرض وينهي منذ ثلث سنة مخفق مختف في حواشي البيت يخشى توقيعات الرقاع من صاحب الطومار وسؤال المملوك نسخ هذا الأمر الفضاح بحيث لا يقع عليه غبار فإن المملوك وحق المصحف ما يحمل عود ريحان، وقول صاحب زهير على الرمل(٩٢٧):

تَعَلَّمتُ خَطَّ الرَملِ لَمّا هَجَرتَني لَعَلّي أَرى شَكْلاً يَدُلُّ عَلى الوَصلِ
وَقالوا اِجتِماعٌ قُلتُ يا رَبِّ لِلشَملِ وَقالوا طَريقٌ قُلْتُ يا رَبِّ لِلِّقا

وقول ابن الوردي على النجوم(٩٢٨):

وَجارِيَةٍ كَرِهَتْ بَيْعَهَا مِنَ الأَسْوَدِ السيّئِ المَنْظَرِ
هِيَ الشَّمْسُ فَالبَدْرُ كُفْءٌ لَهَا فَمَا يَرْتَضِي زُحَلاً مُشْتَرِي

وقول الآخر على الهندسة(٩٢٩):

مُحِيطٌ بِأَشْكَالِ المِلاَحَةِ وَجْهُهُ كَأَنَّ بِهِ إِقْلِيدساً يَتَحَدَّثْ
فَعَارِضُهُ خَطُّ اسْتِوَاءٍ وَخَالُهُ بِهِ نُقْطَةٌ وَالشَّكْلُ شَكْلُ مُثَلَّثْ

ومن التوجيه في الصناعات قول في القضاء(٩٣٠):

الكِتَابُ العَزِيزُ قَاضٍ عَلَيْنَا وَبِهِ الاقْتِدَاءُ فِي كُلِّ خُلَّهْ
مَنْ يُرِدْ أَنْ يَكُونَ قَاضٍ عَلَيْهِ فَلْيَقُلْ فِي أَمَامِهِ بِسْمِ اللهْ

وقد علمت أن قولي (قلت الصفي) إلى آخر الأبيات المذكورة من زيادتي.

الهزل في معرض الجد، التهكم، الهجو في معرض المدح، النزاهة

والهَزْلُ ذُو الجِدِّ فَقُلْ لِمَنْ أَتَى مُباحِثاً كَيفَ تَهجّى بَا وَتَا
قُلْتُ وَمِنْهُ يَقْرُبُ التَّهَكُّمُ وَالهَجْوَ فِي مَعْرِضِ مَدْحٍ نَظَمُوا
وَإِنْ خَلاَ الهَجْوُ مِنَ الفَحَاشَةِ وِنِحْوِهَا فَسَمّ بِالنَّزَاهَةِ

---

(٩٢٧) وهو بهاء زهير، ينظر ديوانه، ورواية الديوان للبيت الأوّل هي:

تَعَلَّمتُ خَطَّ الرَملِ لَمّا هَجَرتُم لَعَلّي أَرى فيهِ دَليلاً عَلى الوَصلِ

(٩٢٨) ديوان ابن الوردي: ٤٧٢.

(٩٢٩) البيتان للبهاء زهير وهما غير موجودين في ديوانه وهما في نفح الطيب: ٦٨١/٢، خزانة الأدب: ٣١٢/١.

(٩٣٠) لم نعثر للبيت على نسبة.

من أنواع البديع الهزل المراد به الجد بأن يقصد مدح إنسان أو ذمّه فيخرج ذلك مخرج الهزل والمجون كقوله(٩٣١):

إِذا مــا تَميمِــيٌّ أَتــاكَ مُفاخِــراً فَقُـل عُـدِّ عَـن ذا كَـيفَ أَكلُـكَ لِلـضَبِّ

وقول أبي العتاهية(٩٣٢):

أَرقـيكَ أَرقـيكَ بِاسـمِ اللَّـهِ أَرقـيكا مِـن بُخـلِ نَفسِكَ عَـلَّ اللَّـهَ يَـشفيكا
مــا سِــلمُ كَفِّــكَ إِلاّ مَــن تَـناوِلَها وَلا عَــدُوُّكَ إِلاّ مَــن يُــرَجّيكا

ومنه التهكم ذكرته من زيادتي وهو من مخترعات ابن أبي الإصبع(٩٣٣) وفسره الصفي(٩٣٤) بالاستهزاء كقوله(٩٣٥):

فَــيَا لَــهُ مِــنْ عَمَــلٍ صَــالِحٍ يَــرْفَعُهُ اللهُ إلَــى أسْــفَلِ

وعبارة المصباح(٩٣٦) إخراج الكلام عن ضدّ مقتضى الحال استهزاءً بالمخاطب أو غيره أو تعريضاً بقوة المحرك للغضب، والفرق بينه وبين الذي قبله أنّ التهكم ظاهره جدّ وباطنه هزل والذي قبله بالعكس، ومنها الهجو في معرض المدح ذكرته من زيادتي أيضاً وهو من مستخرجات ابن أبي الأصبع(٩٣٧) وهو أن يقصد هجاء إنسان فيأتي بألفاظ موجهة ظاهرها المدح وباطنها القدح فيتوهم أنّه يمدحه وهو يهجوه كقول الحماسي(٩٣٨):

يُجْـزَوْنَ مِـنْ ظُلْـمِ أهْـلِ الظُّلْـمِ مَغْفِـرَةً وَمِــنْ إسَــاءَةِ أهْــلِ الــسُّوءِ إحْــسَانَا

---

(٩٣١) البيت لأبي نواس، ديوانه: ٥١٠.
(٩٣٢) ديوان أبي العتاهية: ٤٦٦، وفيه:
أَرقـيكَ أَرقـيكَ بِاسـمِ اللَّـهِ أَرقـيكا مِـن بُخـلِ نَفسِكَ عَـلَّ اللَّـهَ يَـشفيها
مـا سِـلمُ كَفِّـكَ إِلّا مَـن يُـناوِلُها وَلا عَـدُوُّكَ إِلّا مَـن يُـرَجّيها
(٩٣٣) تحرير التحبير: ٥٦٨.
(٩٣٤) ديوان صفي الدين الحلي: ٤٦٩.
(٩٣٥) ينسب البيت لابن الرومي وهو غير موجود في ديوانه وقد نسب إليه في تحرير التحبير: ٥٧٠، نهاية الإرب: ١٨٠/٧، خزانة الأدب: ١٩٢/٢.
(٩٣٦) المصباح: ١١١.
(٩٣٧) تحرير التحبير: ٥٥٠.
(٩٣٨) البيتان لقريظ بن أنيق العنبري التميمي شاعر جاهلي يمدح بها بني مازن، ينظر: عيون الأخبار: ٢٨٥/١، العقد الفريد: ١٦/٣.

كَـأَنَّ رَبَّـكَ لَـمْ يَخْلُـقْ لِخَشْيَتِهِ   سِـوَاهُمُ مِـنْ جَمِـيعِ الخَلْـقِ إِنْسَانَا

ظاهره المدح بالحلم والخشية والتقوى وباطنه المقصود أنّهم في غاية الذلّ والعجز، والفرق بينه وبين التهكم أنّ التهكم لا تخلو ألفاظه من لفظة دالّة على نوع ذمّ أو يفهم من فحواه الهجو وألفاظ الهجو في معرض المدح لا يقع فيها شيء من ذلك ولا تزال تدلّ على ظاهر المدح حتى يقترن بها ما يصرفها عنه، ومنها النزاهة ومحلها الهجاء وهو أن يأتي فيه بألفاظ خالية عن الفحاشة بحيث لو أنشدتها العذراء في خدرها لم يعب عليها وفي القرآن من ذلك العجب العجاب كقوله تعالى ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٌ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (النور: ٤٨) الآيات[٩٣٩]، قالوا وأحسن ما وقع في هذا الباب من الشعر قول جرير[٩٤٠]:

وَلَـوَ أنَّ تَغلِـبَ جَمَّعَـت أَنسابَها   يَـومَ التَفاضُـلِ لَـم تَـزِن مِـثقالا

فإنّه هجو في غاية الإنكاء وألفاظه منزهة عن الفحش.

***

تجاهل العارف

تَجاهُـلُ العَـارِفِ سَـوْقُ مَـا عَلِـمْ   مَـسَاقَ غَيْـرِهِ لِنُكْـتَةٍ تُهِـمْ

مِـثْلُ المُـبَالَغةِ فِـي المَـدْحِ البَهِـيّ   وَالـذَمِّ وَالتَوْبِـيخِ وَالـتَّدَلُّهِ

كَمَعْـشَرِ الظِّـبَاءِ يَـا حُـورَ النَّظَـرْ   أَمِـنْكُمْ سُـعادُ أَمْ مِـنَ البَـشَرْ

تجاهل العارف سوق المعلوم سوق غيره أي يسأل عما يعلمه سؤال ما لا يعلمه لنكتة كالمبالغة في المدح كقوله[٩٤١]:

أَلَمـعُ بَـرقٍ سَـرى أَم ضَـوءُ مِـصباحِ   أَمِ ابتِـسامَتُها بِالمَنظَـرِ الـضاحي

أو الذمّ كقوله[٩٤٢]:

---

(٩٣٩) والآيات هي قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (النور: الآيتان ٤٩ - ٥٠).

(٩٤٠) ديوان جرير: ١/٦٥.

(٩٤١) البيت للبحتري، ديوانه: ١/٤٤٢.

(٩٤٢) البيت لزهير بن أبي سلمى، شرح ديوانه: ٧٣.

وَمـا أَدري وَسَـوفَ إِخـالُ أَدري أَقَـومٌ آلُ حِـصنٍ أَم نِـساءُ

والتوبيخ كقوله[٩٤٣]:

أَيـا شَـجَرَ الخَابُـورِ مَـا لَـكَ مُـورِقاً كَأَنَّـكَ لَـمْ تَجْـزَعْ عَلَـى ابْـنِ طَـرِيفِ

والتدلّه في الحب[٩٤٤]:

بِاللَّـهِ يـا ظَبَـياتِ القَـاعِ قُلْـنَ لَـنَا لَـيلايَ مِـنكُنَّ أَم لَيلَـى مِـنَ البَـشَرِ

***

القول بالموجب

القَـوْلُ بِالمُـوجَبِ أَنْ يَأْتِـي إِلَـى وَصْـفٌ بِقَـوْلِ غَيْـرِهِ أُطْلِـقْ عَلَـى

شَـيْءٍ لَـهُ أُثْـبِتَ حُكْـمٌ يُثْـبَتُ هَـذَا لِغَيْـرِهِ وَلكِـنْ يُـسْكَتُ

عَـنْ نَفْـيِهِ عَـنْهُ أَوِ الثُّـبُوتِ لَـهْ وَمِـنْهُ لَفْـظٌ فـي كَـلاَمٍ حَمَلَـهْ

كَقَـوْلِهِ سَـلَوْتَ يَـا هَـذَا عَـنِ فَقُـلْ لَـهُ عَـنْ صُـحْبَتِي وَوَطَنِـي

من أنواع البديع القول بالموجب وهو نوع لطيف جداً وأفرده الصلاح الصفدي[٩٤٥] بالتأليف ويسمى أيضاً الأسلوب الحكيم وهو ضربان: أحدهما أن يقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم فتثبتها أنت في كلامك لغير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم بذلك الغير أو نفيه عنه كقوله تعالى ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ ﴾ (المنافقون: من الآية ٨) الآية[٩٤٦]، فـ(الأعزّ) وقعت في كلام المنافقين كناية عن فريقهم و(الأذلّ) عن فريق المؤمنين وأثبت المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة، فأثبت الله في الردّ عليهم صفة العزّة لغير فريقهم وهو الله ورسوله والمؤمنون ولم يتعرض لثبوت ذلك الحكم الذي هو الإخراج للموصوفين صفة العزة ولا لنفيه عنهم، والثاني حمل لفظ

---

(٩٤٣) البيت لليلى الخارجية وهي ليلى بنت طريف، الأغاني: ١٢/ ٨٨.

(٩٤٤) البيت لمجنون ليلى، ديوانه: ١٦٨.

(٩٤٥) لم نعثر على مؤلف للصفدي يتناول هذا الموضوع.

(٩٤٦) والآية كاملة قوله تعالى ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾ (المنافقون: ٨).

وقع في كلام الغير على خلاف مراده ممّا يحتمله بذكر متعلّقه، وحذاق البديع شرطوا خلوه من لفظة (لكن) لأنّهم خصصوا بها نوع الاستدراك كقوله[٩٤٧]:

قُلْـتُ ثَقَّلْـتُ إذْ أَتَـيْتُ مـراراً ... قـالَ ثَقَّلْـتَ كاهِلِـي بالأَيـادِي

قلـتُ طَـوَّلْت قـال لا بـل تَطَـوَّ ... لـت وأَبـرمتُ قـالَ حَـبْلَ ودادِي

وقول الشواء[٩٤٨]:

وَلَمَّـا أَتَانِـي العَاذِلُـونَ عَدِمْـتُهُمْ ... وَمَـا فِـيهِمْ إلاّ لِلحِمَـى قَـارِضُ

وَقَـدْ بُهِـتُوا لَمَّـا رَأَوْنِـي شَـاحِباً ... وَقَـالَ بِـهِ عَـيْنٌ فَقُلْـتُ وَعَـارِضُ

وقول الشهاب محمود[٩٤٩]:

رَأَتْنِـي وَقَـدْ نَـالَ مِنِّـي الـنُّحُولُ ... وَفَاضَـتْ دُمُوعِـي عَلَـى الخَـدِّ فَيْـضَا

فَقَالَـتْ بِعَيْنِـيَّ هَـذَا الـسُّقَامُ ... فَقُلْـتُ صَـدَقْتِ وَبِالخَـصْرِ أَيْـضَا

***

التسليم، المناقضة، الاستدراك، الاستثناء

قُلْـتُ وَمِـنْهُ يَقْـرُبُ التَّـسْلِيمُ أَنْ ... يَـسْلَمَ الفَـرْضُ المُحَـالُ ثُـمَّ عَـنْ

لاَزِمِـهِ بِـضِدٍّ إذْ قَـدْ وُجِّـدَا ... مَـا مَـنَعَ اتِّـبَاعَهُ وَيُـورَدَا

وَإنْ عَلَـى المُمْكِـنِ مَـعْ مَـا نَاقَـضَهْ ... مُـرِيدُهُ عُلِّـقَ فَالمُنَاقَـضَهْ

كَـذَاكَ الاسْـتِدْرَاكُ وَالإسْـتِثْنَا ... حَـيْثُ أَفَـادَ بَهْجَـةً وَحَـسْنَا

هذه الأبيات من زيادتي فيها أنواع تقرب من القول بالموجب فجعلتها عقبه.

الأول التسليم: وهو أن يفرض المتكلم حصول أمر قد نفاه أو أفهم استحالته أو شرط فيه مستحيلاً ثمّ يسلم وقوعه ويأتي بما يدلّ على عدم فائدته كقول الصفي[٩٥٠]:

سَأَلْتُ فِي الحُبِّ عُذّالِي فَما نَصَحوا ... وَهَـبْهُ كـانَ فَمـا نَفعـي بِنُـصحِهِمِ

وعبارة الشيخ بهاء الدين[٩٥١] وهو أن يفرض محالاً منفياً أو مشروطاً بشرط بحرف

(٩٤٧) البيت لابن حجاج نهاية الإرب: ١٧١/٧، التلخيص: ١٠١، الإيضاح: ٣٨٠/٢.

(٩٤٨) ينظر البيتان في نهاية الإرب: ١٧١/٧.

(٩٤٩) ينظر البيتان في حسن التوسل: ٣٠٦، نهاية الإرب: ١٧١/٧.

(٩٥٠) ديوان صفي الدين الحلي: ٤٦٩.

(٩٥١) عروس الأفراح: ٣١٢/٢.

الامتناع ليكون ما ذكره ممتنع الوقوع لامتناع شرطه كقوله تعالى ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ﴾ (المؤمنون: من الآية ٩١) الآية[٩٥٢].

الثاني المناقضة: وهي تعليق الشرط على نقيضين ممكن ومستحيل ومراده المستحيل دون الممكن ليؤثر التعليق عدم وجود الشرط فكأنّ المتكلم ناقض نفسه في الظاهر إذ شرط وقوع أمر بوقوع نقيضين كقول النابغة[٩٥٣]:

وَإِنَّكَ سَوفَ تَحلُمُ أَو تَناهى ... إِذا ما شِبتَ أَو شابَ الغُرابُ

علقه على شيبه وهو ممكن ومشيب الغراب وهو محال وهو المراد لأنّ مقصوده أنّه لا يحلم أبداً، وقول الصفي[٩٥٤]:

وَإِنَّني سَوفَ أَسلوهُم إِذا عُدِمَت ... روحي وَأَحيَيتُ بَعدَ المَوتِ وَالعَدَمِ

الثالث: الاستدراك: عدّوه من أنواع البديع بأن يكون فيه حسن ودقة سواء تقدمه تقرير ما أخبر به المتكلم أم لا، وقد أشار إليه في الإيضاح وقال[٩٥٥]: إنّه قريب من القول بالموجب فالأوّل كقوله[٩٥٦]:

وَإِخْوَانٍ حَسِبْتُهُمُ دُرُوعاً ... فَكَانُوهَا وَلَكِنْ لِلأَعَادِي

وَخِلْتُهُمُ سِهَاماً صَائِبَاتٍ ... فَكَانُوهَا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي

وَقَالُوا قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبٌ ... لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ عَنْ وِدَادِي

وقوله يخاطب قاضياً أودع مالاً فادعى ضياعه[٩٥٧]:

إن قالَ قَدْ ضاعَتْ فيصدُقُ أَنَّها ... ضاعَتْ ولكنْ منكَ يَعني لوْ تعي

أو قالَ قد وَقعَتْ فيصدُقُ أَنَّها ... وقعَتْ ولكنْ منهُ أَحسَنَ موقعِ

---

(٩٥٢) والآية كاملة قوله تعالى ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ (المؤمنون: ٩١).

(٩٥٣) ديوان النابغة الذبياني: ١٠٩.

(٩٥٤) ديوان صفي الدين الحلي: ٤٧٠.

(٩٥٥) الإيضاح: ٣٨١/٢.

(٩٥٦) الأبيات لابن الرومي: ٦٥٩/٢، والبيت الأول فيه:

وإخوانٍ تخذتهمُ دروعاً ... فكانوها ولكنْ للأعادي

(٩٥٧) البيت لابن الدويدة المعري، تحرير التحبير: ٣٣١، الإيضاح: ٣٨١/٢.

وقول الأرجاني[٩٥٨]:

غَالَطَتْنِي إذْ كَسَتْ جِسْمِي ضَنىً   كِسْوَةً أعْرَتْ مِنَ الجِلْدِ العِظَامَا
ثُمَّ قَالَتْ أنْتَ عِنْدِي فِي الهَوَى   مِثْلُ عَيْنِي صَدَقَتْ لَكِنْ سَقَامَا

والثاني قول زهير[٩٥٩]:

أَخُو ثِقَةٍ لا يُهْلِكُ الخَمرُ مالَهُ   وَلَكِنَّهُ قَد يُهلِكُ المَالَ نائِلُه

والنكتة الزائدة على معنى الاستدراك في الأولى ظاهرة وفي هذا أنّه لو اقتصر على صدر البيت لأوهم البخل فأزاله به.

الرابع الاستثناء: بأن يفيد أيضاً نكتة زائدة على الإخراج ويكسو المعنى بهجة وحسناً كقوله[٩٦٠]:

وَلَوْ كُنْتَ بِالعَنْقَاءِ أَوْ بِأُطُومِهَا   لَخِلْتُكَ إلاّ أنْ تَصُدَّ تَرَانِي

ومنه سماه ابن أبي الأصبع[٩٦١] استثناء الحصر وهو غير الذي يخرج القليل من الكثير ونظم فيه[٩٦٢]:

إلَيْكَ وَإلاَّ مَا تُحَثُّ الرَّكَائِبُ   وَعَنْكَ وَإلاَّ فَالمُحَدِّثُ كَاذِبُ

المعنى لا تحث الركائب إلا إليك ولا يصدق المحدث إلاّ عنك.

***

الاطراد

وَالاطِّرَادُ ذِكْرُكَ اسْمَ مَنْ علاَ   وَأَبَهُ وَجَدَّهُ عَلَى الوَلاَ
بِلاَ تَكَلُّفٍ عَلَى وَجْهٍ جَلِيّ   مِثْلُ الحُسَيْنِ بْنِ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيّ

من أنواع البديع الاطّراد وهو لغة مصدر اطّرد الماء وغيره إذا جرى بلا توقف

(٩٥٨) ديوان الأرجاني: ١٣٢٣/٣ والبيت الأوّل فيه:

غَالَطَتْنِي إذْ كَسَتْ جِسْمِي ضَنىً   كِسْوَةً عرَّتْ مِنَ اللّحمِ العِظَامَا

(٩٥٩) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: ١٤١ وفيه:

أخي ثِقَةٍ لا تهلك الخَمرُ مالَهُ   وَلَكِنَّهُ قَد يُهلِكُ المَالَ نائِلُه

(٩٦٠) البيت لأبي حية النميري: الكامل: ٣٠٢/١، تحرير التحبير: ٣٣٦، وفيهما:

ولو كنت بالعنقاء أو بيسومها   لخلتك إلا أن تصد تراني

(٩٦١) تحرير التحبير: ٣٣٧.

(٩٦٢) البيت لابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير: ٣٣٧.

ومعناه أن يذكر الشاعر اسم الممدوح وأبيه وجدّه على التوالي بلا تكلّف ولا تعسف كقوله[٩٦٣]:

إنْ يَقْــتُلُوكَ فَقَــدْ ثلَلْــتَ عُرُوشَــهُمْ ... بِعُتَيْــبَةَ بْــنِ الحَــارِثِ بْــنِ شِــهَابِ

وقوله[٩٦٤]:

مَــن يَكُــنْ رَامَ حاجَــةً بَعُــدَت عَــنـ ... ــهُ وَأَعــيَت عَلَــيهِ كُــلّ العَــياءِ

فَلَهــا أَحمَــدُ المُرَجّــى بــنُ يَحيــى بــ ... ــنُ مُعــاذ بــنُ مُــسلم بــنُ رَجــاءِ

وقال الصفي[٩٦٥]: الاطراد ذكر اسم الممدوح ولقبه وكنيته وصفته اللائقة به واسم من أمكن من أبيه وجده وقبيلته في بيت واحد بلا تعسف ولا تكلف والانقطاع بألفاظ أجنبية ولم يتقدّمه أحد إلى اشتراط هذه الأمور كلّها ومثله بقول بعضهم[٩٦٦]:

مُــؤَيَّدُ الــدِّينِ أبُــو جَعْفَــرٍ ... مُحَمَّــدُ بْــنُ العَلْقَمِــيّ الوَزِيْــرُ

***

الاحتباك، الطرد، العكس

قُلْــتُ وَمِــنْهُ الاحْتِــبَاكُ يُخْتَــصَرْ ... مِــنْ شَــقَّيِ الجُمْلَــةِ ضِــدَّ مَــا ذُكِــرْ

وَهْــوَ لَطِــيفٌ رَاقَ لِلْمُقْتَــبَسِ ... بَيَّــنَهُ ابْــنُ يُوسُــفَ الأنْدَلُــسِيّ

وَالطَّــرْدُ وَالعَكْــسُ قَــرِيبٌ مِــنْهُ ... حَــرَّرَهُ الطِّيبِــيُّ فَابْحَــثْ عَــنْهُ

يُقَــرِّرُ الأوَّلُ بِالمَــنْطُوقِ ذَا ... مَفْهُــومِ تَالِــيهِ وَبِــالعَكْسِ خُــذَا

هذه الأبيات وما بعدها إلى القسم الثاني كلّها من زيادتي، فمن أنواع البديع الاحتباك وهو نوع لطيف لم يتنبه إليه أحد من أهل هذا الفن ولا ذكره أصحاب البديعيات ولم نقف على أحد تعرض لذكره إلا رفيق الأعمى في شرح بديعيّته وكنت تأمّلت قوله تعالى ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ (الإنسان: من الآية ١٣)، وقولهم إن الزمهرير هو البرد أو القمر قولان، فقلت لعلّ المراد به البرد وأشير بالشمس على أنّه لا حرّ فيها فحذف من الأول الحرّ ومن الثاني القمر والتقدير لا شمس فيها ولا قمر

---

(٩٦٣) البيت لرجل من بني نصر بن معين، ديوان الحماسة: ١/٣٤٩.

(٩٦٤) زيات، ولم ينسبه في خزانة الأدب: ١/٣٥٢.

(٩٦٥) ديوان صفي الدين الحلي: ٨٣.

(٩٦٦) لم نعثر للبيت على نسبة، ولم ينسبه في خزانة الأدب: ١/٣٥١.

ولا حرّ ولا برد، وقلت في نفسي هذا نوع لطيف لكن لا أعرف في أنواع البديع ما يدخل فيه ثمّ اجتمعت بصاحبنا العلامة برهان الدين البقاعي[٩٦٧] فذكر أنّ بعض شيوخه أفاده أنّ من أنواع البديع ما يسمى الاحتباك وهو أن تذكر جملتان في كلٍّ متقابلان ويحذف من كلٍّ ضدّ ما ذكر في الأخرى كقوله تعالى ﴿ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ (آل عمران: من الآية ١٣)، فحذف من الأوّل مؤمنة ومن الثاني تقاتل في سبيل الشيطان، وقال لي لم أقف على من تعرض لهذا ولم أره في كتاب وقد ألّفت فيه كراسة سميتها (الإدراك)[٩٦٨]، فلمّا طالعت شرح بديعية ابن جابر لرفيقه أحمد بن يوسف الأندلسي رأيته ذكره في أثناء كلامه استطراداً فقال من أنواع البديع الاحتباك وهو نوع عزيز، وهو أن يحذف من الأول ما ثبت نظيره في الثاني ومن الثاني ما ثبت نظيره في الأول كقوله تعالى ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ ﴾ (البقرة: من الآية ١٧١) الآية[٩٦٩]، التقدير: ومثل الأنبياء والكفار كمثل الذي ينعق والذي ينعق به، فحذف من الأول (الأنبياء) لدلالة الذي ينعق عليه ومن الثاني الذي ينعق به لدلالة (الذين كفروا) عليه وقوله ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ ﴾ (النمل: من الآية ١٢)، التقدير: تدخل غير بيضاء وأخرجها بيضاء الخ، فحذف من الأول (تدخل) إلخ ومن الثاني (أخرجها) انتهى ملخصاً.

قلت: ومن ألطفه قوله تعالى ﴿ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾ (التوبة: من الآية ١٠٢) أي صالحاً بسيّئ وآخر سيّئاً بصالح، ومأخذه من الحبك الذي معناه السدّ والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب، فحبك الثوب سدّ ما بين خيوطه من الفرج وشدّه وإحكامه بحيث يمنع عن الخلل مع الحسن والرونق، وبيان أخذه منه أن مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفرج بين الخيوط فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر

---

(٩٦٧) برهان الدين البقاعي هو إبراهيم بن عمر بن حسن بن أبي بكر، مؤرخ وأديب له مؤلفات عديدة منها: عنوان الزمان في تراجم الشيوخ، عنوان العنوان، أسواق الأشواق، وكلّها مخطوطة، توفي سنة (٨٨٥ هـ).

(٩٦٨) في ر، ح [الادراك].

(٩٦٩) والآية كاملة قوله تعالى ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾، (البقرة: ١٧١)

في نظمه وحوكه فوضع المحذوف مواضعه كان حائكاً له مانعاً من خلل يطرقه فسدّ بتقديره ما يصلح به الخلل مع ما أكسبه من الحسن والرونق.

ومن أنواع البديع الطرد والعكس ذكره الطيبي في التبيان[٩٧٠] وفسره بأن يؤتى بكلامين يقرر الأوّل بمنطوقه مفهوم الثاني وبالعكس كقوله تعالى ﴿ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ - إلى قوله - ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ﴾ (النور: من الآية ٥٨)[٩٧١]، فمنطوق الأمر بالاستئذان في تلك الأوقات خاصة مقرر لمفهوم رفع الجناح فيما عداها وبالعكس وكذا قوله ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم: من الآية ٦).

***

نفي الشيء بالإيجاب، الكلام الجامع، المراجعة، الترتيب، المتابعة، الترقي، التدلّي

وَمِنْهُ نَفْيُ الشَّيْءِ بِالإيجَابِ ... نَفْيَ الثُّبُوتِ بِانْتَفا الأسْبَابِ
وَإنْ أتَى فِي البَيْتِ وَعْظٌ لامِعُ ... أوْ حِكْمَةٌ فَهُوَ الكَلامُ الجَامِعُ
حِكَايَةُ التَّحَاوُرِ المُرَاجَعَهْ ... تَرْتِيبُهُ أوْصَافه المتابعة
ثُمَّ التَّرَقِّي وَهْوَ ذِكْرُ المَعْنَى ... وَفَوْقَهُ ثُمَّ التَّدَلِّي يُعْنَى

في هذه الأبيات أنواع:

أحدها: نفي الشيء بإيجابه وفسره ابن رشيق[٩٧٢] وابن أبي الأصبع[٩٧٣] وغيرهما بما معناه أن يكون الكلام ظاهره إيجاب الشيء وباطنه نفيه بأن ينفي ما هو من سببه كوصفه وهو المنفي في الباطن نحو ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ (البقرة: من الآية

---

(٩٧٠) التبيان في البيان: ٣٠٥.

(٩٧١) والآية كاملة قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٨ ﴾ (النور: ٥٨).

(٩٧٢) العمدة: ٢/٨٠.

(٩٧٣) تحرير التحبير: ٣٧٧.

٢٧٣)، نفي الإلحاف والمراد في الباطن نفي السؤال البتة، وقوله ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (غافر: من الآية ١٨)، نفى طاعة الشفعاء، والمراد نفي الشفيع مطلقاً، وقال الشاعر(٩٧٤):

عَلَى لاحِبٍ لا يَهتَدي بِمَنارِهِ [إِذا سافَهُ العَودُ النُباطِيُّ جَرجَرا]

أي لا منار له يهتدى به.

***

لطيفة:

هذا النوع يورده المنطقيون في كتبهم ويعبّرون عنه بعبارة على اصطلاحهم ويمثلون له بقولهم (ما في الدار زيد) ويقصدون عدم وجود زيد في الدنيا أصلاً فإذا وقع لأرباب الحديث والسنة مثل هذا فإنّهم يتحاشون عن التعبير عنه باصطلاح المناطقة وقد وسع الله لهم في العبارة فليوردوه على اصطلاح أهل البديع.

الثاني: الكلام الجامع وفسروه بأن يأتي الشاعر ببيت مشتمل على حكمة أو وعظ أو غير ذلك من الحقائق التي تجري مجرى الأمثال كقوله(٩٧٥):

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ وَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنهُ وَيُذْمَمِ

وقول المتنبي(٩٧٦):

وَإِذا كانَتِ النُفوسُ كِباراً تَعِبَت في مُرادِها الأَجسامُ

الثالث: المراجعة ذكرها ابن مالك(٩٧٧) وعبد الباقي وغيرهما وهي حكاية التحاور بين المتكلم وغيره في البيت الواحد بألفاظ وجيزة كقول الصفي(٩٧٨):

قالوا اِصطَبِر قُلتُ صَبري غَيرُ مُتَّبِعٍ قالوا أُسلُهُم قُلتُ وُدّي غَيرُ مُنصَرِمِ

الرابع: الترتيب والمتابعة وهو من مستخرجات التيفاشي، وهو أن يرتب أوصاف الموصوف على ترتيبها في الخلقة الطبيعية، ولا يدخل فيها وصفاً زائدا كقول مسلم بن

---

(٩٧٤) البيت لامرئ القيس، ديوانه: ٦٦.

(٩٧٥) البيت لزهير بن أبي سلمى، شرح ديوانه: ٣٠.

(٩٧٦) شرح ديوان المتنبي: ٢/٦٤.

(٩٧٧) المصباح: ١٢١.

(٩٧٨) ديوان صفي الدين الحلي: ٤٦٩.

الوليد[٩٧٩]:

هَـيْفَاءُ فِـي فَـرْعِهَا لَـيْلٌ عَلَـى قَمَـرٍ عَلَى قَضِيبٍ عَلى حَقْفِ النَّقَا الدَّهِشِ

فإن الأوصاف الأربعة على ترتيب خلقة الإنسان من الأعلى إلى الأسفل وقول الصفي[٩٨٠]:

كَالـنَّارِ مِـنْهُ رِيَـاحُ المَـوْتِ إنْ عَـصَفَتْ يَـرْوِى صُـرى مَائـةِ أرْضَ الوَغَـى بِـدَمِ

رتبه على العناصر الأربعة ومثل عبد الباقي بقوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ﴾ (غافر: من الآية ٦٧)، وقوله تعالى ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾ (مريم: ٢٥)، وقوله ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾ (الشمس: من الآية ١٤) الآية[٩٨١]، وقول زهير[٩٨٢]:

يُؤَخَّـرْ فَيوضَـعْ فـي كِـتابٍ فَيُدَّخَـر لِـيَومِ الحِـسابِ أَو يُعَجَّـل فَيُـنقَمِ

الخامس: الترقي ذكره في التبيان[٩٨٣] وهو أن يذكر المعنى ثمّ يردفه بما هو أبلغ منه كقولهم (عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض)، وقوله تعالى ﴿ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ (الحشر: من الآية ٢٤)أي قدر ما يوجد ثم مثله، وقوله ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾ (البقرة: من الآية ١٢٠)، أي ولا من هو أقرب مودة فكيف بالأبعد.

السادس: التدلي بأن يذكر الأعلى أوّلاً ثمّ الأدنى لنكتة نحو ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ ﴾ (الفاتحة: ٣)، فإنّ الأوّل أبلغ ولو اقتصر عليه لاحتشم أن يطلب منه اليسر فكمل بالألطف

---

(٩٧٩) شرح ديوان صريع الغواني: ٢٣٥، وفيه:

غَـرّاءُ فِـي فَـرْعِهَا لَـيْلٌ عَلَـى قَمَـرٍ عَلَى قَضِيبٍ عَلى دَعْصِ النَّقَا الدَّهِسِ

(٩٨٠) ديوان صفي الدين الحلي: ٤٧٥.

كَالنارِ مِنهُ رِياحُ المَوتِ قَد عَصَفَت لَمّـا روى مـاؤُهُ أَرضَ الوَغـى بِـدَمِ

(٩٨١) والآية كاملة قوله تعالى ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ ﴾.

(٩٨٢) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: ١٨.

(٩٨٣) التبيان في البيان: ٣١٥.

لذلك، وخرج على ذلك ﴿ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾ (البقرة: من الآية ٢٥٥)، ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا ﴾(الإسراء: من الآية ٢٣)، ﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾ (النساء: من الآية ١٧٢)، ونكتة البداءة بالمسيح أنّ الخطاب مسوق للردّ على النصارى ثمّ استطرد للرد على العرب المدّعين في الملائكة ثمّ تخلص إلى حال المعاد.

***

الاستطراد، الافتنان، الاشتقاق، الاتفاق، الإلغاز، الاكتفاء، القسم، جمع المؤتلف والمختلف، الاتساع، التفسير، الإيضاح، الاشتراك، حسن البيان

وَمِنْهُ الاسْتِطْرَادُ أَنْ يَنْتَقِلاَ ... مِنْ غَرَضٍ لآخَرٍ قَدْ شَاكَلاَ
وَالافْتِنَانُ الجَمْعُ لِلفَنَّيْنِ ... كَالمَدْحِ وَالهَجْوِ وَنَحْوِ ذَيْنِ
وَالاشْتِقَاقُ أَخْذُ مَعْنىً مِنْ عَلَمْ ... فَإِنْ يُطَابِقْ فَبالاتِّفَاقِ سَمّ
وَمِنْهُ الإِلْغَازُ وَنَوْعُ القَسَمِ ... وَالاكْتِفَاءُ حَذْفُ بَعْضِ الكَلَمِ
وَخَيْرُهُ عِنْدِيَ مَا فِيهِ وَفَتْ ... تَوْرِيَةٌ عَنْ اكْتِفَاءٍ صُرِفَتْ
وَجَمْعُهُ مُؤْتَلِفاً أَوْ مُخْتَلِفْ ... وَالاتِّسَاعُ شَامِلٌ لِمَا عُرِفْ
وَإِنْ يَكُنْ فِي اللَّفْظِ لَبْسٌ فَيَفِي ... تَفْسِيرُهُ فَذَاكَ تَفْسِيرُ الخَفِي
وَإِنْ يَزِلْ لَبْساً عَنِ الإِبْهَامِ ... فَذَاكَ إِيضَاحٌ بِلاَ إِبْهَامِ
وَإِنْ أَتَى مُشْتَرَكٌ يُبَادِرُ ... غَيْرَ المُرَادِ فَاشْتِرَاكٌ صَادِرُ
حُسْنَ البَيَانِ زَادَ فِي المِصْبَاحِ ... وَرَدَّهُ الجَلاَلُ فِي الإِيضَاحِ

في هذه الأبيات أنواع: أحدها: الاستطراد وذكره في التبيان[٩٨٤] والإيضاح[٩٨٥] والمصباح[٩٨٦]، وهو أن يكون في فن من الفنون أيُّ غرض من الأغراض ثمّ يسنح له فن آخر يناسبه في الذكر فيورده ثمّ يرجع إلى الأوّل ويقطع الاستطراد، وبهذا القيد يخرج عن التخلص، وعرفه في الإيضاح[٩٨٧] بالانتقال من معنى إلى آخر يتّصل به لم

---

(٩٨٤) التبيان في البيان: ٣٢٠.

(٩٨٥) الإيضاح: ٣٤٩/٢.

(٩٨٦) المصباح: ١٠٦.

(٩٨٧) الإيضاح: ٣٤٩/٢.

يقصد بذكر غير الأول التوصل إلى الثاني، وبهذا يفارق التخلص أيضاً، وفي شرحه أنّ المراد بالاتصال أن يكون بين المعنيين مناسبة، وذكر الحاتمي(٩٨٨) أنّه نقل هذه التسمية عن البحتري، وذكر غيره أنّ البحتري نقلها عن أبي تمام كقوله تعالى ﴿ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ (هود: من الآية ٩٥)، فَذِكْر ثمود استطراد، قلت: وقد خرّجت عليه ﴿ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ (النساء: من الآية ١٧٢)، وأورد منه الطيبي(٩٨٩) قوله تعالى ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ (فاطر: من الآية ١٢)، فعطف (ومن كلّ تأكلون) لكونه مناسباً لأصل الكلام، وهو البحران المعنيّ بهما المؤمن والكافر، وقوله ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ ﴾ (لقمان: من الآية ١٣) الآيات(٩٩٠)، استطرد فيها إلى قوله ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ (لقمان: من الآية ١٤)، واستطرد من الوصية إلى قوله ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ (لقمان: من الآية ١٤)، وفائدة الاستطراد الأوّل التحريض على قبول موعظة الآباء، وفائدة الثاني التوكيد في التوصية في حقهم وبالوالدة خصوصاً لما تكابد من مشاق الحمل والرضاع، ومن أمثلته في الشعر(٩٩١):

إذَا مَــا اتَّقَــى اللهَ الفَتَــى وَأطَاعَــهُ ... فَلَـيْسَ بِـهِ بَـأْسٌ وَإنْ كَـانَ مِـنْ جـرمِ

استطرد من الوعظ إلى الهجو، وقال ابن خطيب زملكان(٩٩٢): ومنه حديث خطبته ﷺ عام الفتح (إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة فقيل يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة، فإنه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس؟ فقال لا هو حرام،

---

(٩٨٨) حلية المحاضرة: ١/١٦٣.

(٩٨٩) التبيان في البيان: ٣٢٠.

(٩٩٠) الآيات المعني بها قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۝ ﴾ (لقمان: الايتان١٣ – ١٤).

(٩٩١) البيت لزياد الأعجم، ديوانه: ٩٩. وفيه:

إذَا مَــا اتَّقَــى اللهُ الفَتَــى وَأطَاعَــه ... فَلَـيْسَ بِـهِ بَـأْسٌ وَإنْ كَـانَ مِـنْ جـرمِ

(٩٩٢) التبيان في علم البيان: ١٨٣.

ثم قال: قاتل الله اليهود إن الله لما حرم عليهم الشحوم جملوها فباعوها)[٩٩٣]، قال فقوله (قاتل الله اليهود الخ) من باب الاستطراد، وقال في الإيضاح وقد يكون الثاني هو المقصود ويذكر الأول قبله ليتوصل إليه من غير أن يشعر بذلك قال في الإيضاح[٩٩٤]: ولا بأس أن يسمى إبهام الاستطراد.

والثاني: الافتنان: وهو أن يتفنن في المتكلم فيأتي بفنين أو أكثر في فقرة واحدة أو بيت واحد كالغزل والحماسة والمديح والهجاء والهناء والعزاء كقوله تعالى ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ (مريم: من الآية ٧٢)الآية[٩٩٥] فيها هناء وعزاء، وقوله تعالى ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ (الرحمن: ٢٦)، الآية[٩٩٦]، فيها عزاء وفخر، وقول عنترة[٩٩٧]:

إِن تُصدِفِي دون القِناعَ فَإِنَّنِي ... طَبٌّ بِأَخذِ الفارِسِ المُتكلِّمِ

أوّله تشبيب وآخره حماسة وقول الآخر[٩٩٨]:

أَبُوكَ قَدْ جَمَّلَ أَهْلَ الثَّرَى ... فَجَمَّلَ اللهُ بِكَ المَقْبَرَهْ

فيه تعزية ومديح مؤدٍّ إلى تهكّم.

الثالث: الاشتقاق: وهو من مستخرجات العسكري[٩٩٩] وعرفه بأن يشتق المتكلم من الاسم العلم معنى في غرض يقصده من مدح أو هجاء، كقوله في نفطويه[١٠٠٠]:

---

(٩٩٣) صحيح البخاري: ٧٧٩/٣ صحيح مسلم: ١٢٠٧/٣. وفيهما (إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام فقيل يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنها يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله ﷺ ثم ذلك قاتل الله اليهود إن الله لما حرم شحومها جملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه).

(٩٩٤) الإيضاح: ٣٥٠/٢.

(٩٩٥) وتمامها قوله تعالى: ﴿ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ (مريم: من الآية ٧٢).

(٩٩٦) الآية التالية لها هي موضع الاستشهاد لغرض العزة وهي قوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الرحمن: ٢٧).

(٩٩٧) شرح ديوان عنترة: ١٤٨.

إِن تُغدِفي دوني القِناعَ فَإِنَّني ... طَبٌّ بِأَخذِ الفارِسِ المُستَلئِمِ

(٩٩٨) البيت لابن حجاج كما في خزانة الأدب: ١٤٠/١.

(٩٩٩) سمّاه العسكري بالمشتقّ يقول: (وسميته المشتق وهو على وجهين، فوجه منهما يشتق اللفظ من اللفظ، والآخر أن يشتقّ المعنى من اللفظ) كتاب الصناعتين: ٤٣٠.

(١٠٠٠) البيت لابن دريد، كتاب الصناعتين: ٤٣٠.

أحْـــرَقَهُ اللهُ بِنِـــصْفِ اسْـــمِهِ   وَصَـــيَّرَ النِّـــصْفَ صُـــرَاخاً عَلَـــيْهْ

وقول الصفي(١٠٠١):

لَـم يَلْـقَ مَـرحَبُ مِـنهُ مَـرحَباً وَرأى   ضِـدَّ اِسـمِهِ عِندَ هَـدِّ الحِصنِ وَالأُطُـمِ

الرابع: الاتفاق: وهو عزيز الوقوع جداً، وهو أن تتفق للشاعر واقعة واسم مطابق لتلك الواقعة كقوله في لؤلؤ الحاجب حين غزا الإفرنج في بحر القلزم(١٠٠٢):

عَـــدُوُّكُمْ لُؤْلُـــؤٌ وَالبَحْـــرُ مَـــسْكَنُهُ   وَالـدُّرُّ فِـي البَحْـرِ لاَ يَخْشَى مِنَ الغَبَـرِ

وقوله في الوزير ابن العلقمي لما ولي الوزارة بعد ابن الفرات(١٠٠٣):

يَـا عُـصْبَةَ الإسْـلامِ نُوحِـي وَانْدُبِـي   حُـــزْناً عَلَـــى مَـــا تَـــمَّ للمُسْتَعْـــصِمِ

دِسْـــتُ الـــوِزَارَةِ كَـــانَ قَـــبْلَ زَمَانِـــهِ   لابـنِ الفُـرَاتِ فَـصَارَ لابْـنِ العَلْقَمِـي

اتفق أنّهما وزيران وأنّ المورى بهما نهران معروفان وطابق بينهما بالفرات الحلو والعلقم المر، وقول شيخنا ابن حجة يخاطب الملك المؤيد شيخاً وقد كسر النيل بمسرى وبلغه يومئذ قصد نوروز مصر ليقاتله(١٠٠٤):

أيَـــا مَلِكـــاً بِـــاللهِ صَـــارَ مُـــؤَيَّداً   وَمُنْتَـصِباً فِـي مُلْكِـهِ نَـصْبَ تَمْيِـيزِ

كَـسَرْتَ بِمَـسرىَ نِـيلِ مِـصْرَ وَيَنْقَـضِي   بِحَقِّـكَ بَعْـدَ الكَـسْرِ أيَّـامُ نَـوْرُوزِ

الاتفاق أن كسر نوروز بعد كسر مسرى.

الخامس: الاكتفاء وهو حذف بعض الكلمات أو بعض الحروف لدلالة الباقي عليه فالأوّل كقول ابن مطروح(١٠٠٥):

لاَ أنْثَنِـــي لاَ أنْتَهِـــي لاَ أرْعَـــوِي   مَـــا دُمْـــتُ فِـــي قَـــيْدِ الحَـــيَاةِ وَلاَ إذَا

أي ولا إذا مت، وحسنه أنّه لو ذكره في البيت لكان عيباً من عيوب الشعر يسمّى التضمين مع ما يفوته من حلاوة الاكتفاء ولطفه في الأذهان وقال البهاء زهير(١٠٠٦):

(١٠٠١) ديوان صفي الدين الحلي: ٢٧٣.

(١٠٠٢) البيت لابن أبي حصينة، ينظر تحرير التحبير: ٥٠٣، خزانة الأدب: ١/٢٨٨.

(١٠٠٣) البيتان لشمس الدين الكوفي الواعظ في الوزير ابن العلقمي، أنوار الربيع: ٥/١٦٤.

(١٠٠٤) البيت لابن حجة الحموي، خزانة الأدب: ٢/ ٢٨٩.

(١٠٠٥) خزانة الأدب: ١/٢٨٢. وفيه:

لاَ أنْتَهِـــي لاَ أنْثَنِـــي لاَ أرْعَـــوِي   مَـــا دُمْـــتُ فِـــي قَـــيْدِ الحَـــيَاةِ وَلاَ إذَا

(١٠٠٦) ديوان البهاء زهير: ١٩٩.

يـــا حُـــسنَ بَعـــضِ الـــناسِ مَهـــلا صَـــيَّرتَ كُـــلَّ الـــناسِ قَتلـــى
لَـــــم يَـــــبقَ غَيـــــرُ حُـــــشاشَةٍ فـــي مُهجَتـــي وَأَخـــافُ أَن لا

وقال القيراطي[١٠٠٧]:

حَــــسَنَاتُ الخَــــدِّ مِــــنْهُ قَــــدْ أطَالَــــتْ حَــــسَرَاتِي
كُلَّمَــــا سَــــاءَ فِعَــــالاً قُلْــــتُ إنَّ الحَــــسَنَاتِ

وقد تتبعت الأحاديث فوجدت منه قوله ﷺ (الطيرة شرك وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل) هكذا رواه البخاري في الأدب[١٠٠٨] والترمذي وغيرهما[١٠٠٩]بحذف المستثنى بعد (إلا) اكتفاء، والأحسن في ذلك عندي ما تضمن تورية تصرفه عن الاكتفاء كقولي:

قُلْــتُ وَقَــدْ بَــشَّرُوا بِــنَجْلٍ رَبِّ أَنِلْنِــي مُــنَايَ فَــضْلاَ
إنْ عَــاشَ فَاجْعَلْــهُ خَيْــرَ نَجْــلٍ مُوفِــيــاً عَهْــدَهُ وَإلاَّ

أي وإلاّ فاقبضه صغيرا، ويحتمل عطفه على العهد و(الإلّ) الذمة قال الله تعالى ﴿ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلا وَلَا ذِمَّةً ﴾ (التوبة: من الآية ٨)، ومن الاكتفاء بالبعض في كلمة واحدة وهو عزيز قول ابن سناء الملك[١٠١٠]:

أَهْــوَى الغَــزَالَةَ وَالغَــزَالَ وَرُبَّمَــا نَهْــنَهْتُ نَفْــسِي عِفَّــةً وَتَدَيُّــنَا
وَقَــدْ كَفَفْــتُ عَــنَانَ عَيْنِــي جَاهِــداً حَتَّــى إذَا أعْيَــيْتُ أطْلَقْــتُ العَــنَا (ن)

وقول شيخ الشيوخ الحموي[١٠١١]:

إِلَـــيْكُمْ هَجْرَتـــي وَقَـــصْدي وفـــيكُمُ المَـــوْتُ والحَـــياةُ
أَمِـــنْتُ أَنْ تُوحـــشوا فـــؤادي فَآنِـــسوا مُقْلتـــي ولا تـــو (حـــشوا)

وأحسنه أيضاً ما كان فيه تورية كقول ابن مكانس[١٠١٢]:

(١٠٠٧) البيتان في خزانة الأدب: ١/٢٨٧، ٤٧٤.
(١٠٠٨) الأدب المفرد: ١/٣١٣.
(١٠٠٩) ينظر: سنن الترمذي: ٤/١٦٠، صحيح ابن حبان: ١٣/٤٩١، المستدرك: ١/٦٤، سنن البيهقي الكبرى: ٨/١٣٩، سنن أبي داود: ٤/١٧.
(١٠١٠) ديوان ابن سناء الملك: ٧٩٧.
(١٠١١) ينظر البيتان في خزانة الأدب: ١/٢٨٩.

لله ظَبْــيٌ زَارَنِــي فِــي الدُّجَــى مُـــسْتَوْفراً مُمْتَطِـــياً للخَطَـــرْ
فَلَـــمْ يَقُـــمْ إلاّ بِمِقْـــدَارِ إنْ قُلْـتُ لَـهُ أَهْـلاً وَسَـهْلاً وَمَـرْ (حـبا)

وقول البدر ابن الدماميني[١٠١٣]:

الدَّمْـعُ قَـاضٍ بِافْتِـضَاحِي فِـي الهَـوَى ظَبْــيٌ يَغَــارُ الغُــصْنُ مِــنْهُ إذَا مَــشَى
وَغَــدَا بِــوَجْدِي شَـاهِداً وَوَشَـى بِمَـا أَخْفَـى فَـيَا للهِ مِـنْ قَـاضٍ وَشَـا (هـد)

وقوله[١٠١٤]:

يَقُـــولُ مُـــصَاحِبِي وَالـــرَّوْضُ زَاهٍ وَقَــدْ بَــسَطَ الــرَّبِيعُ بِــسَاطَ زَهْــرٍ
تَعَـــالَ نُبَاكِـــرُ الـــرَّوْضَ المُفَـــدَّى وَقُــمْ نَــسْعَى عَلَــى دُرٍّ وَنِــسْري (ن)

وقول الصدر علي بن الأدمي يخاطب خليل بن بشار[١٠١٥]:

يَــا مُتْهِمِــي بِالــسُّقْمِ كُــنْ مُــنْجِدِي وَلاَ تُطِــلْ رَفْـضِي فَإنِّــي عَلِــي (ل)
أَنْـــتَ خَلِيلِـــي فَـــبِحَقِّ الهَـــوَى كُـنْ لِـشُجُونِي رَاحِمـاً يَـا خَلِـي (ل)

السادس: الإلغاز: وذكره في التبيان[١٠١٦] ويسمى المحاجاة والتعمية، وهو أن يأتي المتكلم بألفاظ مشتركة من غير ذكر الموصوف وعبارات يدل ظاهرها على غيره وباطنها عليه كقوله في القلم[١٠١٧]:

وَذِي خُـــضُوعٍ رَاكِـــعٍ سَـــاجِدُ وَدَمْعُـــهُ مِـــنْ جِفْـــنِهِ جَـــارِي
مُـــوَاظِبُ الخَمْـــسِ لأوْقَاتِهـــا مُـــنْقَطِعٌ فِـــي طَاعَـــةِ الـــبَارِي

وقول أبِي العلاء في الإبرة[١٠١٨]:

سَـعَتْ ذَاتَ سَـمٍّ فِـي قَمِيصٍ فَغَـادَرَتْ بِـــهِ أَثَـــراً وَاللهِ شَـــافٍ مِـــنَ الـــسُّمِّ

=

(١٠١٢) هو عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم ابو الفرج فخر الدين المعروف بابن مكانس توفي (٧٩٤هـ) الأعلام: ٨٢/٤، وينظر البيتان في خزانة الأدب: ١٣٠.

(١٠١٣) ينظر البيتان في خزانة الأدب: ٢٨٩/١.

(١٠١٤) لم نعثر للبيتين على نسبة، ولم ينسبا في خزانة الأدب: ٢٨٩/١.

(١٠١٥) ينظر البيتان في خزانة الأدب: ٢٨٩/١.

(١٠١٦) التبيان في البيان: ٢٣٦.

(١٠١٧) لم نعثر للبيتين على نسبة ولم ينسبا في خزانة الأدب: ٣٤٢/٢.

(١٠١٨) البيتان غير موجودين في سقط الزند ولا في اللزوميات، وهما في: تحرير التحبير: ٥٨٠، نفحات الأزهار: ١٣١.

كَسَتْ قَيْصَراً ثَوْبَ الجَمَالِ وَتُبَّعاً ... وَكِسْرَى وَعَادَتْ وَهْيَ عَارِيَةُ الجِسْمِ

وأنشدني صديقنا الشهاب المنصوري ملغزاً في قلم:

أَيُّهَا البَارِعُ الذي كَمْ أحَاجِي ... حَلَّ مِن رِبْقَةِ المُعَمِّي وَلُغْزَا
أَيُّ شَيْءٍ حَاكَى الدَّيَاجِي وَحَاكَتْ ... عِنْدَ تَنْمِيقِهِ الأَنَامِلُ طُرْزَا
وَمِنَ البِيضِ كَمْ تَحَلَّى بِوَصْلٍ ... وَإِلَيْهِ مَا زَالَتِ السُّمْرُ تُعْزَى
وَبِهِ تُحْفَظُ الشَّرَائِعُ حَتَّى ... صَارَ صَوْناً لِكُلِّ شَرْعٍ وَحِرْزَا
أَخْرَسٌ يُوسِعُ الأَنَامَ حَدِيثاً ... وَلَهُ الدَّهْرُ لَسْتَ تَسْمَعُ رِكْزَا
فَأَجِبْ فَهْوَ فِي الخَفَاءِ جَلِيٌّ ... زَادَكَ اللهُ رَفْعَ قَدْرٍ وَعِزَّا

فأجبته ارتجالاً:

أَيُّهَا الشَّاعِرُ الذَّي فَاقَ مَجْداً ... وَارْتِفَاعاً عَلَى الأَنَامِ وعِزَّا
جَاءَنِي لُغْزُكَ البَهِيّ فَأَضْحَى ... لِلأَحَاجِي وَلِلمُمَيِّزِ طُرْزَا
هُوَ فِي اسْمٍ إنْ صَحَّفُوهُ فَلَمْ يَخْـ ... ـفَ وَذُو عَكْسِهِ يُرَدُّ وَيُخْزَى
وَهْوَ ذُو أَحْرُفٍ ثَلاثٍ وَثُلْثَا ... هُ فَحَرْفٌ وَذَاكَ لِلعَقْلِ يُعْزَى
وَتَرَاهُ مُرَكَّباً وَهْوَ لا شَكْـ ... ـكَ بَسِيطٌ وَمَا لَهُ قَطُّ أَجْزَا
دُونَكَ الحَلُّ بِارْتِجَالٍ وَلا زِلْـ ... ـتَ شِهَاباً وَلِلمُجِيبِينَ حِرْزَا

وكتبت وأنا في العقبة إليه ملغزاً في طيبة: (ألبس الله سلطان الأدباء تاج الإكرام، وهداه منهاج الكرام، ما اسم على أربعة، وهو علم مفرد وكم فيه من إشارة تعهد ارتفع بالإضافة، وخفض من رام خلافه، إن حذفت نصفه الثاني فاسم لأكرم قبيل أو فعل خفيف غير ثقيل وإن ضممت إلى أوله آخره فاسم لمن قد هاجره، وإن جمعت ثالثه مع أوله ففعل لا شك في لطفه ومع ذلك يأبى الحبيب أن يفعله بألفه، وإن شدد ثانيه فهو في المتلو فيه قافية، وإن صحفت جملته فاسم لما إن حلَّ به حَرُمَ، وإن أشبهه الإنسان ظَرُف وكرُم، وإن أبدلت من يائه ألف فهو على حاله لا يختلف، وإن كسرت أولّه وصحفت ثالثه فأصل كل نذير وبشير، ومن عجب أنه جمع بين شبهي المسك والكير حوى أفضل الخلق والخلق وأفصح القول والنطق فأفصح عنه غيبه ولُذْ بصاحب طيبة)، فكتب لي في الجواب: (أيد الله مولانا جلال الدين والدنيا ومعدن التدريس والفتيا جمل الله به ملة الإسلام وجمعنا الله وإياه في طيبة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

وبعد فقد وقف العبد على تنميق هذا اللغز الممتنع على غير قريحته، والسهل على سجيته، فوجد مولانا لم يترك قولاً ولا مقيلا لقائل ولا فضيلة لفاضل بل حال ببديع استقصائه بين السؤال والجواب، وظفر من الحروف باللباب، وفاز بالصحيح دون السقم واجتنى الزهر وترك الهشيم، فهنالك قدح العبد زند الفكرة بعد إخماده، وأيقظ طرف الفترة من رقاده، فوجد مولانا قد ألغز في اسم جميعه على الأرض وبعضه على السماء، وفيه ظهر الأبصار من العماء، إن شدد فهو مضاد لمرة وإن ضم فهو مشترك بين شهر وآجرة، وإن أبدل ثانيه راءً احتاج إلى شراب العطار، وربما نشأ عن شراب الخمار، إن ألقى نصفه فهو ضد البسط والنشر، وإن أبدل ثانيه بمرادف الحوت فهو من شاطئ البحر، وإن رخم والحالة هذه فهو آخر السلاطين ولا تزال في طه ويس، فهذا أيدك الله ما أهدته ملكة الفكرة ووصلت إليه يد القدرة والسلام).

وقد ورد في الإلغاز عدة أحاديث جمعها الحافظ أبو الفضل العراقي كما رأيت ذلك بخطه أشهرها حديث الصحيحين (أخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم، قال ابن عمر فوقع الناس في شجر البوادي ووقع في قلبي أنها النخلة، فقال رسول الله ﷺ: هي النخلة)(١٠١٩).

فائدة:

قال في نهاية الأدب(١٠٢٠) اللغز والمحاجاة والمعاياة والعويص والرمز والملاحن والمعميّ أسماء مترادفة لمعنى واحد، وإنّما اختلافها بحسب الاعتبارات فإنّك إذا اعتبرته من حيث إنّه قد يحمل على وجوه فلغز، أو من حيث إنّ غيرك حاجاك أي استخرج مقدار عقلك فمحاجاة، أو من حيث إنّ واضعه قصد أن يعاييك أي يظهر

(١٠١٩) صحيح البخاري: ٣٤/١، وفيه (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله قال هي، عن النبي ﷺ قال ثم إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم حدثوني ما هي قال فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله فوقع في نفسي أنها النخلة ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله قال هي النخلة)، صحيح مسلم: ٤/ ١٢٦٤ وفيه (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله قال فقال هي النخلة).

(١٠٢٠) نهاية الأدب كتاب لجابر بن حيان المتوفى (١٦٠ هـ) كما في كشف الظنون ١٩٨٥/٢.

إعياءك فمعاياة، أو من حيث صعوبة فهمه واعتياص معناه فعويص، أو من حيث إنّ واضعه لم يفصح عنه فرمز، أو من حيث إنّه ستر عنك وغطى فالمعميّ، انتهى.

وفي شرح أحاجي الزمخشري للسخاوي(١٠٢١): المحاجاة أن تسأل صاحبك عمّا لا يكاد يفطن للجواب عنه وهو نوع من الإلغاز ا.هـ. وقد خصص قوم الأحجية بنوع ابتكره الحريري ونسج على منواله ناسجوه وهو أن يؤتى بلفظ مركب مرادف للمنطوق به يكون له مشارك من كلام غير مركب فيصير اللفظ بتركيبه وعدمه يجمع معنيين معاً قال الحريري(١٠٢٢):

يَا مَنْ نَتَائِجُ فِكْرِهِ ... مِثْلُ النُّقُودِ الجَائِزَهْ
مَا مِثْلُ قَوْلِكَ لِلَّذِي ... حَاجَيْتَ صَادَفَ جَائِزَهْ

فإنّ مثله ألفى صلة، قال(١٠٢٣):

أيَا مُسْتَنْبِطَ الغَا ... مِضَ مِنْ لُغْزٍ وَإِضْمَارِ
ألاَ اكْشِفْ لِي مَا مِثْلُ ... تَنَاوُلِ أَلْفَ دِينَارِ

فإنّ مثله هادية، وقال(١٠٢٤):

يَا مَنْ حَدَائِقُ فَضْلِهِ ... مَطْلُولَةُ الأَزْهَارِ غَضَّهْ
مَا مِثْلُ قَوْلِكَ لِلمُحَا ... جِي ذَا الحِجَى اخْتَارَ فِضَّهْ

فإنّ مثله أبا رقة؛ وللحريري في المقامات من ذلك عشرة أحاجٍ(١٠٢٥) وعمل منه الناس كثيراً، ولابن الوردي فيه كراسة على حروف المعجم ولم يقع لي منه غير أحجية واحدة وهي قولي في إحدى مقاماتي:

يَا أيُّهَا الحِبْرُ الذي ... حَازَ التَّقَدُّمَ فِي الصُّدُرْ
مَا مِثْلُ قَوْلِكَ إذْ تَحَا ... جَى آخِراً جَامِعُ دبُرْ

(١٠٢١) السخاوي هو علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني السخاوي الشافعي عالم بالقراءات والأصول واللغة والتفسير من كتبه: جمال القراء وجمال الإقراء، شرح المفصّل للزمخشري، المفاخرة بين دمشق والقاهرة، ولم نجد إشارة إلى الكتاب المذكور، الأعلام: ١٥٤/٥.

(١٠٢٢) مقامات الحريري: ٣١٤.

(١٠٢٣) المصدر نفسه: ٣١٤.

(١٠٢٤) المصدر نفسه: ٣١٥.

(١٠٢٥) ينظر مقامات الحريري: ٣٠٣ - ٣١١، ٢٧١ - ٢٧٦، ٣١٠ - ٣١١، ٣٥٩ - ٣٦٨، ٣٨٣ - ٣٩٣.

فإنّ مثله طأسة.

السابع: القسم: وهو أن يحلف على شيء بما يكون له مدحاً أو ذمًّا وما يكسبه فخراً وما يكون هجاءً لغيره كقوله تعالى ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الذاريات: ٢٣)، وقسم يوجب الفخر لتضمنه المدح بأعظم قدرة وأكمل عظمة حاصلة من ربوبية السماء والأرض وتحقيق الوعد بالرزق، وقال الأشتر النخعي[١٠٢٦]:

بَقيتُ وَحدِي وَانحَرفتُ عَنِ العُلَى ... وَلَقِيتُ أضيَافِي بِوَجهِ عَبُوسِ
إن لَم أَشُنَّ عَلَى ابنِ هِندٍ غَارَةً ... لَم تَخلُ يَوماً مِن ذهَابِ نُفُوسِ

تضمن الفخر لنفسه، وقال ابن المعتز في القسم في الغزل[١٠٢٧]:

لاَ وَالذي سَلَّ مِنْ جِفْنَيْهِ سَيْفَ رَدَى ... مُدَّتْ لَهُ مِنْ عَذَارَيْهِ حَمَائِلُهْ
مَا صَارَمَتْ مُقْلَتِي دَمْعاً وَلاَ وَصَلَتْ ... غَمْضاً وَلاَ سَالَمَتْ قَلْبِي بَلاَبِلُهْ

الثامن: جمع المؤتلف والمختلف، وهو أن يريد التسوية بين ممدوحين فيأتي بمعانٍ مؤتلفة في مدحهما ويروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا ينقص الآخر، فيأتي لأجل ذلك بمعان تخالف معنى التسوية، كقوله تعالى ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ ﴾ (الأنبياء: من الآية ٧٨) الآية[١٠٢٨]، فسوى في الحكم والعلم وزاد فضل سليمان بالفهم.

التاسع: الاتساع: وهو أن يأتي بلفظ يتسع فيه التأويل بحسب قوى الناظر فيه وبحسب ما يحتمل اللفظ من المعاني كما وقع في فواتح السور.

العاشر والحادي عشر والثاني عشر: التفسير والإيضاح والاشتراك وهذه الأنواع متقاربة، فالتفسير وسماه الطيبي في التبيان[١٠٢٩] تفسير الخفي، وابن مالك في

(١٠٢٦) البيتان في خزانة الأدب: ٣٨٨/٢، تحرير التحبير: ٢٧٧.

(١٠٢٧) البيان غير موجودة في ديوانه، خزانة الأدب: ٣٢٢/٢، نهاية الإرب: ١٥١/٧.

(١٠٢٨) موطن الاستشهاد هذه الاية مع التي بعدها في قوله تعالى ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (الأنبياء: ٧٨ - ٧٩).

(١٠٢٩) التبيان في البيان: ٣٢٨.

المصباح[1030] تفسير المعنى الخفي أن يكون في الكلام لبس فيأتي بما يوضحه كذا قوله، ومثله بقوله تعالى ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ ﴾ (المعارج: ١٩ - ٢٠) الآية[1031]، فقوله (إذا مسه) إلخ تفسير (هلوعاً) وكذا قوله[1032]:

الأَلْمَعِيَّ الَّذي يَظُنُّ بِكَ الـ ـظَنَّ كَأَن قَد رَأى وَقَد سَمِعا

فقوله (الذي... الخ) تفسير الألمعي، وقال قدامة[1033]: هو أن يأتي بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه دون تفسيره فيؤتى به بعده وهو بمعنى الأول والمطابق للمثالين، لكن التعبير بالأخير أحسن قال: ومنه قوله[1034]:

ثَلاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا شَمْسُ الضُّحَى وَأبو إسْحاقَ والقَمَرُ

قلت: ومنه حديث أبي داود (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)[1035].

والإيضاح أن يكون في ظاهر الكلام لبس فلا يفهم من أول وهلة حتى يوضحه في بقية كلامه كقوله[1036]:

يُذكِّرُنِيكِ الخَيْرُ وَالشَّرُّ كُلُّهُ وَقَوْلُ الجَفَا وَالحِلْمُ وَالعِلْمُ وَالجَهْلُ

فَألْقَاكِ عَنْ مَكْرُوهِهَا مُتَنَزِّهاً وَألْقَاكِ فِي مَحْبُوبِهَا وَلَكِ الفَضْلُ

معنى البيت الأوّل تلبيس لأنّه يقتضي المدح والذم، فأوضحه بالثاني، قال[1037]: والفرق بينهما أنّ الإيضاح رفع الإشكال والتفسير تفصيل الإجمال لأنّ المفسر من

(١٠٣٠) المصباح: ٦٥.

(١٠٣١) والآية التالية قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأنبياء: ٢٠).

(١٠٣٢) البيت لأوس بن حجر، ديوانه: ٥٣.

(١٠٣٣) لم يذكر قدامة هذا التعريف وإنّما عرفه بقوله (أن يضع الشاعر معاني يريد أن يذكر أحوالها في شعره الذي يصنعه، فإذا ذكرها أتى بها من غير أن يخالف معنى ما أتى به منها ولا يزيد ولا ينقص) ولم يذكر الشاهد الذي قال المؤلف إنّه استشهد به، نقد الشعر: ١٣٥.

(١٠٣٤) البيت لمحمد بن وهيب الحميري، شعر محمد بن وهيب الحميري، تحقيق: محمد جبار معيبد، مجلة الخليج العربي، العدد الأول، ١٩٨٥: ٦٦.

(١٠٣٥) سنن أبي داود: ٢٧٠/٤، وينظر: صحيح مسلم ١٩٨٦/٤.

(١٠٣٦) البيت لصريع الغواني، شرح ديوانه: ٣٣٣.

(١٠٣٧) نقد الشعر: ١٣٥.

الكلام ليس فيه إشكال، قلت: وأوضح من عبّر عن الفرق ابن مالك في المصباح[١٠٣٨] وعبد الباقي اليمني حيث قالا: الإيضاح إزالة لبس التوجيه بأن يحتمل الكلام مدحاً وذمًّا فيأتي بكلام يزيله ويعينه للمدح أو الذمّ والتفسير إزالة خفي الحكم، وعلى هذه العبارة الواضحة عوَّلت في النظم وعبرت عن التوجيه بالإبهام لما تقدم هناك تقريره.

وأمّا الاشتراك فأن يؤتى بلفظ مشترك بين معنيين يسبق إلى الذهن المعنى الذي لم يرد فيؤتى بما يبين المراد كقوله:

وَأَنتِ الَّتي حَبَّبتِ كُلَّ قَصيرَةٍ   إِلَيَّ وَما يَدري بِذاكَ القَصائِرُ
عَنَيتُ قَصيراتِ الحِجالِ وَلَم أُرِد   قِصارَ الخُطا شَرُّ النِساءِ البَحاتِرُ

أتى في البيت الثاني بما أزال به وهم السامع، ومثاله من الحديث قوله ﷺ (دبَّ إليكم داء الأمم من قبلكم الحسد والبغضاء هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر) رواه الترمذي وغيره[١٠٣٩]، والفرق بينه وبين الإيضاح أنّه في اللفظ والإيضاح في المعاني خاصة، وبينه وبين التوهيم أنّه باللفظ المشترك فقط والتوهيم يكون به وبغيره من تحريف أو تصحيف أو تبديل.

الثالث عشر: حسن البيان: زاده في المصباح وذكره أصحاب البديعيات تبعاً له قال[١٠٤٠]: وهو كشف المعنى وإيصاله إلى النفس بسهولة، قال: ويكون مع الإيجاز والإطناب، قال في الإيضاح[١٠٤١]: وهذا تخليط لأنّه وظيفة علم البيان لأنّه محسن ذاتي والبديع وظيفته البحث عن المحسن الخارجي.

***

التأسيس والتفريع

وَقَدْ وَجَدْتُ مَقْصَداً بَدِيعَا   سَمَّيْتُهُ التَّأسِيسَ وَالتَّفْرِيعَا
قَاعِدَةٌ كُلِّيَّةٌ يَمْهَدُهَا   يَبْنِى عَلَيْهَا شُعْبَةً يَقْصُدُهَا

(١٠٣٨) المصباح: ٩٣.

(١٠٣٩) سنن الترمذي: ٦٦٤/٤ وفيه (دب إليكم داء الأمم الحسد والبغضاء هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين)، وينظر كذلك: سنن البيهقي الكبرى: ٢٣٢/١، مسند أحمد ١٤٦/١، شعب الإيمان: ٢٦٧/٥.

(١٠٤٠) المصباح: ٩٥.

(١٠٤١) الإيضاح: ٢١٢/٢.

مِـــثَالُهُ لِكُـــلِّ دِيـــنٍ خُلُـــقُ   وَخُلْـقُ ذَا الـدِّينِ الحَـيَاءُ المُونِـقُ

هذا نوع لطيف اخترعته لكثرة استعماله في الكلام النبويّ ولم أرَ في الأنواع المتقدمة ما يناسبه فسميته بالتأسيس والتفريع، وذلك أن يمهّد قاعدة كلية لما يقصده ثمّ يرتب عليها المقصود كقوله ﷺ (لكل دين خلق وخلق هذا الدين الحياء)، رواه ابن ماجه عن أنس[(١٠٤٢)]، وقد استعمل ﷺ مثل هذا في تقريراته كثيراً، فقال (لكل نبي حواريّ وحواريَّ الزبير) رواه الشيخان عن جابر[(١٠٤٣)]، (لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح) رواه الشيخان عن أنس[(١٠٤٤)]، (لكل نبي دعوة دعا بها في أمته وإني خبأت دعوتي شفاعتي لأمتي) رواه الشيخان عن أبي هريرة[(١٠٤٥)]، (لكل شيء قلب وقلب القرآن يس) رواه الترمذي عن أنس[(١٠٤٦)]، (لكل نبي خاصة من أصحابه وإن خاصتي أبو بكر وعمر) رواه الترمذي عن ابن مسعود[(١٠٤٧)]، (لكل نبي رفيق وإن رفيقي في الجنة عثمان) رواه الترمذي عن طلحة[(١٠٤٨)]، (لكل نبي ولاة من النبيين وإن ولاتي منهم أبي وخليل ربي إبراهيم) رواه أحمد عن ابن مسعود[(١٠٤٩)]، (لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال) رواه أحمد عن كعب بن عياض[(١٠٥٠)]، (لكل أمة مجوس وإن القدرية مجوس أمتي) رواه أبو داود عن حذيفة[(١٠٥١)]، (لكل شيء حقيقة وما يبلغ عبد حقيقة

(١٠٤٢) سنن ابن ماجه: ١٣٩٩/٢.

(١٠٤٣) صحيح البخاري: ٢٦٥٠/٦، صحيح مسلم ١٨٩٧/٤.

(١٠٤٤) صحيح البخاري: ١٨٦٩/٣، صحيح مسلم: ١٨٨١/٤وفيهما (إن لكل أمة أمينا وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح).

(١٠٤٥) صحيح مسلم: ٢٣٢٣/٥ وفيه (لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة)، صحيح مسلم: ١٩٠/١ وفيه(لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب له وإني أريد إن شاء الله أن أؤخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة).

(١٠٤٦) سنن الترمذي: ١٦٢/٥ وفيه (إن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس).

(١٠٤٧) لم نجد الحديث في سنن الترمذي ووجدناه في المعجم الكبير: ٧٧/١١.والفردوس: ٣٣٤/٣، كنز العمال: ٧٣٦/٦.

(١٠٤٨) سنن الترمذي: ٦٢٤/٥.

(١٠٤٩) مسند أحمد: ٤٠٠/١.

(١٠٥٠) المصدر نفسه: ١٦٠/٤.

(١٠٥١) سنن أبي داود: ٢٢٢/٤ وفيه (لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يقولون القدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلا تعودوهم وهم شيعة الدجال وحق على الله =

الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه) رواه أحمد عن أبي الدرداء[١٠٥٢]، (لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصيام) رواه ابن ماجه عن أبي هريرة[١٠٥٣]، (لكل شيء مفتاح ومفتاح السموات قول لا إله إلا الله) رواه الطبراني عن معقل بن يسار[١٠٥٤]، (لكل شيء أنفة وأنفة الصلاة التكبيرة الأولى) رواه الطبراني عن أبي الدرداء[١٠٥٥]، (لكل شيء شرف وشرف المجالس ما استقبل به القبلة) رواه أبو يعلى عن ابن عباس[١٠٥٦]، (لكل شيء صفوة وصفوة الصلاة التكبيرة الأولى) رواه أبو يعلى عن أبي هريرة[١٠٥٧]، (لكل شيء قمامة وقمامة المسجد لا والله وبلى والله) رواه أبو يعلى عن أبي هريرة[١٠٥٨]، (لكل شيء معدن ومعدن التقوى قلوب العارفين) رواه الطبراني عن ابن عمر[١٠٥٩]، (لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين) رواه ابن الآل في مكارم الأخلاق عن ابن عمر[١٠٦٠]، (لكل شيء آفة تفسده وآفة هذا الدين ولاة السوء) رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن ابن مسعود[١٠٦١]، (لكل شيء باب وباب العبادة الصيام) رواه ابن حبان في الثواب عن أبي الدرداء[١٠٦٢]، (لكلّ شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن) رواه الحاكم عن أنس[١٠٦٣]، (لكل شيء عماد

=

أن يلحقهم بالدجال).

(١٠٥٢) مسند أحمد ٦/٤٤١.

(١٠٥٣) سنن أبي داود ١/٥٥٥، وفيه (لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم).

(١٠٥٤) المعجم الكبير: ٢٠/٢١٥.

(١٠٥٥) مسند الشاميين: ٣/٢١٤.

(١٠٥٦) لم نجد هذا الحديث في مسند أبي يعلى، وقد وجدناه مروياً عن ابن عباس في: المستدرك: ٤/٣٠٠، والمعجم الكبير: ١/٣٢٠، وفيهما (إنَّ لكل شيء شرفا وإن أشرف المجالس ما استقبل به القبلة).

(١٠٥٧) مسند أبي يعلى: ٩/٢٥٤.

(١٠٥٨) المصدر نفسه: ١٠/٣٩٩.

(١٠٥٩) المعجم الكبير: ١٢/٣٠٣.

(١٠٦٠) لم نجد هذا الكتاب، وقد رواه الديلمي في الفردوس: ٣/٣٣٠.

(١٠٦١) مسند الحارث بن أبي أسامة: ٢/٦٤١.

(١٠٦٢) الفردوس: ٣/٣٣٠.

(١٠٦٣) لم نجده في المستدرك، وهو موجود في الأحاديث المختارة، المقدسي: ٧/٨٨.

وعماد هذا الدين الفقه) رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة(١٠٦٤)، (لكل شيء نسبة ونسبة الله قل هو الله أحد) رواه الطبراني عن أبي هريرة(١٠٦٥)، (لكل نبيّ تركة وضيعة وإن تركتي وضيعتي الأنصار فاحفظوني فيهم) رواه الطبراني عن أنس(١٠٦٦)، (لكل نبي حرم وقد حرمت المدينة) رواه الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس(١٠٦٧)، (لكل أمة أجل وأجل أمتي مائة سنة فإذا مرَّ على أمتي مائة سنة أتاها ما وعدها الله) - يعني كثرة الفتن - رواه أبو يعلى عن المستورد بن شداد(١٠٦٨)، (لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد) رواه أبو يعلى عن أنس(١٠٦٩)، وفي الأحاديث من ذلك شيء كثير، وإنما أطلت هنا بهذه الأمثلة تقريراً للنوع الذي اخترعته.

***

نفي الموضوع

وَالنَّفْيُ لِلمَوْضُوعِ قَصْداً صَنَعَهْ   مِثَالُهُ لَيْسَ الشَّدِيدُ الصَّرَعَهْ

هذا النوع أيضاً من مخترعاتي، وسميته نفي الموضوع وهو كثير في الحديث وكلام البلغاء بأن يكون اللفظ موضوعاً لمعنى فيصرح بنفيه عنه ويثبته لغيره مبالغة في ادعاء ذلك الحكم له، ومثاله ما رواه الشيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ (ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)(١٠٧٠)، وما رواه مسلم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ (ما تعدون الرقوب فيكم؟ قال الذي لا ولد له. قال ليس ذلك بالرقوب ولكن الرقوب الذي لم يقدم من ولده شيئاً)(١٠٧١). قال أبو عبيدة(١٠٧٢): الرقوب في اللغة فاقد الأولاد في الدنيا فجعله فاقدهم في الآخرة، ومنه

(١٠٦٤) حلية الأولياء: ٢/١٩٣ وفيه (لكل دين دعامة ودعامة هذا الدين الفقه)، وقد رواه بهذا اللفظ الطبراني في المعجم الأوسط ٦/١٩٤، والديلمي في الفردوس: ٣/٣٣١.

(١٠٦٥) المعجم الأوسط: ١/٢٢٢.

(١٠٦٦) المصدر نفسه: ٥/٣٠٩.

(١٠٦٧) الفردوس: ٣/٣٣٥.

(١٠٦٨) مسند أبي يعلى: ١٢/٢٦٣.

(١٠٦٩) المصدر نفسه: ٧/٢١٠.

(١٠٧٠) صحيح البخاري: ٥/٢٢٦٧، صحيح مسلم: ٤/٢٠١٤.

(١٠٧١) صحيح مسلم: ٤/٢٠١٤.

(١٠٧٢) في جميع النسخ [أبو عبيدة]، والصواب: أبو عبيد، وهو القاسم بن سلام الهروي صاحب =

(ليس الغنى عن كثرة المال ولكن الغنى غنى النفس) رواه الشيخان عن أبي هريرة(١٠٧٣)، (ليس البيان كثرة الكلام ولكن فصل فيما يحب الله ورسوله وليس العي هي اللسان ولكن قلة المعرفة بالحق)، رواه الديلمي عن أبي هريرة(١٠٧٤)، (ليس الجهاد أن يضرب الرجل بسيفه في سبيل الله إنما الجهاد من عال والديه وعال ولده وعال نفسه يكفها عن الناس) رواه في الحلية عن أنس(١٠٧٥)، (ليس السنة أن لا تمطروا ولكن السنة أن تمطروا ثم لا تنبت الأرض شيئاً) رواه الشافعي(١٠٧٦)، (ليس الصيام من الأكل والشرب إنما الصيام من اللغو والرفث) رواه الديلمي عن أبي هريرة(١٠٧٧)، (ليس عدوك الذي إذا قتلك أدخلك الجنة وإذا قتلته كان نوراً لك ولكن عدوك نفسك التي بين جنبيك وامرأتك التي تضاجعك على فراشك وولدك الذي من صلبك) رواه الطبراني وغيره عن أبي مالك الأشعري(١٠٧٨)، (ليس الأعمى من يعمى بصره ولكن الأعمى من تعمى بصيرته) رواه الديلمي عن عبد الله بن جراد و(١٠٧٩):

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بِمَيْتٍ   إنَّمَا المَيْتُ مَيِّتُ الأحْيَاءِ

كان ﷺ يتمثل به كما رواه الديلمي عن ابن عباس(١٠٨٠).

***

=

غريب الحديث وهذا سيكرر في موضع قادم. غريب الحديث: ٣/١٠٨، ٤١١.

(١٠٧٣) صحيح البخاري: ٥/٢٣٦٨، صحيح مسلم: ٢/٧٢٦.

(١٠٧٤) لم يرو هذا الحديث بهذا اللفظ في الفردوس بل رواه في موضعين منفصلين، ففي٣/٣٩٩ (ليس البيان كثرة الكلام ولكن فصل فيما يحبه الله عز وجل)، وفي ٣/٩٠(وليس العي هي اللسان ولكن قلة المعرفة بالحق).

(١٠٧٥) حلية الأولياء: ٦/٣٠٠.

(١٠٧٦) مسند الشافعي: ١/٨٢.

(١٠٧٧) الفردوس: ٣/٤٠٢.

(١٠٧٨) في المعجم الكبير ٣/٢٩٤: (ليس عدوك الذي إن قتلته كان لك نورا وإن قتلك دخلت الجنة ولكن أعدى عدوك ولدك الذي خرج من صلبك ثم أعدى لك مالك الذي ملكت يمينك، وفي مسند الشاميين: ٤/٢٢٢ (ليس عدوك الذي إذا إن قتلته كان لك نورا وإن قتلك دخلت الجنة ولكن أعدى عدو لك ولدك الذي خرج من صلبك ثم أعدى عدو لك الذي ملكت يمينك).

(١٠٧٩) الفردوس: ٣/٤٠٣.

(١٠٨٠) الفردوس: ٣/٤٢٠، ولم نعثر للبيت على نسبة.

تمهيد الدليل

وَإنْ أتَى بِجُمَلٍ لِلمَقْصَدِ ... تَوَصُّلاً لِحُكْمِ مَا بِهِ ابْتُدِى
وَصَحَّ حَذْفُ الوَسَطِ المَوْصُولِ ... فَذَلِكَ التَّمْهِيدُ لِلدَّلِيلِ

هذا نوع ثالث اخترعته وسميته تمهيد الدليل، وهو أن يقصد الحكم بشيء فيرتب له أدلّة تقتضي تسليمه قطعاً بأن يبدأ بالمقصود ويخبر عنه بجملة مسلّمة، ثمّ يخبر عن تلك الجملة بأخرى مسلّمة فيلزم ثبوت الحكم للأول بأن يحذف الوسط ويخبر بالأخير عن الأول، وهذا شكل من أشكال المناطقة، ونحن معاشر أهل السنة لا نتبعهم أصلاً وهم مصرحون بأنّه في طبع أهل الذوق والذكاء والقرآن والسنة طافحان باستعماله، ثمّ تارة يكون الوسط جملة واحدة، وتارة يكون أكثر فمن الأول قوله ﷺ (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا) رواه مسلم[١٠٨١] لأنه يصح أن يحذف الوسط فيقال: لا تدخلوا الجنة حتى تحابوا، (لم يؤمن بالله من لم يؤمن بي، ولم يؤمن بي من لا يحب الأنصار) رواه الطيالسي عن سعيد بن زيد[١٠٨٢]، (من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك) رواه النسائي عن أبي هريرة[١٠٨٣]، (من آذى مسلماً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله) رواه الطبراني عن أنس[١٠٨٤].

***

التصحيف

وَمِنْهُ تَصْحِيفٌ بِأَنْ يُعْتَمَدَا ... بِهِ وَبِالتَّصْحِيفِ أَمْنٌ قُصِدَا

هذا نوع رابع اخترعته، وهو أن يأتي في المقصود بكلام لتصحيفه معنى معتبر فيقصد ذلك لتذهب نفس السامع إلى كل من معنييه، كما حكى عن بعض الأذكياء أنّه كتب على بعض أصحابه أنّه يشتري له من البضائع الرائجة وأمر أن لا ينقط ليصلح للرائجة والرابحة، ومن ألطف ما وقع في الحديث مما تصحيفه معتبر حتى اختلف الناس في روايته ما رواه أبو يعلى عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (عليكم بغسل

(١٠٨١) صحيح مسلم ٧٤/١ وفيه (لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنون حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم)

(١٠٨٢) مسند الطيالسي: ٣٣/١.

(١٠٨٣) السنن الكبرى: ٣٠٧/٢، سنن النسائي (المجتبى) ١١٢/٢.

(١٠٨٤) المعجم الكبير: ٤٢/٣.

الدبر فإنه يذهب بالبواسير)[١٠٨٥] فقوله (بغسل الدبر) اختلف فيه بعضهم فهم أنّه بفتح الغين المعجمة وسكون السين وضم الدال المهملتين والباء الموحدة، ومنهم الحافظ أبو الحسن الهيثمي[١٠٨٦] فأورده في باب الاستنجاء، وناسب ذلك قوله (فإنه يذهب بالبواسير) فإنه من أمراض المقعدة، وبعضهم فهم أنّه عسل النحل ومنهم الحافظ أبو منصور الديلمي فإنه قال في مسند الفردوس[١٠٨٧] والدبر بفتح الدال وسكون الموحدة هو النحل، وقريب منه حديث الترمذي (أربع من سنن المرسلين السواك والتعطر والنكاح والحياء)[١٠٨٨] منهم من يرويه بالتحتية، ومنهم من يرويه بالنون[١٠٨٩].

المحسنات اللفظية

الجناس وأنواعه

مِنْهُ الجِنَاسُ بَيْنَ لَفْظَيْنِ بِأَنْ ... تَشَابَهَا فَإِنْ يَكُ الوِفَاقُ عَنْ
تَعَدُّدِ الحُرُوفِ وَالأَنْوَاعِ ثُمّ ... تَرْتِيبِهَا وَهَيْئَةٌ فَالتَّامَّ سَمّ
فَإِنْ يَكُنْ نَوْعاً فَذَا مُمَاثِلُ ... أَوْ لا فَمُسْتَوْفٍ كَقَائِلْ قَابِلُ
فَإِنْ يَكُنْ مُرَكَّباً إحْدَاهُمَا ... جِنَاسُ تَرْكِيبٍ فَإِنْ تَسَاهَمَا
خَطّاً فَذُو تَشَابُهٍ وَإلاَّ ... فَذَاكَ مَفْرُوقٌ وَإنْ تَجَلَّى
مِنْ كِلْمَةٍ وَجُزْئِهَا فَالمَرْفُو ... أَوْ رُكِّبَا مُلَفَّقٌ وَالخُلْفُ
فِي النَّقْطِ إذْ يُوجَدُ فَالمُصَحَّفُ ... أَوْ حَرَكَاتٍ فَهُوَ المُحَرَّفُ
أَوْ عَدَدٍ فَنَاقِصٌ بِحَرْفِ ... فِي أَوَّلٍ أَوْ وَسْطِهِ أَوْ طَرْفِ
مُطَرَّفٌ مُكْتَنَفٌ مَرْدُوفُ ... مُذَيَّلٌ إنْ زِيدَتْ الحُرُوفُ

(١٠٨٥) لم نجد فيما بحثنا في مسند أبي يعلى، وقد روي في: ميزان الاعتدال في نقد الرجال: ٦٩/٥، الكامل في ضعفاء الرجال: ٣٠٨/٢، المجروحين: ١٠٠/٢.

(١٠٨٦) لم نجد هذا في مجمع الزوائد، وقد ذكره المناوي في فيض القدير: ٣٥٠/٤.

(١٠٨٧) لم نجد هذا في مسند الفردوس.

(١٠٨٨) سنن الترمذي: ٣٩١/٣ وفيه (أربع من سنن المرسلين الحياء والتعطر والسواك والنكاح).

(١٠٨٩) روي هذا الحديث بلفظين (الحياء) و(الحنّاء)، وقول المصنّف (بالتحتية) أي بالياء (الحياء). وقوله: بالنون أي (الحنّاء) وقد روى الحديث بالنون ابن أبي شيبه في مصنفه: ١٥٦/١، وفيه (أربع من سنن المرسلين التعطر والنكاح والسواك والحناء).

أَوْ نَـوْعِ حَـرْفٍ لَـمْ يَكُـنْ بِأَكْثَـرِ ... مِـنْ وَاحِـدٍ فِـي أَوَّلٍ أَوْ آخِـرِ
أَوْ وَسَـطٍ ثُـمَّ إِذَا تَقَارَبَـا ... مُـضَارِعٌ وَلاحِـقٌ إِنْ جَانَـبَا
قُلْـتُ فَـإِنْ تَنَاسَـبَا فِـي اللَّفْـظِ ... كَالـضَّادِ وَالظَّـاءِ فَـذَاكَ اللَّفْظِـي
وَإِنْ يُخَالَـفْ فِـي تَـرَتُّبٍ دُعِـي ... بِالقَلْـبِ فِي الكُـلِّ وَفِـي البَعْضِ رُعِـي
فَـإِنْ يَقَـعْ فِـي أَوَّلِ البَـيْتِ وَفِـي ... آخِـرِهِ فَهْـوُ مُجَـنَّحٌ قُفِـي
وَفَـوْقَ حَـرْفٍ أَوَّلاً مُـتَوَّجُ ... وَإِنْ تَـوَالَـيَا فَـذَا مُـزْدَوَجُ
وإِنْ يَكُـنْ تَجَـاذَبَ الطَّـرَفَانِ ... مُـشَوَّشٌ قَـدْ زَادَ فِـي التِّبْـيَانِ
وَبِالجِـنَاسِ أَلْحَقُـوا شَـيْئَيْنِ ... إِحْـدَاهُمَا تَـشَابُهُ اللَّفْظَـيْنِ
قُلْـتُ وَذَا تَجَـانُس الإِطْـلاَقِ ... وَالآخَـرُ الجَمْـعُ فِـي الاشْـتِقَاقِ
قُلْـتُ الجِـنَاسُ المَعْـنَوِي أَنْ تُـضْمِرَا ... رُكْنَـيْهِ وَالمُـرَادِفَيْنِ تَذْكُـرَا
وَذِكْـرُهُ لِـوَاحِدٍ وَمَـا رُدِفْ ... أَوْ مَـا يَـدُلُّ بِإِشَـارَةٍ عُـرِفْ
ثُـمَّ تَوَسُّـطُ الجِـنَاسِ قُـرِّرَا ... وَشَـرْطُ حُـسْنٍ فِـيهِ أَنْ لا يَكْثُـرا
فَـإِنْ يَـصِرْ تَـوْرِيَةً وَانْحَـصَرَا ... فِـي وَاحِـدٍ فَقَـدْ عَـلاَ وَافْتَخَـرَا

من أنواع البديع اللفظية الجناس بين اللفظين، وهو تشابههما في اللفظ، والجناس مصدر جانس ويسمى التجنيس والمجانسة والتجانس، قال في كنز البراعة[١٠٩٠]: ولم أر من ذكر فائدته وخطر لي أنّها الميل إلى الإصغاء فإنّ مناسبة الألفاظ تحدث ميلاً وإصغاءً إليها، ولأنّ اللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثمّ جاء والمراد به آخر كان للنفس تشوق إليه، قال الشيخ بهاء الدين[١٠٩١]: والعبارة الثانية قاصرة على بعض أنواعه، قال وكفى بالتجنيس فخراً مراعاة النبي ﷺ حيث قال (غِفار غفر الله لها، وأسلَم سالمها الله، وعُصَيَّة عصت الله ورسوله)[١٠٩٢]، وهو من تجنيس الاشتقاق، وقلت: وفي

(١٠٩٠) كذا في جميع النسخ، ولم نجد كتاباً بهذا العنوان، بل وجدناه بعنوان كنز البلاغة، وذكر صاحب كشف الظنون كتابين بهذا العنوان الأوّل: (كنز البلاعة في الإنشاء) لمحمد بن علي بن أحمد، كشف الظنون: ١٥١٤/٢، الثاني (كنز البلاغة) لعماد الدين اسماعيل بن الأثير الحلبي، كشف الظنون ١٥١٥/٢.
(١٠٩١) عروس الأفراح: ٢٨٢/٢.
(١٠٩٢) صحيح البخاري: ١٢٩٣/٣.

بعض طرقه (وتجيب أجابت الله ورسوله)[١٠٩٣]، وقد صرح الأندلسي بأن الجناس أشرف الأنواع اللفظية.

ثم الجناس أنواعه كثيرة وقد أفرده الصلاح الصفدي بتأليف سماه جناس الجناس[١٠٩٤].

الأول: التام: بأن يتفقا في أعداد الحروف وأنواعها وترتيبها وهيئاتها، وهو أقسام:

أحدها: المماثل، بأن تكون الكلمتان من نوع واحد كاسمين أو فعلين أو حرفين كقوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (الروم: ٥٥)، قيل ولم يقع منه في القرآن غير هذه الآية، واستنبط شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر[١٠٩٥] آية أخرى هي ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ (النور: من الآية ٤٣، والآية ٤٤)، وقوله ﷺ للصحابة حين نازعوا جريراً (دعوا جريراً والجرير)[١٠٩٦] أي زمامه، قلت: لم أقف على هذا الحديث ولكن وجدت قوله ﷺ (من تعلم صرف الكلام ليسحر به قلوب الناس لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً) رواه أبو داود[١٠٩٧]، الصرف الأول فصل الكلام كما فسره أبو عبيدة[١٠٩٨]، والثانية النافلة أو التوبة وقوله (من أمر بمعروف فليكن أمره ذلك بمعروف)[١٠٩٩]، وقوله (أول من يدخل النار سلطان لم يعدل في سلطانه) رواهما الديلمي[١١٠٠]، وقول ابن الرومي[١١٠١]:

(١٠٩٣) مجمع الزوائد: ١٠ /٤٦.

(١٠٩٤) طبع في مطبعة الجوائب، قسطنطينية، إستانبول، ١٢٩٩هـ.

(١٠٩٥) في جميع النسخ [أبو عبيدة]، وهو أبو عبيد كما نوهنا قبل قليل، غريب الحديث: ١٦٧/٣.

(١٠٩٦) لم نجد من ذكر هذا الحديث.

(١٠٩٧) سنن أبي داود: ٣٠٢/٤، (من تعلم صرف الكلام ليسبي به قلوب الرجال أو الناس لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا).

(١٠٩٨) لم نجد مصنفاً لأبي حجر يذكر هذا.

(١٠٩٩) الفردوس: ٥٨٥/٣ وفيه (من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف).

(١١٠٠) الفردوس: ٢٣/١ وفيه (أول من يدخل النار سلطان مسلط لم يعدل في سلطانه أطغاه كبره وأبطرته قوته).

(١١٠١) ديوان ابن الرومي: ١١٤/٤وفيه:

=

للسُّود في السودِ آثارٌ تركن بها   وَقْعاً من البيض تَثني أعينَ البيضِ

الثاني: المستوفي بأن كانا من نوعين كاسم وفعل أو حرف كحديث الصحيحين (إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل في في امرأتك)[١١٠٢]، وقوله[١١٠٣]:

وَسَمَّيْتُهُ يَحْيَى لِيَحْيَى فَلَمْ يَكُنْ   لأمْرِ قَضَاهُ اللهِ فِي النَّاسِ مِنْ يَدِ

وقوله[١١٠٤]:

مَا مَاتَ مِن كَرَمِ الزَمانِ فَإِنَّهُ   يَحيا لَدى يَحيى بنِ عَبدِ اللَّهِ

الثالث: جناس التركيب، وهو التام الذي أحد لفظيه مركب وهو قسمان، ملفوف وهو ما تركب من كلمتين تامتين أو ثلاث كلمات، ومرفوّ وهو ما تركب من كلمة وبعض أخرى أو من كلمة وحرف من حروف المعاني، وكل منهما إما متشابه بأن يتفقا في الخط أو مفروق بأن يختلفا فيه، ثم قد يكون ذلك في متفقين أو مختلفين، مثال الملفوف المتشابه قول البستي[١١٠٥]:

إذا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَا هِبَهْ   فَدَعْهُ فَدَوْلَتُهُ ذَاهِبَهْ

وقول الآخر[١١٠٦]:

عَضّنَا الدّهْرُ بِنَابِهْ   لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَا بِهْ

ومثال المفروق قول البستي[١١٠٧]:

كُلُّكُمْ قَدْ أخَذَ الجا   مَ ولا جَامَ لَنَا

=

للسود في السودِ آثارٌ تركن بها   لمعاً من البيض تَثني أعينَ البيضِ

(١١٠٢) صحيح البخاري: ١/٣٠، صحيح مسلم: ٣/١٢٥، وفي الأخير (ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك).

(١١٠٣) البيت لمحمد بن كناسة، البديع: ٢٦، التبيان في البيان ٤٠٤، الإيضاح: ٢/٣٨٣.

(١١٠٤) ديوان أبي تمام: ٣/٣٤٧، وفيه:

مَن ماتَ مِن حَدَثِ الزَمانِ فَإِنَّهُ   يَحيا لَدى يَحيى بنِ عَبدِ اللَّهِ

(١١٠٥) أبو الفتح البستي، حياته وشعره: ٢٢٨.

(١١٠٦) البيت لأبي الفتح البستي، أبو الفتح البستي، حياته وشعره: ٢٣١، والبيت فيه:

إذَا كَشَّرَ الدَّهْرُ عَنْ نَابِهِ   كَشَفْنَا الحَوَادِثَ عَنَّا بِهِ

(١١٠٧) أبو الفتح البستي، حياته وشعره: ٣٧٢.

مــا الّــذي ضّــرَّ مديــرَ الــ جــامِ لَــو جامَلَــنا

وقوله أيضاً(١١٠٨):

وإنْ أقـــرَّ علـــى رِقٍ أنامِلَــهُ أقــرَّ بالــرّقّ كُــتّابُ الأنــام لَــهُ

ومثال المرفوّ وهو من زيادتي وذكره في الإيضاح(١١٠٩) مفروقاً قول الحريري(١١١٠):

والمكْــرُ مهْمــا اسـطَعْتَ لا تأتِــهِ لتَقْتَنـــي الـــسّؤدَدَ والمَكـــرُمَهْ

وقوله أيضاً(١١١١):

ولا تلـهُ عـن تَـذكارِ ذنـبِكَ وابكِـهِ بدمـعٍ يُحاكـي المُـزْنَ حـالَ مَـصابِهِ

ومَـــثّلْ لعينَــيْكَ الحِمــامَ ووقْعَــهُ وروْعَـــةَ مَلْقـــاهُ ومطْعَـــمَ صـــابِهِ

ومنه الحديث(١١١٢):

بِاســـمِ الإلَـــهِ وَبِـــهِ بَديـــنا فَحَـــبَّذا رَبًّـــا وَحَـــبَّ ديـــنا

ومثله قولي:

وَكُلَّمَـــا مِلـــتُ نَحْـــوَ حُـــبّ لاَ بُـــدَّ لِـــي فِـــيهِ مِـــنْ رَقِـــيبِ

فَلَـــيْسَ يَـــنْأى فَوَاعَنَائِـــي وَلَـــيْسَ يَـــنْفَكُّ قَـــدْرَ قِـــيبِ

وقوله(١١١٣):

[أمّلْـــتُهم ثـــمّ تأمّلْـــتُهم] فــلاحَ لــي أنْ لــيس فــيهم فَــلاح

الرابع: الجناس التام الملفق، وهو من زيادتي أيضاً وهو المتركب ركناه، وعده نوعاً

(١١٠٨) البيت لأبي الفتح البستي، أبو الفتح البستي، حياته وشعره: ٢٩٨، والبيت فيه:

وإنْ أمــرَّ علــى رِقٍ أنامِلَــهُ أقــرَّ بالــرّقّ كُــتّابُ الأنــام لَــهُ

(١١٠٩) التلخيص: ١٠٢.

(١١١٠) مقامات الحريري: ٤٠٦.

(١١١١) المصدر نفسه: ١٧٨ وفيها:

ولا تلـهُ عـن تَـذكارِ ذنـبِكَ وابكِـهِ بدمـعٍ يُـضاهي المُـزْنَ حـالَ مَـصابِهِ

(١١١٢) هذا البيت لعبد الله بن رواحة، ديوانه: ، وكان رسول الله يتمثل به في حفر الخندق، مسند الحارث بن أسامة: ٧٢٠/٢، وفيه (بسم الله وبه بدينا*ولو عبدنا غيره شقينا*حبذا ربا وحبذا دينا)، الأحاديث المختارة: ١٦٠/٦ وفيه (بسم الله وبه بدينا ولو عبدنا غيره شقينا ألا لحبذا ربا وحبذا دينا).

(١١١٣) البيت للأرجاني، ديوانه: ٢٩٦/١.

آخر غير المركب الحاتمي[١١١٤] وابن رشيق[١١١٥] وأصحاب البديعيات، وغالب المؤلفين لم يفرقوا بينهما كقوله[١١١٦]:

وَكَمْ بِجِبَاهِ الرَّاغِبِينَ إلَيْهِ مِنْ ... مَجَالِ سُجُودٍ فِي مَجَالِسِ جُودِ

وقول البستي[١١١٧]:

إلَى حَتْفِي سَعَى قَدَمِي ... أرَى قَدَمِي أرَاقَ دَمِي

وقوله[١١١٨]:

فَلَمْ تَضَعِ الأَعَادِي قَدْرَ شَانِي ... وَلاَ قالُوا فُلانٌ قَدْ رَشَانِي

قلت: ينبغي أن يجعل هذا أيضاً نوعين: أحدهما ما توافقا خطاً كالبيت الأخير، والثاني ما تخالفا كالبيت الأول الموافق والثاني المفارق.

والثاني: من أنواع الجناس ما وقع الاختلاف في هيئات الحروف وهو نوعان:

أحدهما: المصحف بأن اختلف الحروف في النقط وهو من زيادتي وبعضهم يسميه جناس الخط ويكون في نوع أو نوعين مختلفين كقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ (الشعراء: الآيتان٧٩ - ٨٠)، وحديث الطبراني (إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن الله تعالى في هلاكها)[١١١٩]، وحديث الصحيحين (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا)[١١٢٠]، وقول علي رضي الله تعالى عنه: (قصر ثوبك فإنه أتقى وأنقى وأبقى)[١١٢١].

(١١١٤) لم يذكره الحاتمي ولم يشر إليه.

(١١١٥) سماه ابن رشيق الجناس المنفصل: العمدة: ١/٣٢٨.

(١١١٦) البيت لأبي حفص المطوعي، ينظر، يتيمة الدهر ٥/١٩٣، وفيه:

وَكَمْ بِجِبَاهِ الرَّاغِبِينَ إلَيْهِ مِنْ ... مَجَالِ سُجُودٍ فِي مَجَالِسِ جُودِ

(١١١٧) أبو الفتح البستي، حياته وشعره: ٣٠١.

(١١١٨) لم نعثر للبيت على نسبة.

(١١١٩) المعجم الكبير: ١/١٧٨ وفيه (إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله عزّ وجل)

(١١٢٠) صحيح البخاري: ١/٣٨، صحيح مسلم: ٣/١٣٥٨، وفي الأخير (بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا).

(١١٢١) القول ليس لعلي رضي الله تعالى عنه، بل هو حديث لرسول الله لعلي كما في مسند أحمد: ٥/ ٣٦٤، والشمائل، الترمذي: ٥٨..

الثاني: المحرف بأن وقع الاختلاف في الحركات ويكون في نوع أو نوعين، وتارة يجتمع التصحيف والتحريف، وتارة يقع الاختلاف في الحركة فقط أو السكون فقط أو فيهما، ومنه أيضاً مفرد ومركب وملفوف ومرفوّ، وكلاهما مرفو ومشتبه كقوله تعالى ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (الكهف: من الآية ١٠٤)، وقوله ﷺ (ما حسن الله خَلْقَ رجل ولا خُلُقَهُ فتطعمه النار) رواه الطبراني[١١٢٢]، وقوله (إنّ الله وملائكته يُصلّون على الذين يَصِلُون الصفوف) رواه الحاكم[١١٢٣]، وقوله (الدَّيْنُ شَيْنٌ للدِّينِ) رواه الديلمي[١١٢٤]، وقوله (جُبَّةُ البُرْدِ جَنَّةُ البَرْدِ)[١١٢٥]، وروى الديلمي حديث (الشيطان يَهُمُّ بالواحد والاثنين فإذا كانوا ثلاثة لم يَهِمْ بهم)[١١٢٦]، وحديث (مكتوب في الإنجيل اتق الله ثُمَّ نَمْ حيث شئت)[١١٢٧]، وقول ابن نباتة[١١٢٨]:

قَوَامُكَ تَحْتَ شَعْرِكَ يَا أُمَامَهْ غَداً لَكَ حَامِلاً عِلْمَ الإمَامَهْ

ويعزى لعلي رضي الله تعالى عنه (غَرَّكَ عِزُّكَ، فَصَارَ قِصَارُ ذَلكَ ذُلُّكَ، فَاخْشَ فَاحِشَ فِعْلِك، فَعَلَّك بِهَذَا تُهْدَى)[١١٢٩]. ولغيره (رُبَّ رَبِّ غَنِيٍّ غَبِيٍّ سَرَّتْهُ شِرَّتُهُ فَجَاءَهُ فُجَاءةٌ بَعْدَ بُعدِ عِشْرَتِهِ عُسْرَتُهُ)[١١٣٠]، فهاتان القطعتان فيها غالب أنواع هذا القسم، فـ(غَرَّكَ عِزُّكَ) مصحف محرف مفرد من نوعين، وقوله (فَصَارَ قِصَارُ ذَلكَ ذُلُّكَ، فَاخْشَ فَاحِشَ فِعْلِك، فَعَلَّك بِهَذَا تُهْدَى)، كذلك لكنه مرفوّ مشتبه و(ذَلِك ذُلُّك) كذلك لكنّه ملفوف من نوع و(رُبّ رَبّ) من نوعين محرّف مفرد وقس الباقي.

(١١٢٢) المعجم الأوسط: ٣٧/٧.

(١١٢٣) المستدرك: ٣٣٤/١.

(١١٢٤) الفردوس: ٢٢٧/٢، وفيه (الدَّيْنُ شين الدِّينِ).

(١١٢٥) لم نعثر على من ذكر هذا الحديث.

(١١٢٦) الفردوس: ٣٧٩/٢.

(١١٢٧) كتاب الزهد الكبير، البيهقي: ٣٥٠/٢ وفيه (مكتوب في التوراة يا ابن آدم اتق الله ثم نم حيث شئت)، الفردوس: ١٢٤/٤ وفيه (مكتوب في الإنجيل ابن آدم أخلقك وأرزقك وتعبد غيري ابن آدم أدعوك وتفر مني وأذكرك وتنساني ابن آدم اتق الله ثم نم حيث شئت).

(١١٢٨) البيت غير موجود في ديوانه.

(١١٢٩) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، الصفدي: ٢١ وفيه أنّه لعلي رضي الله عنه، وفي البداية والنهاية، لابن الأثير: ٣٠٠/١١، أنّه لعضد الدولة.

(١١٣٠) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف: ٢١، وفيه القول للرشيد الكاتب.

الثالث: من أنواع الجناس الناقص بأن يختلفا في عدد الحروف وهو قسمان:

أحدهما: أن يقع الاختلاف بحرف واحد، إمّا في الأول أو الوسط أو الطرف ويكون في نوع أو نوعين:

فالأول سميته أنا بالمردوف، لأنَّ حرف الزيادة مردوف بما وقع فيه التجانس كقوله تعالى ﴿ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ ﴾ (القيامة: الآيتان ٢٩ - ٣٠)، وحديث الصحيحين (الإيمان يمان)[١١٣١]، وحديث الطبراني (ترك الوصية عار في الدنيا ونار وشنار في الآخرة)[١١٣٢]، وحديث الديلمي (الحدة لا تكون إلا في صالحي أمتي ثم تفيء)[١١٣٣].

والثاني: أنا سمّيته بالمكتنف لأن حرف الزيادة فيه مكتنف: أي متوسط بين ما اكتنفاه كقولهم: (جدّي جهدي)، وحديث أحمد (الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة الشاذة)[١١٣٤]، وحديث مسلم (ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء)[١١٣٥]، وحديث الطبراني (ماذا يرجو الجار من جاره إذا لم يرفقه بأطراف خشبة في جداره)[١١٣٦]، وحديث البخاري في النفر الثلاثة (أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه)[١١٣٧]، وحديث الديلمي (ما بعث الله نبياً إلا وقد أمه بعض أمته)[١١٣٨].

والثالث: سماه في التلخيص[١١٣٩] بالمطرف لأن الزيادة وقعت فيه في الطرف كحديث أحمد (من آوى ضَالَّةً فهو ضَالٌّ)[١١٤٠] وقوله[١١٤١]:

(١١٣١) صحيح البخاري: ١٢٨٩/٣، صحيح مسلم: ٧١/١.

(١١٣٢) المعجم الأوسط: ٣: ٣١٩.

(١١٣٣) الفردوس: ١٥٣/٢ وفيه (الحدة لا تكون إلا في صالحي أمتي وأبرارها وأتقيائها ثم تقي على الحسنة عشرة والسلام ألف حسنة لأنها سنة)

(١١٣٤) مسند أحمد: ٢٣٢/٥، ٢٤٣، وفيه (إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد).

(١١٣٥) لم نجد هذا الحديث في صحيح مسلم، ورواه ابن حبان في صحيحة: ٤٣٩/١٣، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٨٤/٥.

(١١٣٦) المعجم الكبير: ١٨٨/٢٢ وفيه (ماذا يرجو الجار من جاره إذا لم يرفع له خشبة في جداره).

(١١٣٧) صحيح البخاري: ٣٦/١.

(١١٣٨) الفردوس: ٨٢/٤ وفيه (ما بعث لله نبياً إلا وأمه بعض أمته).

(١١٣٩) التلخيص: ١٠٢.

(١١٤٠) مسند أحمد ١١٧/٤.

(١١٤١) البيت لأبي تمام، ديوانه: ٢٠٦/١.

يَمُـدّونَ مِـن أَيـدٍ عَـواصٍ عَواصِـمٍ [تَـصولُ بِأَسـيافٍ قَـواضٍ قَواضِـبِ]

وقوله[١١٤٢]:

وَسَـألْتُهَا بِإِشَـارَةٍ عَـنْ حَالِهَـا وَعَلَـيَّ فِـيهَا للوُشَـاةِ عُـيُونُ

فَتَنَفَّـسَتْ صَـعْداً وَقَالَـتْ مَـا الهَـوَى إلاّ الهَـوَانُ أُزِيـلَ مِـنْهُ النُّونُ

فقولي (مردوف إلخ) لف ونشر لما قبله، والأوّلان من زيادتي.

القسم الثاني: أن يقع الاختلاف بأكثر من حرف وسماه في التلخيص[١١٤٣] مذيلاً وهو مخصوص بما كانت الزيادة فيه في الآخر، فإن كانت في الأول فسماه بعضهم متوجاً كما بيّنته من زيادتي، وسمّاه في كنز البراعة[١١٤٤] ترجيعاً لأنّ الكلمة رجعت بذاتها بزيادة، وقد يكون في الوسط أيضاً وينبغي أن يسمى الزائد ويكون من نوع أو نوعين، مثال المذيل قوله تعالى ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ﴾ (طه: من الآية ٩٧)، وحديث الديلمي (هل لك في الغداء يا هلال)[١١٤٥]، وقول الخنساء[١١٤٦]:

إنّ الـبُكاءَ هُـوَ الـشِّفَا ءُ مِـنَ الجَـوَى بَـيْنَ الجَـوَانِحْ

ومثال المتوج قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ ﴾ (العاديات: من الآية ١١)، وقوله ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ (البقرة: من الآية ٦٢)، وحديث الشيخين (في الحبة السوداء الشفاء من كل داء)[١١٤٧]، وحديث الديلمي (ضع بصرك موضع سجودك)[١١٤٨]، وقول البستي[١١٤٩]:

أبـا العـبّاسِ لا تحـسِبْ بأنّـي لِـسِنّي مـن حُلـى الأشـعارِ عـاري

فلـي طـبعٌ كسَلـسالٍ مَعـينٍ زُلالٍ مـن ذُرى الأحجـارِ جـارِي

(١١٤٢) لم نعثر للبيتين على نسبة، ولم ينسبا في خزانة الأدب: ٧٠/١.

(١١٤٣) التلخيص: ١٠٣.

(١١٤٤) مرّ ذكر هذا الكتاب في موضع سابق.

(١١٤٥) لم نجد هذا الحديث في الفردوس ولا في غيره.

(١١٤٦) ديوان الخنساء: ١٩٢، تحقيق: فائز محمد الداية.

(١١٤٧) صحيح البخاري: ٢١٥٣، صحيح مسلم: ١٧٣٥/٤ وفيهما (في الحبة السوداء شفاء من كل داء).

(١١٤٨) الفردوس: ٤٢٥/٢.

(١١٤٩) أبو الفتح البستي، حياته وشعره: ٢٦٢ وفيه:

أبـا العـبّاسِ لا تحـسِبْ بأنّـي لِـسِنّي مـن حُلـى الأشـعارِ عـارِ

فلـي طـبعٌ كسَلـسالٍ مَعـينٍ زُلالٍ مـن ذُرى الأحجـارِ جـارِ

الرابع: ما وقع الاختلاف فيه في أنواع الحروف، ويشترط أن يكون بأكثر من حرف واحد وألا يبعد التشابه ويفقد التجانس، ويسمى هذا النوع تجنيس التصريف، وهو قسمان ما يكون التخالف بحرف مقارب في المخرج وما يكون بغيره، والأول يسمى المضارع، والثاني اللاحق وكل منهما إما في الأول أو في الوسط أو في الآخر ويكون من نوع أو نوعين.

فالأول: من المضارع نحو (وبيْني وبينَ كِنّي ليلٌ دامِسٌ وطريقٌ طامِسٌ)، وحديث ابن السنيّ وغيره (ما أضيف شيء إلى شيء أفضل من علم إلى حلم)[١١٥٠]، وحديث الطبراني (زر غباً تزدد حباً)[١١٥١]، ومن اللاحق قوله تعالى ﴿ وَيۡلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۝١ ﴾ (الهمزة: ١)، وحديث الترمذي (أسفروا بالفجر فإنه أعظم للأجر)[١١٥٢]، وحديث الطبراني (التجار هم الفجار)[١١٥٣]، وحديثه (الحمد لله الذي حسن خلقي وزان مني ما شان من غيري)[١١٥٤].

والثاني: من المضارع كحديث (تعوذوا بالله من طمع يهدي إلى طبع)[١١٥٥]، وقوله تعالى ﴿ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُ ﴾ (الأنعام: من الآية ٢٦)، ومن اللاحق كقوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ﴾ (العاديات: الآيتان ٧ - ٨)، وحديث الطبراني (لولا رجال ركع وصبيان رضع وبهائم رتع)[١١٥٦]، وقوله تعالى ﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ۝٧٥ ﴾ (غافر: ٧٥).

(١١٥٠) لم نقف على كتاب لابن السني، وفي المعجم الأوسط: ١٢٥/٥: (والذي نفسي بيده ما جمع شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم).

(١١٥١) المعجم الأوسط: ٢١٠/٢.

(١١٥٢) سنن الترمذي: ٢٩٨/١.

(١١٥٣) المعجم الكبير: ٣١٤/١٩.

(١١٥٤) المصدر نفسه: ٣٢٤/١٩.

(١١٥٥) مسند الشاميين: ٢٩٦/٢، المعجم الكبير: ٦٩/١٨.

(١١٥٦) المعجم الأوسط: ٣٢٧/٦ وفيه(لولا عباد لله ركع وصبية رضع وبهائم رتع) و١٣٤/٧ وفيه (لولا شباب خشع وشيوخ ركع وأطفال رضع وبهائم رتع)، والمعجم الكبير: ٣٠٩/٢٢ وفيه (لولا عباد لله ركع وصبية رضع وبهائم رتع).

والثالث: من المضارع كحديث الصحيحين (الخيل معقود في نواصيها الخير)[١١٥٧]، ومن اللاحق نحو ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ﴾ (النساء: من الآية ٨٣)، وحديث الطبراني (لن تفنى أمتي حتى يظهر فيهم التمايز والتمايل)[١١٥٨]، وحديث الديلمي (أحب المؤمنين إلى الله من نصب نفسه في طاعة الله ونصح لأمة محمد)[١١٥٩]، وحديث الترمذي (دبّ إليكم داء الأمم)[١١٦٠]، وسُمِّي هذا النوع المطمع لأنه لما ابتدأ بالكلمة على وفق الحروف التي قبلها طمع في أنه يجانسها بمثلها جناساً مماثلاً. وبقي قسم آخر نبهت عليه من زيادتي، وهو أن يكون المبدل مناسباً للآخر مناسبة لفظية ويسمى اللفظي كالذي يكتب بالضاد والظاء نحو ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القيامة: الآيتان ٢٢ - ٢٣)، والتاء والهاء نحو (جبلت القلوب على معاداة المعاداة)، والنون والتنوين كقول الأرجاني[١١٦١]:

وبيضُ الهِنْدِ من وَجْدي هَوازٍ ... بإحدَى البيضِ من عُلْيا هَوازن

والنون والألف كقول ابن العفيف التلمساني[١١٦٢]:

أَحْسَنُ خَلْقِ اللَّه وَجْهاً وفماً ... إنْ لَمْ يَكُنْ أَحقَّ بالحُسْنِ فَمَنْ

الخامس: ما وقع الاختلاف فيه في ترتيب الحروف، ويكون أيضاً من نوع أو نوعين فإن كان في كلّ الحروف فقلب كلّ نحو (حسامه فتحٌ لأوليائه حتفٌ لأعدائه)، أو بعضها فقلب بعض كقوله تعالى ﴿ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ (طه: ٩٤)، وحديث الصحيحين (اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا)[١١٦٣]، وحديثهما (إذا دعا الرجل إمرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان لعنتها الملائكة)[١١٦٤]، وحديث (يقال لصاحب القرآن يوم

(١١٥٧) صحيح البخاري: ١٠٤٨/٣، صحيح مسلم: ١٤٩٣/٣.

(١١٥٨) لم نجد هذا الحديث عند الطبراني، وقد رواه الحاكم في المستدرك: ٥٦٩/٤، والديلمي في الفردوس: ٤٤٨/٣.

(١١٥٩) الفردوس: ٣٦٦/١.

(١١٦٠) سنن الترمذي: ٦٦٤/٤.

(١١٦١) ديوان الأرجاني: ٤٨٧/٣.

(١١٦٢) ديوان الشاب الظريف: ٢٨٠

(١١٦٣) لم نعثر لهذا الحديث في الصحيحين، وقد روي في مسند أحمد: ٣/٣.

(١١٦٤) صحيح البخاري: ١١٨٢/٣ وفيه (إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح)، صحيح مسلم ١٠٦٠/٢ وفيه (إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح).

يوم القيامة أقرأ وارق)[١١٦٥]، وحديث الديلمي (ما ذهب بصر عبد فصبر إلا دخل الجنة)[١١٦٦]، فهذه الخمسة أنواع أصول الجناس وتحت كل نوع منها أقسام كما ترى.

النوع السادس: تجانس الإطلاق، وجعله في التلخيص[١١٦٧] والذي بعده ملحقاً بالجناس ويسمى أيضاً المشابهة والمقاربة والمغايرة وإيهام الاشتقاق وهو أن يجتمع اللفظان في المشابهة فقط نحو ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴾ (الشعراء: من الآية ١٦٨)، ﴿ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ ﴾(الرحمن: من الآية ٥٤)، ﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ (يونس: من الآية ١٠٧)، ﴿ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾ (المائدة: من الآية ٣١)، وحديث أحمد (ما من حاكم بين الناس إلا حشر يوم القيامة وملك آخذ بقفاه حتى يقف به على جهنم)[١١٦٨]، وحديث (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك وإن أفتاك المَفتونُ)[١١٦٩] على رواية فتح الميم وضم النون مفرداً من الفتنة.

النوع السابع: تجنيس الاشتقاق: وهو أن يجتمعا في أصل الاشتقاق ويسمى أيضاً المقتضب نحو ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ ﴾ (الروم: من الآية ٤٣)، ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾ (الواقعة: من الآية ٨٩)، (الظلم ظلمات يوم القيامة)[١١٧٠]، قال كشاجم في خادم أسود ظالم[١١٧١]:

يَا مُشْبِهاً فِي فِعْلِهِ لَوْنَهُ ... لَمْ يَخْطُ مَا أَوْجَبَتِ القِسْمَهْ
فِعْلُكَ مِنْ لَوْنِكَ مُسْتَخْرَجٌ ... وَالظُّلْمُ مُشْتَقٌّ مِنَ الظُّلْمَهْ

النوع الثامن: الجناس المعنوي، وهو من زيادتي ولم يتعرض له في الإيضاح أيضاً

(١١٦٥) صحيح ابن حبان: ٣/٤٣.

(١١٦٦) الفردوس: ٣/١٦٦.

(١١٦٧) التلخيص: ١٠٤.

(١١٦٨) مسند أحمد ١/٤٣٠ وفيه (ما من حكم يحكم بين الناس الا حبس يوم القيامة وملك آخذ بقفاه حتى يقفه على جهنم)

(١١٦٩) مسند الشاميين: ١/٧٧، مسند أبي يعلى: ١٣/٤٧٧.

(١١٧٠) صحيح البخاري: ٣/٨٦٤، صحيح مسلم: ٤/١٩٩٦.

(١١٧١) ديوان كشاجم: ٤٣٢ وفيه:

يَا مُشْبِهاً فِي لَوْنِهِ فِعْلَهُ ... لَمْ تَعْدُ مَا أَوْجَبَتِ القِسْمَهْ
ظُلْمُكَ مِنْ خَلْقِكَ مُسْتَخْرَجٌ ... وَالظُّلْمُ مُشْتَقٌّ مِنَ الظُّلْمَهْ

ولا ذكره ابن رشيق ولا ابن أبي الأصبع ولا أبن منقذ وذكره جماعة وبالغوا في طرقه، وهو نوعان تجنيس إضمار وتجنيس إشارة، فالأول وهو أصعب مسلكاً أن يضمر الناظم ركني التجنيس ويأتي في الظاهر بما يرادف المضمر للدلالة عليه كقول ابن عبدون في الخمر وقد صارت خلاً(١١٧٢):

أَلاَ فِي سَبِيلِ اللَّهْوِ كَأْسُ مُدَامَةٍ أَتَتْنَا بِطَعْمٍ عَهْدُهُ غَيْرُ ثَابِتِ
حَكَتْ بِنْتُ بِسْطَامِ بْنِ قَيْسٍ عَشِيَّةً وَأَمْسَتْ كَجِسْمِ الشَّنْفَرَا بَعْدَ ثَابِتِ

وبنت بسطام اسمها الصهباء، والشنفرا قال(١١٧٣):

فاسقِنيها يا سَوادَ بنَ عَمرو إنَّ جِسمي بَعدَ خالِي لَخَلُّ

الخل هو الرقيق الهزول وظهر من كناية اللفظ الظاهر جناسان مضمران في صهباء وصهباء وخل وخل، وكقول الصفي(١١٧٤):

وَكُلِّ لَحظٍ أَتى بِاسمِ اِبنِ ذي يَزَنٍ في فَتكِهِ بِالمُعنّى أَو أَبي هَرِمِ

اسم (ابن ذي يزن) سيف، و(أبو هرم) اسمه سنان، فظهر له جناسان مضمران من كناية الألفاظ، والثاني ويسمى أيضاً تجنيس الكناية وهو أن يقصد المجانسة في بيت بين الركنين فلا يوافقه الوزن على إبرازهما فيضمر في الواحد ويعدل إلى مرادف فيه كناية عن المضمر أو إلى لفظة فيها كناية لفظية تدل عليها وهذا القسم ذكره الفخر الرازي في نهاية الإيجاز(١١٧٥) والطيبي في التبيان(١١٧٦) ومثلا له بقوله(١١٧٧):

حُلِقَت لِحيَةُ موسى بِاسمِهِ وَبِهارونَ إِذا ما قُلِبا

أراد أن يقول موسى فلم يساعده الوزن فعدل إلى قوله باسمه، ومثله قول دعبل في سلمى امرأته(١١٧٨):

(١١٧٢) البيت في خزانة الأدب: ١/٤٦٤، نفحات الأزهار: ٢٠.

(١١٧٣) ديوان الشنفرى: ٨٩.

(١١٧٤) ديوان صفي الدين الحلي: ٣٦٩.

(١١٧٥) نهاية الإيجاز: ٦١.

(١١٧٦) التبيان في البيان: ٤٠٨.

(١١٧٧) البيت في نهاية الإيجاز: ٦١، التبيان في البيان: ٤٠٨، الطراز: ٢/ ٣٧٢ من دون نسبة.

(١١٧٨) ديوان دعبل الخزاعي: ١٦٣ وفيه:

أَنّي أُحِبُّكِ حُبًّا لَو تَضَمَّنَهُ سَلمى سَمِيُّكِ ذُكَّ الشاهِقُ الراسي

أَنّــي أُحِــبُّكِ حُــبّاً لَــو تَــضَمَّنَهُ سَــلمى سَــمِيُّكِ دُقَّ الــشاهِقُ الراسـي

في (سميك) كناية لطيفة أشعرت أنّ الركن المضمر في سلمى، فظهر جناس الإشارة بين الظاهر والمضمر في (سلمى) و(سلمى) الذي هو الجبل، ومن الإشارة التي دلّ عليها المرادف قول عقيلة لما أراد قومها الرحيل من بني نهلان وتوجه منهم جماعة يحضرون الإبل(١١٧٩):

فَمَــا مَكْثُــنَا دَامَ الجَمَــالُ عَلَــيْكُمَا بِــنَهْلانَ إلاّ أنْ تُــشَدَّ الأَبَاعِــرُ

أرادت أن تجانس بين الجَمَال والجِمَال فلم يساعدها الوزن ولا القافية فعدلت إلى مرادفة الجمال بالأباعر.

وللجناس أقسام باعتبارات أخر، أحدها المزدوج، ويسمى أيضاً المكرر وهو أن يتوالى متجانسان كقوله تعالى ﴿ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ ﴾ (النمل: من الآية ٢٢)، وحديث (من حسن الله خلقه وخلقه كان من أهل الجنة) رواه أبو الشيخ وابن حبان(١١٨٠)، وحديث (المؤمنون هينون لينون)(١١٨١)، وقول البحتري(١١٨٢):

مِـن كُـلِّ سـاجي الطَـرفِ أَغـيَدَ أَجـيَدٍ وَمُهَفهَـفِ الكَـشحَينِ أَحـوى أَحـوَرِ

ثانيهما المجنح: وهو أن يقع أحد المقلوبين أول البيت والآخر آخره كقوله(١١٨٣):

ولاَحَ أَنْــــوَارُ الهُـــدَى مِـــنْ كَفِّـــهِ فِـــي كُـــلِّ حَـــالْ

ثالثها المشوش: بفتح الواو وهو من زيادتي وذكره في الإيجاز(١١٨٤) والتبيان(١١٨٥) وغيرهما، وهو كلّ تجنيس يتجاذبه الطرفان من الصنعة كقولهم (مليح البلاغة، أنيق البراعة، لو اتحدت للأمان كان مضارعاً، أو العينان كان مصحفاً)، ومنه حديث أبي داود (سوء الخلق شؤم)(١١٨٦)، لو اتحد أول الكلمة كان مطرفاً أو حذفت الميم كان مصحفاً

(١١٧٩) البيتان في خزانة الأدب: ٩٧/١، جناس الجناس: ٣٥.

(١١٨٠) لم نجد الحديث في صحيح ابن حبان، ولم نجد كتاباً لابن الشيخ.

(١١٨١) شعب الإيمان: ٢٧٢/٦، ٢٧٣.

(١١٨٢) ديوان البحتري: ١٠٣٩/٢.

(١١٨٣) لم نعثر للبيت على نسبة.

(١١٨٤) نهاية الإيجاز: ٦١.

(١١٨٥) التبيان في البيان: ٤٠٨.

(١١٨٦) سنن أبي داود: ١٩١/٥.

وحديث الترمذي وغيره (مني مناخ من سبق)[١١٨٧] لو اتحدت حركات الميمات كان في الكلمات الثلاث جناس مطرف أو حذفت الخاء كان محرفاً.

ثم نبهت من زيادتي على أنّ الجناس نوع متوسط في البديع ليس كالتورية والاستخدام والطباق ونحوها، واتفقوا على أنّه إنّما يحسن إذا قلّ، فإن كثر سمج وخرج على حدّ النزول بخلاف التورية ونحوها، فإن جعل الجناس تورية وانحصر المعنيان في ركن واحد فقد عَلَت رتبته وارتفعت وصارت تسمى بالتورية التامة، مثال ذلك قول صاحب الجناس المركب[١١٨٨]:

أعَنِ العَقِيقِ سَأَلْتَ بَرْقاً أوْ مَضَا ... أأَقَامَ حَادٍ بالرَّكَائِبِ أوْ مَضَى

فقال من جعله تورية[١١٨٩]:

وَإِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكاً لَمْ ألْتَفِتْ ... إنْ عَادَ بَرْقاً فِي الدَّيَاجِي أوْ مَضَى

ومن أمثلة هذا النوع قول شيخ الإسلام أبي الفضل بن حجر[١١٩٠]:

سَأَلْتُ مِنْ لَحْظِهِ وَحَاجِبِهِ ... كَالقَوْسِ وَالسَّهْمِ مَوْعِداً حَسَنَا

فَفَوَّقَ السَّهْمِ مِنْ لَوَاحِظِهِ ... وَانْقَوَّسَ الحَاجِبَانِ وَاقْتَرَنَا

وقول ابن مكانس[١١٩١]:

أقُولُ لِحُبِّي قُمْ وَمِسْ يَا مُعَذِّبِي ... كَمَيْسَةِ خَوْدٍ حَرَّكَ السُّكْرُ رَأْسَهَا

وَلاَ تَسْهُ عَنْ شَيْءٍ إذَا مَا حَكَيْتَهَا ... فَقَامَ كَغُصْنِ البَانِ لِيناً وَمَا سَهَا

وقولي:

وَقَائِلٍ إذْ قَطَعْتُ بَدْراً ... بِبُقْعَةٍ صَعْبَةِ المَوَالِجْ

بِمَا تُسَمَّى هَذِي وَمَاذَا ... اصْنَعُ فِيهَا فَقُلْتُ عَالِجْ

***

(١١٨٧) سنن الترمذي: ٣/٢٢٨، المستدرك: ١/٦٣٨، سنن البيهقي الكبرى: ١٠/١٣٩.

(١١٨٨) البيت لمحمود بن محمد بن مسلم البغدادي (ت ٥٥٢ هـ)، خزانة الأدب: ١/٦١.

(١١٨٩) البيت في خزانة الأدب: ١/٣٩١، نفحات الأزهار: ١٦ دون نسبة.

(١١٩٠) خزانة الأدب: ١/٦١، نفحات الأزهار: ١٦.

(١١٩١) هو القاضي مجد الدين بن مكانس، البيتان في خزانة الأدب: ١/٦٢.

رد العجز إلى الصدر

وَمِــــنْهُ رَدُّ عَجُــــزٍ لِــــصَدْرِ إنْ تَقَــعِ اللَّفْظَــةُ صَــدْرَ النَّثْــرِ
وَشِــبْهُهَا فِــي خَــتْمِهِ وَالــشِّعْرْ فِــي آخَــرٍ وَشِــبْهُهَا لا فِــي الــصَّدْر
كَــذَلِكَ المِــصْرَاعُ أَوْ صَــدْرُ الــذا قَــبْلَ كَــذَا فِــي حَــشْوِهِ أَوْ خَــتْمِ ذَا

من الأنواع اللفظية رد العجز على الصدر، ويسمى التصدير، وهو في النثر أن تقع اللفظة أوَّله ومثلُها أو مجانسُها أو الملحقُ بها آخرَه، وهو معنى قولي وشبهها نحو ﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ (الأحزاب: من الآية ٣٧)، ونحو ﴿ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ (نوح: من الآية ١٠)، ونحو (سائلُ اللئيم يرجعُ ودمعه سائل)، وحديث الشيخين (من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح)[١١٩٢].

وفي الشعر أن يكون أحد اللفظين المذكورين في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الثاني، وهو معنى قولي (في الصدر لذلك المصراع) أو صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره، فالأوّل كقوله[١١٩٣]:

وَإِن لَــم يَكُــن إِلّا مَعَــرَّج ســاعَةٍ قَلــيلاً فَإِنّــي نافِــعٌ لــي قَلــيلُها

وقوله[١١٩٤]:

وَقَد كانَتِ البيضُ القَواضب في الوَغى بَواتِــرَ فَهــيَ الآنَ مِــن بَعــدِهِ بُتــرُ

وقوله[١١٩٥]:

أَمّلْــــتُهم ثــــمّ تأمّلْــــتُهم فــلاحَ لــي أنْ لــيس فــيهم فَــلاح

والثاني كقوله[١١٩٦]:

(١١٩٢) صحيح البخاري: ١/٢٣٥، صحيح مسلم: ١/٤٦٣.

(١١٩٣) البيت لذي الرمة، ديوانه: ٦٣٤، ، وفيه:

فَــإِن لَــم يَكُــن إِلّا تَعَلُّــلَ ســاعَةٍ قَلــيلاً فَإِنّــي نافِــعٌ لــي قَلــيلُها

(١١٩٤) البيت لأبي تمام، ديوانه: ٤/٨٣، وفيه:

وَقَد كانَتِ البيضُ المَآثيرُ في الوَغى بَواتِــرَ فَهــيَ الآنَ مِــن بَعــدِهِ بُتــرُ

(١١٩٥) ديوان الأرجاني: ١/٢٩٦.

(١١٩٦) البيت للأقيشر الأسدي، الأقيشر الاسدي أخباره وأشعاره، تحقيق: الطيب العشاش، حوليات الجامعة التونسية، العدد٨ تونس، ١٩٧٠: ٧٣، وفيه:

=

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ العَمِّ يَلطِمُ وَجهَهُ وَلَيسَ إِلَى دَاعِي النَدى بِسَرِيعِ

وقوله(١١٩٧):

دَعانِي مِن مَلامِكُما سَفاهاً فداعِي الشَّوقِ قَبلَكُمَا دَعانِي

الثالث كقوله(١١٩٨):

إِذا المَرءُ لَم يَخزُن عَلَيهِ لِسانَهُ فَلَيسَ عَلى شَيءٍ سِواهُ بِخَزّانِ

الرابع كقوله(١١٩٩):

فَمَشْغُوفٌ بِآيَاتِ المَثَانِي وَمَفْتُونٌ بِرَنَّاتِ المَثَانِي

وقوله(١٢٠٠):

فَدَعِ الوعيدَ فما وعيدُكَ ضائري أطَنِينُ أجنِحَةِ الذُّبَابِ يضيرُ

وإن انضم إلى التصدير تورية علا قدره كما تقدم في الجناس كقول ابن الوردي(١٢٠١):

مطرَّزَةٌ مثلُ بدر السما تنمَّقُ وجهَ الضيا بالظُّلَمْ

سبا حسنُها عقلَ تطريزها ألَمْ تَرَهُ ليسَ يشكو ألَمْ

***

التسبيغ، التطريز، التعديل، التنسيق

قُلْتُ فَإِنْ قَافِيَةٌ تُعَادُ فِي أَوَّلِ تَالٍ فَهْوَ تَسْبِيغٌ وَفِي

وَمِنْهُ تَطْرِيزٌ وَذَا أَنْ تَذْكُرَا عِدَّةَ أَسْمَاءٍ وَبَعْدُ تُخْبِرَا

بِصِفَةٍ كَرَّرْتَهَا وَمِنْهُ تَعْدِيدُكَ الأَوْصَافَ فَرْداً عَنْهُ

تَنْسِيقُهُمْ قُلْتُ صِفَاتُ العَظَمَهْ تَلاحَمَتْ مُسْتَحِسناً مُلْتَئِمَهْ

=

سَرِيعٌ إِلى ابنِ العَمِّ يَشتِمُ عِرضَهُ وَلَيسَ إِلى دَاعِي النَدى بِسَرِيعِ

(١١٩٧) البيت للأرجاني، ديوانه: ١٣٧٣/٣، وفيه:

دَعانِي مِن مَلامِكُما سَفاهاً فداعِي الشَّوقِ دُونكُما دَعانِي

(١١٩٨) البيت لامرئ القيس، ديوانه: ٩٠.

(١١٩٩) البيت للحريري، مقامات الحريري: ٤٢٥.

(١٢٠٠) البيت لعبد الله بن أبي عيينة كما في التبيان: ٤١٦، التلخيص: ١٠٦، الإيضاح: ٣٩٣/٢.

(١٢٠١) ديوان ابن الوردي: ٤٦٠.

هذه الأبيات من زيادتي فيها أنواع لفظية:

أحدها: التسبيغ بسين مهملة وغين معجمة، وهو أن يعاد لفظ القافية في أول البيت الذي يليها وسمّاه قوم تشابه الأطراف وقد تقدم أنّه اسم لغير ذلك كقول أبي نواس[١٢٠٢]:

خُزَيْمَةٌ خَيْرُ بَنِي خَازِمِ وَخَازِمٌ خَيْرُ بَنِي دَارِمِ
وَدَارِمٌ خَيْرُ تَمِيمٍ وَمَا مِثَالُ تَمِيٍّ فِي بَنِي آدَمِ

الثاني: التطريز، وهو أن يبتدئ بذكر جمل من الذوات غير مفصلة ثم يخبر عنها بصفة واحدة مكررة بحسب العدد الذي أتى به كقول ابن الرومي[١٢٠٣]:

قرونٌ في رؤوسٍ في وجوهٍ صِلابٌ في صلابٍ في صلابِ

وقول ابن المعتز[١٢٠٤]:

كأنّ الكَأسَ فِي يَدِهَا وَفِيهَا عَقِيقٌ فِي عَقِيقٍ فِي عَقِيقِ
فَثَوْبِي وَالمُدَامِ وَلَوْنُ خَدِّي شَقِيقٌ فِي شَقِيقٍ فِي شَقِيقِ

الثالث: التعديد، ذكره الفخر الرازي[١٢٠٥] وغيره، وذلك أن يوقع أسماء مفردة على سياق واحد فإن روعي فيه طباق أو جناس أو ازدواج أو مقابلة فهو الغاية في حسن هذا النوع كقوله تعالى ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَاتِ ﴾ (البقرة: من الآية ١٥٥)، وحديث (كفى بالمرء في دينه أن يكثر حظه وينقص عمله وتقل حقيقته، جيفة بالليل بطال بالنهار، كسول جزوع منوع هلوع رتوع) رواه في الحلية[١٢٠٦]، وقول المتنبي[١٢٠٧]:

فَالخَيلُ وَاللَّيلُ وَالبَيداءُ تَعرِفُني وَالسَيفُ وَالرُّمحُ وَالقِرطاسُ وَالقَلَمُ

(١٢٠٢) البيتان غير موجودين في الديوان وهما في تحرير التحبير: ٥٢١، نفحات الأزهار: ٣٠٩، خزانة الأدب: ٢/٢١٠.

(١٢٠٣) ديوان ابن الرومي: ٤/٦١٠.

(١٢٠٤) البيتان غير موجودين في الديوان وهما في تحرير التحبير: ٣١٥، خزانة الأدب: ٤/٩٦.

(١٢٠٥) نهاية الإيجاز: ١٤٧.

(١٢٠٦) حلية الأولياء: ١/١٥٨ وفيه (كفى بالمرء نقصا في دينه أن يكثر خطاياه وينقص حلمه ويقل حقيقته جيفة بالليل بطال النهار كسول هلوع منوع الاستيناس).

(١٢٠٧) شرح ديوان المتنبي: ٤/٨٥.

الرابع التنسيق، ويسمى حسن النسق، وهو كما في شرح الفوائد الغياثية[(١٢٠٨)]، أن يذكر الشيء بصفات متوالية، وفي شروح البديعيات أن يأتي بكلمات من النثر والشعر متلائمات متلاحمات تلاحماً سليماً مستحسناً لا معيباً مستهجناً، وتكون جملها ومفرداتها متسقة متوالية إذا أفرد منها البيت قام بنفسه واستقل معناه بلفظه كقوله[(١٢٠٩)]:

بِيضُ الوُجوهِ كَريمَةٌ أَحسابُهُم شُمُّ الأُنوفِ مِنَ الطِرازِ الأَوَّلِ

وقوله[(١٢١٠)]:

سَل عَنهُ وَانطِق بِهِ وَانظُر إِلَيهِ تَجِد مِلءَ المَسامِعِ وَالأَفواهِ وَالمُقَلِ

الفرائد والتنكيت

وَإِنْ يَجِئْ لَفْظٌ فَصِيحٌ وَارِدُ مَا غَيْرُهُ يَسُدُّ فَالفَرَائِدُ
وَإِنْ يَجِئْ وَغَيْرُهُ سَدٌّ وَلَهْ تَخَصُّصٌ تَنْكِيتُهُمْ فَاسْتَعْمِلَهْ

هذان النوعان من زيادتي، وهما مختصان بالفصاحة دون البلاغة، فالفرائد أن يأتي بلفظة فصيحة تتنزل من الكلام منزلة الفريدة من العقد، وتدل على فصاحة المتكلم بها بحيث لو سقطت لم يسدّ غيرها مسدّها كقوله تعالى ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ (البقرة: من الآية ١٨٧)، فـ(الرفث) فريدة لا يقام غيرها مقامها، وقوله تعالى ﴿ وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى ﴾ (طه: من الآية ١٨)، فـ(أهش) فريدة يعزّ على الفصحاء الإتيان بمثلها، ومنه قولهم (أنعم صباحاً).

والتنكيت أن يقصد إلى لفظ يسدّ غيره مسدّه لولا نكتة فيه ترجح اختصاصه بالذكر لكان القصد إليه دون غيره خطأً، ومنه في القرآن العظيم ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾ (النجم: ٤٩)، خص (الشعرى) بالذكر دون سائر النجوم وهو رب كل شيء لأنّ من العرب من عبد الشعرى فانزل الله ذلك رداً على من ادعى فيها الإلهية، قالت الخنساء[(١٢١١)]:

(١٢٠٨) الفوائد الغياثية: ٢٨٤.

(١٢٠٩) البيت لحسان بن ثابت، شرح ديوانه: ٣٦٦.

(١٢١٠) البيتان لشرف الدين القيرواني كما في تحرير التحبير: ٤٢٧، نفحات الأزهار: ٢١٥، خزانة الأدب: ٣٨٨/٢، وهما غير موجودين في شعره.

(١٢١١) شرح ديوان الخنساء: ٦٢.

يُذَكِّرُنِـي طُلُـوعُ الـشَمسِ صَـخراً   وَأَذكُـرُهُ لِكُـلِّ غُـروبِ شَـمسِ

خصت هذين الوقتين بالذكر، وإن كانت تذكره كل وقت لما فيهما من النكتة المتضمنة المبالغة في الوصف بالشجاعة والكرم لأن طلوع الشمس وقت الغارات وغروبها وقت وقود النيران للقرى.

***

السجع وأنواعه

الـسَّجْعُ أنْ تَـوَاطَأَ الفَوَاصِـلُ   فِـي خَـتْمِهَا بِـوَاحِدٍ وَالفَاضِـلُ
مَـا اسْـتَوَتِ القَـرِينَتَانِ ثُـمَّ أنْ   يَطُـولَ ثَـانٍ ثُـمَّ ثَالِـثٌ وَمَـنْ
طَـوَّلَ الاولَـى زَائِـداً لَـمْ يَحْـسُنِ   وَكُـلَّ الأعْجَـازِ ابْـنِهَا وَسَـكِّنِ
وَفِـي القُـرآنِ قُـلْ فَوَاصِـلُ وَلاَ   يُقَـالُ أسْـجَاعٌ فَعَـنْهَا قَـدْ عَـلاَ
قُلْـتُ وَخَيْـرُ الـسَّجَعِ مَـا قَـلَّ إلَـى   عَـشْرَةٍ وَضَـعْفُهَا مَـا طُـوَّلاَ

السجع مأخوذ من سجع الحمام وهو عند أهل الفن تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد، وهو معنى قولهم: السجع في النثر كالقافية في الشعر، ومن الناس من قبحه لحديث (أسجعاً كسجع الجاهلية)[١٢١٢]، ورُدَّ بأنّه إنما أنكر سجع الجاهلية لا مطلق السجع، قال ابن النفيس: ويكفي به في حسنه ورود القرآن به، ولا يقدح في ذلك خلوّه في بعض الآيات، لأنّ الحسن قد يقتضي المقام الانتقال إلى أحسن منه، وقال الخفاجي[١٢١٣]: السجع محمود لا على الدوام، ولذلك لم تجئ فواصل القرآن كلها عليه، واختلف هل يجوز أن يقال في فواصل القرآن أسجاع أم لا؟ والأدب المنع لقوله تعالى ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ (فصلت: من الآية ٣) فسماه فواصل فليس لنا أن نتجاوزه، ولأنّه يشرف عن أن يشارك الكلام الحادث في اسم السجع، لأنّ السجع في الأصل هدير الحمام ونحوه، والقرآن يشرف عن أن يستعار له لفظ في أصل الوضع لطائر، ورجح القاضي أبو بكر الباقلاني في الانتصار[١٢١٤] جواز تسمية الفواصل سجعاً،

(١٢١٢) الجامع الكبير: ١٤١/١٧، صحيح ابن حبان: ٣٧١/١٣، مسند الطيالسي: ٩٥/١، وفي جميعها (أسجع كسجع الجاهلية).

(١٢١٣) سر الفصاحة: ١٧١.

(١٢١٤) مرّ ذكر الكتاب في موضع سابق.

وعليه قال الخفاجي[١٢١٥]: الفواصل ضربان: ما يكون سجعاً، وهو ما تماثلت حروفه في المقاطع مثل ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ ﴾ (الطور: الآيتان ١ - ٢)، وضرب لا يكون سجعاً، وهو ما تقاربت حروفه في المقاطع ولم تتماثل، وأفضل السجع ونحوه ما استوت قرائنه نحو ﴿ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠ ﴾ (الواقعة: ٢٨ - ٣٠)، ويليه ما طالت قرينته، والثانية نحو ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ ﴾ (النجم: ٢)، والثالثة نحو ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ﴾ (الحاقة: ٣٠ - ٣٢) الآية[١٢١٦]، ولا يحسن أن يؤتى بقرينة أقصر مما قبلها بكثير، ويجوز بقدر يسير، وقال الخفاجي[١٢١٧]: لا يجوز أن تكون الثانية أقصر من الأولى، وقال ابن الأثير[١٢١٨]: الأحسن في الثانية المساواة، وإلا فأطول قليلاً، وفي الثالثة أن تكون أطول، وقال غيره: الأحسن في الفقرة أن تكون الثانية أزيد من الأولى بقدر يسير لئلا يبعد على السامع وجود القافية فتذهب اللذة، واحترز بذلك عن المرصع ونحوه، وقال أهل الفن قصر الفقرات يدل على قوة المنشئ، وأقل ما يكون كلمتان نحو ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾ (المدثر: ١ - ٢) الآيات[١٢١٩]، والأكثر ما زاد على ذلك، وقال ابن الأثير السجع قصير وهو أحسن، وكلما قلّ كان أحسن نحو ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ ﴾ (الضحى: ٩ - ١٠)، ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ ﴾ (العاديات: ١) الآيات[١٢٢٠]، وطويل وهو أسهل، وهو ما زاد على عشر كلمات إلى العشرين، وقد أشرت إلى خلاصة هذه النقول في النظم من زيادتي، وقولي

(١٢١٥) سر الفصاحة: ١٧٢.

(١٢١٦) والآية الأخيرة كاملة هي قوله تعالى﴿ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢ ﴾ (الحاقة: ٣٢).

(١٢١٧) سر الفصاحة: ١٧٦.

(١٢١٨) المثل السائر: ١/٣٧٠.

(١٢١٩) والآيات هي﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ ﴾ (المدثر: ٣ - ٧).

(١٢٢٠) والآيات هي ﴿ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ ﴾ (العاديات: ٢ - ٥).

(وكل الأعجاز إلخ) أي يجب بناء الأعجاز أي أواخر الأسجاع على السكون ليتم التواطؤ والتزاوج. كقولهم: (ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت)[١٢٢١].

***

ثُـــمَّ اللـــتَانِ وَزْنُهَـــا ذُو خُلْـــفِ مُطَـــرَّفٌ وَإِنْ وِفَاقـــاً تَلْفِـــي
وَلَـــيْسَ مَـــا فِـــي أَوَّلٍ مُقَـــابِلاً وَزْنـــاً وَلا تَقْفِـــيَةً لِمَـــا تَـــلاَ
فَالمُـــتَوَازِي ضِـــدُّهُ مُرَصَّـــعُ أَوْ خُـــصَّ بِالعَجْـــزَيْنِ فَالمُـــصَرَّعُ
وَإِنْ تَكُـــنْ قَـــدْ سَـــاوَتِ المُقَارَنَـــهْ فِـــي الـــوَزْنِ لاَ تَقْفِـــيَةً مُـــوَازِنَهْ
فَـــإِنْ تَكُـــنْ أَفْـــرَادُهَا مُقَابَلَـــهْ يُقَـــالُ فِـــي أَوْزَانِهَـــا مُمَاثَلَـــهْ

السجع أقسام أحدها المطرف: وهو أن تختلف الفاصلتان في الوزن ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾ (نوح: ١٣ - ١٤)، وكقولهم (جنابه محط الرحال ومخيم الآمال).

الثاني المتوازي: وهو ما اتفقتا وزناً ولم يكن ما في الأولى مقابلاً لما في الثانية في الوزن والتقفية كقوله تعالى ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾ (الغاشية: ١٤)، وقوله ﷺ (اللهم أعط كل منفق خلفاً وكل ممسك تلفاً)[١٢٢٢].

الثالث المرصع: وهو أحسن من قول التلخيص[١٢٢٣] الترصيع، كما قال الشيخ بهاء الدين[١٢٢٤] لموافقة قولنا مطرف ومتوازي، وهو ما كان في الأولى مقابلاً لما في الثانية وزناً وتقفية كقوله تعالى ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ (الغاشية: ٢٥ - ٢٦)، ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ (الانفطار: ١٣ - ١٤)، وقول الحريري: (يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه)[١٢٢٥]، فإن كان معه زيادة طباق أو مقابلة أو جناس زاد في الحسن كقوله ﷺ (الطاعم الشاكر كالصائم

(١٢٢١) نهاية الإرب: ١٠٣/٧.

(١٢٢٢) صحيح البخاري: ٥٢٢/٢، صحيح مسلم: ٧٠٠/٢ وفيهما (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفاً ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفاً).

(١٢٢٣) التلخيص: ١٠٧.

(١٢٢٤) عروس الأفراح: ٣٠٠/٢.

(١٢٢٥) مقامات الحريري: ١٧.

الصابر) رواه الترمذي[١٢٢٦]، وقول الشاعر[١٢٢٧]:

فَحَـريقُ جَمْـرَةِ سَـيْفِهِ لِلْمُعْـتَدي ... وَرَحـيقُ خَمْـرَةِ سَـيْبِهِ لِلْمُعْتَفِـي

وقولهم (إذا قلت الأنصار كلَّت الأبصار)[١٢٢٨]، وقولهم (ما وراء الخلق الدميم إلا الخلق الذميم)[١٢٢٩].

الرابع المصرع: وهو من زيادتي، وذكره في الإيضاح[١٢٣٠] وهو توافق آخر المصراع الأول وعجز المصراع الثاني في الوزن والروي والإعراب، وأليق ما يكون في مطالع القصائد كقول امرئ القيس في أول معلقته[١٢٣١]:

قِفـا نَـبكِ مِـن ذِكـرى حَبيـبٍ وَمَنـزِلِ ... بِـسِقطِ اللِـوى بَـينَ الدَخـولِ فَحَـومَلِ

وقد يأتي في الأثناء كقولهم[١٢٣٢]:

أَلا أَيُّهـا اللَّـيلُ الطَـويلُ أَلا انجَلـي ... بِـصُبحٍ وَمـا الإِصباحُ مِـنكَ بِأَمـثَلِ

وقسمه في التبيان[١٢٣٣] إلى ثمانية أقسام: أحدها: وهو الكامل أن يكون مستقلاً في فهم المعنى كقول المتنبي[١٢٣٤]:

إِذا كـانَ مَـدحٌ فَالنَـسيبُ المُقَـدَّمُ ... أَكُـلُّ فَـصيحٍ قـالَ شِـعراً مُتَـيَّمُ

الثاني: أن يكون مستقلاً وله رابطة بالثاني كقول أبي تمام[١٢٣٥]:

أَلَـم يَـأنِ أَن تَـروى الظِمـاءُ الحَـوائِمُ ... وَأَن يَـنظِمَ الـشَملَ المُـبَدَّدَ نـاظِمُ

الثالث: أن يكون غير مستقل كقوله[١٢٣٦]:

(١٢٢٦) سنن الترمذي: ٤/٦٥٣، وفيه (الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر).

(١٢٢٧) البيت لكمال الدين بن النبيه، ديوانه: ٢٠١.

(١٢٢٨) ينظر القول في: نهاية الإرب: ٧/١٠٤.

(١٢٢٩) ينظر القول في: المصدر نفسه: ٧/١٠٤.

(١٢٣٠) الإيضاح: ٢/٣٩٧.

(١٢٣١) ديوان امرئ القيس: ٨.

(١٢٣٢) البيت لامرئ القيس، ديوانه: ١٨.

(١٢٣٣) التبيان في البيان: ٤١٧.

(١٢٣٤) شرح ديوان المتنبي: ٦٤.

(١٢٣٥) ديوان أبي تمام: ٣/١٧٦، وفيه:

أَلَـم يَـأنِ أَن تَـروى الظِمـاءُ الحَـوائِمُ ... وَأَن يَـنظِمَ الـشَملَ المُـشَتَّتَ نـاظِمُ

(١٢٣٦) البيت للمتنبي، شرح ديوانه: ٤/٣٨٣.

مَغانــي الــشَعبِ طيــباً فــي المَغانــي بِمَنـــزِلَةِ الـــرَبيعِ مِـــنَ الـــزَمانِ

الرابع: أن يكون معلقاً على صفة في أول الثاني كقوله (ألا انجلي).

الخامس: أن يكون لكلّ منهما في التقديم معنى، وهو في الحسن يلي الأول كقوله[١٢٣٧]:

مِـنْ شَـروْطِ الـصَّبُوحِ فِـي المِهْـرَجَانِ خِفَّــةُ الــشُّرْبِ مَــعْ خُلُــوّ المَكَــانِ

السادس: أن يكون لفظ العجز حقيقة وهو مذموم كقوله[١٢٣٨]:

وَكُـــــلُّ ذي غَيـــــبَةٍ يَـــــؤوبُ وَغائِـــــبُ المَـــــوتِ لا يَـــــؤوبُ

السابع: أن يكون مجازاً كقوله[١٢٣٩]:

فَتــىً كــانَ شَــرباً لِلعُفــاةِ وَمَــرتَعاً فَأَصــبَحَ لِلهِــندِيَّةِ البــيضِ مَــرتَعا

الثامن: أن يتخالف لفظ العجزين ويتوافقا في الموازنة وهو أقبح الكل كقوله[١٢٤٠]:

أَقِلنــي قَــد نَــدِمتُ عَلــى ذُنوبــي وَبِالإِقــرارِ عُــذتُ مِــنَ الجُحــودِ

الخامس: الموازنة وهي تساوي القرينتين في الوزن دون التقفية نحو ﴿ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾ (الغاشية: ١٥ - ١٦).

السادس: المماثلة بأن تساويا في الوزن دون التقفية وتكون أفراد الأولى مقابلة لما في الثانية على حد ما تقدم في المتوازي والمرصع كقوله تعالى ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ ﴾ (الصافات: ١١٧ - ١١٨)، وقول أبي تمام[١٢٤١]:

مَهــا الــوَحشِ إِلاّ أَنَّ هاتــا أَوانِــسٌ قَــنا الخَــطِّ إِلاّ أَنَّ تِلــكَ ذَوابِــلُ

***

(١٢٣٧) البيت لابن حجاج، يتيمة الدهر، ٧٦/٣، وفيه:

مِنْ شَـروْطِ الـصَّبُوحِ فِـي المِهْـرَجَانِ خِفَّــةُ الــشُّغْلِ مَــعْ خُلُــوّ المَكَــانِ

(١٢٣٨) البيت لعبيد بن الأبرص، ديوانه: ٢٦.

(١٢٣٩) البيت لأبي تمام، ديوانه: ١٠٠/٤.

(١٢٤٠) البيت لأبي نواس، ديوانه: ٤٥٣.

(١٢٤١) ديوان أبي تمام: ١١٦/٢.

التشطير، التسميط، التجزئة

وَقِيلَ لاَ يَخْتَصُّ بِالتَّنْثِيرِ   وَمِنْهُ مَا يَدْعُونَ بِالتَّشْطِيرِ
فِي كُلِّ شَطْرٍ سَجْعَتَانِ اتَفَقَا   وَخَالَفَ الآخَرُ مَا قَدْ سَبَقَا
وَسَمِّ بِالتَّسْمِيطِ إنْ تَوَالَتِ   ثَلاَثَةٌ وَبِالوِفَاقِ وَافَتِ
وَإنْ يُسَجِّعْ كُلَّهُ وَجُزْأَهْ   مُخَالِفاً جُزْءاً بِجُزْءٍ تَجْزِئَهْ

ذهب بعضهم إلى أنّ السجع لا يختص بالنثر بل قد يكون في النظم كقول أبي تمام(١٢٤٢):

تَجَلّى بِهِ رُشْدي وَأَثْرَت بِهِ يَدي   وَفاضَ بِهِ ثَمدي وَأَورى بِهِ زَندي

ومنه على هذا نوع يسمى التشطير، وهو أن يُجعل كلٌّ من شطري البيت سجعتين متفقتين في الروي وروي اللتين في الصدر مخالف لروي اللتين في العجز كقول أبي تمام(١٢٤٣):

تَدبيرُ مُعتَصِمٍ بِاللَّهِ مُنتَقِمٍ   لِلَّهِ مُرتَقِبٍ في اللَّهِ مُرتَغِبِ

وقول مسلم بن الوليد(١٢٤٤):

موفٍ عَلى مُهجٍ في يَومِ ذي رَهَجٍ   كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسعى إِلى أَمَلِ

ومنه نوع يسمى التسميط ذكرته من زيادتي، وهو مثل التشطير إلا أنّ السجعة الأولى من المصراع الثاني موافقة للتين في المصراع الأول في الروي كقول الصفي(١٢٤٥):

فَالحَقُّ في أُفُقٍ وَالشِركُ في نَفَقٍ   وَالكُفرُ في فَرَقٍ وَالدينُ في حَرَمِ

ومنه قول الآخر(١٢٤٦):

هُمُ القَومُ إِن قالوا أَصابوا وَإِن دُعوا   أَجابوا وَإِن أَعطوا أَطابوا وَأَجزَلوا

وقول شيخ الإسلام أبي الفضل بن حجر(١٢٤٧):

(١٢٤٢) المصدر نفسه: ٢/٦٦.

(١٢٤٣) ديوان أبي تمام: ٢/٦٦.

(١٢٤٤) شرح ديوان صريع الغواني: ٩.

(١٢٤٥) ديوان صفي الدين الحلي: ٤٧٤.

(١٢٤٦) البيت لمروان بن أبي حفصة، شعره: ٨٨.

(١٢٤٧) لم نجد ذكراً لهذا البيت في غير هذا الكتاب.

خَـانَ الأَمانَـةَ وِاسْـتَنَّ الخِـيانة واسـ تَثْنـى الدِيانَـة جـَانٍ ثمـرهُ العطـبُ

وسلك ابن مالك فيه طريقة أخرى فقسمه إلى تسميط وتقطيع وتبعيض.

فالأول: ما كان كل الأجزاء فيه على سجع يخالف الروي ثمّ تارة تتفق الأجزاء في التفصيل فيختص باسم الموازنة كقوله(١٢٤٨):

أَفَـادَ فَجَـادَ وَسَـادَ فَـزاد وَقَـادَ فَـذادَ وَعَـادَ فَأَفْـضلْ

هذا النوع ذكره الصفي وتارة لا كقوله(١٢٤٩):

وَأَسْـمَرَ مُثْمِـرٍ بِمُزْهِـرٍ نَـضِرِ مِـنْ مُقْمِـرٍ مُـسْفِرٍ عَـنْ مَنْظَـرٍ حَـسَنِ

والثاني: ما كان بعض الأجزاء فيه مخالفاً للروي، ثمّ منه ما سجعه على المقاطع ومنه ما ليس كذلك كقولهم: (هم القوم) البيت(١٢٥٠).

والثالث كقول الخنساء(١٢٥١):

حامِي الحَقِيقَةِ مَحْمُودُ الخَلِيقَةِ مَهْـ ـدِيُّ الطَـرِيقَةِ نَفَّـاعٌ وَضَـرَّارُ

ومنه نوع آخر يسمى التجزئة، ذكرته أيضاً من زيادتي، وهو أن يأتي ببيت ويجزئه جميعه ويسجعها جميعها على وزنين مختلفين جزء بجزء، وأحدهما على روي يخالف روي البيت، والثاني على روي البيت، وعبارة المصباح أن يأتي بمقاطع أجزاء البيت على سجعتين متداخلتين أولهما مخالف للروي والثاني موافق كقول الصفي(١٢٥٢):

بِـبارِقٍ خَـذِمٍ فـي مَـأزِقٍ أَمَـمٍ أَو سـائِقٍ عَـرِمٍ فـي شـاهِقٍ عَلَـمِ

وقول الآخر(١٢٥٣):

هِـنْدِيَّةٌ لَحَظَاتُهَـا خَطِـيَّةٌ خَطَـرَاتُهَا دَارِيَّـةٌ نَفَحَاتُهَـا

(١٢٤٨) البيت لامرئ القيس كما في البيان والتبيين: ٥٣/٤ وفيهما:

أفـادَ وجَـادَ وسَـاد وزَادَ وقـاد وذاد وعـادَ وأفـضل

(١٢٤٩) لم نعثر للبيت على نسبة ولم ينسبه في تحرير التحبير: ٢٩٦.

(١٢٥٠) مرّ ذكر البيت في الصفحة السابقة

(١٢٥١) البيت غير موجود في شرح ديوانها، وقد نسبه الطيبي للخنساء في قصيدتها التي مطلعها:

قَـذىً بِعَيـنِكِ أَم بِالعَـينِ عُـوّارُ أَم ذَرَفَـت إِذ خَلَـت مِـن أَهلِهـا الـدارُ

التبيان في البيان: ٤٢٢، وتنظر القصيدة في شرح ديوان الخنساء: ٣٨.

(١٢٥٢) ديوان صفي الدين الحلي: ٤٧٤.

(١٢٥٣) لم نعثر للبيت على نسبة ولم ينسب في تحرير التحبير ٢٩٩، خزانة الأدب: ٤٣٦.

الانسجام

وَالانْسِجَامُ مَا عَلاَ تَسَهُّلاَ عُذُوبَةً وَمِنْ عُقَادَةٍ خَلاَ
وَغَالِباً فِي النَّثْرِ إِذْ مَا انْسَجَمَا مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ قَدْ يُرَى مُنْتَظَمَا

هذا النوع من زيادتي والانسجام أن يكون الكلام لخلوه من العقادة كانسجام الماء في انحداره ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة، وغالب ما يأتي ذلك إذا لم يقصدوا فيه نوعاً من أنواع البديع يحصل به التكلف بل يأتي ذلك ضمناً من غير قصد، وإذا كان الانسجام في النثر فغالباً تكون قراءته موزونة بلا قصد لقوة انسجامه، وشواهد ذلك ما وقع في القرآن موزوناً بلا قصد فمنه من بحر الطويل ﴿ وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (الكهف: من الآية ٢٩)، ومن المديد ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ (هود: من الآية ٣٧)، ومن البسيط ﴿ فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ﴾ (الأحقاف: من الآية ٢٥)، ومن الوافر ﴿ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (التوبة: من الآية ١٤)، ومن الكامل ﴿ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (البقرة: من الآية ٢١٣)، ومن الهزج ﴿ فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ (يوسف: من الآية ٩٣)، ومن الرجز ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾ (الإنسان: ١٤)، ومن الرمل ﴿ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ﴾ (سبأ: من الآية ١٣)، ومن السريع ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ﴾ (البقرة: من الآية ٢٥٩)، ومن المنسرح ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ (الإنسان: من الآية ٢)، ومن الخفيف ﴿ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ (النساء: من الآية ٧٨)، ومن المضارع ﴿ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ﴾ (غافر: من الآيتين: ٣٢ - ٣٣) (غافر: من الآية ٣٢)، ومن المقتضب ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ (البقرة: من الآية ١٠)، ومن المجتث ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ (الحجر: ٤٩)، ومن المتقارب ﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ ﴾ (الأعراف: ١٨٣).

القلب

وَمِنْهُ قَلْبٌ عَكْسُهُ إِذَا سُلِكْ كَطَرْدِهِ كَمِثْلِ كُلٌّ فِي فَلَكْ

من أنواع القلب، ويسمى المقلوب للمستوى وما لا يستحيل بالانعكاس، وهو أن

يكون عكس البيت كطرده أي يقرأ بعكس حروفه من الآخر إلى الأول كما يقرأ من الأول إلى الآخر، وغايته أن يكون رقيقاً منسجماً بلا تكلف، قال تعالى ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ (الأنبياء: من الآية ٣٣)، ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ ﴾(المدثر: ٣)، ومن الكلام الذي رق لفظه (أرض خضراء)، وقول قاضي القضاة شرف الدين بن البازي (سور حماه بربها محروس) ومرَّ القاضي الفاضل على العماد الكاتب وهو راكب، فقال له (سر فلا كبا بك الفرس)، فأجابه على الفور (دام علا العماد)، وأحسن ما قيل فيه من النظم قول الأرجاني(١٢٥٤):

مَوَدَّتُهُ تَدومُ لكلِّ هَوْلٍ ... وهل كُلٌّ مَودَّتُه تَدوم

وقول الآخر(١٢٥٥):

أرَانَا الإلَهُ ... هِلالاً أنَارَا

قال الشيخ بهاء الدين(١٢٥٦): وبقي نوع آخر يقال له قلب الكلمات كقوله(١٢٥٧):

عَدَلُوا فَمَا ظُلِمَتْ لَهُمْ دُوَلٌ ... سَعِدُوا فَمَا زَالَتْ لَهُمْ نِعَمُ

بَذَلُوا فَمَا شَحَّتْ لَهُمْ شِيَمُ ... رَفَعُوا فَمَا زَلَّتْ لَهُمْ قَدَمُ

فهو دعاء لهم، وإذا قلبت كلماته صار دعاء عليهم.

***

لزوم ما لا يلزم

وَالحَرْفُ مِنْ قَبْلِ الرَّوِي يُلْتَزَمُ ... فَسَمِّهِ لُزُومَ مَا لاَ يَلْزَمُ

كَقَوْلِهِ تَقْهَرْ وَتَنْهَرْ صَدْرُكَا ... وِزْرُكَ ظَهْرُكَ وَبَعْدَ ذِكْرِكَا

من الأنواع لزوم ما لا يلزم ويسمى الالتزام والإعنات، وهو أن يلزم الناثر أو الشاعر حرفاً قبل الروي كالآيات المشار إليها في النظم وكقوله تعالى ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝ ﴾ (التكوير: ١٥ - ١٦)، وقوله ﷺ (من صام ثلاثة أيام من

(١٢٥٤) ديوان الأرجاني: ١٢٣٤/٣.

(١٢٥٥) لم نعثر للبيت على نسبة.

(١٢٥٦) عروس الأفراح: ٣٠٥/٢.

(١٢٥٧) لم نعثر للبيتين على نسبة وهما في عروس الأفراح: ٣٠٥/٢ من دون نسبة.

كل شهر فذلك صوم الدهر) رواه ابن ماجه عن أبي ذر[١٢٥٨]، وقوله (كل ما أصميت ودع ما أنميت) رواه الطبراني عن ابن عباس[١٢٥٩]، وقوله (من عفا عند القدرة عفا الله عنه يوم العسرة) رواه الطبراني عن أبي أمامة[١٢٦٠]، وقول ابن عمر: (البر شيء هين وجه طلق وكلام لين) رواه ابن الآل في مكارم الأخلاق[١٢٦١]، وفي الشعر منه شيء كثير وقد يقع الالتزام في أكثر من حرف كقول أبي العلاء[١٢٦٢]:

كُــل وَاشــرَبِ الـناسَ عَلـى خِبـرَةٍ ... فَهُـــم يَمُـــرّونَ وَلا يَعذُبـــون
وَلا تُـــصَدِّقهُم إِذا حَدَّثـــوا ... فَإِنَّنـــي أَعهَــــدُهُم يَكذِبـــون
وَإِن أَرَوكَ الــوُدَّ عَـــن حاجَـــةٍ ... فَفـــي حِـــبالٍ لَهُـــم يَجذِبـــون

***

قُلْـتُ فَـإنْ كَـانَ اللُّـزُومُ فِـي الـرَّويّ ... أوْ كَلِمَــاتٍ فَهْــيَ تَـضْيِيقٌ قَــوِيّ

هذا النوع اخترعته وسميته بالتضييق بأن يلتزم في الروي أمراً لا يلزم، وإنّما لم يذكروه لظنهم أنّ الروي يلزم أن يكون على حرف واحد فلا يقع فيها التزام ما يلزم وأشرت بما ذكرته إلى أنّ الروي قد يكون مثلاً على الهاء فيلتزم أن لا يأتي بها ضميراً أو الألف فيلتزم أن لا يأتي بها ألف إطلاق وقد عمل الأصبهاني[١٢٦٣] قصيدة هائية لا ضمير فيها وادعى البراعة وعارضه أبو اليمن الكندي بقصيدة مطلعها[١٢٦٤]:

هَــلْ أنْــتَ رَاحــمُ عَبْــرةٍ وتــولُّهِ ... وَمُجِيـرُ صَـبٍّ عِـنْدَ مَـا مِـنْهُ نُهـي
هَــيْهَاتَ يَــرْحَمُ قاتِــلٌ مَقْــتولَهُ ... وسِــنانه فــي القلْــب غيــر مُنَهْــنَهِ
مِــن مــلَّ مِــن داءِ الغَــرام فإنّنــي ... مُـذ حَـلَّ بـي مَـرَضُ الهـوى لَـمْ أنْـتَهِ

عارضها البهاء السبكي[١٢٦٥] بقصيدة وابن نباتة[١٢٦٦] والصلاح الصفدي[١٢٦٧] ولي في

(١٢٥٨) سنن ابن ماجه: ٥٤٥/١.
(١٢٥٩) المعجم الأوسط: ٣٥٧/٥.
(١٢٦٠) المعجم الكبير: ١٢٨/٨.
(١٢٦١) لم نجد هذا الكتاب فيما بحثنا، وقد رواه أبو نعيم في شعب الإيمان: ٢٥٥/٦.
(١٢٦٢) اللزوميات: ٢٢١.
(١٢٦٣) تنظر القصيدة في ديوان العماد الأصبهاني: ٤٤٧.
(١٢٦٤) هو زيد بن الحسن أبو اليمن الكندي توفي سنة(٦١٣).
(١٢٦٥) لم نعثر على هذه القصيدة فيما بحثنا في المصادر.

ذلك قصيدة ذكرتها في طبقات النحاة[١٢٦٨]، ويلحق بذلك ما إذا التزم أمراً في كل في كل كلمات البيت أو الرسالة، وللصرصري[١٢٦٩] قصائد التزم في كل كلمة منها صاداً وقصائد التزم في كل كلمة منها عيناً، وللحريري رسالة التزم في كل كلمة منها سيناً أولها (باسم القدوس أستفتح، وباسعاده أستنجح سجية سيدنا سيف السلطان سدها سيدنا الاسفهلار والسيد النفيس سيد الرؤساء حرست نفسه واستنارت شمسه وبسق غرسه واتسق أنسه استمالة الجليس مساهمة الأنيس ومواساة السحيق والنسيب ومساعدة الكسير والسليب) إلى آخرها[١٢٧٠].

***

التشريع

وَمِـنْهُ تَـشْرِيعٌ بِـأَنْ يُبْنَـى عَلَـى ... قَافِيَتَـيْنِ البَـيْتُ كُـلٌّ قَـدْ حَـلاَ

وَهْـوَ الـذي أَبْدَعَـهُ الحَرِيـرِي ... وَوَسْـمُهُ الـتَّوْأَمُ ذُو التَّحْرِيـرِ

هذا النوع اخترعه الحريري وهو أول من أبدعه كما بينته من زيادتي، قال الشيخ بهاء الدين[١٢٧١]: سمّيته بالتشريع، وتسميته بالتشريع عبارة لا يناسب ذكرها لأنه خاص بما يتعلق بالشرع المطهر حتى قال قائل[١٢٧٢]:

لَيْـتَهُمْ سَـمَّوْهُ بِاسْـمٍ غَيْـرِ ذَا ... إِنَّمَـا التَّـشْرِيعُ دِيـنٌ قَـيِّمُ

وسمّاه ابن أبي الأصبع[١٢٧٣] التوأم وهي تسمية مطابقة للمسمى كما ذكرته من زيادتي لأنّ معناه أن يبني الشاعر بيته على وزنين من أوزان العروض فإذا أسقط منها جزءاً أو جزأين صار الباقي بيتاً من وزن آخر ثمّ تارة يكون الإسقاط من آخر النصف

=

(١٢٦٦) تنظر القصيدة في ديوان ابن نباتة المصري: ٧.
(١٢٦٧) تنظر القصيدة في ديوان صفي الدين الحلي: ٣٨.
(١٢٦٨) تنظر القصيدة في بغية الوعاة: ١/١٣٣.
(١٢٦٩) ينظر: ديوان الصرصري: ٢٥٤ - ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٧٧ - ٢٧٩، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٨.
(١٢٧٠) مقامات الحريري، المقامة التطليسية: ٢٨٧.
(١٢٧١) عروس الأفراح: ٢/٣٠٦.
(١٢٧٢) لم نعثر للبيت على نسبة.
(١٢٧٣) تحرير التحبير: ٥٢٢.

الثاني كقول الحريري[١٢٧٤]:

يَـــا خَاطِــبَ الدُّنْــيَا الدَّنِــيَّةَ إِنَّهَـــا شِـــرْكُ الـــرَّدَى وَقَـــرَارَةُ الأَكْـــدارِ
دَارٌ مَتَــى مَــا أَضْــحَكَتْ فِــي يَــوْمِهَا أَبْكَـــتْ غَـــدَاً بُعْـــداً لَهَـــا مِـــنْ دَارِ

وتارة يسقط من آخر كل نصف من البيت كقول الصفي[١٢٧٥]:

فَلَــو رَأَيــتَ مُــصابي بَعْـدَما رَحَلــوا رَثَــيتَ لــي مِــن عَذابــي يَــومَ بَيــنِهِمِ

وقد يبنى على أكثر من قافيتين كقول الحريري[١٢٧٦]:

جُودِي عَلَى المُسْتَهْتِرِ الصَبِّ الجَوِي وَتَعَطَّفِـــي بِوِصَـــالِهِ وَتَرَحَّمِـــي
ذَا المُبْتَلَـى المُتَفَكِّـرِ القَلْـبِ الـشَّجِي ثُـــمَّ اكْـشِفي عَـــنْ حَالِــهِ لاَ تَظْلِمِــي

فإنّه يصح حذف (وترحمي) و(لا تظلمي) وحذف (بوصاله) و(عن حاله) وحذف (وتعطفي) وثمّ (اكشفي).

***

تنبيه:

قيل إنّ التشريع قد يأتي في سجع النثر أيضاً، قال الأندلسي والحق أنّ حسنه لا يظهر إلاّ في النظم لأنّ فيه الانتقال من وزن إلى وزن بخلاف النثر.

***

قُلْـــتُ الـــرَّوِيُّ إِذْ لاشَـــيَاً يُـــصَلِّحُ فَـــذَلِكَ التَّخْيِيـــرُ خُـــذْ مَـــا يَـــرْجُحُ
وَإِنْ تَجِـــئْ قَافِـــيَةٌ كَمَّلَهَـــا فَـــذَلِكَ التَّمْكِـــينُ مَهِّـــدْ قَـــبْلَهَا
وَمِـــنْهُ أَنْ تَأْتَلِـــفَ المَعَانِـــي صَـــحِيحَةً تَوَافُـــقُ الأَوْزَانِ
أَوْ وَافَـــقَ الأَلْفَـــاظَ وَالأَوْزَانْ وَضِـــدُّهُ الطَاعَـــةُ والعِـــصْيَانْ
وَالوَصْـلُ وَالقَطْـعُ وَنَقْـطُ الأَحْـرُفِ وتَـــرْكُهُ حَـــذْفٌ وَبِالحَـــذْفِ يَفِـــي

هذه الأبيات كلها من زيادتي وفيها أنواع.

أحدها: التخيير، وهو كون الروي من البيت أو السجعة صالحاً لعدة ألفاظ فيتخير

(١٢٧٤) مقامات الحريري: ١٩٣.

(١٢٧٥) ديوان صفي الدين الحلي: ٤٧٠، وفيه:

فَلَــو رَأَيــتَ مُــصابي عِــندَما رَحَلــوا رَثَــيتَ لــي مِــن عَذابــي يَــومَ بَيــنِهِمِ

(١٢٧٦) لم نعثر على البيتين في شعره.

له كلمة منها كقوله[١٢٧٧]:

إنّ الغَريبَ الطّويلَ الذّيلِ ممتَهَنٌ فكيفَ حالُ غَريبٍ ما لهُ قوتُ

فإنه يصلح محله[١٢٧٨]:

مَا لَهُ بَيْتٌ مَا لَهُ مَالٌ مَا لَهُ سَبَبٌ مَا لَهُ أحَدُ

الثاني: التمكين، ويسمى ائتلاف القافية وهو أن يمهد الناثر للسجعة أو الناظم للقافية تمهيداً تأتي القافية فيه متمكنة مستقرة في قرارها غير نافرة لا قلقة ولا مستدعاة بما ليس له تعلق بلفظ البيت ومعناه بحيث أن منشد البيت لو سكت كملها السامع بطبعه بدلالة ما قبل عليها كقول المتنبي[١٢٧٩]:

يا مَن يَعِزُّ عَلَينا أَن نُفارِقَهُم وِجدانُنا كُلَّ شَيءٍ بَعدَكُم عَدَمُ

الثالث: ائتلاف المعنى مع الوزن وهو أن تأتي المعاني في الشعر صحيحة لا تضطر في الوزن إلى قلب ولا خروج عن الصحة كما فعل عروة بن الورد حيث قال[١٢٨٠]:

فَإنّي لَوْ شَهِدْتُ أبَا سُعَادٍ غَدَاةَ غَدٍ بِمُهْجَتِهِ يَفُوقُ

فَدَيْتُ بِنَفْسِهِ نَفْسِي وَمَالِي وَمَا آلُوهُ إلاّ مَا أُطِيقُ

أراد أن يقول فديت نفسه بنفسي ومالي فألجأته ضرورة الوزن إلى القلب.

الرابع: ائتلاف اللفظ مع الوزن قال قدامة[١٢٨١]: وهو أن تكون الأسماء والأفعال تامة لا يضطر الشاعر إلى نقصها أو لزيادة عليها أو تقديم أو تأخير كما وقع للفرزدق في قوله[١٢٨٢]:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النّاسِ إلاّ مُمَلَّكاً أبُو أمِّهِ حَيٌّ أبُوهُ يُقَارِبُهْ

الخامس: الطاعة والعصيان وهو أن يقصد الشاعر نوعاً من أنواع البديع فيعصيه الوزن ويطيعه لنوع آخر كقول أبي الطيب[١٢٨٣]:

(١٢٧٧) البيت للحريري: مقامات الحريري: ٤١٧.

(١٢٧٨) لم نعثر للبيت على نسبة.

(١٢٧٩) شرح ديوان المتنبي: ٤/٨٧.

(١٢٨٠) البيتان غير موجودين في الديوان، وهما في تحرير التحبير: ٢٢٣.

(١٢٨١) نقد الشعر: ١٦٦.

(١٢٨٢) ديوان الفرزدق: ١٠٨.

(١٢٨٣) شرح ديوان المتنبي: ١/٣٩٠.

يَـرُدُّ يَـداً عَـن ثَـوبِها وَهـوَ قـادِرٌ وَيَعصي الهَوى في طَيفِها وَهوَ راقِدُ

قال المعري: وهو مخترع هذا النوع أراد أن يقول: (وهو مستيقظ) بحيث يطيعه الطباق مع قوله (وهو راقد) فلم يطعه الوزن وأطاعه لفظة (قادر) فحصل بها الجناس المقلوب.

السادس: الحذف وهو أن يحذف المتكلم من كلامه حروفاً من حروف الهجاء بلا تكلف ولا تعسف بأن يحذف كلّ حرف موصول ويأتي بالجميع مقطوعة أو عكسه أو يحذف كلّ حرف منقوط ويأتي بالجميع مهملة أو عكسه أو يأتي بكلامه متخالفاً حرف منه موصول وحرف مقطوع أو حرف معجم وحرف مهمل أو كلمة كلّ حروفها معجمة وكلمة كلّ حروفها مهملة، وهكذا أو يلتزم حذف حرف كالألف، نبّه على ذلك الرازي في نهاية الإيجاز(١٢٨٤)، وللحريري من ذلك أشياء في المقامات، مثال الأول كقولهم كما أورده الرازي في نهاية الإيجاز(١٢٨٥):

وَزُرْ دَارَ زَرْزُورٍ وَدَارَ زَرَارَةٍ وَدَارَ رِدَاحٍ إنِ أَرَدْتَ دَوَاءً

وقولي في بديعيتي:

رَوِّضْ وَدُمْ وَأَرِحْ رَدِّدْ وَوُدَّ وَزُرْ وَازْرِ وَوَالِ دَوَادَاءٍ وَزِدْ وَرُمِ

ومثال الثاني قول الحريري: (فتنتني فجننتني الأبيات الآتية)(١٢٨٦)، ومثال الثالث قول الحريري: (الحمد لله المحمود الآلاء، الممدوح الأسماء، الواسع العطاء، المدعو لحسم اللأواء، مالك الأمم، ومصور الرمم، وأهل السماح والكرم، ومهلك عاد وإرم، أدرك كل سر علمه، ووسع كل مصر حلمه)(١٢٨٧)، الخطبة بكمالها كل حروفها مهملة، وعندهم أنّ التاء التي تكتب هاء في هذا النوع حكمها حكم المهمل وقوله(١٢٨٨):

أعْـدِدْ لحُسّادِكَ حـدّ السّلاحْ وأوْرِدِ الآمَـل وِرْدَ السّماحْ

وصـارِمِ اللّهْـوَ ووصْـلَ المَهـا وأعمِـلِ الكـومَ وسُـمرَ الـرّماحْ

واسْـعَ لإدْراكِ محَـلٍّ سَـما عِمـادُهُ لا لادّراعِ المِـراحْ

(١٢٨٤) نهاية الإيجاز: ٥٥.

(١٢٨٥) المصدر نفسه: ٥٥، ولم نعثر للبيت على نسبة.

(١٢٨٦) مقامات الحريري: ٤٠٣.

(١٢٨٧) المصدر نفسه: ٢٣٦.

(١٢٨٨) المصدر نفسه: ٤٠٢.

الأبيات[١٢٨٩]. ومثال الرابع قوله[١٢٩٠]:

فتَنَتْنــــي فجنّنَتْنــــي تجَنّـــي ... بـــتَجنٍّ يفْـــتَنّ غِـــبَّ تجَـــنِّ
شـــغَفَتني بجَفـــنِ ظَبْـــيٍ غَـــضيضٍ ... غـــنِجٍ يقْتَـــضي تغَـــيُّض جَفْنـــي
غَـــــشيَتْني بـــــزِينتَينِ فـــــشفَّتْ ... نـــي بـــزِيٍّ يـــشِفّ بـــينَ تـــثَنِّ

ومثال الخامس في رسالة الحريري، ومثال السادس قول الحريري أيضاً في رسالته الرقطاء (أخلاقُ سيّدِنا تُحَبُّ. وبعَقْوَتِهِ يُلَبُّ. وقُربُهُ تُحَفُّ. ونأيُهُ تلَفُّ.) ومن نظمها[١٢٩١]:

فـــــلا خَــــــلا ذا بهْجَـــــةٍ ... يمــــــتَدُّ ظِـــــلُّ خِـــــصْبِهِ
فإنــــــهُ بَـــــرٌّ بمَــــــنْ ... آنــــسَ ضَـــــوْءَ شُـــــهْبِهِ
زانَ مَــــــزايا ظَــــــرْفِهِ ... بلُـــــبْسِ خـــــوفِ ربّـــــهِ

ومثال السابع قوله[١٢٩٢]:

اسْــمَحْ فــبَثُّ الــسّماحِ زَيــنٌ ... ولا تُخِـــبْ آمِـــلاً تـــضَيّفْ
ولا تُجِـــــزْ رَدَّ ذي ســـــؤالٍ ... فـــنّنَ أم فـــي الـــسّوالِ خفّـــفْ

ومثال الثامن[١٢٩٣]:

***

وَاللَّفْـــظُ إذَ يَقْـــرَؤُهُ الألْـــثَغُ لاَ ... يُعَـــابُ قَـــدْ سَـــمَّيْتُهُ المُنْـــتَحِلاَ

هذا النوع اخترعته وسميته المنتحل والمنتقى والمتحرى، وهو أن يختار لفظ إذا قرأه الألثغ لا يعاب عليه تحرياً وقد رأيت في ذلك بيتين في الراء لبعض الأقدمين وهما[١٢٩٤]:

(١٢٨٩) تنظر الأبيات في مقامات الحريري ٤٠٢.
(١٢٩٠) المصدر نفسه: ٤٠٣.
(١٢٩١) المصدر نفسه ٢٢٤.
(١٢٩٢) المصدر نفسه: ٤٠٤.
(١٢٩٣) الثامن هو ما سيذكره المؤلف مباشرة، واللفظ إذ يذكره الألثغ...إلخ، وهو من زيادات المؤلف.
(١٢٩٤) لم نعثر للبيتين على نسبة.

مَنْ شَاءَ جَمْعَ مَعَانٍ قَدْ خُصِصَتْ بِهَا وَجَاوَزَتْ كُلَّ حَدٍّ لَمْ يَنَلْ وَطَرَا(وَطَغَا)
وَكَيْفَ يُسْطَاعُ أَنْ تُحْصَى فَضَائِلُهَا وَزِنْدُكَ الفَرْدُ مَهْمَا تَقْتَدِحْهُ وَرَا (وَغَا)

وقيل في ذلك(١٢٩٥):

وَذَاتِ وَجْهَيْنِ أَتَتْ بِدْعَةً غَايَتُهَا فِي الحُسْنِ لا تُبْلَغُ
قَافِيَةً رَائِيَّةً قِيلَ لاَ يُعَابُ فِي إِنْشَادِهَا الأَلْثَغُ

وقد عملت منه أبياتاً في الراء والسين فمن الأول قولي:

(غَايَةُ)رَايَةُ العِلْمِ لَمْ تَزَلْ تُنْصَبُ فِي المَحَافِلِ
وَوَهِيَ كُلُّ خَامِلٍ فِي فَنَا الجَهْلِ رَافِلِ (غَافِلِ)

وقولي:

مَنْ يَحُزِ الفَضْلَ فَأَصْحَابُهُ أَلْسُنُهَا بِذَمِّهِ سَائِرَهْ(سَائِغَهْ)
وَمَنْ يَصُغْ نَظْماً فَأَعْدَاؤُهُ لِلقَدْحِ فِي مَقْصُودِهِ صِائِرَهْ(صَائِغَهْ)

ومن الثاني قولي:

وَبَدْرٍ شَكَا عَيْنَيْهِ وَالضُّعْفُ فِيهِمَا فَأَفْدِيهِ مِنْ بَدْرٍ تَحَامَلَ عَنْ حِسٍّ (حِثِّ)
أُحَاشِيهِ مِنْ تَعْلِيقِهِ بِتَمَائِمٍ وَأُرْقِيهِ بِالذِّكْرَى مِنَ العَيْنِ وَالنَّفْسِ(النَّفْثِ)

الحث بالمثلثة قذى بالعين.

***

وَأَصْلُ حُسْنٍ مَا مَضَى أَنْ يَتْبَعَا اللَّفْظُ مَعْنىً دُونَ عَكْسٍ وَقَعَا

أصل الحسن في الأنواع اللفظية أن تكون الألفاظ تابعة للمعاني لا أن تكون المعاني تابعة للألفاظ بأن يؤتى بألفاظ متكلفة مصنوعة المعنى كما يفعله من له شغف بإيراد المحسنات اللفظية، فيجعل الكلام كأنّه غير مسوق لإفادة المعنى ولا يبالي بخفاء الدلالة وركاكة المعاني فإذا تركت المعاني على سجيتها طلبت لأنفسها ألفاظاً تليق بها وعند ذلك تظهر البلاغة ويتميز الكامل من القاصر.

***

(١٢٩٥) لم نعثر للبيتين على نسبة.

خاتمة:

قد أوردنا في النظم من أنواع البديع ما لا يحصى مما هو في التلخيص وما زدناه عليه وتقدم في المعاني والبيان أنواع نبهنا عليها في خاتمة كل من العلمين ويأتي في خاتمة السرقات أنواع وهي:

الإبداع، وسلامة الاختراع، والاغتراب، والتوليد، والعكس والتبديل، وحسن الاتباع، والمواردة والاقتباس والتضمين، وهو استعانة ورفو وإيداع والتفصيل والعقد والحل والتلميح والعنوان وبراعة الاستهلال والتخلص والمطلب والاختتام، وقد رأيت أن أورد هنا قصيدة من البديعيات ليكون كل بيت منها شاهداً لنوع من الأنواع المتقدمة فاخترت بديعية ابن حجة لاشتمال كل بيت منها على تسمية النوع الذي فيه على سبيل التورية.

***

بديعية ابن حجة

أنشدني صديقنا الحافظ نجم الدين بن فهد بمكة المشرفة شرفها الله تعالى قال أنشدني التقي أبو بكر بن حجة لنفسه يمدح النبي ﷺ:

لِي فِي ابْتِدَا مَدْحِكُم يَا عُرْبَ ذِي سَلَمِ ... (بَراعَةٌ) تَسْتَهِلُّ الدَّمْعَ فِي العَلَمِ
للهِ سِرْ بِي فَسِرْبِي طَلَّقُوا وَطَنِي ... (وَرَكَّبُوا) فِي ضُلُوعِي (مُطْلَقَ) السَّقَمِ
ورمْتُ (تَلْفيقَ)صَبْرِي كَي أرَى قَدَمِي ... يَسْعَى مَعِي فَسَعَى لَكِنْ أرَاقَ دَمِي
(وَذَيَّلَ) الهَمُّ هَمْلَ الدَمْعِ لِي فَجَرَى ... (كَلاحِقِ) الغَيْثِ حَيْثُ الأرْضُ فِي ضُرَمِ
يَا سَعْدُ مَا (تَمَّ) لِي سَعْدٌ (يُطَرِّفُنِي) ... بِقُرْبِهِمْ وَقَلِيلُ الحَظِّ لَمْ يُلَمِ
هَلْ مَنْ يَفِي وَيَفِي إنْ (صَحَّفُوا) عَذَلِي ... (وَحَرَّفُوا) وَأتَوْا بِالكَلْمِ فِي الكَلِمِ
قَدْ فَاضَ دَمْعِي وَفاظَ(القَلْبُ) إذْ سَمِعَا ... (لَفْظِيَّ) عَذْلٍ مَلاَ الأسْمَاعَ بِالأَلَمِ
أيَا مُعَاذُ أخَا الخَنْسَاءِ كُنْتَ لَهُمْ ... يَا (مَعْنَوِيُّ) فَهَدُّونِي بِجَوْرِهِمِ
وَ(اسْتَطْرَدُوا)خَيْلَ صَبْرِي عَنْهُمُ فَكَبَتْ ... وَقَصَّرَتْ كَلَيَالِينَا بِوَصْلِهِمِ
وَكَانَ غَرْسَ التَّمَنِّي يَانِعاً فَذَوَى ... (بِالاسْتِعَارَةِ) مِنْ نِيرَانِ هَجْرِهِمِ
(وَاسْتَخْدَمُوا) العَيْنَ مِنِّي وَهْيَ جَارِيَةٌ ... وَكَمْ سَمَحْتُ بِهَا أيَّامَ عُسْرِهِمِ
وَالبَيْنُ (هَازَلَنِي) بِالجِدِّ حِينَ رَأَى ... دَمْعِي وَقَالَ تَبَرَّدْ أنْتَ بِالدِّيَمِ

(قَابَلْتُهُمْ) بالرِّضَا وَالسَّلْمِ مُنْشَرِحاً ... وَلُّوا غِضَاباً فَيَا حَرْبِي لِغَيْظِهِمِ
وَمَا أَرَوْنِي (الْتِفَاتاً) عِنْدَ نَفْرَتِهِمْ ... وَأَنْتَ يَا ظَبْيُ أَدْرَى بِالْتِفَاتِهِمِ
تَغَزُّلِي (وَافْتِنَانِي) فِي شَمَائِلِهِمْ ... أَضْحَى رَثاً لاصْطِبَارِي بَعْدَ بُعْدِهِمِ
قَالُوا نَرَى لَكَ لَحماً بَعْدَ فُرْقَتِنَا ... فَقُلْتُ (مُسْتَدْرِكاً) لَكِنْ عَلَى وَضَمِ
(فَالطَيُّ وَالنَّشْرُ)وَالتَّغْيِيرُ مَعْ قِصَرٍ ... لِلظَّهرِ وَالعَظْمِ وَالأَحْوَالِ وَالهِمَمِ
بِوَحْشَةٍ بَدَّلُوا أُنْسِي وَقَدْ حفَضُوا ... قَدْرِي وَزَادُوا عُلُوًّا فِي (طِبَاقِهِمِ)
(نَزَّهْتُ) لَفْظِي عَنْ فُحْشٍ وَقُلْتُ لَهُمْ ... عُرْبٌ وَفِي حَيِّهِم يَا غُرْبَةَ الذِّمَمِ
(تَخَيَّرُوا) لِي سَمَاعَ العَذْلِ وَانْتَزَعُوا ... قَلْبِي وَزَادُوا نُحولِي، مِتُّ مِنْ سَقَمِ
وَزَادَ (إِبْهَامَ) عَذْلِي عَاذِلِي وَدَجَى ... لَيْلٌ فَهَلْ مِنْ بَهِيمٍ يَشْتَفِي أَلَمِي
وَكَمْ (تَمَثَّلْتُ) إِذْ أَرْخَوا شُعُورَهُمُ ... وَقُلْتُ بِاللهِ خَلِّ الرَّقْصَ فِي الظُّلَمِ
ذَلَّ العَذُولُ بِهِمْ وَجْداً فَقُلْتُ لَهُ ... (تَهَكُّماً) أَنْتَ ذُو عِزٍّ وَذُو شَمَمِ
قَالَ اصْطَبِرْ قُلْتُ صَبْرِي مَا (يُرَاجِعُنِي) ... قَالَ احْتَمِلْ، قلْتُ مَنْ يَقْوَى لِصَدِّهِمِ
(تَوْشِيحُهُمْ) بِمَلاَ تِلْكَ الشُّعُورُ إِذَا ... لَغَوْهُ طَيّاً تَعَرَّفْنَا بِنَشْرِهِمِ
(شَابَهْتُ أَطْرَافَ) أَقْوَالِي فَإِنْ أَهِمِ ... أَهِمْ إِلَى كُلِّ وَادٍ فِي صِفَاتِهِمِ
(أَغَايِرُ) النَّاسَ فِي حُبِّ الرَّقِيبِ فَمُذْ ... أَرَاهُ أَبْسُطُ آمَالِي بِقُرْبِهِمِ
وَاللهِ مَا طَالَ (تَذْلِيلُ) اللِّقَاءِ بِهِمْ ... يَا عَاذِلِي وَكَفَى بِاللهِ فِي القَسَمِ
خَشِّنْ أَلِنْ، احْزَنْ افْرَحْ إِمْنَعِ اعْطِ أَنِلْ ... (فَوِّفْ) أَجِدْ وَشِّ رَقِّقْ شُدَّ حِبَّ لُمِ
يَا عَاذِلِي أَنْتَ مَحْبُوبٌ لَدَيَّ فَلاَ ... (تُوَارِبِ) العَقْلَ مِنِّي وَاسْتَفِدْ حِكَمِي
(جَمْعُ الكَلاَمِ) إِذَا لَمْ تُغْنِ حِكْمَتُهُ ... وَجُودُهُ عِنْدَ أَهْلِ الذَّوْقِ كَالعَدَمِ
إِنِّي(أُنَاقِضُهُمْ) إِنْ أَزْمَعُوا وَنَأَوْا ... وَجَرَّ نَمْلٌ ثَبِيراً إِثْرَ عِيسِهِمِ
أَلَمْ أُصَرِّحْ (بِتَصْدِيرِ) المَدِيحِ لَهُمْ ... أَلَمْ أُهَدِّدْ أَلَمْ أَصْبِرْ أَلَمْ أَلُمِ
(قَوْلِي) لَهُ (مُوجَبٌ) إِذْ قَالَ أَشْفَقُهُمْ ... تَسَلَّ قُلْتُ بِنَارِي يَوْمَ فَقْدِهِمِ
وَكَمْ (بِمَعْرِضِ مَدْحٍ) قَدْ هَجَوْتُهُمُ ... وَقُلْتُ سُدْتُمْ بِحَمْلِ الضَّيْمِ وَالتُّهَمِ
عِفْتُ القُدُودَ فَلَمْ (اسْتَثْنِ) بَعْدَهُمُ ... إِلاّ مَعَاطِفَ أَغْصَانٍ بِذِي سَلَمِ
طَابَ اللِّقَا لَذَّ (تَشْرِيعُ) الشُّعُورِ لَنَا ... عَلَى النَّقَا فَنَعِمْنَا فِي ظِلاَلِهِمِ
بِكُلِّ بَدْرٍ بِلَيْلِ الشَّعْرِ يَحْسُدُهُ ... بَدْرُ السَّمَاءِ عَلَى (التَّتْمِيمِ) فِي الظُّلَمِ

وَافْتَرَّ عُجْباً (تَجاهَلْنَا بِمَعْرِفَةٍ) ... قُلْنَا أَبَرْقٌ بَدَا أَمْ ثَغْرُ مُبْتَسِمِ
لَمَّا (اكْتَفَى)خَدُّهُ القَانِي بِحُمْرَتِهِ ... قَالَ العَوَاذِلُ بُغْضاً إِنَّهُ لَدَمِي
ذَكَّرْتُ نَظْمَ اللآلِي وَالحَبَابَ لَهُ ... (رَاعَى النَّظِيرَ) بِثَغْرٍ مِنْهُ مُنْتَظِمِ
وَقُلْتُ رِدْفُكَ مَوْجٌ كَيْ (أُمَثِّلَهُ) ... بِالبَحْرِ قَالَ قَدِ اسْتَسْمَنْتَ ذَا وَرَمِ
وأَسْوَدُ الخَالِ فِي نُعْمَانِ وَجْنَتِهِ ... لِي مُنْذِرٌ مِنْهُ (بِالتَّوْجِيهِ) لِلعَدَمِ
يَا نَفْسُ ذُوقِي (عِتَابِي) قَدْ دَنَا أَجَلِي ... مِنِّي وَلَمْ تَقْطَعِي آمَالَ وَصْلِهِمِ
بَرِئْتُ مِنْ أَرَبِي وَالعِزُّ مِنْ شِيَمِي ... إِنْ لَمْ أَبَرَّ بِنَأْيٍ عَنْهُمُ (قَسَمِي)
وَمَنْ غَدَا قَسْمُهُ التَّشْبِيبَ فِي غَزَلٍ ... (حُسْنُ التَّخَلُّصِ) بِالمُخْتَارِ مِنْ قَسَمِي
مُحَمَّدُ ابْنُ الذَّبِيحَيْنِ الأَمِينُ أَبُو الـ ... بَتُولِ خَيْرُ نَبِيٍّ فِي (اطِّرَادِهِمِ)
عَيْنُ الكَمَالِ كَمَالُ العَيْنِ رُؤْيَتُهُ ... يَا (عَكْسُ) طَرْفٌ مِنَ الكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي
أَبْدَى البَدِيعُ لَهُ الوَصْفَ البَدِيعَ وَفِي ... نَظْمِ البَدِيعِ حَلاَ (تَرْدِيدُهُ) بِفَمِي
(تَكْرِيرُ) مَدْحِي حَلاَ بِالزَّائِدِ الكَرَمِ ابـ ... ـنِ الزَّائِدِ الكَرَمِ ابْنِ الزَّائِدِ الكَرَمِ
(وَمَذْهَبِي فِي كَلاَمِي) أَنَّ بِعْثَتَهُ ... لَوْ لَمْ تَكُنْ مَا تَمَيَّزْنَا عَلَى الأُمَمِ
فَعِلْمُهُ وَافِرٌ وَالزُّهْدُ (نَاسَبَهُ) ... وَحِلْمُهُ طَاهِرٌ مِنْ كُلِّ مُحْتَرَمِ
(وَوَشَّعَ) العَدْلُ مِنْهُ الأَرْضَ فَاتَّشَحَتْ ... بِحُلَّةِ الأَمْجَدَيْنِ العَهْدِ وَالذِّمَمِ
آدَابُهُ تُمِّمَتْ لا نَقْصَ يَدْخُلُهَا ... لِوَجْهِ (تَكْمِيلِهِ) فِي غَايَةِ العِظَمِ
قَالُوا هُوَ البَدْرُ (وَالتَّفْرِيقُ) يُظْهِرُ لِي ... فِي ذَاكَ نَقْصٌ وَهَذَا كَامِلُ الشِّيَمِ
وَانْشَقَّ مِنْ أَدَبٍ لَهُ بِلاَ كَذِبٍ ... شَطْرَيْنِ فِي قَسَمٍ (تَشْطِيرُ) مُلْتَزِمِ
وَالبَدْرُ فِي التَّمِّ كَالعُرْجُونِ صَارَ لَهُ ... فَقُلْ لَهُمْ يَتْرُكُوا (تَشْبِيهَ) بَدْرِهِمِ
وَرَدَّ شَمْسَ الضُّحَى لِلقَوْمِ خَاضِعَةً ... وَمَا لِيُوشَعَ (تَلْمِيحٌ) بِرَكْبِهِمِ
(شَيْئَانِ قَدْ أَشْبَهَا شَيْئَيْنِ) فِيهِ لَنَا ... تَبَسُّمٌ وَعَطَا كَالبَرْقِ فِي الدِّيَمِ
كَذَا (انْسِجَامُ) دُمُوعِي فِي مَدَائِحِهِ ... بِاللهِ شَنِّفْ بِهَا يَا طَيِّبَ النَّغَمِ
وَإِنْ ذَكَرْتُ زَمَاناً ضَاعَ مِنْ عُمُرِي ... فِي غَيْرِ (تَفْصِيلِ) مَدْحِي صِحْتُ وَانَدَمِي
(نَوَادِرُ) المَدْحِ فِي أَوْصَافِهِ نَشَقَتْ ... مِنْهَا الصَّبَا فَأَتَتْنَا وَهْيَ فِي شَمَمِ
(بَالِغْ) وَقُلْ كَمْ جَلاَ بِالنُّورِ لَيْلَ وَغًى ... وَالشُّهْبُ قَدْ عَمِيَتْ مِنْ عِثْيَرِ الدَّهَمِ
لَوْ شَاءَ (إِغْرَاقَ) مَنْ نَاوَاهُ مَدَّ لَهُ ... فِي البَرِّ بَحْراً بِمَوْجٍ مِنْهُ مُلْتَطِمِ

بِلاَ (غُلُوٍّ) إلَى السَّبْعِ الطِّبَاقِ سَرَى
سَهْلٌ شَدِيدٌ لَهُ (بِالمَغْنَيَيْنِ) بَدَا
لاَ (يَنْتَفِي) الخَيْرُ مِنْ إيجَابِهِ أبَداً
لِلْجُودِ فِي السّيْرِ (إيْغَالٌ) إلَيْهِ وَكَمْ
(تَهْذِيبُ تَأْدِيبِهِ) قَدْ زَادَهُ عِظَماً
بَحْرٌ وَذُو إرَبٍ بَرٌّ وَذُو رَحَبٍ
أوْصَافُهُ الغُرُّ قَدْ حَلَّتْ بِتَوْرِيَةٍ
مَنِ اغْتَدَى فَبِعُدوانٍ (يُشَاكِلُهُ)
(جَمْعُ) الأعَادِي (بِتَقْسِيمٍ) يُفَرِّقُهُ
سَنَاهُ كَالبَرْقِ إنْ أبْدَوْا ظَلاَمَ وَغىً
وَمِنْ(إشَارَتِهِ) فِي الحَرْبِ كَمْ فَهِمَ الـ
(تَوْلِيدُ) نُصْرَتِهِمْ يَبْدُو بِطَلْعَتِهِ
قَالُوا طَوِيلُ نَجَادِ السَّيْفِ قُلْتُ وَكَمْ
آدَابُهُ وَعَطَايَاهُ وَرَأْفَتُهُ
(إيجَابُهُ) بالعَطَايَا لَيْسَ (يَسْلِبُهُ)
هَذَاهُ (تَقْسِيمُهُ) حَالِي بِهِ صَلُحَتْ
(أوْجِز) وَسَلْ أوَّلَ الأبْيَاتِ عَنْ مِدَحٍ
بِالحِجْرِ سَادَ فَلاَ نِدٌّ (يُشَارِكُهُ)
(تَصْرِيعُ) أبْوَابِ عَدْنٍ يَوْمَ بَعْثِهِمِ
فَلاَ (اعْتِرَاضَ) عَلَيْنَا فِي مَحَبَّتِهِ
وَمَا لَنَا مِنْ رُجُوعٍ عَنْ حِمَاهُ بَلَى
(تُرَتِّبُ) الحَيَوَانَاتُ السَّلاَمَ لَهُ
مُحَمَّدٌ أحْمَدُ المَحْمُودُ مَبْعَثُهُ
وَوَصْفُهُ لابْنِهِ قَدْ جَاءَ تَسْمِيَةً
(إبْدَاعُ)أخْلاقِهِ إيدَاعُ خَالِقِهِ
فَالخَيْرُ (مَاثَلَهُ) وَالعَفْوُ جَاوَرَهُ

وَعَادَ وَاللَّيْلُ لَمْ يَجْفَلْ بِصُبْحِهِمِ
(تَآلُفٌ) فِي العَطَا وَالدَّيْنِ لِلْعِظَمِ
وَلاَ يَشِينُ العَطَا بِالمَنِّ وَالسَّأمِ
حَبَا الأنَامَ بِوُدٍّ غَيْرِ مُنْصَرِمِ
فِي مَهْدِهِ وَهْوَ طِفْلٌ غَيْرُ مُنْفَطِمِ
(لَمْ يَسْتَحِلْ بِانْعِكَاسٍ) ثَابِتُ القَدَمِ
جِيدِي وَعَقْدُ لِسَانِي بَعْدَ ذَا وَفَمِي
لِحِكْمَةٍ هُوَ فِيهَا خَيْرُ مُنْتَقِمِ
فَالحَيُّ لِلأسْرِ وَالأمْوَاتُ لِلضَّرَمِ
وَالعَزْمُ كَالبَرْقِ فِي(تَفْرِيقِ جَمْعِهِمِ)
أنْصَارُ مَعْنىً بِهِ فَازُوا بِنَصْرِهِمِ
مَا السَّبْعَةُ الشُّهْبِ مَا تَوْلِيدُ رَمْلِهِمِ
لِنَارِهِ ألْسُنٌ (تُكْنَى) عَنِ الكَرَمِ
سَجِيَّةٌ ضِمْنَ (جَمْعٍ) فِيهِ مُلْتَئِمِ
وَيَسْلَبُ المَنُّ مِنْهُ سَلْبَ مُحْتَشِمِ
حَيّاً وَمَيْتاً وَمَبْعُوثاً مَعَ الأُمَمِ
فِيهِ وَسَلْ مَكَّةً يَا قَاصِدَ الحَرَمِ
حِجْرُ الكِتَابِ المُبِينِ الوَاضِحِ اللقَمِ
يَلْقَاهُ بِالفَتْحِ قَبْلَ النَّاسِ كُلِّهِمِ
فَهُوَ الشَّفِيعُ وَمَنْ يَرْجُوهُ يَعْتَصِمِ
لَنَا (رُجُوعٌ) عَنِ الأوْطَانِ والحَشَمِ
وَالنَّبْتُ حَتَّى جَمَادُ الصَّخْرِ فِي الأكَمِ
كُلٌّ مِنَ الحَمْدِ تَبِينُ (اشْتِقَاقِهِمِ)
فَإنَّهُ حَسَنٌ حَسْبَ (اتِّفَاقِهِمِ)
فِي زُخْرُفِ الشِّعَرا فَاسْجَعْ بِهَا وَهِمِ
وَالعَدْلُ جَانَسَهُ فِي الحُكْمِ وَالحِكَمِ

الْحِقّ بِحَصْرِ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ بِهِ (فَالجُزْءُ يَلْحَقُ بِالكُلِّيِّ) لِلعِظَمِ
وَشِمْ وَمِيضَ بُرُوقٍ مِنْ (فَرَائِدِهِ) وَانْظُمْ حَنانَيكَ عَقْداً غَيْرَ مُنْفَصِمِ
يس زَادَتْ عَلَى لُقْمَانَ حِكمَتِهِ وَبَانَ (تَرْشِيحُهُ) فِي ن وَالقَلَمِ
بِهِ العَصَا أَثْمَرَتْ عِزًّا لِصَاحِبِهَا مُوسَى وَكَمْ قَدْ مَحَتْ(عُنْوَانَ)سِحْرِهِمِ
كَذَا الخَلِيلُ (بِتَسْهِيمِ)الدُّعَاءِ بِهِ أَصَابَهُمْ وَنَجَا مِنْ حَرِّ نَارِهِمِ
شَمْلِي(بِتَطْرِيزِ) مَدْحِي فِيهِ مُنْتَظِمٌ يَا طِيبَ مُنْتَظِمٍ فِيهِ وَمُنْتَظِمِ
وَآلُهُ البَحْرُ آلٌ إِنْ يُقَسْ بِنَدًى كُفُوفُهُمْ فَافْهَمُوا (تَنْكِيتَ) مَدْحِهِمِ
وَفِي الوَغَى(رَادفُوا)السّنَّ القَنَا سَكَناً مِنَ العِدَا فِي مَحَلِّ النُّطْقِ بِالكَلِمِ
(وَأَوْدَعُوا)لِلثَّرَى أَجْسَامَهُمْ فَشَكَتْ شَكْوَى الجَرِيحِ عَلَى العُقْبَانِ والرَّخَمِ
وَالبَعْضُ مَاتُوا مِنَ (التَّوْهِيمِ) واطَّرَحُوا وَالسُّمْرُ قَدْ قَبِلَتْهُمْ عِنْدَ مَوْتِهِمِ
وَكُلَّمَا (أَلْغَزُوهُ) حَلَّهُ لَسِنٌ مُذْ طَالَ تَعْقِيدُهُ أَزْرَى بِفَهْمِهِمِ
وَقَدَّهُ (بِاخْتِرَاعِ سَالِمٍ) أَلِفٍ يَبْدُو بِتَرْوِيسِهِ مِنْ رَأْسِ كُلِّ كَمِي
وَصَحْبِهِ بِالوُجُوهِ البِيضِ يَوْمَ وَغًى كَمْ (فَسَّرُوا) مِنْ بُدُورٍ فِي دُجَى الظُّلَمِ
ذِكْرَاهُ يُطْرِبُهُمْ وَالسَّيْفُ يَنْهَلُ مِنْ أَجْسَامِهِمْ لَمْ يُشِنْ (حُسْنَ اتِّبَاعِهِمِ)
كَأَنَّمَا الهَامُ أَحْدَاقٌ مُسَهَّدَةٌ وَنَوْمُهَا (وَارِدَتُهُ) فِي سُيُوفِهِمِ
هَذَا وَتَزْدَادُ (إِيضَاحاً) مَخَافَتُهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ مِنْ بَطْشِ رَبِّهِمِ
مَا العُودُ إِنْ فَاحَ نَشْراً أَوْ شَذاً طَرَباً يَوْماً بِأَطْيَبَ مِنْ (تَفْرِيعِ) وَصْفِهِمِ
مَنْ ذَا (يُنَاسِقُهُمْ) مَنْ ذَا يُطَابِقُهُمْ مَنْ ذَا يُسَابِقُهُمْ فِي حَلْبَةِ الكَرَمِ
(تَعْدِيدُ) فَضْلِهِمِ يُبْدِي لِسَامِعِهِمْ عِلْماً وَذَوْقاً وَشَوْقاً عِنْدَ ذِكْرِهِمِ
نَعَمْ وَقَدْ طَابَ (تَعْلِيلُ) النَّسِيمِ لَنَا لأَنَّهُ مَرَّ فِي آثَارِ تُرْبِهِمِ
(تَعَطَّفَ) الخَيْرَ كَمْ أَبْدَوْا لِمُذْنِبِهِمْ وَالخَيْرُ مَا زَالَ فِي أَبْوَابِ صَفْحِهِمِ
يَحْمُونَ (مُسْتَتْبِعِينَ) العَفْوَ إِنْ ظَفَرُوا وَيَحْفَظُونَ وَفَاهُمْ حِفْظَ دِينِهِمِ
(طَاعَاتُهُمْ) تَقْهَرُ (العِصْيَانَ) قَدْرُهُمُ لَهُ العُلُوُّ فَجَانِسْهُ بِمَدْحِهِمِ
(فِي مَعْرِضِ الذَّمّ)إِنْ رُمْتَ (المَدِيحَ) فَقُلْ لاَ عَيْبَ فِيهِمْ سِوَى إِكْرَامِ وَفْدِهِمِ
هُم مَعْشَرٌ (بَسَطُوا) جُوداً سَقَاهُ حَيًا وَأَخْصَبُ العَيْشِ فِي أَكْنَافِ أَرْضِهِمِ
نُورُ القَبَائِلِ ذُو النُّورَيْنِ ثَالِثُهُمْ وَلِلمَعَالِي (اتِّسَاعٌ) فِي عَلِيِّهِمِ

(جَمَعْتُ مُؤْتَلِفاً)فِيهِمْ (وَمُخْتَلِفاً) ... مَدْحاً وَقَصَّرْتُ عَنْ أَوْصَافِ شَيْخِهِمِ

(تَعْرِيضُ) مَدْحِ أَبِي بَكْرٍ يُقَدِّمُنِي ... فِي سَبْقِ حِلِّيِّهِمْ مَعْ مَوْصِلِيِّهِمِ

نَعَمْ (تَرَصَّعَ) شِعْرِي وَاعْتَلَتْ هِمَمِي ... وَكَمْ تَرَفَّعَ قَدْرِي وَانْجَلَتْ غِمَمِي

(سَجْعِي) وَمُنْتَظِمِي قَدْ أَظْهَرَا حِكَمِي ... وَصِرْتُ كَالعَلَمِ[1296] فِي العُرْبِ وَالعَجَمِ

(تَسْمِيطُ) جَوْهَرِهِ يَلْفِي بِأَبْحُرِهِ ... وَرَشْفُ كَوْثَرِهِ يَرْوِى لِكُلِّ ظَمِي

لأَنَّ مَدْحَ رَسُولِ اللهِ (مُلْتَزِمِي) ... فِيهِ وَمَدْحُ سِوَاهُ لَيْسَ مِنْ لَزَمِي

إِذَا (تَزَاوَجَ) ذَنْبِي وَانْفَرَدْتُ لَهُ ... بِالمَدْحِ فُزْتُ وَنَجَّانِي مِنَ النِّقَمِ

وَرَّيتُ فِي كَلِمِي، (جَزَّأْتُ) مِنْ قِسَمِي ... أَبْدَيْتُ مِنْ حِكَمِي، جَلَّيْتُ كُلَّ عَمِي

لِي فِي المَعَانِي جُنُودٌ فِي البَدِيعِ وَقَدْ ... (جَرَّدْتُ) مِنْهَا لِمَدْحِي فِيهِ كُلَّ كَمِي

وَهْوَ (المَجَازُ) إِلَى الجَنَّاتِ إِنْ عَمِرَتْ ... أَبْيَاتُهُ بِقَبُولِ سَابِغِ النِّعَمِ

(تَآلُفَ اللَّفْظُ وَالمعْنَى) بِمِدْحَتِهِ ... وَالجِسْمُ عِنْدِي بِغَيْرِ الرُّوحِ لَمْ يَقُمِ

(وَاللَّفْظُ والوَزْنُ)فِي أَوْصَافِهِ (ائْتَلَفَا) ... فَمَا يَكُونُ مَدِيحِي غَيْرَ مُنْسَجِمِ

(وَالوَزْنُ)صَحَّ(مَعَ المَعْنَى تَآلُفُهُ) ... بِمَدْحِهِ فَأَتَى بِالدُّرِّ فِي الكَلِمِ

(وَاللَّفْظُ بِاللَّفْظِ)فِي التَّأْسِيسِ مُؤْتَلِفٌ ... فِي كُلِّ بَيْتٍ بِسُكَّانِ البَدِيعِ سُمِي

(تَمْكِينُ)سُقْمِي بَدَا مِنْ خِيفَةٍ حَصَلَتْ ... لَكِنْ مَدَائِحُهُ قَدْ أَبْرَأَتْ سَقَمِي

وَقَدْ أَمِنْتُ وَزَالَ الخَوْفُ (مُنْحَذِفاً) ... نَحْوَ العَدُوِّ وَلَمْ أُحْقَرْ وَلَمْ أُضَمِ

وَاخْضَرَّ أَسْوَدُ عَيْشِي حِينَ(دَبَّجَهُ) ... بَيَاضُ حَظِّي وَمِن زَرْقِ العُدَاةِ حُمِي

وَقُلْتُ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا ... قَدْ نِلْتُ كَيْ يَلْحَظُونِي (بِاقْتِبَاسِهِمِ)

يَا رَبِّ(سَهِّلْ طَرِيقِي) فِي زِيَارَتِهِ ... مِنْ قَبْلِ أَنْ تَعْتَرِينِي شِدَّةُ الهَرَمِ

حَتَّى يُبَثَّ بَدِيعِي فِي مَحَاسِنِهِ ... (حُسْنُ البَيَانِ)وَأَشْدُو فِي حِجَازِهِم

قَدْ عَزَّ (إِدْمَاجُ) شَوْقِي وَالدُّمُوعُ لَهَا ... عَلَى بَهَارِ خُدُودِي صِبْغَةُ العَنَمِ

فَإِنْ أَقِفْ غَيْرَ مَطْرُودٍ بِحُجْرَتِهِ ... لَمْ(احْتَرِسْ)بَعْدَهَا مِنْ كَيْدِ مُخْتَصِمِ

وَفِي (بَرَاعَةِ) مَا أَرْجُوهُ مِنْ طَلَبٍ ... إِنْ لَمْ أُصَرِّحْ فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَى الكَلِمِ

قَدْ صَحَّ (عَقْدُ) بَيَانِي فِي مَنَاقِبِهِ ... وَإِنَّ مِنْهُ لَسِحْراً غَيْرَ سِحْرِهِمِ

(١٢٩٦) ينبغي هنا إشباع الميم في (كالعلم) حتى يستقيم الوزن.

تَمَّتْ (مُسَاوَاةُ) أَنْواعِ البَدِيعِ بِهِ لِكَيْ تَزِيدَ عَلَى مَا فِي بَدِيعِهِمِ
حُسْنُ ابْتِدَائِي بِهَا أَرْجُو التَّخَلُّصَ مِنْ نَارِ الجَحِيمِ وَأَرْجُو (حُسْنَ مُخْتَتَمِي)

***

السرقات الشعرية وما يتصل بها

إنْ قَائِلاَنِ اتَّفَقَا فِي الغَرَضِ عَلَى العُمُومِ فَكِلاَهُمَا ارْتُضِي
كَالوَصْفِ بالسَّخَاءِ والشَّجَاعَةِ وَلاَ يُعَدُّ سَرِقَةً لِلْعَادَةِ
أَوْ فِي الدِّلاَلَةِ عَلَيهِ كَالمَجَازْ وَهَيْئَةٍ تُخَصُّ مَنْ لِلْوَصْفِ حَازْ
كَوَصْفِهِ الجَوَادَ بالتَّهَلُّلِ لِطَالِبٍ وَالقَبْضِ لِلمُبْخِّلِ
فَإنْ يكُنْ مُقَرَّراً كَالبَطَلِ بِأَسَدٍ فَحُكْمُهُ كَالأَوَّلِ
أَوْ لاَ فَفِيهِ السَّبْقُ كَالزِّيَادَةِ قَدْ يُدَّعَى فَمِنْهُ ذُو غَرَابَةِ
فِي أَصْلِهِ وَمِنْهُ ذُو ابْتِذَالِ أَغْرَبُهُ الحَسَنُ فِي الاسْتِعْمَالِ
فَسَمِّ بالإبْدَاعِ مَا قَدِ اخْتُرِعْ مِنَ المَعَانِي لَيْسَ قَبْلَهُ صُنِعْ
أَوْ سَمِّهِ سَلامَةَ اخْتِرَاعِ وَذَلِكَ الشَّامِلُ لِلأَنْوَاعِ
وَسَمِّ ذَا الشُّهْرَةِ مَعْ إغْرَابِ بالطُّرْفَةِ النَّوَادِرِ الإغْرَابِ
وَالأَخْذُ وَالسِّرْقَةُ ظَاهِرٌ وَلاَ فَالظَّاهِرُ الأَخْذُ لِمَعْنىً كَمُلاَ
مَعْ لَفْظِهِ أَوْ بَعْضِهِ أَوْ دُونَهْ فَذَاكَ مَحْضُ سِرْقَةٍ يَدْعُونَهْ
وَالانْتِحَالُ النَّسْخُ لَيْسَ يُقْبَلُ كَذَا إذَا بِرِدْفِهِ قَدْ يُبْدَلُ
وَأَخْذُ بَعْضِ اللَّفْظِ بالتَّغْيِيرِ سَمْ إغَارَةً وَالمَسْخَ ثُمَّ ذَا قَسَمْ
فَإنْ يَكُنْ أَبْلَغَ لاخْتِصَاصِهِ لِنُكْتَةٍ فَامْدَحْهُ لاقْتِصَاصِهِ
أَوْ دُونَهُ ذَمٌّ وَإنْ تَسَاوَيَا أَبْعَدَ عَنْ ذَمٍّ وَفَضْلٍ بَادِيَا
أَوْ أُخِذَ المَعْنَى فَقَطْ فَإلْمَامْ وَالسَّلْخُ وُهْوَ ذُو الثَّلاثَةِ الأَقْسَامْ
وَغَيْرُ ذِي الظُّهُورُ كالتَّشَابُهِ فِي المَعْنَيَيْنِ حِينَ قَدْ أَتَى بِهِ
أَوْ لِمَحَلٍّ آخَرٍ قَدْ نُقِلاَ أَوْ لِنَقِيضٍ أَوْ يَكُونُ أَشْمَلاَ
أَوْ أُخِذَ البَعْضُ وَزَادَ حُسْنا وَكُلُّ ذَا يُقْبَلُ حَيْثُ عَنَّا
بَلْ رُبَّمَا أُحْسِنَ فِي التَّصَرُّفِ فَصَارَ كَالمُبْدِعِ لاَ كَالمُقْتَفِي

وَكُلَّمَا كَانَ أَشَدَّ فِي الخَفَا ... فَهْوَ إِلَى القُبُولِ أَقْرَبُ اقْتِفَا
هَذَا إِذَا يَعْلَمُ أَنَّ الثَّانِي ... قَدِ اقْتَفَى الأَوَّلَ فِي المَعَانِي
إِذْ جَازَ أَنْ يَكُونَ مِنْ تَوَارُدِ ... الخَاطِرَيْنِ لاَ بِقَصْدٍ وَارِدِ
وَعِنْدَ فَقْدِ العِلْمِ قُلْ قَالَ كَذَا ... وَغَيْرُهُ سَبَقَهُ أَوْ نَحْوُ ذَا

هذه خاتمة للبديع فقط دون الفنين قبله كما صرّح بذلك في الإيضاح[١٢٩٧] يذكر فيها أشياء تعرض لها المصنفون في علم البديع مثل السرقات المقبولة والاقتباس والتضمين وبراعة الاستهلال والتخلص والانتهاء وما أشبه ذلك، فإذا اتفق القائلان فإن كان في الغرض على العموم كالوصف بالشجاعة والسخاء وحسن الوجه فلا يعدّ هذا الاتفاق سرقة ولا استعانة ولا أخذاً ونحو ذلك لتقرر هذا الغرض العام في العقول والعادات واشتراك الناس فيه. وإن كان الاتفاق على وجه الدلالة على الغرض كالمجاز والتشبيه والكناية وذكر هيئات تدل على الصفة لاختصاص تلك الهيئات بمن تثبت له تلك الصفات كوصف الجواد بالتهلل عند ورود قاصديه والبخيل بالعبوس عند ذلك، فإن اشترك الناس في معرفة ذلك الوجه لاستقراره في العقول والعادات كتشبيه الشجاع بالأسد والجواد بالبحر فكالأول أيضاً لا يعدّ سرقة ولا أخذاً، وإن لم يشترك الناس في معرفته جاز أن يُدّعى فيه السبق والتفاضل بالزيادة والنقص والكمال وعدمه، وذلك ضربان: أحدهما خاص في نفسه غريب، والآخر عامّ تصرّف فيه بما أخرجه من الابتذال إلى الغرابة كما مرّ في التشبيه والاستعارة، فأمّا ما اخترع من المعاني ولم يسبق إليه فإنّه يسمى بالإبداع كما بينته من زيادتي وهو بباء موحدة، سماه بذلك الطيبي[١٢٩٨] وغيره، وسماه أهل البديعيات سلامة الاختراع ومنه قول ابن الرومي في تشبيه رقاقة[١٢٩٩]:

لَمْ أَنْسَ لاَ انْسَ خَبَّازاً مَرَرْتُ بِهِ ... يَدْحُو الرَّقَاقَةَ وَشْكَ اللَّمْحِ بِالبَصَرِ
مَا بَيْنَ رُؤْيَتِهَا فِي كَفِّهِ كُرَةً ... وَبَيْنَ رُؤْيَتِهَا قَوْرَاءَ كَالقَمَرِ
إِلاَّ بِمِقْدَارِ مَا تَنْدَاحُ دَائِرَةٌ ... فِي صَفْحَةِ المَاءِ يُلْقَى فِيهِ بِالحَجَرِ

فهو من مخترعاته التي لم يسبق إليها، وجعلوا الإبداع اسما لما اجتمع فيه عدة من

(١٢٩٧) الإيضاح: ٤٢/٢.
(١٢٩٨) التبيان في البيان: ٢٤٩.
(١٢٩٩) ديوان ابن الرومي: ٣٨٠/١.

أنواع البديع كقوله تعالى ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ ﴾ (هود: من الآية ٤٤) الآية[١٣٠٠]، فإنّ فيه المناسبة التامة بين (أقلعي) و(ابلعي) والمطابقة بين (الأرض) و(السماء)، والمجاز في (ويا سماء) والمراد مطر السماء، والاستعارة في (أقلعي)، والإشارة في (وغيض الماء)، فإنّه عبر به عن معانٍ كثيرة، والتمثيل في (وقضي الأمر)، والإرداف في (واستوت على الجودي)، والتعليل لأنّ (غيض الماء) علّة الاستواء، وصحة التقسيم إذا استوعب أقسام أحوال الماء حال نقصه، والاحتراس في (وقيل بعدا للقوم الظالمين) لئلا يظن الهلاك عمّ الظالم وغيره، والمساواة لأنّ لفظ الآية لا يزيد على معناها، وحسن النسق لأنه تعالى قص القصة وعطف بعضها على بعض بحسن ترتيب، وائتلاف المعنى لأنّ كلّ لفظة لا يصلح معها غيرها، وإيجاز الحصر لأنّه قصّ القصة مستوفية بأقصر عبارة، والتسهيم لأنّ أوّل الآية يفهم آخرها، والانسجام وحسن البيان والتمكين لأن الفاصلة مستقرة في محلّها، والتهذيب ومجموع ذلك هو الإبداع.

وأمّا أخذ المعنى المشهور مع التصرف بما يحسنه ويقربه فيسمى الإغراب والطرفة والنوادر كقول القاضي الفاضل[١٣٠١]:

تَـراءَى وَمِـرآةُ الـسَّماءِ صَـقِيلَةٌ ... فَأَثَّـرَ فِـيها وَجْهُـهِ صُـورَةَ الـبَدْرِ

فإنّ تشبيه الوجه بالبدر مشهور، ولكن زيادة هذه النادرة الغريبة أخرجته إلى حد الإغراب فقولي في النظم (فسم بالإبداع) البيت، والبيتان بعده من زيادتي.

وأمّا الأخذ والسرقة ضربان:

أحدهما: ظاهر وهو أن يأخذ المعنى كلّه فإن كان بلفظه كلّه من غير تغيير فهو مذموم جداً لأنّه محض سرقة ويسمى نسخاً وانتحالاً، كما حكي أنّ عبد الله بن الزبير دخل على معاوية وأنشده قول معن بن أوس[١٣٠٢]:

إذا أَنـتَ لَـم تُنـصِف أَخـاكَ وَجدتَـهُ ... عَلـى طَـرَفِ الهِجـرانِ إن كـانَ يَعقِـلُ

وَيَـركَبُ حَـدَّ الـسَيفِ مِـن أَن تَـضيمَهُ ... إِذا لَـم يَكُـن عَـن شَـفرَةِ الـسَيفِ مَزحَلُ

(١٣٠٠) والآية كاملة قوله تعالى ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (هود: ٤٤).

(١٣٠١) البيت للقاضي الفاضل كما في خزانة الأدب: ٣/٢.

(١٣٠٢) البيت في ديوان الحماسة: ٩/٢.

فقال له معاوية لقد شعرت بعدي ولم يفارق عبد الله المجلس حتى دخل معن فأنشده لاميته التي أولها[١٣٠٣]:

لَعَمرُكَ ما أدري وَإِنّي لأَوجَلُ عَلى أَيِّنا تَعدو المَنِيَّةِ أَوَّلُ

وفيها البيتان السابقان فقال معاوية لابن الزبير: ما هذا يا أبا حبيب، فقال هو أخي من الرضاعة وأنا أحق بشعره[١٣٠٤]، ومثله أن يبدل بالكلمات ما يرادفها كما قال المتنبي[١٣٠٥]:

لَبِسْنَ الوَشيَ لا مُتَجَمِّلاتٍ وَلَكِن كَي يَصُنَّ بِهِ الجَمالا

فقال الصاحب[١٣٠٦]:

لبسنَ برودَ الوَشي لا لتجمُّلٍ وَلكِنْ لصونِ الحسنِ بَينَ برودِ

وإن كان مع تغيير وأخذ بعض اللفظ لا كلّه سمّي إغارة ومسخاً وهو أقسام لأنّه إمّا أن يكون الثاني أبلغ من الأوّل لاختصاصه بفضيلة كحسن السبك أو الاختصار أو الإيضاح أو زيادة معنى أو عذوبة لفظ أو تمكين قافية، أو تتميم نقص أو أدون أو مساوٍ فالأول ممدوح كما قال بشار[١٣٠٧]:

مَن راقَبَ الناسَ لَم يَظفَر بِحاجَتِهِ وَفازَ بِالطَيِّباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ

فقال مسلم بعده[١٣٠٨]:

مَن راقَبَ الناسَ ماتَ غَمًّا وَفازَ بِاللَذَّةِ الجَسورُ

فأجاد السبك وأوجز، والثاني مذموم كما قال أبو تمام[١٣٠٩]:

هَيهاتَ لا يَأتي الزَمانُ بِمِثلِهِ إِنَّ الزَمانَ بِمِثلِهِ لَبَخيلُ

فقال المتنبي بعده[١٣١٠]:

(١٣٠٣) البيت من القصيدة نفسها، ديوان الحماسة: ٢/٩.

(١٣٠٤) الكامل: ٢/٢١١.

(١٣٠٥) شرح ديوان المتنبي: ٣/٣٣٩.

(١٣٠٦) ديوان الصاحب بن عباد: ٢١٥.

(١٣٠٧) ديوان بشار بن برد: ٢/٧٥.

(١٣٠٨) شرح ديوان صريع الغواني: ٣١٦.

(١٣٠٩) البيت غير موجود في الديوان.

(١٣١٠) شرح ديوان المتنبي: ٣/٣٥٢.

أَعـدى الـزَمانَ سَـخاؤُهُ فَـسَخا بِـهِ وَلَقَـد يَكـونُ بِـهِ الـزَمانُ بَخـيلا

فبيت أبي تمام أجود سبكاً لأنّ المتنبي احتاج إلى أن وضع (يكون) موضع (كان).

والثالث: أبعد من الذم والفضل للأول كما قال أبو تمام[١٣١١]:

لَـو حـارَ مُـرتادُ المَنِـيَّةِ لَـم يُـرِد إِلّا الفِـراقَ عَلـى الـنُفوسِ دَلـيلا

وقال بعده المتنبي[١٣١٢]:

لـوَلا مُفارَقَـةُ الأَحـبابِ مـا وَجَـدَت لَهـا المَـنايا إِلـى أَرواحِـنا سُـبُلا

فإنّهما سواء، وإن كان الأخذ للمعنى فقط دون شيء من اللفظ سمّي إلماماً وسلخاً لأنه ألمّ بالمعنى أي قصد إليه وسلخ اللفظ الذي هو كالجلد وألبسه غيره، وهو ينقسم إلى الثلاثة السابقة فالأبلغ كقول أبي تمام[١٣١٣]:

هـوَ الـصنع إنْ يَعْجَـلْ فخيرٌ وإنْ يَـرِثْ فللـرَّيثُ فـي بعـضِ المواضِـعِ أنفَـعُ

وقول المتنبي[١٣١٤]:

وَمِـنَ الخَيـرِ بُطـء سَـيبِكَ عَنّـي أَسـرَعُ الـسُحبِ فـي المَـسيرِ الجَهـامُ

فإنّ الثاني أبلغ بزيادة التشبيه بالسحر، والأدون كقول البحتري[١٣١٥]:

وَإِذا تَأَلَّـقَ فـي الـنَدِيّ كَلامُـهُ الـ مَـصقولُ خِلـتَ لِـسانَهُ مِـن عَـضبِهِ

وقول المتنبي[١٣١٦]:

كَـأَنَّ أَلـسُنَهُم فـي الـنُطقِ قَـد جُعِلَـت عَلـى رؤوسِـهِمِ فـي الطَعـنِ خِرصـانا

فالأول أبلغ لما في التألق والصقالة من الاستعارة التخييلية فإنها للكلام كالأظفار للمنية ولزم منه تشبيه كلامه بالسيف وهو استعارة بالكناية: والمساوي كقول الأعرابي[١٣١٧]:

(١٣١١) ديوان أبي تمام: ٦٦/٣.

(١٣١٢) شرح ديوان المتنبي: ٢٨٢/٣.

(١٣١٣) ديوان أبي تمام: ٣٣٢/٢، وفيه:

هوَ الصنع إنْ يَعْجَلْ فنفعٌ، وإنْ يَرِثْ فللرَّيثُ في بعضِ المواطِنِ أسرَعُ

(١٣١٤) شرح ديوان المتنبي: ٢٢٥/٤.

(١٣١٥) ديوان البحتري: ١٦٤/١.

(١٣١٦) شرح ديوان المتنبي: ٣٥٨/٤، وفيه:

كَأَنَّ أَلسُنَهُم في النُطقِ قَد جُعِلَت عَلى رِماحِهِمِ في الطَعنِ خِرصانا

(١٣١٧) البيت لأبي زياد الأعرابي الكلابي، ديوان الحماسة: ٢٩٦/٢.

وَلَــمْ يَــكُ أَكْثَــرَ الفِتْــيَانِ مَــالاً   وَلَكِــنْ كَــانَ أَرْحَــبَهُمْ ذِرَاعَــا

وقول أشجع[١٣١٨]:

وَلَــيسَ بِأَوسَــعِهِم فــي الغِنَــى   وَلكِــنّ مَعــروفَهُ أَوسَــعُ

الضرب الثاني: أخذ غير ظاهر وهو أنواع، منه أن يتشابه المعنيان معنى الأول والثاني كقول جرير[١٣١٩]:

فَــلا يَمْــنَعْكَ مِــنْ أَرَبٍ لِحــاهُمْ   سَــواءٌ ذو العِمَامَــةِ والخِمــارِ

وقول المتنبي[١٣٢٠]:

وَمَــن فــي كَفِّــهِ مِــنهُم قَــناةٌ   كَمَــن فــي كَفِّــهِ مِــنهُم خِــضابُ

فكلّ من البيتين دلّ على عدم المبالاة بالرجال إلا أنّ الأوّل دلّ على مساواة الرجال للنساء، والثاني على تشبيه الرجال بالنساء فهو معنى غير المعنى الأول، والأوّل أبلغ منه لما تقدم من أنّ التشابه أبلغ من التشبيه، ومنها أن ينقل المعنى إلى محل آخر ويسمى التوليد كقول البحتري[١٣٢١]:

سُــلِبوا وَأَشــرَقَتِ الــدِماءُ عَلَــيهِمُ   مُحمَــرَّةً فَكَــأَنَّهُم لَــم يُــسلَبوا

وقول المتنبي[١٣٢٢]:

يَــبِسَ النَجــيعُ عَلَــيهِ وَهــوَ مُجَــرَّدٌ   مِــن غِمــدِهِ وَكَأَنَّمــا هُــوَ مُغمَــدُ

نقل المعنى من القتلى والجرحى إلى السيف، ومنها أن يكون المعنى الثاني نقيض المعنى الأول وسموه العكس والتبديل، قال الشيخ بهاء الدين[١٣٢٣]: والأَوْلى أن يسمى تخصيص المعنى المشهور ونقله في كنز البراعة كقوله[١٣٢٤]:

أَجِــدُ المَلامــةَ فــي هَــواكِ لَذيــذَةً   حُــبًّا لِذكــرِكِ فَليَلُمنــي اللُــوَّمُ

(١٣١٨) البيت لأشجع السلمي.

(١٣١٩) ديوان جرير: ٢/٨٥٦.

(١٣٢٠) شرح ديوان المتنبي: ١/٢١٣.

(١٣٢١) ديوان البحتري: ١/٧٦.

(١٣٢٢) شرح ديوان المتنبي: ٢/٦٠.

(١٣٢٣) عروس الأفراح: ٢: ٣٢٩.

(١٣٢٤) البيت لأبي الشيص الخزاعي، أشعاره: ٩٣.

وقول المتنبي[١٣٢٥]:

أَأُحِبُّهُ وَأُحِبُّ فيهِ مَلامَةً ... إِنَّ المَلامَةَ فيهِ مِن أَعدائِهِ

فإنّ الثاني نقيض الأول فإنّه نفى حب الملامة بهمزة الإنكار، والأوّل صرّح بحبها ومثله في كنز البراعة بقوله[١٣٢٦]:

وَرُبَّما فاتَ قَوماً جُلُّ أَمْرِهِمِ ... مِنَ التَّأَنّي وَكانَ الحَزْمُ لَوْ عَجَلُوا

ومنها أن يكون معنى الثاني أشمل من الأول كقول جرير[١٣٢٧]:

إذا غَضِبَت عَلَيكَ بَنو تَميمٍ ... وَجَدْتَ النّاسَ كُلُّهُمُ غِضابا

وقول أبي نواس[١٣٢٨]:

وَلَيسَ على اللّهِ بِمُستَنكرٍ ... أَن يَجمَعَ العالَمَ في واحِدِ

فالثاني أشمل لشموله وللناس وغيرهم، ومنها أن يأخذ بعض المعنى ويزيده حسناً بإضافته إليه ما يحسنه كقول الأفوه[١٣٢٩]:

وَتَرى الطَيرَ عَلى آثارِنا ... رَأيَ عَينٍ ثِقَةً أَن سَتُمارُ

وقول أبي تمام[١٣٣٠]:

وَقَد ظُلِّلَت عِقبانُ أَعلامِهِ ضُحىً ... بِعِقبانِ طَيرٍ في الدِماءِ نَواهِلِ

أَقامَت مَعَ الراياتِ حَتّى كَأَنَّها ... مِنَ الجَيشِ إِلاّ أَنَّها لَم تُقاتِلِ

فإنّ أبا تمام لم يلم بشيء من معنى قول الأفوه رأى عين الدال على قربها ولا قوله (ثقة أنّ ستمار) الدال على وثوق الطير بالميرة لاعتيادها ذلك وهو ممّا يؤكد المقصود، لكن زاد بقوله (إلا أنها لم تقاتل) وبقوله (في الدماء نواهل) وبإقامتها مع الرايات حتى كأنّها من الجيش وبهذا يتمّ حسن قوله (إلاّ أنها لم تقاتل) لأنّه لا يحسن الاستثناء إلاّ بعد أن تجعل مقيمة مع الرايات معدودة من الجيش حتى كأنّها من المقاتلين، وكل هذه

(١٣٢٥) شرح ديوان المتنبي: ١/١٢٩.

(١٣٢٦) لم نعثر للبيت على نسبة، ولم ينسب في تحرير التحبير: ٣١٩، خزانة الأدب: ٢/٤٤٤.

(١٣٢٧) ديوان جرير: ٢/٦٤٩، وفيه:

إذا غَضِبَت عَلَيكَ بَنو تَميمٍ ... حَسِبتَ النّاسَ كُلُّهُمُ غِضابا

(١٣٢٨) ديوان أبي نواس: ٤٥٤، وفي الديوان:

وَلَيسَ على اللَهِ بِمُستَنكَرٍ ... أَن يَجمَعَ العالَمَ في واحِدِ

(١٣٢٩) شعر الأفوه الأودي: ١٣.

(١٣٣٠) ديوان أبي تمام: ٣/٨٢.

الأنواع من الضرب الثاني مقبولة فيها من نوع تفرق ويسمى ذلك حسن الإتباع، ومنها ما يخرجه حسن التصرف من قبيل الإتباع إلى حيز الابتداع ويسمى ذلك بالاحتذاء كمن يقطع من الأديم نعلا على قياس نعل صاحبه وكلّما كان اشد في الخفاء كان أقرب إلى القبول، هذا المذكور كله إذا علم أنّ الثاني أخذ من الأول بإقراره بذلك أو نحوه وإلاّ فلا يحكم بشيء من ذلك لجواز أن يكون الاتفاق في اللفظ أو المعنى من سبيل توارد الخواطر ومجيئه على سبيل الاتفاق من غير قصد إلى الأخذ كما جرى لامرئ القيس وطرفة بن العبد في البيت الذي في معلقتيهما وهو(١٣٣١):

وُقوفاً بِها صَحبي عَلَيَّ مَطِيَّهُم ... يَقولونَ لا تَهلِك أَسىً وَتَجَمَّلِ

وقال طرفة و(تجلد)(١٣٣٢) فلمّا تنافسا في ذلك أحضر طرفة خطوط أهل بلده في أي يوم نظم البيت فكان اليوم الذي نظما فيه واحداً، وقد كنت قلت في قصيدة مطلعها:

أَمَا لِهَذَا الهَمِّ مِنْ آخِرِ ... أَمَا لِهَذا الكَسْرِ مِنْ جَابِرِ

أَمَا لَمَنْ طَالَ بِهِ حُزْنُهُ ... مِنْ عَاضِدٍ بَيْنَ الوَرَى نَاصِرِ

فرأيتها بعد ذلك في التبيان(١٣٣٣) وما كان من هذا النوع بأن لم يعلم أنّ الثاني أخذ من الأول يقال فيه قال فلان كذا وسبقه إليه فلان فقال كذا إتباعا للصدق وسلامة من الحكم بغير علم.

***

فصل فيما يتصل بالسرقات

مِنْ ذَاكَ الاقْتِبَاس أَنْ يُضَمَّنَا ... مِنَ القُرْآنِ وَالحَدِيثِ مَا عَنَى

عَلَى طَرِيقٍ لَيْسِ مِنْهُ مِثْلَمَا ... قَالَ الحَرِيرِيُّ وَلَمَّا دُهِمَا

قُلْنَا جَمِيعاً شَاهَتِ الوُجُوهْ ... وقُبِّحَ اللَّكْعُ وَمَنْ يَرْجُوهْ

فَمِنْهُ مَا لَمْ يَنْقُلِ المُقْتَبِسُ ... عَنْ أَصْلِهِ وَمِنْهُ مَا قَدْ يُعْكَسُ

وَرُبَّمَا غُيِّرَ لِلوَزْنِ فَلاَ ... يَضُرُّهُ كَقَوْلِ بعْضِ مَنْ خَلاَ

قَدْ كَانَ مَا قَدْ خِفْتُ أَنْ يَكُونَا ... إِنَّا إِلَى الإِلَهِ رَاجِعُونا

(١٣٣١) ديوان امرئ القيس: ٩.

(١٣٣٢) ديوان طرفة بن العبد: ٣٢.

(١٣٣٣) لم نجد البيتين في التبيان في البيان للطيبي، ولا في التبيان في علم البيان لابن الزملكاني.

قُلْـــتُ وَأَمَّــا حُكْمُــهُ فِــي الــشَّرْعِ فَمَالِـــكُ مُــشِدِّدٌ فِـــي المَـــنْعِ
وَلَـــيْسَ فِـــيهِ عِـــنْدَنَا صَـــرَاحهْ لَكِــــنَّ يَحْيَـــى الـــنَّوَوِي أَباحَـــهْ
فِــي النَّثْــرِ وَعْظــاً دُونَ نَظْــمٍ مُطْلَقَــا وَالــشَّرَفُ المَقْــرِيُّ فِــيهِ حَقَّقَــا
جَــوَازَهُ فِــي الــزُّهْدِ وَالــوَعْظِ وَفِــى مَــدْحِ النَّبِــي وَلَــوْ بِــنَظْمٍ فَاقْتُفِــي
وَتَاجُـــنَا الـــسُّبْكِي جَـــوَازَهُ نَـــصَرْ إذَا التَّمِيمِـــيُّ الجَلــيلُ قَــدْ شَــعَرْ
وَقَــدْ رَأَيْــتُ الرَّافِعِــيَّ اسْــتَعْمَلَهْ وَغَيْـــرُهُ مِـــنْ صُـــلَحَاءٍ كَمَّلَـــهْ

يتصل بالسرقات الشعرية أشياء: منها الاقتباس، وهو أن يضمّن نثره أو شعره ما وقع في القرآن أو السنة موزوناً لا على أنّه منه، أي لا على وجه يشعر بأنّه من القرآن أو من السنة بأن يقال في أثناء الكلام قال الله تعالى أو قال رسول الله ﷺ فإنّ ذلك لا يكون حينئذ اقتباساً، ثمّ هو أقسام لأنّه إمّا من القرآن أو الحديث في النظم أو النثر لم ينقل فيه المقتبس من معناه الأصلي أو نقل وبقي على لفظه أو غُيّر يسيراً للوزن فإنّ ذلك لا يضره، مثال ما اقتبس من القرآن في النظم قوله[١٣٣٤]:

إنْ كـــنتَ أَزْمَعْـــتَ علـــى هَجْـــرِنا مــن غيــرِ مــا جُــرْمٍ فـصَبْرٌ جَمــيلْ[١٣٣٥]
وإنْ تَــــبَدَّلْتَ بــــنا غيـــــرَنا فَحَــسْبُنا الله ونِعْـــم الوَكـــيلْ[١٣٣٦]

وقال شيخنا الشهاب الحجازي الأديب[١٣٣٧]:

يَــا أَخَــا الرُّشْــدِ إذَا جَــاءَكَ ذُو الــدْ دِيــنِ كُــنْ فِــي الحَــالِ مِــن أَصْــحَابِهِ
أَوْ يُعَانِـــدُ جَاحِـــدٌ فِـــي رَبِّـــنَا قُــلْ هُــوَ الــرَّحْمنُ آمَــنَّا بِــهِ[١٣٣٨]

وقلت:

(١٣٣٤) البيت لأبي القاسم بن الحسن الكاتبي، التلخيص: ١١٤، الإيضاح: ٤١٨/٢، معاهد التنصيص: ١٠٩/٤.

(١٣٣٥) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾ (يوسف: ٨٣).

(١٣٣٦) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ (آل عمران: ١٧٣).

(١٣٣٧) لم نعثر للبيتين على نسبة.

(١٣٣٨) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الملك: ٢٩).

أيُّهَا السَّائِلُ قَوْماً مَا لَهُمْ فِي الخَيْرِ مَذْهَبْ
اتْرُكِ النَّاسَ جَمِيعاً وَإلى رَبِّكَ فَارْغَبْ(١٣٣٩)

وقلت:

كَمْ ذَا رَأَيْتَ الدَّهْرَ مِنْ مَلِكٍ ذِي صَوْلَةٍ وَالدَّهْرُ مَوْقُوتُ
أبْدَتْ لَهُمْ دُنْيَاهُمُ غُرُوراً حَتَّى إذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا(١٣٤٠)

وقلت:

عَابَ إمْلائِي الحَدِيثَ رِجَالٌ قَدْ سَعَوْا فِي الضَّلالِ سَعْياً حَثِيثَا
إنَّمَا يُنْكِرُ الأمَانِيَّ قَوْمٌ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثَا(١٣٤١)

وقلت:

أعْبُدِ اللهَ وَدَعْ عَنْـ ـكَ التَّوَانِي بِالهُجُودِ
وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّـ ـحْهُ وَأدْبَارَ السُّجُودِ(١٣٤٢)

وقلت:

ابْكِ عَلَى الدُّنْيَا فِي حَيَاةٍ أقِمْ عَلَى نَفْسِكَ الإغَارَهْ
تَنْجُ غَداً مِنْ عَذَابِ نَارٍ وَقُودُهَا النَّاسُ والحِجَارَهْ(١٣٤٣)

وقلت:

إذَا قُمْتَ للهِ فِي أمْرِهِ وَلَمْ تَرْعَ خِلاًّ وَمُلْكاً مُجِيزَا
أُثِبْتَ عَلَيْهِ ثَوَاباً جَزِيلاً وَيَنْصُرْكَ اللهُ نَصْراً عَزِيزَا(١٣٤٤)

(١٣٣٩) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ ﴾ (الشرح: ٨).

(١٣٤٠) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (الأنعام: ٤٤).

(١٣٤١) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾ (النساء: ٧٨).

(١٣٤٢) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾ (ق: ٤٠).

(١٣٤٣) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (البقرة: ٢٤).

(١٣٤٤) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ ﴾ (الفتح: ٣).

وقلت:

لاَ تكُــنْ ظَالِمــاً وَلاَ تَــرْضَ بِــالظُّلْـ ـــمِ وَأنْكِــرْ بِكُــلِّ مَــا يُــسْتَطَاعُ

يَــوْمَ يَأْتِــي الحِــسَابُ مَــا لِظَلُــومٍ مِــنْ حَمِــيمٍ وَلاَ شَــفِيعٍ يُطَــاعُ(١٣٤٥)

وقلت:

أيُّهَـــا المُعْطُـــونَ مَـــالاً وَافِـــراً ثُـــمَّ لاَ تُؤْتُـــوا وَلا تَـــصَّدَّقُوا

إنْ تَـــصِلُوا أوْ تَـــصُومُوا أوْ تَجْـــ ـمَعُوا لَـنْ تَـنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا(١٣٤٦)

وقلت:

قَـــدْ بَلِيـــنَا فِـــي عَـــصْرِنَا بِقُـــضَاةٍ يَظْلِمُـــونَ الأنَـــامَ ظُلْمـــاً عَمَّـــا

يَأكُلُـــونَ التُّـــرَاثَ أكْـــلاً لَمَّـــا وَيُحِـــبُّونَ المَـــالَ حُـــبّاً جَمَّـــا(١٣٤٧)

وقلت:

أوَّلُ دُنْـــــــيَاكَ دِبَـــــــاراً وَإذَا مَـــــا رُمْــــتَ تَقْـــوَاهْ

فَـــأقِمْ وَجْهَـــكَ لِلـــدِّ دِيـــنِ حَنِـــيفاً فِطْـــرَةَ اللهْ(١٣٤٨)

وقلت:

إذَا كَـــانَ عِـــنْدَ المَـــرْءِ مِـــنَّا أمَانَـــةٌ وَهَـــمَّ بِجَهْـــلٍ أنْ يُخَافُـــونَ صَـــحْبَهْ

فَـــلاَ يَتْـــبَعِ الـــنَّفْسَ الخَبِيـــثَةَ وَلْـــيُعِدْ أمَانَـــــتَهُ وَلْيَـــــتَّقِ اللهَ رَبَّـــــهْ(١٣٤٩)

وقلت:

(١٣٤٥) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ (غافر: ١٨).

(١٣٤٦) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ (آل عمران: ٩٢).

(١٣٤٧) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ (الفجر: الآيتان: ١٩، ٢٠).

(١٣٤٨) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾(الروم: ٣٠).

(١٣٤٩) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾ (البقرة: ٢٨٣).

طُوبَى لأَهْلِ جَنَّةٍ طَيِّبَةٍ لاَ يَبْتَغُوا نَقْلاً وَلا تَحْوِيلاَ
دَانِيَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاَ(١٣٥٠)

وقلت:

وَعَدَ اللهُ بِالإجَابَةِ لِلسُّؤْ لِ فَسَلْهُ وَارْجُ خَيْراً مَلِيَّا
وَإِذَا أَبْطَأَ الجَوَابُ فَأَيْقِنْ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيَّا(١٣٥١)

ومثاله في النثر قول الحريري (فلم يك إلا كلمح البصر أو هو أقرب حتى أنشد وأغرب)(١٣٥٢)، وقول ابن نباتة في خطبته (فيا أيها الغفلة المطرقون أما أنتم بهذا الحديث مصدقون، ما لكم لا تشفقون، فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون)(١٣٥٣)، وقول عبد المؤمن الأصبهاني صاحب طباق الذهب (فمن عاين تلون الليل والنهار فلا يغتر بدهره، ومن علم أنّ الثرى مضجعه لا يمزح على ظهره، فيا قوم لا تركضوا خيل الخيلاء في ميدان العرض، أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض)(١٣٥٤)، ومثاله في الحديث في النظم قوله(١٣٥٥):

دَمُ الشَّهِيدِ يَحْكِي وَرْداً بِخَدِّ التُّرْكِي
اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ المِسْكِ

اقتبس من قوله ﷺ في وصف الشهيد (يجاء به يوم القيامة وجرحه يدمى، اللون

(١٣٥٠) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ (الإنسان: ١٤).

(١٣٥١) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴾ (مريم: ٦١).

(١٣٥٢) مقامات الحريري: ٢٢٦. وهو مقتبس من قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (النحل: ٧٧)، ومن قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ﴾ (القمر: ٥٠).

(١٣٥٣) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ (الذاريات: ٢٣).

(١٣٥٤) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ (الملك: ١٦).

(١٣٥٥) لم نعثر للبيتين على نسبة.

لون الدم والريح ريح المسك)[١٣٥٦]، وقول أبي جعفر بن مالك الغرناطي[١٣٥٧]:

لاَ تُعَـادِ النَّاسَ فِـي أوْطَـانِهِمْ قَلَّمَـا يُرعَـى غَـرِيبُ الـوَطَنِ
وَإذَا مَـا شِـئْتَ عَيْـشاً بَيْـنَهُمْ خَالِـقِ النَّاسَ بِخُلْـقٍ حَـسَنِ

اقتبس من قوله ﷺ لأبي ذر: (اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن) رواه الترمذي[١٣٥٨]، ومثاله في النثر قول الحريري (فإنما الأعمال بالنيات وبها انعقاد العقائد الدينيات)[١٣٥٩]، وقوله: (شاهت الوجوه وقبح اللكع ومن يرجوه)[١٣٦٠]، اقتبس من قوله ﷺ يوم حنين وقد رمى الكفار بكف من حصباء وقال (شاهت الوجوه) رواه مسلم[١٣٦١]، وغالب ما تقدم لم ينقل فيه المقتبس عن معناه، ومثال ما نقل ابن الرومي[١٣٦٢]:

لَـئِنْ أخْطَـأْتُ فِـي مَـدْحِكْ فَمَـا أخْطَـأْتَ فِـي مَنْعِـي
لَقَـدْ أنْـزَلْتُ حَاجَاتِـي بِـوَادٍ غَيْـرِ ذِي زَرْعِ[١٣٦٣]

معناه في القرآن بواد لا ماء فيه ولا نبات، فنقله إلى جانب لا خير فيه ولا نفع، وكل ما تقدم باق على لفظه، ومثاله ما غُيِّرَ يسيراً قول بعض المغاربة[١٣٦٤]:

قَـدْ كَـانَ مَـا خِلْـتُ أنْ يَكُـونَا إنَّـا إلَـى اللهِ رَاجِعُـونَا[١٣٦٥]

(١٣٥٦) سنن الترمذي: ٤/١٨٤ وفيه (لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك).

(١٣٥٧) ينظر البيت في نفح الطيب: ٧/٣٧٥.

(١٣٥٨) سنن الترمذي: ٤/٣٣٥.

(١٣٥٩) مقامات الحريري: ١٤.

(١٣٦٠) مقامات الحريري: ٣٤٠.

(١٣٦١) صحيح مسلم: ٣/١٤٠٢.

(١٣٦٢) ديوان ابن الرومي: ٤/٣٤٤.

(١٣٦٣) مقتبس من قوله تعالى ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (إبراهيم: ٣٧).

(١٣٦٤) البيت منسوب لبعض المغاربة في رثاء بعض أصحابه، خزانة الأدب: ٢/٤٥٦.

(١٣٦٥) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ (البقرة: ١٥٦).

وقول شيخنا الشهاب الحجازي[١٣٦٦]:

لاَ تَـدُعَّ اليَتِـيمَ يَـوماً وَكُـنْ فِـي ... شَـأنِهِ كُلِّـهِ رَؤوفـاً رَحِـيما
أَرَأَيْـتَ الـذي يُكَـذِّبُ بِالـدِّيـ ... ـنِ فَـذَلِكَ الـذي يَـدُعُّ اليَتِـيمَا[١٣٦٧]

وقولي:

أعْـوَانُ أهْـلِ الظُّلْـمِ قَـدْ زُلْـزِلُوا ... بِبَأسِـهِمْ قَلْـبَ الكَـئِبِ الكَلِـيمْ
يَـا أيُّهَـا الـنَّاسُ اتَّقُـوا ربَّكُـمْ ... زَلْـزَلَةُ الـسَّاعَةِ شَـيْءٌ عَظِـيمْ[١٣٦٨]

وقول ابن عباد[١٣٦٩]:

قَـالَ لِـي إنَّ رَقِيبِـي ... سَـيِّئُ الخُلْـقِ فَـدَارِهْ
قُلْـتُ دَعْنِـي وَجْهُـكَ الـ ... ـجَـنَّةُ حُفَّـتْ بالمَكَـارِهْ

اقتبس من قوله ﷺ (حفت الجنة بالمكاره) رواه مسلم[١٣٧٠]، ثمّ نبهت من زيادتي على حكم الاقتباس شرعاً فإنّ ذلك أمر مهم، فأمّا المالكية[١٣٧١] فإنّهم يبالغون في تحريمه ويشدّدون التنكير على فاعله حتى إنّي أنشدت شيخنا قاضي القضاة محيي الدين بن أبي قاسم الأنصاري عالم الحجاز قولَ شيخنا الشهاب الحجازي[١٣٧٢]:

مَـاتَ ابْـنُ مُوسَـى وَهْـوَ بَحْـرٌ كَامِـلُ ... فَهَـنَاكُمُ جَمْـعُ المَلائِـكِ مُـشْتَرَكْ
يَأْتِـيكُمُ الـتَّابُوتُ فِـيهِ سَـكِينَةٌ ... مِـنْ رَبِّكُـمْ وَبَقِـيَّةٌ مِمَّـا تَـرَكْ[١٣٧٣]

(١٣٦٦) لم نجد من ذكر البيتين.

(١٣٦٧) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ ﴾ (الماعون: الآيتان ١، ٢).

(١٣٦٨) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ ﴾ (الحج: ١).

(١٣٦٩) ديوان الصاحب بن عباد: ٢٣٠.

(١٣٧٠) صحيح مسلم: ٢١٧٤/٤.

(١٣٧١) تنظر المسألة في: الفواكه الدواني، أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي: ٣٥٨/٢.

(١٣٧٢) لم نجد من ذكر البيتين.

(١٣٧٣) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٤٨ ﴾ (البقرة: ٢٤٨).

وقلت له ما تقول في هذا، فقال لي: (هذا كفر عندنا)، وأمّا أهل مذهبنا فلم يتعرض له المتقدمون ولا أكثر المتأخرين مع شيوع الاقتباس في أعصارهم واستعمال الشعراء له قديماً وحديثاً، وفي حفظي من كتاب الشعر للشيخ علاء الدين بن العطار أنّه نقل فيه عن شيخه الشيخ محيي الدين النووي جواز الاقتباس في النثر في الخطب والوعظ ومنعه في النظم، وقال الشريف إسماعيل ابن المقري اليمني وهو من شيوخ شيوخنا في شرح بديعيته: ما كان منه في الخطب والوعظ ومدحه ﷺ وآله وصحبه ولو في النظم فهو مقبول وغيره مردود، وفي شرح بديعية ابن حجة: الاقتباس ثلاثة أقسام: مقبول، ومباح، ومردود، فالأوّل ما كان في الخطب والمواعظ والعهود، والثاني ما كان في الغزل والرسائل والقصص، والثالث على ضربين: أحدهما ما نسبه الله تعالى إلى نفسه، ونعوذ بالله ممن ينقله، إلى نفسه كما قيل عن أحد بني مروان أنه وقع على مطالعة فيها شكاية عماله (إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم)، والآخر تضمين آية في معنى هزل ونعوذ بالله من ذلك كقوله(١٣٧٤):

أَوْحَى إِلَى عُشَّاقِهِ طَرْفُهُ ... هَيْهَات هَيهَاتِ لِمَا تُوعَدونْ(١٣٧٥)
وردفُهُ يُقْرأ مِنْ خَلْفِهِ ... لِمِثْلِ ذَا فَلْيَعْمَلُ العَامِلُونْ(١٣٧٦)

وذكر الشيخ تاج الدين السبكي في الطبقات في ترجمة الإمام أبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي من كبار الشافعية وأجلائهم أنّ من شعره قوله(١٣٧٧):

يَا مَنْ عَدَا ثُمَّ اعْتَدَى ثُمَّ اقْتَرَفْ ... ثُمَّ انْتَهَى ثُمَّ ارْعَوَى ثُمَّ اعْتَرَفْ
أَبْشِرْ بِقَوْلِ اللهِ فِي آيَاتِهِ ... إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفْ(١٣٧٨)

(١٣٧٤) البيت لمحمد بن حمير الهمداني كما في خزانة الأدب: ٤٤٥/٢ وفيه:

تقول عيناه لِعُشّاقِه ... هَيْهَات هَيهَاتِ لِمَا تُوعَدون
وردفُه يقرأ من خلفه ... لمثل ذا فليعمل العَاملون

(١٣٧٥) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۝٣٦ ﴾ (المؤمنون: ٣٦).

(١٣٧٦) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ۝٦١ ﴾ (الصافات: ٦١).

(١٣٧٧) البيت لأبي منصور البغدادي، الطبقات، السبكي: ١٣٩/٥.

(١٣٧٨) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٨ ﴾ (الأنفال: ٣٨).

وقال: استعمال مثل الأستاذ أبي منصور مثل هذا الاقتباس في شعره فائدة فإنّه جليل القدر والناس ينهون عن هذا، وربما أدّى بحث بعضهم إلى أنّه لا يجوز، وقيل إنّ ذلك إنّما يفعله من الشعراء الذين هم في كلّ واد يهيمون ويثبون وثبة من لا يبالي، وهذا الأستاذ أبو منصور من أئمة الدين، وقد فعل هذا وأسند عنه هذين البيتين الأستاذ الحافظ أبو القاسم بن عساكر، قلت: ليس هذان البيتان من الاقتباس لتصريحه بقول الله تعالى، وتقدم أنّ ذلك خارج عنه، وأمّا أخوه الشيخ بهاء الدين فقال(١٣٧٩): الورع اجتناب ذلك كلّه وأن ينزّه عن مثله كلام الله عز وجل ورسوله ﷺ. قلت: رأيت استعمال الاقتباس لأئمة أجلاء نظماً ونثراً منهم القاضي عياض فقد وقع له في الشفاء مواضع من ذلك، ومنهم الإمام أبو القاسم الرافعي من أجلاء أئمة مذهبنا علماً وديناً فقال، وأنشده(١٣٨٠):

الْمُلْكُ للهِ الَّذي عَنَتِ الوُجُوهُ لَهُ وَذَلَّتْ عِنْدَهُ الأَرْبَابُ
مُتَفَرِّداً بِالمُلْكِ وَالسُّلْطانِ قَدْ خَسِرَ الَّذينَ تَجاذَبُوهُ وَخَابُوا
دَعْهُم وَزَعْمَ المُلْكِ يَوْمَ غُرُورِهِمْ فَسَيَعْلَمُون غَداً مَنِ الكَذَّابُ(١٣٨١)

وروى البيهقي في شعب الإيمان عن شيخه أبي عبد الرحمن السلمي قال أنشدنا أحمد بن محمد بن مزيد لنفسه(١٣٨٢):

سَلِ اللهَ مِنْ فَضْلِهِ وَاتَّقِهْ فَإنَّ التُّقَى خَيْرُ مَا تَكْتَسِبْ
وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبْ(١٣٨٣)

وقال شيخ الشيوخ الحموي(١٣٨٤):

إِنْ دَمَعَتْ عيني فِمنْ أَجْلِها بَكَى على حالِيَ مَنْ لا بَكَى

(١٣٧٩) عروس الأفراح: ٢/٣٣٤.

(١٣٨٠) لم نعثر للأبيات على نسبة.

(١٣٨١) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴾ (القمر: ٢٦).

(١٣٨٢) شعب الإيمان: ٢/١١٩.

(١٣٨٣) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ (الطلاق: الآيتان ٢، ٣).

(١٣٨٤) لم نجد من ذكر البيتين.

أَوْقَعنـي إِنْسانُها في الهَـوَى ... يـا أَيُّها الإِنْسانُ ما غَـرَّكا[١٣٨٥]

وقال الشيخ زين الدين ابن الوردي[١٣٨٦]:

إنسانُ عَيْنِي كَمْ سَهَا وَكَمْ بَكَى ... يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحُ[١٣٨٧]

وقال شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر[١٣٨٨]:

خاضَ العواذِلُ في حَديث مَدامِعي ... لما رَأَوْا كالبحر سرعةَ سيرِهِ

فحبستُهُ لأصونَ سرَّ هَواكم ... حَتّى يَخوضوا في حَديث غيرِهِ[١٣٨٩]

وقال أيضاً[١٣٩٠]:

يا مَعشَرَ التُجّارِ أمْوالُكُم ... أَدُّوا زكاتَها ولا تُكابِروا

مِن قَبلِ أَن تُصيبَكُم قارِعَةٌ ... لأَنَّكُم أَلهاكُم التَكاثُرُ[١٣٩١]

وذكر الشريف تقي الدين الحسيني أنه نظم قوله[١٣٩٢]:

مَجَازٌ حَقِيقَتُهَا فَاعْبُرُوا ... وَلاَ تَعْمُرُوا هَوِّنُوها تَهُنْ

وَمَا حُسْنُ بَيْتٍ لَهُ زُخْرُفٌ ... تَرَاهُ إِذَا زُلْزِلَتْ لَمْ يَكُنْ[١٣٩٣]

(١٣٨٥) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ (الانفطار: ٦).

(١٣٨٦) ديوان ابن الوردي: ٣٣٨.

(١٣٨٧) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ (الانشقاق: ٦).

(١٣٨٨) البيتان في خزانة الأدب: ٢/٢٢٦.

(١٣٨٩) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (النساء: ١٤٠).

(١٣٩٠) لم نجد على من ذكر البيتين.

(١٣٩١) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ (التكاثر: ١).

(١٣٩٢) الشريف تقي الدين القناني محمد بن محمد بن عبد الرحيم ولد في (٦٤٥هـ) وتوفي سنة (٧١٨هـ).

(١٣٩٣) مقتبس من قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (يونس: ٢٤)، ومن قوله تعالى ﴿ إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ﴾ (الزلزلة: ١).

ثمّ توقف لكونه استعمل هذه الألفاظ القرآنية في الشعر فجاء شيخ الإسلام تقي الدين بن دقيق العيد ليسأله عن ذلك فأنشده إياهما، فقال له: قل وما حسن كهف، فقال: يا سيدي أفدتني وأفتيتني.

***

التضمين

وَمِنْهُ تَضْمِينٌ بِأَنْ يُضَمِّنَا مِنْ شِعْرِ غَيْرِهِ وَأَنْ يُبَيِّنَا
ذَلِكَ إِنْ لَمْ يَشْتَهِرْ عِنْدَ أُوْلِي بَلاغَةٍ وَالحُسْنُ فِيهِ أَنْ يَلِي
لِنُكْتَةٍ لَيْسَتْ هُنَاكَ ثُمَّ لاَ يَضُرُّ تَغْيِيرٌ فَبَيْتٌ كَمُلاَ
سَمِّ اسْتِعَانَةً وَلِلمِصْرَاعِ فَدُونَهُ بالرَّفْوِ وَالإِيدَاعِ
قُلْتُ فَإِنْ مِنْ نَظْمِهِ قَدْ جَعَلَهْ فَذَاكَ تَفْصِيلٌ بِصَادٍ مُهْمَلَهْ

التضمين أن يضمّن شعره شيئاً من شعر الغير مع التنبيه على أنّه من شعر الغير إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء لئلا يتّهم بالأخذ والسرقة وإلاّ فلا حاجة إليه، والأحسن في ذلك أن يزيد على الأصل نكتة لا توجد كالتورية والتشبيه في قوله(١٣٩٤):

إذا الوَهْمُ أَبْدى لِي لَماها وثَغْرَهَا تَذَكَّرْتُ ما بينَ العُذَيْبِ وبَارِقِ
ويُذْكِرُني مِنْ قدِّها ومَدَامِعِي مَجَرَّ عَوالِينا ومَجْرَى السَّوابِقِ

فإنّ المصراعين الأخيرين مضمنان من قصيدة للمتنبي(١٣٩٥)، وقال صاحبنا الشهاب المنصوري(١٣٩٦):

إِلَيْكَ اشْتِيَاقِي يَا كُنَافَةُ زَائِدُ فَمَالِي غِنىً كَلاّ وَلاَ صَبْرُ
فَلاَ زِلْتِ أَكْلِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَلاَ زَالَ مُنْهَلاً بِجَرْعَائِكِ القَطْرُ

ضمّن المصراع الثاني من قوله(١٣٩٧):

أَلا يا اسلَمي يا دارَ مَيٍّ عَلى البِلى وَلا زالَ مُنهَلاً بِجَرعائِكِ القَطرُ

(١٣٩٤) البيتان لابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير: ٣٨٢.
(١٣٩٥) والبيت المضمن قوله:
تَذَكَّرتُ ما بَينَ العُذَيبِ وَبارِقِ مَجَرَّ عَوالينا وَمَجرى السَوابِقِ
شرح ديوان المتنبي: ٣/٦٠.
(١٣٩٦) لم نعثر على من ذكر البيتين غيره.
(١٣٩٧) البيت لأبي نواس، ديوانه: ١٠١.

ومما ورد في التنبيه قول الحريري[١٣٩٨]:

عَلَـى أَنِّـي سَأُنْـشِدُ عِـنْدَ بَيْعِـي   أَضَـاعُونِي وَأَيَّ فَتَـىً أَضَـاعُوا

ضمن المصراع الثاني من بيت العرجي وتمامه*ليوم كريهة وسداد ثغر[١٣٩٩]*ولا يضر فيه تغيير يسير كقوله في يهودي به داء الثعلب متهكماً[١٤٠٠]:

أَقُـولُ لِمَعْـشَرٍ غَلَطُـوا وَغَـضُّوا   مِـنَ الـشَّيْخِ الرَّشِـيدِ وَأَنْكَـرُوهُ

هُـوَ ابْـنُ جَـلا وَطَـلاَّعُ الثَّـنَايَا   مَتَـى يَـضَعِ العَمَامَـةَ تَعْـرِفُوهُ

غيّر من التكلم إلى الغيبة، وتضمين البيت كاملاً يسمّى استعانة لأنّه استعان بشعر غيره، والمصراع فما دونه يسمى رفواً وإيداعاً لأنّه رفا شعره بشعر الغير وأودعه إياه. ثمّ نبهت من زيادتي على نوع يشبه التضمين هو التفصيل بصاد مهملة وهو أن يضمن شعره مصراعاً من نظم له سابق، وحسنه التمهيد له والتوطئة، وصرفه عن ذلك المعنى الذي وضع له أولا.

***

العقد

وَمِـنْهُ عَقْـدُ نَظْـمِ نَثْـرٍ لا عَلَـى   طَـرِيقِ الاقْتِـبَاسِ مِمَّـا قَـدْ خَـلاَ

العقد أن ينظم نثراً قرآناً أو حديثاً أو مثلاً أو غير ذلك لا على طريق الاقتباس بأن يقع تغيير كثير ويشير إلى أنه من القرآن أو الحديث وما أظنّ في جواز ذلك خلافاً فلا زالت الأئمة عليه فمن عقد القرآن قوله كما في الإيضاح[١٤٠١]:

أَنِلْنـي بالـذي استقرضـت حَظًّـا   وأَشـهد مَعْـشَراً قـد شـاهَدُوهُ

فـإنَّ الله خـلاَّقُ البَـرايا   عَـنَتْ لجَـلالِ هَيْبَـتِهِ الوجـوهُ

يقـولُ إذا تَدايَنْـتُمْ بـدَيْنٍ   إلـى أَجـلٍ مـسمّى فاكتـبُوهُ

قلت بهذا يعلم أن بيتي أبي منصور السابقين عقد لا اقتباس، ومنه قول ابن النبيه

(١٣٩٨) مقامات الحريري: ٢٩٧.

(١٣٩٩) ديوان العرجي: ٣٤، والبيت كاملاً:

أَضَـاعُونِي وَأَيَّ فَتَـىً أَضَـاعُوا   لِـيَوْمِ كَـرِيهَةٍ وَسِـدَادِ ثَغْـرِ

(١٤٠٠) لم نعثر للبيتين على نسبة، ولم ينسبه في تحرير التحبير: ٥٧٣، الإيضاح: ٤٢٣/٢.

(١٤٠١) لم نعثر للأبيات على نسبة ولم ينسبها في الإيضاح: ٤٢٣/٢.

في الملك الصالح[١٤٠٢]:

دِمْـياطُ طُـورٌ وَنـارُ الحَـرْبِ مُؤنِـسَةٌ وَأَنْـتَ موسـى وَهَـذا الـيَوْمُ مِـيقاتُ
فاطْـرَحْ عَـصاك تَـتَلَقَّفْ كُـلَّ ما أَفِكُـوا وَلاَ تَخَـفْ مـا حِـبالُ القَـوْمِ حَـيَّاتُ

ومن عقد الحديث قول أبي الحسن طاهر بن معوذ الأشبيلي ومن نسبه للشافعي فقد غلط[١٤٠٣]:

عُمْـدَةُ الـدِّينِ عِـنْدَنَا كَلِمَـاتٌ أَرْبَـعٌ قَـالَهُنَّ خَيْـرُ البَـرِيَّهْ
اتَّـقِ الـشُّبُهَاتِ وَازْهَـدْ وَدَعْ مَـا لَـيْسَ يَعْنِـيكَ وَاعْمَـلَنْ بِنِـيَّهْ

عقد حديث (إنما الأعمال بالنيات)[١٤٠٤] و(الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات) رواهما الشيخان[١٤٠٥]، و(ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس) رواه ابن ماجه[١٤٠٦] و(من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) رواه الترمذي[١٤٠٧] وقول شيخ الإسلام أبي الفضل بن حجر[١٤٠٨]:

إِنَّ مَـنْ يَـرْحَم أَهْـلَ الأَرْضِ قَـدْ آنَ أَنْ يَـرْحَمَهُ مَـنْ فِـي الـسَّمَا
فَـارْحَمِ الخَلْـقَ جَمِـيعاً إِنَّمَـا يَـرْحَمُ الـرَّحْمَنُ مِـنَّا الـرُّحَمَا

وقوله[١٤٠٩]:

(١٤٠٢) ديوانه: ٧٦، وفيه:

دِمْـياطُ طُـورٌ وَنـارُ الحَـرْبِ مُـوقَدَةٌ وَأَنْـتَ موسـى وَهَـذا الـيَوْمُ مِـيقاتُ
أَلْـقِ العَـصا تَـتَلَقَّفْ كُـلَّ مـا أَفِكُـوا وَلاَ تَخَـفْ مـا حِـبالُ القَـوْمِ حَـيَّاتُ

(١٤٠٣) ورد ذكر البيتين في الشعر المنسوب للشافعي، ينظر: ديوان الشافعي: ١٤٠.

(١٤٠٤) صحيح البخاري: ٣/١، صحيح مسلم: ١٥١٥/٣.

(١٤٠٥) صحيح البخاري: ٢٨/١، صحيح مسلم: ١٢١٩/٣.

(١٤٠٦) سنن ابن ماجه: ١٣٧٣/٢: وفيه (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك)، وما ذكره المؤلف أورده الحاكم في المستدرك: ٣٤٨/٤.

(١٤٠٧) نوادر الأصول في أحاديث الرسول: ٩/٢، وهذا الترمذي هو محمد بن علي الترمذي وليس صاحب السنن محمد بن عيسى الترمذي.

(١٤٠٨) البيتان في الازدهار: ٥٣ وفيه:

إنّ مـنْ يـرحمُ أهـلَ الأرضِ قـد جاءنـا يـرحمه مـن فـي الـسَّما
فـارحمِ الخلـقَ جمـيعاً إنّمـا يـرحمُ الـرحمنُ مـنّا الـرُّحما

(١٤٠٩) لم نعثر للبيت على نسبة.

مِـنْ خَيْـرِ مَـا يَـتَّخِذُ الإنْـسَانُ فِـي دُنْـــيَاهُ كَـــيْمَا يَـــسْتَقِيمَ دِيـــنُهْ
قَلْـــباً شَـــكُوراً وَلِـــسَاناً ذَاكِـــراً وَزَوْجَـــــةً صَـــالِحَةً تُعِيـــنُهْ

عقد حديث (ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وزوجة صالحة تعينه على أمر الآخرة) حسّنه الترمذي(١٤١٠)، ومن عقد الأثر قول أبي العتاهية(١٤١١):

مَـــا بَـــالُ مَـــنْ أَوَّلُـــهُ نُطفَـــةٌ وَجِـــيفَةٌ آخِـــرُهُ يَفخَـــرُ

عقد قول علي ﷺ (وما لابن آدم والفخر إنما أوله نطفة وآخره جيفة)(١٤١٢)، ومن عقد المثل والحكمة قول أبي الطيب(١٤١٣):

يُـــرادُ مِـــنَ القَلْـــبِ نِـــسيانُكُم وَتَأْبـــى الطِـــباعُ عَلـــى الـــناقِلِ

عقد قول بعضهم (روم نقل الطباع من رديء الأطماع شديد الامتناع)، وقول الآخر(١٤١٤):

أَلَـــم تَـــرَ أَنَّ المَـــرءَ تُـــزْرى يَمينُـــهُ فَـــيَقطَعُها عَمـــداً لِيَـــسلَمَ ســـائِرُهُ

عقد قول حكيم وقد سئل لم قطعت أخاك وهو شقيقك، قال (إني لأقطع العضو النفيس من جسدي إذا فسد).

***

الحل، التلميح، العنوان

وَضِـــدُّهُ الحَـــلُّ وَتَلْمِـــيحٌ بِـــأَنْ لِقِـــصَّةٍ يُـــشِيرُ أَوْ شِـــعْرٌ يُعَـــنّ
قُلْـــتُ كَـــذَا قَـــدَّمَ مِـــيماً وَانْـــتُقِدْ وَشِـــبْهُهُ العُـــنْوانُ فَـــافْهَمْ مَـــا قُـــصِدْ

الحلّ ضد العقد فهو نثر النظم قال في الإيضاح(١٤١٥): وشرط كونه مقبولاً أمران: أن يكون سبكه مختاراً لا يتقاعد عن سبك أصله، وأن يكون حسن الموقع مستقراً في محله غير قلق كقول بعض المغاربة: (فإنّه لما قبحت فعلاته وحنظلت نخلاته لم يزل

(١٤١٠) لم نجد هذا الحديث عند الترمذي وقد رواه أحمد بهذا اللفظ في مسنده مسند أحمد ٥/٢٨٢.

(١٤١١) ديوان أبي العتاهية: ١٧٨.

(١٤١٢) نهج البلاغة: ١٦٣.

(١٤١٣) شرح ديوان المتنبي: ٣/١٥٣.

(١٤١٤) البيت للقاضي الفاضل:
أَلَـــم تَـــرَ أَنَّ المَـــرءَ تَـــذوي يَمينُـــهُ فَـــيَقطَعُها عَمـــداً لِيَـــسلَمَ ســـائِرُهُ

(١٤١٥) الإيضاح: ٢/٤٢٥.

سوء الظن يقتاده ويصدق توهمه الذي يعتاده)، حل قول أبي الطيب(١٤١٦):

إِذا ساءَ فِعلُ المَرءِ ساءَت ظُنونُهُ وَصَدَّقَ ما يَعتادُهُ مِن تَوَهُّمِ

وقال آخر (العيادة سنة مأجورة ومكرمة مأثورة، ومع هذا فنحن المرضى ونحن العواد وكل وداد لا يدوم على ذلك فليس بوداد)، حل قول القائل(١٤١٧):

إِذَا مَرِضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمُ وَتُذْنِبُونَ فَنَأْتِيكُمْ وَنَعْتَذِرُ

وأمّا التلميح فذكره في التلخيص(١٤١٨) بتقديم الميم على اللام كذا رأيته بخطه وهو غلط نبّه عليه الشراح لأنّ ذلك من الملاحة وهو باب التشبيه والاستعارة وأمّا الذي هنا فبتقديم اللام من لمحه إذا نظر إليه وهو أن يشير في الكلام إلى قصة أو شعر أو مثل من غير ذكره فالأول كقوله(١٤١٩):

فَرُدَّت عَلَينا الشَمسُ وَاللَّيلُ راغِمٌ بِشَمسٍ لَهُم مِن جانِبِ الخِدرِ تَطلُعُ

فَوَاللَّهِ ما أَدري أَأَحلامُ نائِمٍ أَلَمَّت بِنا أَم كانَ في الرَكبِ يوشَعُ

وصف لحوقه بالأحبة المرتحلين وطلوع الشمس بوجه الحبيب من جانب الخدر في ظلمة الليل، ثمّ استعظم ذلك واستغرب وتجاهل تحيراً وقال أهذا حلم أراه في النوم أم كان في الركب يوشع فردّ الشمس إشارة على قصة يوشع واستبقائه الشمس حين قاتل الجبارين يوم الجمعة وخاف أن تغيب فيدخل السبت فلا يحلّ قتالهم فدعا الله تعالى فأوقفها له حتى فرغ(١٤٢٠)، وقول الآخر في مليح اسمه بدر(١٤٢١):

يَا بَدْرُ أَهْلُكَ جَارُوا وَعَلَّمُوكَ التَّجَرِّي

وَقَبَّحُوا لَكَ وَصْلِي وَحَسَّنُوا لَكَ هَجْرِي

فَلْيَفْعَلُوا مَا أَرَادُوا فَإِنَّهُمْ أَهْلَ بَدْرِ

أشار إلى قوله صلى الله عليه في قصة حاطب وقد سأل عمر قتله (لعل الله اطلع

(١٤١٦) شرح ديوان المتنبي: ٢٦٤/٤.

(١٤١٧) لم نعثر على البيت في ديوانه المطبوع.

(١٤١٨) التلخيص: ١١٦، وقد ذكر المصطلح نفسه دون تقديم وتأخير.

(١٤١٩) البيت لأبي تمام، ديوانه: ٣٢٠/٢.

(١٤٢٠) تنظر الحادثة في نهاية الإرب: ٢/١٤.

(١٤٢١) لم نعثر للأبيات على نسبة ولم تنسب في خزانة الأدب: ٤٠٧/١.

على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)[١٤٢٢]، والثاني كقوله[١٤٢٣]:

لَعَمْـرٌو مَـعَ الرَمْـضاءِ وَالـنارُ تَلتَظـي ... أَرَقُّ وَأَحفـى مِـنكَ فـي سـاعَةِ الكَـربِ

أشار إلى البيت المشهور وهو قوله[١٤٢٤]:

الْمُـسْتَجِيرُ بِعَمْـرٍو عِـنْدَ كُـرْبَتِهِ ... كَالمُـسْتَجِيرِ مِـنَ الرَّمْـضَاءِ بالـنَّارِ

والثالث كقوله[١٤٢٥]:

مَـنْ غَـابَ عَـنْكُمْ نَـسِيتُمُوهُ ... وَقَلْـبُهُ عِـنْدَكُمْ رَهِيـنَهْ

أظُـنُّكُمْ فِـي الـوَفَاءِ مِمَّـنْ ... صُـحْبَتُهُ صُـحْبَةُ الـسَّفِينَهْ

ثمّ نبهت من زيادتي على نوع آخر يسمى العنوان وهو شبيه بالتلميح وهو أن يأخذ المتكلم في غرض له من وصف أو فخر أو مدح أو ذمّ أو غير ذلك، ثمّ يأتي لقصد تكميله بألفاظ تكون عنواناً لأخبار متقدمة وقصص سالفة كقوله[١٤٢٦]:

تَثَـبَّت إنَّ قَـولاً كـانَ زوراً ... أَتـى الـنُعمانَ قَـبلَكَ عَـن زِيـادِ

وَأَرَّثَ بَـينَ حَـيِّ بَنـي جُـلاحٍ ... سَـنا حَـربٍ وَحَـيِّ بَنـي مَـصادِ

أتى بعنوان يشير إلى قصة النابغة حين وشى به الواشون إلى النعمان فجر ذلك حروباً انطوت عليها قطعة من الدهر.

***

حسن الابتداء، براعة الاستهلال

وَيَنْبَغِـي التَّأنِـيقُ فِـي ابْـتِدَاءِ ... وَفِـي تَخَلُّـصٍ وَفِـي انْـتِهَاءِ

بَأعْـذَبِ اللَّفْـظِ وَحُـسنِ الـنَّظْمِ ... وَصِـحَّةِ المَعْنَـى وَطِـبْقِ الفَهْـمِ

فَلْيُجْـتَذَبْ فِـي اللَّفْـظِ مَـا يُطَيَّـرُ ... بِـهِ وَمَـا مِـنْهُ المَقَـامُ يَنْفِـرُ

وَخَيْـرُهُ مُنَاسِـبٌ للحَـالِ ... وَسَـمِّهِ بَـرَاعَةَ اسْـتِهْلالِ

واغْـنَ بِتَشْبِيبٍ يَجِـيءُ فِـي الكَـلاَمْ ... قَـبْلَ الـشُّرُوعِ مَـا يُمَهِّـدُ المَـرَامْ

(١٤٢٢) صحيح البخاري: ٣/١٠٩٥، صحيح مسلم: ٤/١٩٩٤.

(١٤٢٣) البيت لأبي تمام، ديوانه: ٤/١٧٠.

(١٤٢٤) يضرب هذا البيت مثلاً وهو للبحتري: ديوان البحتري: ٢/١١١٠.

(١٤٢٥) لم نعثر للبيتين على نسبة ولم ينسبا في ثمار القلوب: ١/٦٨٠.

(١٤٢٦) البيت لأبي تمام، ديوانه: ١/٣٧٨.

ينبغي للمتكلم شاعراً كان أم كاتباً أن يتأنّق في مواضع هي محل تشوف النفوس ويبالغ في تحسينها بأعذب لفظ وأجزله وأرقه وأسلسه وأحسنه نظماً وسبكاً وأصحه معنى وأوضحه وأخلاه من التعقيد ومن التقديم والتأخير الملبس أو الذي لا يناسب، أحدها الابتداء لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان محرّراً أقبل السامع على الكلام ووعاه وإلاّ أعرض عنه ولو كان الباقي في نهاية الحسن، ألا ترى إلى ابتداء امرئ القيس في تذكار الأحبة والمنازل(١٤٢٧):

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ [بِسِقطِ اللِوى بَينَ الدَخولِ فَحَومَلِ]

فوقف واستوقف، وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في مصراع واحد، وقول الآخر في تهنئة بالبناء(١٤٢٨):

قَصرٌ عَلَيهِ تَحِيَّةٌ وَسَلامُ خَلَعَتْ عَلَيهِ جَمالَها الأَيّامُ

فيجب أن يجتنب ما يتطير به في المدح ويكره ما ينفر منه المقام كما أنشد ابن مقاتل الضرير الداعي العلوي(١٤٢٩):

مَوْعِدُ أحْبَابِكَ بالفُرْقَةِ غَدْ

فقال له الداعي: (بل موعد أحبابك يا ضرير ولك المثل السوء)، وأنشد جرير عبد الملك قصيدته التي أولها(١٤٣٠):

أَتَصحو أَم فُؤادُكَ غَيرُ صاحِ [عَشِيَّةَ هَمَّ صَحبُكَ بِالرَواحِ]

فقال له عبد الملك بل فؤادك يا ابن الفاعلة، وأنشد ذو الرمة عبد الملك قصيدته التي أولها(١٤٣١):

ما بالُ عَينِكَ مِنها الماءُ يَنسَكِبُ [كَأَنَّهُ مِن كُلى مَفرِيَّة سَرِبُ]

وكان بعين عبد الملك ريشة فهي تدمع أبداً، فقال له وما سؤالك عن هذا يا ابن الفاعلة وأخرجه، وأنشد أبو النجم هشاماً قوله في الشمس(١٤٣٢):

(١٤٢٧) ديوان امرئ القيس: ٨.

(١٤٢٨) البيت لأشجع السلمي: الأغاني: ١٨/٢٢١، ٢٤١.

(١٤٢٩) هذا الشطر في الإيضاح: ٢/٤٣٠، ولم يذكر عجز البيت، ولم نجد من ذكره.

(١٤٣٠) ديوان جرير: ١/٨٧.

(١٤٣١) ديوان ذي الرمة: ٣.

(١٤٣٢) ينظر البيت في العمدة: ٢/٢٢٢، وفيه:

=

صَـفْرَاءُ قَـدْ كَـادَتْ وَلَمَّـا تُقْفِـلِ   كَأَنَّهَـا فِـي الأُفْـقِ عَـيْنٌ الأَحْـوَلِ

وكان هشام أحول فأخرجه وأمر بحبسه، وأنشد البحتري يوسف بن محمد قصيدته التي أولها(١٤٣٣):

لَـكَ الـوَيلُ مِـن لَـيلٍ تَقاصَـرَ آخِـرُه   [وَوَشـكِ نَـوى حَـيٍّ تُـزَمُّ أَباعِـرُه]

فقال له لك الويل والحرب. ودخل إسحاق بن إبراهيم الموصلي على المعتصم وقد فرغ من بناء قصره بالميدان فأنشده قصيدة مطلعها(١٤٣٤):

يـا دارُ غَيَّـرَكِ البِلـى ومَحـاكِ   يـا لَـيتَ شِـعرِي مـا الـذي أبـلاكِ

فتطير المعتصم من قبح هذا الابتداء وأمر بهدم القصر على الفور، ومن الابتداء الحسن نوع لطيف أخص منه وهو أحسنه وهو ما اشتمل على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير إلى ما سبق الكلام لأجله ويسمى ذلك براعة الاستهلال لأنّ المتكلم فهم غرضه من كلامه عند رفع صوته والاستهلال هو رفع الصوت كقوله في التهنئة(١٤٣٥):

بُـشْرَى فَقَـدْ أَنْجَـزَ الإِقْـبَالُ مَـا وَعَـدَا   وَكَـوْكَبُ الـسَّعْدِ فِـي أُفْـقِ العُـلا صَـعَدَا

وقوله في الرثاء(١٤٣٦):

هِـيَ الدُنـيا تَقـولُ بِمِـلءِ فـيها   حَـذارِ حَـذارِ مِـن بَطـشي وَفَتكـي

فَـلا يَغـرُركُم منّـي اِبتِـسامي   فَقَولـي مُـضحِكٌ وَالفِعـلُ مُبكـي

وقول التهامي فيه(١٤٣٧):

=

وَالـشَّمْسُ قـدْ كَـادَتْ وَلَمَّـا تُقْفِـلِ   كَأَنَّهَـا فِـي الأُفْـقِ عَـيْنٌ الأَحْـوَلِ

(١٤٣٣) ديوانه٢/٨٧٦: وفيه:

لَـهُ الـوَيلُ مِـن لَـيلٍ تَطـاوَلَ آخِـرُه   وَوَشـكِ نَـوى حَـيٍّ تُـزَمُّ أَباعِـرُه

(١٤٣٤) ديوان إسحاق الموصلي: ١٦٠.

(١٤٣٥) البيت لأبي محمد الخازن، خزانة الأدب: ٢٩٣/١، الإيضاح: ٣٥/١، قرى الضيف: ٢٧٧/٣: معاهد التنصيص: ٢٣١/٤، وفيه:

بُـشْراكَ قـدْ أَنجزَ الإقبالُ مـا وَعَـدا   وكَوْكبُ المَجْدِ في أُفقِ العُلاَ صَعَدا

(١٤٣٦) البيت لأبي فرج الساوي: قرى الضيف: ٤٥٨/٣:

هِـيَ الدُنـيا تَقـولُ بِمِـلءِ فـيها   حَـذارِ حَـذارِ مِـن بَطـشي وَفَتكـي

وَلا يَغـرُركُم حُـسنُ اِبتِـسامي   فَقَولـي مُـضحِكٌ وَالفِعـلُ مُبكـي

(١٤٣٧) البيت لأبي الحسن التهامي، ديوانه: ٤١٦.

حُكـمُ المَنِـيَّةِ فـي البَـرِيَّةِ جـاري   مـا هَـذِهِ الدُنـيا بِـدار قَـرار

وقـول شـيخ الإسـلام أبـي الفـضل بـن حجـر فـي مـرثية شـيخ الإسـلام البلقيني رحمهما الله تعالى(١٤٣٨):

يـا عَـينُ جـودي لِفَقـد البحـر بالمطـرِ   أَذري الدُمـوع وَلا تُبقـي وَلا تَـذَري

وقول الفقيه عمارة اليمني في العتب والشكوى(١٤٣٩):

إذَا لَـمْ يُسَـالِمْكَ الـزَّمانُ فَحَـارِبِ   وَبَاعِـدْ إذَا لَـمْ تَنْـتَفِعْ بِالأقَـارِبِ

وقول لسان الدين بن الخطيب في إظهار النصر(١٤٤٠):

الْحَـقُّ يَعْلُـو وَالأَبَاطِـلُ تَسْفُلُ   وَاللهُ عَـنْ أَحْكَامِـهِ لاَ يُسْـأَلُ

وقول البوصيري في المديح النبوي(١٤٤١):

أمِـنْ تَذَكُّـرِ جِيـران بِـذِي سَـلَمٍ   [مَـزَجْتَ دَمْعـاً جَـرَى مِـنْ مُقْلَـةٍ بِـدَمِ]

البيتين(١٤٤٢)، فإنّ الغزل الذي يصدر به المديح يتعيّن على الناظم أن يحتشم فيه ويتشبب بذكرى ذي سلم ورامة وسفح العقيق والعذيب وبارق وأكناف حاجر ونحوها، ويجتنب التغزل في ثقل الردف ورقة الخصر وبياض الساق وحمرة الخد وخضرة العذار ونحو ذلك.

وقد ذكرت من زيادتي أنّه لا بد من التشبيب وهو أن يقدم قبل الشروع في الكلام ما يمهد المرام من نسيب أو غيره قال الواحدي(١٤٤٣): وأصله ذكر أيام الشباب واللهو ويكون ذلك في ابتداء قصائد الشعر، ثمّ سمي ابتداء كل أمر تشبيباً وإن لم يكن في ذكر

(١٤٣٨) لم نجد من ذكر البيتين.

(١٤٣٩) خزانة الأدب: ٣١/١.

(١٤٤٠) البيت للسان الدين بن الخطيب، نفح الطيب: ٤٧٨/٦، خزانة الأدب: ١/ ٣٣.

(١٤٤١) ديوان البوصيري: ١٩٠.

(١٤٤٢) والبيتان هما:

أَمْ هَـبَّتْ الـريحُ مِـنْ تِلْقـاءِ كاظِمَـةٍ   وأَوْمَضَ البَرْقُ فِي الظَلْماءِ مِنْ إضَمِ

فمـا لِعَيْنَـيكَ إنْ قُلْـتَ اكْفُفاهَمَـتا   وَمـا لِقَلْـبِكَ إنْ قُلْـتَ اسْـتَفِقْ يَهِـمِ

ديوان البوصيري: ١٩٠.

(١٤٤٣) لم نعثر للواحدي على مؤلف يذكر فيه التشبيب.

الشباب. قال في التبيان وهو على وجوه ومنها التغزل قبل المدح قال المتنبي[١٤٤٤]:

إِذا كــانَ مَــدحٌ فَالنَــسيبُ المُقَــدَّمُ   أَكُــلُّ فَــصيحٍ قــالَ شِــعراً مُتَــيَّمُ

وقال الأندلسي إذا كانت القصيدة مدحاً خالصاً خُيِّر في افتتاحها بالغزل وتركه وإن تضمنت حادثة من الحوادث كهزيمة جيش ونصرته وفتح ونحو ذلك لم يجز افتتاحها به لأنّه رقّة محضة فبينه وبين هذه الحوادث مباينة، ومنها التثبت عن الخطاب الهائل تلطفاً، قال الله تعالى ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ ﴾ (التوبة: من الآية ٤٣) بدأ بالعفو قبل العتب تطميناً لقلبه ﷺ، ومنها التنبيه على إلقاء السمع للخطاب الخطير بـ(ألا) ونحوها من حروف الاستفتاح.

***

التخلص

وَراعِ فِـــي تَخَلُّـــصٍ لِلمَقْـــصَدِ   مُلائِمـــاً لِمَـــا بِـــهِ قَـــدِ ابْـــتُدِي

وَرُبَّمَـــا إِلَـــى سَـــوَاءٍ يُنْـــتَقَلْ   كَمَـــا رَأَى المُخَـــضْرَمُونَ وَالأُوَلْ

وَالحُـــسْنُ فَـــصْلُهُ بِأَمَّـــا بَعْـــدَ أَوْ   هَـــذَا كَمَـــا فِـــي ذِكْـــرِ صَـــادٍ قَـــدْ تَلَـــوْا

النوع الثاني: ممّا يتأنق فيه التخلص مما ابتدئ به الكلام من نسيب أو غيره كالأدب والفخر إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاساً رقيقاً دقيق المعنى، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلاّ وقد وقع عليه الثاني لشدة الالتئام بينهما، وهذا النوع اعتنى به المتأخرون ووقع منه في القرآن ما يسكر العقول ويحير الأفهام فإنّه تعالى في سورة الأعراف ذكر الأنبياء والقرون الماضية والأمم السالفة، ثمّ ذكر موسى وحكاية دعائه لنفسه ولأمّته بقوله تعالى ﴿ ۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ (الأعراف: من الآية ١٥٦)، وجوابه تعالى عنه تخلص بمناقب سيد المرسلين بعد تخلصه لأمته بقوله ﴿ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ ﴾ (الأعراف: من الآية ١٥٦) مَنْ حالُهم كيت وكيت، وهم ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ﴾ (الأعراف: من الآية ١٥٧)، وأخذ من صفاته الكريمة

(١٤٤٤) شرح ديوان المتنبي: ٤/٦٨.

وفضائله العظيمة، وفي سورة الشعراء حكى قول إبراهيم عليه السلام ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (الشعراء: ٨٧)، فتخلص منه إلى وصف المعاد بقوله تعالى ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (الشعراء: ٨٨) إلخ[١٤٤٥]، وفي سورة القيامة نهى نبيه صلى عليه وسلم عن العجلة بقوله تعالى ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ ﴾ (القيامة: ١٦) ثم تخلص بقوله سبحانه وتعالى ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (القيامة: ٢٠)، وأمّا العرب المتقدمون والمخضرمون وهم من أدرك الجاهلية والإسلام ومن قاربهم لم يعتنوا به بل ينتقلون بلا مناسبة، ويسمى الاقتضاب، نعم: لم يفتهم حسن التخلص كقول زهير[١٤٤٦]:

إنَّ البَخـيلَ مَلـومٌ حَـيثُ كـانَ وَلَـ ... ـكِنَّ الجَـوادَ عَلـى عِلّاتِـهِ هَـرِمُ

ومن الاقتضاب قول أبي تمام[١٤٤٧]:

لَـو رَأى اللَّـهُ أَنَّ لِلـشَيبِ فَـضلاً ... جاوَرَتـهُ الأَبـرارُ فـي الخُلـدِ شـيبا
كُـلَّ يَـومٍ تُـبدي صُـروفُ اللَيالـي ... خُلُقـاً مِـن أَبـي سَـعيدٍ رَغيـبا

ومن الأول قوله[١٤٤٨]:

تَقولُ في قومي صَحبي وَقَد أَخَذَت ... مِـنّا الـسُرى وَخُطـا المَهـرِيَّةِ القـودِ
أَمَطلَـعَ الـشَمسِ تبَغـي أَن تَـؤُمَّ بِـنا ... فَقُلـتُ كَـلّا وَلَكِـن مَطلِـعَ الجـودِ

ومن الاقتضاب ما يقرب من التخلص في أنّه يشعر بشيء من الملاءمة كفصله بـ(أمّا بعد)، وهذا كقولك بعد الحمد لله (أمّا بعد فإنّ كذا وكذا)، فهو اقتضاب من جهة الانتقال من الحمد والثناء إلى كلام آخر عن غير ملاءمة لكن يشبه التخلص من حيث لم يؤت بالكلام الآخر فجأة بل قُصد نوع من الربط على معنى: مهما يكن من شيء

(١٤٤٥) والآيات هي﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الشعراء: الآيتان ٨٩ – ٩٠).

(١٤٤٦) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: ١٥٢.

(١٤٤٧) ديوان أبي تمام: ١٦١/١.

(١٤٤٨) ديوان المتنبي: ١٣٢/٢، وفيه:

يَقولُ في قومَسٍ صَحبي وَقَد أَخَذَت ... مِـنّا الـسُرى وَخُطـا المَهـرِيَّةِ القـودِ
أَمَطلَـعَ الـشَمسِ تَـنوي أَن تَـؤُمَّ بِـنا ... فَقُلـتُ كَـلّا وَلَكِـن مَطلِـعَ الجـودِ

بعد الحمد والثناء فإنّه كان كذا وكذا، وقوله تعالى ﴿ هَـٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴾ (ص: ٥٥)، أي الأمر هذا أو هذا كما ذكر فهو اقتضاب فيه نوع مناسبة ارتباط، قال ابن الأثير[١٤٤٩]: (هذا) في هذا المقام من الفصل الذي هو أحسن من الوصل وهي علاقة بين الخروج من كلام إلى آخر.

***

فائدة:

قال ابن الأثير[١٤٥٠]: الذي أجمع عليه المحققون وعلماء البيان أنّ فصل الخطاب هو (أمّا بعد)، لأنّ المتكلم يفتتح كلامه في أمر ذي شأن بذكر الله تعالى وتحميده، فإذا أراد أن ينتقل إلى الغرض المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله: أما بعد ا. هـ.، وقد صح أنّ النبي ﷺ فقال: أما بعد أخرجه الشيخان في قصة بريرة، واختلف في أول من نطق بها فروى الديلمي في مسند الفردوس عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ (أول من قال أما بعد داود وهو فصل الخطاب)[١٤٥١].

***

حسن المطلب

وَزَادَ فِـي التِّبْـيَانِ حُـسْنَ المَطْلَـبِ ... بَعْــدَ وَسِــيلَةٍ أَتَــى بِالطَّلَــبِ

هذا البيت من زيادتي، وهو الموضع الثالث مما يتأنق فيه ويسمّى براعة الطلب، وهو من مستخرجات الزنجاني[١٤٥٢] صاحب المعيار وذكره في التبيان[١٤٥٣]، وقال: وحسنه أن يخرج إلى الغرض بعد تقدم الوسيلة كقوله تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ (الفاتحة: ٥)، وقول أمية بن أبي الصلت[١٤٥٤]:

أَأَذْكُـرُ حاجَتـي أَم قَـد كَفانـي ... حَـياؤُكَ إِنَّ شـيمَتَكَ الحَـياءُ

(١٤٤٩) المثل السائر: ٣/١٤٧.

(١٤٥٠) المثل السائر: ٣/١٦٤.

(١٤٥١) لم نجد هذا الحديث في الفردوس، ينظر الحديث في: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٦/ ٣٥٦.

(١٤٥٢) لم نجد كتاباً للزنجاني يذكر ذلك.

(١٤٥٣) التبيان في البيان: ٣٨٥.

(١٤٥٤) أمية بن أبي الصلت، حياته وشعره: ١٥٢.

إِذا أَثْنَى عَلَيكَ المَرءُ يَوماً كَفَاهُ مِن تَعَرُّضِهِ الثَّناءُ

قال[١٤٥٥]: ومما اجتمع فيه حسن التخلص والمطلب قوله تعالى حكاية عن إبراهيم ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ (الشعراء: الآيتان ٧٧ - ٧٨)، إلى قوله تعالى ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (الشعراء: ٨٣)[١٤٥٦] - ا. هـ.

وأما أصحاب البديعيات ففسروه بأن يلوح الطالب بالطلب بألفاظ عذبة مهذبة تشعر بما في النفس دون كشف وتصريح وإلحاح مقترنة بتعظيم الممدوح، كقول المتنبي[١٤٥٧]:

وَفي النَفسِ حاجاتٌ وَفيكَ فَطانَةٌ سُكوتي بَيانٌ عِندَها وَخِطابُ

وفرقوا بينه وبين الإدماج بأن يقدر هناك معنى ثم يدمج غرضه فيه ويوهم أنه يقصده، وهذا مقصور على الطلب وهو أيضاً فرق بينه وبين الكناية.

***

حسن الاختتام

وإنْ يَجِئْ فِي الانْتِهَاءِ مُؤْذِنُ بِخَتْمِهِ فَهْوَ البَلِيغُ الأحْسَنُ

هذا آخر المواضع التي يجب التأنق فيها لأنه آخر ما يعيه السامع ويرسم في الذهن فإن كان حسناً تلقاه السمع واستلذّه وجبر ما وقع فيما سبقه من تقصير وإلا فبالعكس، وربّما أنسى المحاسن الموردة فيما سبق، مثاله قوله[١٤٥٨]:

وَإِنّي جَديرٌ إِذ بَلَغتُكَ بِالمُنى وَأَنتَ بِما أَمَّلتُ مِنكَ جَديرُ
فَإِن تولِني مِنكَ الجَميلَ فَأَهلُهُ وَإِلّا فَإِنّي عاذِرٌ وَشَكورُ

وأحسن الانتهاء ما آذن بانتهاء الكلام حتى لا يبقى للنفس تشوف البتة كقوله[١٤٥٩]:

(١٤٥٥) التبيان في البيان: ٣٨٥.

(١٤٥٦) والآيات هي: ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ (الشعراء: الآيات ٧٩ - ٨٢).

(١٤٥٧) شرح ديوان المتنبي: ١/٣٢٤.

(١٤٥٨) البيت لأبي نواس، ديوانه: ٤٨٣.

(١٤٥٩) لم نعثر للبيت على نسبة.

بَقِيتَ بَقَاءَ الدَّهْرِ يَا كَهْفَ أَهْلِهِ وَهَذَا دُعَاءٌ لِلْبَرِيَّةِ شَامِلُ
وَسُوَرِ القُرْآنِ فِي ابْتِدَائِهَا وَفِي خُلُوصِهَا وَفِي انْتِهَائِهَا
وَارِدَةٌ أَبْلَغَ وَجْهٍ وَأَجَلّ وَكَيْفَ لاَ وَهْوَ كَلَمُ اللهِ جَلّ
وَمَنْ لَهَا أَمْعَنَ فِي التَّأَمُّلِ بَانَ لَهُ كُلُّ خَفِيٍّ وَجَلِي

جميع سور القرآن في فواتحها وتخلصاتها وخواتمها واردة على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها من الفصاحة والبلاغة كما يظهر ذلك بالتأمل كالتحميدات المفتتح بها أوائل السور وحروف الهجاء والنداء في نحو ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ (البقرة: من الآية ٢١)(١٤٦٠)، وأعظم ذلك ما تضمنته الفاتحة التي هي مبدأ الكتاب من البراعة باحتوائها على العلوم الأربعة التي احتوى عليه القرآن وقامت بها الأديان، وهي علم الأصول ومداره على معرفة الله تعالى وصفاته، وإليه الإشارة بـ ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ (الفاتحة: من الاية ٢، ٣)، ومعرفة النبوات وإليه الإشارة بـ ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ (الفاتحة: من الآية ٧)، ومعرفة المعاد وإليه الإشارة بـ ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ (الفاتحة: ٤)، وعلم العبادات، وإليه الإشارة بـ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ (الفاتحة: من الآية ٥)، وعلم السلوك وهو حمل النفس على الآداب الشرعية والانقياد لرب البرية وإليه الإشارة بـ ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ (الفاتحة: من الآية ٥ - ٦)، وعلم القصص وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ليعلم المطلع على ذلك سعادة من أطلع الله تعالى وشقاوة من عصاه، وإليه الإشارة بـ ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ (الفاتحة: ٧)، فنبّه سبحانه وتعالى في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن، وهذا هو الغاية في براعة الاستهلال مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة والمقاطع المستحسنة وكذا ما حواه من التخلصات البليغة كما تقدمت الإشارة إليه خلاف بعض الناس إنه لم يأت في القرآن تخلص، ولذا نبهت عليه هنا من زيادتي، وانظر إلى قوله تعالى ﴿ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢

(١٤٦٠) وردت هذه الآية في مواضع كثيرة، اكتفينا بالإشارة إلى أوّل موضع وردت فيه.

مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ ﴾ (المعارج: من الآيتين ٢ - ٣)، كيف تخلص من ذكر العذاب إلى صفاته عز وجل، وكذلك الخواتيم من الأدعية والوصايا والفرائض والمواعظ والوعد والوعيد والتبجيل والتعظيم والتحميد وغير ذلك وانظر إلى سورة الزلزلة كيف بدئت بأهوال القيامة وختمت بقوله تعالى ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ (الزلزلة: الآيتان ٧ - ٨).

***

خاتمة الكتاب

وَتَمَّ ذَا النَّظْمُ بِتَيْسِيرِ الأَحَدْ ... سَلْخَ جُمَادَى الثَّانِي فِي يَوْمِ الأَحَدْ
مِنْ عَامِ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ التِي ... بَعْدَ ثَمَانِمِائَةٍ لِلهِجْرَةِ
فِي أَلْفِ بَيْتٍ كَالنُّجُومِ تُزْهِرُ ... وَكَالرِّيَاضِ فَاحَ مِنْهَا الزَّهَرُ
أُرْجُوزَةٌ فَرِيدَةٌ فِي أَهْلِهَا ... إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي فَنِّهَا كَمِثْلِهَا
بِكْرٌ مَنِيعٌ سِتْرُهَا لِمَنْ دَنَا ... وَمَنْ أَتَاهَا خَاضِعاً نَالَ المُنَى
زَفَفْتُهَا لِمَنْ نُهَاهُ رَاجِحُ ... وَمَهْرُهَا مِنْهُ الدُّعَاءُ الصَّالِحُ
عَلَّ إِذَا صِرْتُ قَرِينَ الرَّمْسِ ... تَنْفَعُنِي دَعْوَتُهُ فِي بُؤْسِي
وَالحَمْدُ للهِ عَلَى الإِتْمَامِ ... حَمْداً يَفُوقُ البَدْرَ فِي التَّمَامِ
مُصَلِّياً عَلَى نَبِيٍّ قَدْ عَلَتْ ... أَوْصَافُهُ بَيْنَ الوَرَى وَكُمِّلَتْ

الواو في (وتمّ) للاستئناف، و(ذا) للإشارة، و(النظم) بمعنى المنظوم، والباء للاستعانة أو السببية، وفي (الأحد) و(الأحد) جناس متماثل، و(الأحد) من أسمائه تعالى، و(التي) صفة لـ(سبعين) لا لما قبله، واللام في (الهجرة) للعهد الذهني، وقولي في (ألف بيت) حال من فاعل (تمّ)، وإنما بلغت ذلك لما فيها من الزيادات الجمّة، ولو اقتصرنا على ما في التلخيص لم نزد على النصف من ذلك إلا قليلاً، وجملتا التشبيه بعده حالان، و(أرجوزة) خبر مبتدأ محذوف وما بعده صفات، و(إذ) حرف تعليل انفرادها في أخواتها من كتب الفن، وقولي(بكر) البيت... استعارة تحقيقية شبهتها بالبكر في عدم المنال لمن يلتفت إليها ويلق باله بالتأمل والطلب والسعي في أسباب الوصول إليها والحصول لمن هو بخلاف ذلك، ثمّ رشحتها بما يلائم المستعار منه وهو الزفاف والمهر، و(النُّهي) بالضم العقل لأنّه ينهي صاحبه عن القبيح، و(علّ) لغة

في (لعلّ)، و(الرمس) اللحد، و(البؤس) الشدة، ، وفي الحديث (ما الميت في قبره إلا شبه الغريق المغوث ينتظر دعوة تلحقه من أب أو أمّ أو ولد أو صديق ثقة فإذا لحقته كانت أحبّ إليه من الدنيا وما فيها) رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس رضي الله عنهما[١٤٦١]، وفي (الإتمام) و(التمام) جناس ناقص، و(مصلياً) حال مقدرة، وفي (علت) و(كُمِّلَتْ) لزوم، وفي الختم بـ(كُمِّلَتْ) براعة عظيمة لأنّ خير الختم ما كان بلفظ يؤذن بالختام وأبلغه لفظ الختم والتمام والكمال وقيل إنّ أبلغ ما ورد في ذلك قول القائل[١٤٦٢]:

مَا أَسْأَلُ اللهَ إلاَّ أَنْ يَدُومَ لَنَا ... لاَ أَنْ تَزِيدَ مَعَالِيهِ فَقَدْ كَمُلَتْ

قال مؤلفه الشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي: (هذا آخر شرح الألفية، وقد فرغت من تأليفه يوم الأحد خامس ربيع الأول سنة ٨٧٥ خمس وسبعين وثمانمائة، والحمد لله على التمّام والصلاة والسلام على خير الأنام وعلى آله وصحبه الأعلام والتابعين لهم على الدوام).

(١٤٦١) الفردوس: ٣٠٨/٤.

(١٤٦٢) البيت لابن نباتة، ديوانه: ٩٣/١، وفيه:

لا أسأل الله إلاَّ أن يدوم لنا ... لا أن تزاد معانيه فقد كملت

الفهارس العامة

فهرس الآيات

السورة	الآية	الرقم
﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾	٢٥٥	١٤٢
﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾	٢٥٨	٢٨٣
﴿ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾	٢٥٨	٢٤٣
﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ﴾	٢٥٩	٣٥٠
﴿ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾	٢٥٩	١٤٠
﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾	٢٧٣	٣٠٥
﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ ﴾	٢٧٥	١٧٢
﴿ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾	٢٧٥	٩٧
﴿ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾	٢٧٩	٧٦
﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾	٢٨٦	٢٤٤
﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ﴾	٢٨٦	٥٠
آل عمران		
﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾	٨	١٤٧
﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾	١١	٥٠
﴿ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾	١٣	٣٠٣
﴿ ءَأَسْلَمْتُمْ ﴾	٢٠	١٤٣
﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	٢١	٢٢٢، ٢٢٦
﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾	٢٦	١٧٥
﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾	٢٧	٢٤٥
﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾	٣٣	٢٥٤
﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ ﴾	٣٣	٢٥٣
﴿ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ﴾	٣٥	٧٣
﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾	٣٦	٧٣
﴿ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ﴾	٣٧	١٤٠
﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ ﴾	٤٠	١٦٦
﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ﴾	٤٧	١٦٦
﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾	٥٤	٢٥٥
﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾	٦٢	١٢٧
﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ ﴾	٨٣	١٢٠
﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ ﴾	١٠٣	٢٢٩
﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾	١٠٤	١٨٠

السورة	الآية	الرقم
﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ ﴾	١٣	١٤٣
﴿ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾	١٤	٣٥٠
﴿ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ ﴾	٤٠	٧٣
﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾	٤٣	٣٩١
﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾	٦٢	٩٨
﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾	٧٢	٧٦
﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ ﴾	٨٠	١٥٢
﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا ﴾	٨٢	٢٤٧
﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ ﴾	٨٥	١٨٢
﴿ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾	١٠٢	١٧٥، ٣٠٣
﴿ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ ﴾	١٠٨	٢٦٥
يونس		
﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾	١٩	٢٥٣
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾	٢٢	٩٣
﴿ كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾	٢٤	٢١٣
﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾	٢٤	٢١٣
﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾	٢٥	١١٨
﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾	٣١	٢٥٧
﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي ﴾	٣٦	٧٨
﴿ لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ ﴾	٧٨	٩٨
﴿ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾	٨٠	١٤٦
﴿ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾	٨٧	٩٨
﴿ فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ ﴾	٨٩	١٦٦
﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾	١٠٧	٣٣٥
هود		
﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾	٢٨	١٤٢
﴿ وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ﴾	٣٧	٥٩
﴿ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾	٣٧	٥٩
﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾	٣٧	٣٥٠
﴿ وَقِيلَ بُعْدًا ﴾	٤٤	١٨٨
﴿ وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾	٤٤	١٨٨
﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ ﴾	٤٤	١١٥، ١٨٨، ٣٦٧

الرقم	الآية	السورة
١٢٠	٢٨	﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ ﴾
١٨٠	٣٠	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ﴾
٣٥٠	٣٢ - ٣٣	﴿ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ۝ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ﴾
٦٣	٣٦	﴿ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا ﴾
١٣٢	٣٦ - ٣٧	﴿ لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ۝ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ ﴾
٧٠	٦٠	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾
٣٠٦	٦٧	﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ﴾
٣٣٣	٧٥	﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ۝ ﴾
		فصلت
٣٤٣	٣	﴿ كِتَـٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ﴾
١٨٩	٦ - ٧	﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ﴾
١١٩	١٧	﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ ﴾
٢٧٧	٢٨	﴿ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ﴾
١٤٥	٤٠	﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ﴾
		الشورى
٨٢، ١٤٨	٩	﴿ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ ﴾
٢٣٤	١١	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾
١٥٠	١٧	﴿ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾
٢٥٥	٤٠	﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾
٢٧٥	٤٩	﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾
		الزخرف
١٨٩	١ - ٣	﴿ حمٓ ۝ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾
١٠٤	٥	﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝ ﴾
١٠١	٩	﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝ ﴾
١٤٢	٣٢	﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾
٩٩	٨٧	﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾
		الدخان
١٤٣	١٣ - ١٤	﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ۝ ﴾
١٤٢	٣٠ - ٣١	﴿ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ۝ مِن فِرْعَوْنَ ﴾
١٤٥	٤٩	﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ۝ ﴾

فهرس الأشعار

الهمزة

الساكنة

المفتوحة

المكسورة

المضمومة

الباء

الساكنة

التاء

الساكنة

المضمومة

وَلاَ يُقِيمُ عَلَى ضَيْمٍ يُرَادُ بِهِ   إلاَّ الأذَلاَّنِ عِبْرُ الحَيِّ وَالوَتَدُ٢٧٣
هَذَا عَلَى الخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ   وَذَا يُشَجُّ فَلاَ يَرْثِي لَهُ أحَدُ٢٧٣
يَبِسَ النَجِيعُ عَلَيهِ وَهوَ مُجَرَّدٌ   مِن غِمدِهِ وَكَأَنَّما هُوَ مُغمَدُ٣٧٠
ما له بيت ما له مال   ما له سبب ما له أحدُ٣٥٥
لَيْلٌ وَبَدْرٌ وَغُصْنٌ   شَعْرٌ وَوَجْـدٌ وَقَدُّ ٢٠٨
خَمْرٌ وَدُرٌّ وَوَرْدٌ   رِيقٌ وَثَغْرٌ وَخَدُّ٢٠٨

الذال

المفتوحة

لاَ أنْثَنِي لاَ أنْتَهِي لاَ أرْعَوِي   بسيط   مَا دُمْتُ فِي قَيْدِ الحَيَاةِ وَلاَ إذَا٣١٠

الراء

الساكنة

يَا أيُّهَا الحِبْرُ الذي   حَازَ التَّقَدُّمَ فِي الصَّدْرْ٣١٥
مَا مِثْلُ قَوْلِكَ إذْ تَحَا   جَى آخِراً جَامِعُ دُبْرْ٣١٥

أقْسَمَ بِاللهِ أبُو حَفْصٍ عُمَرْ   مَا مَسَّها مِنْ نَقَبٍ وَلا دَبَرْ٨١
أقْسَمَ بِاللهِ أبُو حَفْصٍ عُمَرْ١٥٧
مَا إنْ بِهَا مِنْ نَقَبٍ وَلا دَبَرْ١٥٧
فَاغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ إنْ كَانَ فَجَرْ١٥٧

للهِ ظَبْيٌ زَارَنِي فِي الدُّجَى   مُسْتَوْفِراً مُمْتَطِياً للخَطَرْ٣١٢
فَلَمْ يَقُمْ إلاَّ بِمِقْدَارِ إنْ   قُلْتُ لَهُ أهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْ ٣١٢

المفتوحة

فَلَمْ يَدْرِ إلاَّ اللهُ مَا هَيَّجَتْ لَنَا   عَشِيَّةَ لاَقَيْنَا جِذاماً وَحِمْيَرا١٢٩
وأرضٍ كأخلاق الكريم قَطَعْتُها   وقد كَحَلَ الليلُ السِّماكَ فأبصرا١٩٨
وَقَد لاحَ فِي الصُبحِ الثُريّا كَمَا تَرى   كَعُنقودِ مُلاّحِيَّةٍ حينَ نَوَّرا ١٩٩
وَمُلْتَفِتَاتٍ فِي النِّقَابِ كَأَنَّمَا   هَزَزْنَ سُيُوفاً وَانْتَضَيْنَ خَنَاجِرَا٢١٤
سَفَرْنَ بُدُوراً وَانْتَقَبْنَ أهِلَّةً   وَمِسْنَ غُصُوناً وَالتَفَتْنَ جَآذِرَا٢١٤
عَلَى لاحِبٍ لا يَهتَدي بِمَنارِهِ   [إذا سافَهُ العَودُ النُباطِيُّ جَرجَرا]٣٠٥
مَنْ شَاءَ جَمْعَ مَعَانٍ قَدْ خُصِصْتَ بِهَا   وَجَاوَزَتْ كُلَّ حَدٍّ لَمْ يَنَلْ وَطَرَا٣٥٨
وَكَيْفَ يُسْطَاعُ أنْ تُحْصَى فَضَائِلُهَا   وَزِنْدُكَ الفَرْدُ مَهْمَا تَقْتَدِحْهُ وَرَا٣٥٨
وَما أَنا أَسقَمتُ جِسمي بِهِ   وَما أَنا أَضرَمتُ فِي القَلبِ نارا٨٤
وَاعْلَمْ فَعِلْمُ المَرْءِ يَنْفَعُه   أنْ سَوْفَ يَأْتِي كُلُّ مَا قُدِرَا١٨٧

المكسورة

الزاء

المفتوحة

المكسورة

السين

المفتوحة

المكسورة

قامَـــتْ تُظَلِّلُنِـــي ومِـــنْ عجَـــبٍ شَـــمْسٌ تُظَلِّلُنِـــي مِـــنَ الـــشَّمْسِ٢٢٨
يَـا سَـائِلي عَـنْ حِرْفَتِـي فِـي الـوَرَى وَصَـــنْعَتِي فِـــيهِمْ وَإفْلاَسِـــي٢٦١

المضمومة

وَإنَّ الفِـــئامَ الَّتـــي حَـــولَهُ لَتحـــسُدُ أَرجُلَهـــا الأَرؤسُ٢٦٦
وَإذْ ذَكَـــرْتُكُمْ غَـــسَلْتُ فَمِـــي وَلَقَـــدْ عَلِمْـــتُ بِأَنَّـــهُ نَجِـــسُ٦٦

الشين

المفتوحة

الدَّمْـعُ قَـاضٍ بِافْتِـضَاحِي فِـي الهَـوَى ظَبْـيٌ يَغَـارُ الغُـصْنُ مِـنْهُ إذَا مَـشَى٣١٢
وَغَـدَا بِـوَجْدِي شَـاهِداً وَوَشَـى بِمَـا أَخْفَـى فَـيَا للهِ مِـنْ قَـاضٍ وَشَـا٣١٢

المكسورة

هَـيْفَاءُ فِـي فَـرْعِهَا لَـيْلٌ عَلَـى قَمَـرٍ عَلَى قَضِيبٍ عَلى حَقْفِ النَّقا الدَّهِشِ٣٠٦

الصاد

المفتوحة

قَـالَ اقْتَـرِحْ شَـيْئاً نُجِـدْ لَـكَ طَـبْخَهُ قُلْـتُ اطْـبُخُوا لِـي جُـبَّةً وَقَمِيـصا٢٥٥
لَقَـدْ ضَـاعَ شِـعْرِي عَلَـى بَـابِكُمْ كَمَـا ضَـاعَ دُرٌّ عَلَـى خَالِـصَة٢٩٢

الضاد

المفتوحة

وقـد غَرِضْـتُ مـن الدّنـيا فهَـلْ زَمَنـي مُعْـطٍ حَيَاتـي لِغِـرٍّ بَعْـدُ مَـا غَرِضـا١٥٩
جَـرّبْتُ دَهْـري وأهلِـيه فَمـا تَـرَكتْ لـيَ الـتّجارِبُ فـي وُدّ امـرِئٍ غَرَضـا١٦٠
يَـا مَـنْ حَدَائِـقُ فَـضْلِهِ مَطْلُـولَةُ الأزْهَـارِ غَـضَّة٣١٥
مَـا مِـثْلُ قَـوْلِكَ لِلمُحَـا جِـي ذَا الحِجَـى اخْـتَارَ فِـضَّة٣١٥
أعَـنِ العَقِـيقِ سَـأَلْتَ بَـرْقاً أوْ مَـضَا أ أقَـامَ حَـادٍ بالـرَّكَائِبِ أوْ مَـضَى٣٣٨
وَإذَا تَبَـسَّمَ ضَـاحِكاً لَـمْ ألْـتَفِتْ إنْ عَـادَ بَـرْقاً فِـي الدَّيَاجِـي أوْ مَـضَى٣٣٨
لَـوْلا التَّطَيُّـرُ بِـالخِلاَفِ وَأَنَّهُـمْ قَالُـوا مَـرِيضٌ لاَ يَعُـودُ مَرِيـضَا٢٦٣
لَقَـضَيْتُ نَحْـباً فِـي جَـنَابِكَ خِدْمَـةً لأكُـونَ مَـنْدُوباً قَـضَى مَفْرُوضَـا٢٦٣
رَأَتْنِـي وَقَـدْ نَـالَ مِنِّـي الـنُّحُولُ وَفَاضَـتْ دُمُوعِـي عَلَـى الخَـدِّ فَيْـضَا٢٩٩
فَقَالَـتْ بِعَيْنِـيَّ هَـذَا الـسُّقَامُ فَقُلْـتُ صَـدَقْتِ وَبِالخَـصْرِ أيْـضَا٢٩٩

المكسورة

للـسُّود فـي الـسودِ آثـارٌ تـركن بهـا وَقْعـاً مـن البـيض تَثني أعـينَ البـيضِ٣٢٧
أَبْكانِـيَ الدَّهْـرُ ويـا رُبَّمـا أَضْـحَكَنِي الدَّهْـرُ بِمـا يُرْضِـي٤٩

لَئِنْ أخطَأتُ في مَدْحِكَ ... فَمَا أخطَأتَ في مَنْعِي ٣٧٧
لَقَدْ أنْزَلْتُ حَاجَاتِي ... بِوَادٍ غَيرِ ذِي زَرْعِ ٣٧٧
عَرِّجْ بِنا نَحْوَ طُلولِ الحِمَى ... فلم تَزَلْ آهلَةَ الأربُعِ ٢٩٤
حتَّى نُطيلَ اليومَ وَقْفاً على السَّا ... كِنِ أو عَطْفاً على الموضِعِ ٢٩٤

المضمومة

فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَماً لَبَكَيتُهُ ... عَلَيكَ وَلكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ ١١٧

وَما المَالُ وَالأَهلُونَ إلاّ وَديعَةٌ ... وَلا بُدَّ يَوماً أَن تُرَدَّ الوَدائِعُ ١١٥

هوَ الصنع إنْ يَعْجَلْ فخيرٌ، وإنْ يَرِثْ ... فللرَّيثُ في بعضِ المواضِعِ أنفَعُ ٣٦٩
أولَئِكَ آبائي فَجِئني بِمِثلِهِم ... إذا جَمَعَتنا يا جَريرُ المَجامِعُ ٧١
فَرُدَّت عَلَينا الشَمسُ وَاللَّيلُ راغِمٌ ... بِشَمسٍ لَهُم مِن جانِبِ الخِدرِ تَطلُعُ ٣٨٦
فَوَاللهِ ما أَدري أَأَحلامُ نائِمٍ ... أَلَمَّت بِنا أَم كانَ في الرَكبِ يوشَعُ ٣٨٦
إذا اِحتَرَبَت يَوماً فَفاضَت دِماؤُها ... تَذَكَّرَتِ القُربى فَفاضَت دُموعُها ٢٥٦
غَيري بِأَكثَرِ هَذا النَّاسِ يَنخَدِعُ ... [إِن قاتَلوا جَبُنوا أَو حَدَّثوا شَجُعوا] ٨٨
لا يَرقَعُ الناسُ ما أَوهى وَإِن جَهَدوا ... طولَ الحَياةِ وَلا يوهونَ ما رَقَعوا ٢٤٦
يَوْمَ يَأتِي الحِسَابُ مَا لِظَلُومٍ ... مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ ٣٧٥
حَتّى أَقامَ عَلى أَرباضِ خَرشَنَةٍ ... تَشقى بِهِ الرومُ وَالصُلبانُ وَالبِيَعُ ٢٧٤
لِلسَبيِ ما نَكَحوا وَالقَتلِ ما وَلَدوا ... وَالنَهبِ ما جَمَعوا وَالنارِ ما زَرَعوا ٢٧٤
قَومٌ إِذا حارَبوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ ... أَو حاوَلوا النَفعَ في أَشياعِهِم نَفَعوا ٢٧٤
سَجِيَّةٌ تِلكَ مِنهُم غَيرُ مُحدَثَةٍ ... إِنَّ الخَلائِقَ حَقّاً شَرُّها البِدَعُ ٢٧٤
وَلَيسَ بِأَوسَعِهِم في الغِنى ... وَلكِنَّ مَعروفَهُ أَوسَعُ ٣٧٠
عَلَى أَنِّي سَأُنْشِدُ عِنْدَ بَيْعِي ... أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتىً أَضَاعُوا ٣٨٣

وَإِذا المَنِيَّةُ أَنشَبَت أَظفارَها ... [أَلفَيتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنفَعُ] ٢٣٠
إِنَّ الَّذينَ تَرَونَهُم إِخوانَكُم ... يَشفي غَليلَ صُدورِهِم أَن تُصرَعوا ٦٩
وَكَأَنَّ النُّجُومَ بَيْنَ دُجَاهَا ... سُنَنٌ لاحَ بَيْنَهُنَّ ابْتِدَاعُ ١٩٥
لاَ تَكُنْ ظَالِماً وَلاَ تَرْضَ بِالظُّلْـ ... ـمِ وَأَنْكِرْ بِكُلِّ مَا يُسْتَطَاعُ ٣٧٥
كَأَنَّ السَحابَ الغُرَّ غَيَّبنَ تَحتَها ... حَبيباً فَما تَرقا لَهُنَّ مَدامِعُ ٢٨٦

الغين

المضمومة

وَذَاتِ وَجْهَيْنِ أَتَتْ بِدْعَةً ... غَايَتُهَا فِي الحُسْنِ لا تُبْلَغُ ٣٥٨

المضمومة

هَــوايَ مــع الــرَّكْبِ اليَمانِــينَ مُــصْعِدٌ جَنِــيبٌ وجُثْمانِــي بمَكَّــةَ مُوثَــقُ٧٤
عَجِـبْتُ لِمَـسْراها وأَنَّـى تَخَلَّـصَتْ إلَـيَّ وبـابُ الـسَّجْنِ دُونِـي مُغْلَـقُ٧٤
لاَ يأْلَـفُ الـدِّرْهمُ المـضْرُوبُ صُـرَّتَنَا لكِـنْ يَمُـرُّ عَلَـيهَا وَهْـوَ مُـنْطَلِقُ١٠٢
فَإِنِّـي لَـوْ شَـهِدْتُ أبَـا سُـعَادٍ غَـدَاةَ غَـدٍ بِمُهْجَـتِهِ يَفُـوقُ٣٥٥
فَـدَيْتُ بِنَفْـسِهِ نَفْـسِي وَمَالِـي وَمَـا آلُـوهُ إلاَّ مَـا أُطِـيقُ٣٥٥
وَلَـئِنْ نَطَقْـتُ بِـشُكْرِ بِـرِّكَ مُفْـصِحاً فَلِـسَانُ حَالِـي بِالـشِّكَايَةِ أنْطَـقُ٢٣١
خُلِقُـوا وَمَـا خُلِقُـوا لِمَكْـرُمَةٍ فَكَـأَنَّهُمْ خُلِقُـوا وَمَـا خُلِقُـوا٢٤٤
رُزِقُـوا وَمَـا رُزِقُـوا سَـمَاح يَـدٍ فَكَـأَنَّهُمْ رُزِقُـوا وَمَـا رُزِقُـوا٢٤٤
أيُّهَـا المُعْطُـونَ مَـالاً وَافِـراً ثُـمَّ لاَ تُؤْتُـوا وَلا تَـصَّدَّقُوا٣٧٥
إنْ تَـصِلُوا أوْ تَـصُومُوا أوْ تَجْـ ـمَعُـوا لَـنْ تَـنَالُوا البِـرَّ حَتَّـى تُـنْفِقُوا٣٧٥
يَـا مَعْـشَرَ الأصْـحَابِ قَـدْ عَـنَّ لِـي مَعْنَـى يُـزِيلُ الحُمْـقَ فَاسْـتَظْرِفُوهُ٢٤٦
لاَ تَحْـضُرُوا إلاَّ بِأَخْفَـافِكُمْ وَمَـنْ تَـثَاقَلَ مِـنْكُمْ خَفِّفُـوهُ٢٤٦

الكاف

الساكنة

أمَـا وَاللهِ لَـوْلاَ خَـوْفُ سَـخْطِكْ لَهَـانَ عَلَـيَّ مَـا أَلْقَـى بِـرَهْطِكْ٢٦٢
مَلَكْـتَ الخَافِقَـيْنِ فَـتِهْتُ عُجْـباً وَلَـيْسَ هُمَـا سِـوَى قَلْبِـي وَقِـرْطِكْ٢٦٢
مَـاتَ ابْـنُ مُوسَـى وَهْـوَ بَحْـرٌ كَامِـلُ فَهَـنَاكُمُ جَمْـعُ المَلائِـكِ مُـشْتَرَكْ٣٧٨
يَأْتِـيكُمُ الـتَّابُوتُ فِـيهِ سَـكِينَةٌ مِـنْ رَبِّكُـمْ وَبَقِـيَّةٌ مِمَّـا تَـرَكْ٣٧٨
الـدَّوَادَارُ قَـالَ لِـي سَـوْفَ أقْـضِي مَآرِبَـكْ١٦١
أبْـذُلُ المَـالَ قُلْـتُ لاَ حَفِـظَ اللهُ جَانِـبَكْ١٦١

المفتوحة

أَرقـيكَ أَرقـيكَ بِاسـمِ اللهِ أَرقـيكا مِـن بُخـلِ نَفـسِكَ عَـلَّ اللهَ يَـشفيكا٢٩٦
مـا سِـلمُ كَفِّـكَ إلاّ مَـن يُـناوِلُها وَلا عَـدُوُّكَ إلاّ مَـن يُـرَجّيكا٢٩٦
أَتتنـي الـشَمسُ زائِـرَةً وَلَـم تَـكُ تَبـرَحُ الفَلَكـا٢٨٨
إلَهِـي عَـبْدُكَ العَاصِـي أتَاكَـا مُقِـرّاً بِالذُّنُـوبِ وَقَـدْ دَعَاكَـا٩١
فَـإنْ تَغْفِـرْ فَأنْـتَ لِـذَاكَ أَهْـلٌ وَإنْ تَطْـرُدْ فَمَـنْ يَـرْجُو سِـوَاكَا٩١
لا تَعجَبـي يـا سَـلمَ مِـن رَجُـلٍ ضَـحِكَ المَـشيبُ بِرَأسِـهِ فَبَكَـى٢٤٤
إنْ دَمَعَـتْ عينـي فِمـنْ أَجْلِهـا بَكَـى علـى حالـيّ مَـنْ لا بَكَـى٣٨٠
أَوْقَعنـي إنْـسانُها فـي الهَـوَى يـا أَيُّهـا الإنْـسانُ مـا غَـرَّكا٣٨٠
[فلمـا خـشيت أظافيـره] نجـوت وأرهـنهم مالكـا١٦٦

المكسورة

المضمومة

اللام

الساكنة

المفتوحة

وَلَــوَ انَّ تَغلِـبَ جَمَّعَـت أَحـسابَها يَـومَ التَفاضُـلِ لَـم تَـزِن مِـثقالا٢٩٧
أَعـدى الـزَمانَ سَـخاؤُهُ فَـسَخا بِـهِ وَلَقَـد يَكـونُ بِـهِ الـزَمانُ بَخـيلا٣٦٩
لَـو حـارَ مُـرتادُ المَنِـيَّةِ لَـم يُـرِد إِلّا الفِـراقَ عَلـى الـنُفوسِ دَلـيلا٣٦٩
طُوبَـى لأهْـلِ جَـنَّةٍ طَيِّـبَةٍ لاَ يَبْـتَغُوا نَقْـلاً وَلا تَحْـوِيلاَ٣٧٦
دانِـيَةٌ عَلَـيْهِمْ ظِلالُهَـا وَذُلِّلَـتْ قُطُـوفُهَا تَذْلِـيلاَ٣٧٦
إنَّ مَحَـلاً وَإِنَّ مُـرْتَحِلاً [وَإِنَّ فـي الـسَفرِ مـا مَـضى مَهَـلا]١٠٠
شـافَهتُمُ الـبدرَ فـي الـسؤالِ عـن الـ أمـرِ إلـى أن بلغـتُمُ زُحَـلا٢٢٨
قُلْـتُ وَقَـدْ بَـشَّرُوا بِـنَجْلٍ رَبِّ أَبْلِنْـي مُـنَايَ فَـضْلاَ٣١١
إنْ عَـاشَ فَاجْعَلْـهُ خَيْـرَ نَجْـلٍ مُوفِـياً عَهْـدَهُ وَإلاَّ٣١١
قَـد طَلَبـنا فَلَـم نَجِـد لَـكَ فـي الـسُؤ دُدِ وَالمَجـدِ وَالمَكـارِمِ مِـثْلا١١٧
مَـا طَلَبْـنَا لِعِلْمِـنَا أَنَّـهُ مَـا لَـكَ فِـي المَجْـدِ وَالمَكَـارِمِ مِـثْلاَ١١٨

المكسورة

قِفـا نَـبكِ مِـن ذِكـرى حَبـيبٍ وَمَنـزِلِ بِسِقطِ اللِوى بَينَ الدَخولِ فَحَومَلِ٣٤٦، ٣٨٨

وُقـوفاً بِهـا صَـحبي عَلَـيَّ مَطِـيَّهُم يَقولـونَ لا تَهلِـك أَسـىً وَتَجَمَّـلِ٣٧٢
أَلا أَيُّهـا اللَـيلُ الطَـويلُ أَلا انجَلـي بِصُبحٍ وَمـا الإِصباحُ مِنكَ بِأَمثَلِ١٤٦، ٣٤٦
مِكَـرٍّ مِفَـرٍّ مُقـبِلٍ مُدبِـرٍ مَعـاً كَجُلمـودِ صَخرٍ حَطَّـهُ السَيلُ مِن عَلِ٢٤٥
أَيَقتُلُنـي وَالمَـشرَفِيُّ مُـضاجِعي [وَمَسنونَةٌ زُرقٌ كَأَنيابِ أَغوالِ]١٤٢،١٩٤،٢١٢
كَـأَنَّ قُلـوبَ الطَيـرِ رَطـباً وَيابِـساً لَـدى وَكـرِها العُـنّابُ وَالحَـشَفُ البالـي٢٠٨
تَعَلَّمـتُ خَـطَّ الـرَملِ لَمّـا هَجَرتُنـي لَعَلّـي أَرى شَـكْلاً يَـدُلُّ عَلـى الوَصـلِ٢٩٥
وَقالـوا طَـريقٌ قُلْـتُ يـا رَبِّ لِلّقـا وَقالـوا اِجـتِماعٌ قُلـتُ يـا رَبِّ لِلـشَملِ٢٩٥

فَعـادى عِـداءً بَـينَ ثَـورٍ وَنَعجَـةٍ دِراكـاً وَلَـم يَنـضَح بِمـاءٍ فَيُغـسَلِ٢٧٩
وَمـا هُـوَ إِلاّ الوَحـيُ أَو حَـدُّ مُـرهَفٍ تُمـيلُ ظُـباهُ أَخدَعَـي كُـلِّ مائِـلِ٢٧٣
فَهَـذا دَواءُ الـداءِ مِـن كُـلِّ عـالِمٍ وَهَـذا دَواءُ الـداءِ مِـن كُـلِّ جاهِـلِ٢٧٣
وَقَـد ظُلِّلَـت عِقـبانُ أَعلامِـهِ ضُـحىً بِعِقـبانِ طَيـرٍ فـي الـدِماءِ نَـواهِلِ٣٧١
أَقامَـت مَـعَ الـراياتِ حَتّـى كَأَنَّهـا مِـنَ الجَـيشِ إِلاّ أَنَّهـا لَـم تُقاتِـلِ٣٧١
غَدائِـرُها مُستَـشزِراتٌ إِلـى العُـلا [تَـضِلُّ العِقـاصَ فـي مُثَنّـىً وَمُرسَـلِ]٤٦
مـوفٍ عَلـى مُهـجٍ فـي يَـومِ ذي رَهَـجٍ كَأَنَّـهُ أَجَـلٌ يَـسعى إِلـى أَمَـلِ٣٤٨
سَـل عَـنهُ وَانطِـق بِـهِ وَانظُـر إِلَـيهِ تَجِـد مِـلءَ المَـسامِعِ وَالأَفـواهِ وَالمُقَـلِ٣٤٢
مـا أَحـسَنَ الـدِّينَ والدُّنـيا إذا اجـتَمَعا وأَقـبَحَ الكُفـرَ والإفـلاسَ بالـرَّجُلِ٢٤٨

المضمومة

هُـمُ القَـومُ إن قالـوا أصـابوا وإن دُعـوا أجابـوا وَإن أعطـوا أطابـوا وَأجـزَلوا٣٤٨
أَخـي ثِقَـةٍ لا يُهْلِـكُ الخَمـرُ مالَـهُ وَلَكِـنَّهُ قَـد يُهلِـكُ المـالَ نائِلُـه٣٠١
فَمـا بَلَغَـت كَـفُّ امـرِئٍ مُتَـناوِلٍ مِـنَ المَجـدِ إلّا حَـيثُ مـا نِلـتَ أَطـوَلُ٢٥٨
وَمـا بَلَـغَ المُهـدونَ فـي القَـولِ مِدحَـةً وَلا صَـدَقوا إلا الَّـذي فـيكَ أَفـضَلُ٢٥٨
بَقـاءَ الدَّهْـرِ يـا كَهْـفَ أهْلِـهِ وَهَـذَا دُعَـاءٌ للبَـرِيَّةِ شَـامِلُ٣٩٥
يُذكِّـرُنيكِ الخَيْـرُ وَالـشَّرُّ كُلُّـهُ وَقَـوْلُ الجَفَـا وَالحِلْـمُ وَالعِلْـمُ وَالجَهْـلُ٣١٧
فَألْقَـاكِ عَـنْ مَكْـرُوهِهَا مُتَنَـزِّهاً وَألْقَـاكِ فِـي مَحْـبُوبِهَا وَلَـكِ الفَـضْلُ٣١٧
إذا أنـتَ لَـم تُنـصِف أخـاكَ وَجَدتَـهُ عَلـى طَـرَفِ الهِجـرانِ إن كـانَ يَعقِـلُ٣٦٧
وَيَـركَبُ حَـدَّ الـسَيفِ مِـن أن تَـضيمَهُ إذا لَـم يَكُـن عَـن شَـفرَةِ السَيفِ مَـزحَلُ٣٦٧
لَعَمـرُكَ مـا أَدري وَإنّـي لأَوجَـلُ عَلـى أيِّـنا تَعـدو المَنِـيَّةِ أَوَّلُ٣٦٨
مَهـا الـوَحشِ إلاّ أَنَّ هاتـا أَوانِـسٌ قَـنا الخَـطِّ إلّا أَنَّ تِلـكَ ذَوابِـلُ٣٤٧
هُـوَ الـبَدْرُ إلاّ أَنَّـهُ البَحـرُ زاخِـراً سِـوى أَنَّـهُ الـضِّرغامُ لكِـنَّهُ الـوَبْلُ٢٨٨
فَـإن لَـم يَكُـن إلّا مَعَـرَّج سـاعَةٍ قَلـيلاً فَإنّـي نافِـعٌ لـي قَلـيلُها٣٣٩
إنَّ الَّـتي ضَـرَبَت بَيـتاً مُهاجِـرَةً بِكـوفَةِ الجُـندِ غالَـت وُدَّهـا غـولُ٧٠
لا خَـيلَ عِـندَكَ تُهـديها وَلا مـالُ فَليُـسعِدِ الـنُطقُ إن لَـم تُـسعِدِ الحـالُ٢٧٨
لاَ وَالـذي سَـلَّ مِـنْ جِفْنَـيْهِ سَـيْفَ رَدَى مُـدَّتْ لَـهُ مِـنْ عَذَارَيْـهِ حَمَائِلُـهُ٣١٦
مَـا صَـارَمَتْ مُقْلَتِـي دَمْعـاً وَلاَ وَصَـلَتْ غَمْـضاً وَلاَ سَـالَمَتْ قَلْبِـي بَلاَبِلُـهُ٣١٦
وَرُبَّمَـا فَـاتَ قَـوْماً جُـلُّ أمْـرِهِم مِـنَ التَّأنِّـي وَكَـانَ الحَـزْمُ لَـوْ عَجِلُـوا٣٧١
إنَّ الَّـذي سَـمَكَ الـسَماءَ بَنـى لَـنا بَيـتاً دَعائِمُـهُ أَعَـزُّ وَأَطـوَلُ٧٠
عَـزَماتهُ مِـثْلُ الـنُّجُوم ثَواقِـباً لَـو لَـم يكُـن للثَّاقِـبَاتِ أُفُـولُ٢١٣
اصْـبِرْ عَلَـى مَـضَضِ الحَـسُو دِ فَـإنَّ صَـبْرَكَ قَاتِلُـهْ٢١٠
كَالـنَّارِ تَأكُـلُ نَفْـسَهَا إنْ لَـمْ تَجِـدْ مَـا تَأكُلُـهْ٢١٠
الْحَـقُّ يَعْلُـو وَالأبَاطِـلُ تَـسْفُلُ وَاللهُ عَـنْ أحْكَامِـهِ لاَ يُـسْأَلُ٣٩٠
هَـيهاتَ لا يَأتـي الـزَمانُ بِمِـثلِهِ إنَّ الـزَمانَ بِمِـثلِهِ لَبَخـيلُ٣٦٨
لَـولاَ سَـطَا عَمُّـهُ لَقُـزْنَا وَيْـلاَهُ مَـنْ عَمُّـهُ وَخَالُـهُ٢٦١
قَـالَ لِـي كَـيفَ أنْـتَ؟ قُلْـتُ :عَلِـيلُ سَـهَرٌ دَائِـمٌ وَحُـزْنٌ طَـوِيلُ٦٥، ١٥٩
وَبِقَلْبِـي مِـنَ الهُمُـومِ مَدِيـدُ وَبَـسِيطٌ وَوَافِـرٌ وَطَـوِيلُ٢٩٤
لَـمْ أكُـنْ عَالِمـاً بِـذَاكَ إلَـى أنْ قَطَـعَ القَلْـبَ بِالفِـرَاقِ الخَلِـيلُ٢٩٤

الميم

الساكنة

أعْـوَانُ أهْـلِ الظُّلْـمِ قَـدْ زُلْـزِلُوا بِبَأسِـهِمْ قَلْـبَ الكَـئِبِ الكَلِـيمْ٣٧٨

سَئِمتُ تكاليفَ الحَياةِ وَمَن يَعِش ... ثَمانينَ حَولاً لا أَبا لَكَ يَسأَمِ٢٥٣
أَثافِيَّ سُفعاً في مُعَرَّسِ مِرجَلٍ ... وَنُؤياً كَجِذمِ الحَوضِ لَم يَتَثَلَّمِ٢٥٠
فَلَمّا عَرَفتُ الدارَ قُلتُ لِرَبعِها ... أَلا عِم صَباحاً أَيُّها الرَبعُ وَاِسلَمِ٢٥٠
ومن يك ذا فضل ويبخل بفضله ... على قومه يستغن عنه ويذمم٣٠٥

إذا ساءَ فِعلُ المَرءِ ساءَت ظُنونُهُ ... وَصَدّق ما يَعتادُهُ مِن تَوَهُّمِ٣٨٦
يُؤَخَّرْ فيوضَعْ في كِتابٍ فَيُدَّخَر ... لِيَومِ الحِسابِ أَو يُعَجَّل فَيُنقَمِ٣٠٦
إِذَا مَا اتَّقَى اللهُ الفَتَى وَأَطَاعَهُ ... فَلَيْسَ بِهِ بَأْسٌ وَإِنْ كَانَ مِنْ جرمِ٣٠٨
فَرْدٌ هُوَ العَالَمُ الكُلِّيُّ فِي شَرَفٍ ... وَنفَسُهُ الجَوْهَرُ القُدْسِيُّ فِي العِظَمِ٣٨٢
قالوا اِصطَبِر قُلتُ صَبري غَيرُ مُتَّبعٍ ... قالوا اَسلُهُم قُلتُ وُدّي غَيرُ مُنصَرِمِ٣٠٥
كَالنَّارِ مِنْهُ رِيَاحُ المَوْتِ إنْ عَصَفَتْ ... يَزْوِي صُرى مَائةِ أَرْضَ الوَغَى بِدَمِ٣٠٦
لَم يَلْقَ مَرحَبُ مِنهُ مَرحَباً وَرأَى ... ضِدَّ اِسمِهِ عِندَ هَدِّ الحِصنِ وَالأُطُمِ٣١٠
حَتّى إِذا صَدَروا وَالخَيلُ صائِمَةٌ ... مِن بَعدِ ما صُلَّتِ الأَسياف في القِمَمِ٢٦٥
فَالحَقُّ في أُفُقٍ وَالشِّركُ في نَفَقٍ ... وَالكُفرُ في فَرَقٍ وَالدينُ في حَرَمِ٢٤٨
أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرانٍ بِذِي سَلَمٍ ... [مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ]٣٩٠
رَوْضْ وَدُمْ وَأَرِحْ رَدِّدْ وَوَدَّ وَزُرْ ... وَازْرِ وَوَالِ دَوَادَاءٍ وَزِدْ وَرِمِ٣٥٦
فَلَو رَأَيتَ مُصابي بَعْدَما رَحَلوا ... رَثَيتَ لي مِن عَذابي يَومَ بَينِهِمِ٣٥٤
بِبارِقٍ خَذِمٍ في مَأزِقٍ أَمَمٍ ... أَو سائِقٍ عَرِمٍ في شاهِقٍ عَلَمِ٣٤٩
وَكُلِّ لَحظٍ أَتى بِاِسمِ اِبنِ ذي يَزَنٍ ... في فَتكِهِ بِالمُعنّى أَو أَبي هَرِمِ٣٣٦
سَأَلتُ في الحُبِّ عُذّالي فَما نَصَحوا ... وَهَبهُ كانَ فَما نَفعي بِنُصحِهِمِ٢٩٩
وَإِنَّني سَوفَ أَسلوهُم إِذا عُدِمَت ... روحي وَأَحيَيتُ بَعدَ المَوتِ وَالعَدَمِ٣٠٠
خِلتُ الفَضائِلَ بَينَ الناسِ تَرفَعُني ... بِالإِبتِداءِ فَكانَت أَحرُفَ القَسَمِ٢٩٤
مُذْ هِمْتُ مِنْ وَجْدِيَ فِي خَالِهَا ... وَلَمْ أَصِلْ مِنْهُ إلَى اللَّثْمِ٢٦٢
قَالَتْ قِفُوا وَاسْتَمِعُوا مَا جَرَى ... خَالِي قَدْ هَامَ بِهِ عَمِّي٢٦٢
هَذَا أَبُو الصَقْرِ فَرْداً فِي مَحَاسِنِهِ ... مِنْ نَسْلِ شَيْبَانَ بَيْنَ الضَّالِ والسَّلمِ٧١
سَائِلْ فَوارِسَ يَربُوعٍ بِشِدَّتِنا ... أَهَلْ رَأَونا بِسَفح القاعِ ذي الأَكَمِ١٣٥
لِلهِ لَذَّةُ عَيشٍ بِالحَبيبِ مَضَت ... فَلَم تَدُم لي وَغَيرُ اللهِ لَم يَدُمِ١٨٤
وَلَقَد أَراني وَالجَديدُ إِلى بِلىً ... في مَوكِبٍ طُرُفِ الحَديثِ كِرامِ١٨٨
فَسَقى دِيارَكِ غَيرَ مُفْسِدِها ... صَوْبُ الرَّبيعِ وَديمَةٌ تَهمِي١٨٤
يَا عُصْبَةَ الإِسْلامِ نُوحِي وَانْدُبِي ... حُزْناً عَلَى مَا تَمَّ لِلمُسْتَعْصِمِ٣١٠
دِسْتُ الوِزَارَةِ كَانَ قَبْلَ زَمَانِهِ ... لابنِ الفُرَاتِ فَصَارَ لابْنِ العَلْقَمِي٣١٠

فهرس الأحاديث النبوية

مصادر التحقيق ومراجعه

١.أبو الفتح البستي حياته وشعره، محمد مرسي الخولي، دار الأندلس، بيروت، د. ت.

٢.الآحاد والمثاني، أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني، تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، الرياض، ١٤١١ - ١٩٩١.

٣.الأحاديث المختارة، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٤١٠.

٤.الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.

٥.الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: أحمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩ - ١٩٨٩،

٦.ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: مصطفى أحمد النحاس، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٨٧.

٧.أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، ٢٠٠١.

٨.أسرار البلاغة، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩١.

٩.الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ركن الدين محمد بن علي بن محمد الجرجاني، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢.

١٠.الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، دار الفكر، دمشق، (د. ت).

١١.أشعار أبي الشيص الخزاعي، جمعها وحققها: عبد الله الجبوري، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٦٧.

١٢.الأصمعيات، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف القاهرة، ط٤، ١٩٧٦.

١٣.الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت ط٣، ١٩٧٩.

١٤.الأغاني، أبو فرج الاصفهاني، حققه مجموعة من المحققين، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨٦.

١٥.الأقصى القريب في علم البيان، زين الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عمرو التنوخي، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٧هـ.

١٦.الأقيشر الاسدي أخباره وأشعاره، تحقيق: الطيب العشاش، حوليات الجامعة التونسية، العدد ٨، تونس ١٩٧٠.

١٧.ألفية ابن مالك، محمد بن عبد الله بن محمد بن مالك الأندلسي، مكتبة النهضة، بغداد، د.ت.

١٨.الأمالي النحوية، أمالي القرآن الكريم، ابن الحاجب، تحقيق: هادي حسن حمودي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥.

١٩.أمية بن أبي الصلت، حياته وشعره، دراسة وتحقيق: بهجة عبد الغفور الحديثي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢، ١٩٩١.

٢٠.انوار الربيع في انواع البديع، السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني، حققه وترجم لشعرائه: شاكر

هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف، ط١، ١٩٦٨.

٢١.الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني، تحقيق جماعة من علماء الأزهر، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، (د. ت).

٢٢.البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي، فهرسة: عبد الرحمن اللاذقي، ومحمد غازي بيضون، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٩٩٧.

٢٣.البديع، عبد الله بن المعتز، اعتنى بنشره والتعليق عليه وإعداد فهارسه: المستشرق اغناطيوس كراتشكوفسكي، دار الحكمة، دمشق، د. ت.

٢٤.البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، حققه وقدم له: عبد ا.علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٧.

٢٥.البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٤.

٢٦.بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤.

٢٧.البيان والتبيين، ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ١٩٨٥.

٢٨.التبيان في البيان، شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي، تحقيق: توفيق الفيل وعبد اللطيف لطف الله، ذات السلاسل للطباعة والنشر، الكويت، ١٩٨٦.

٢٩.التبيان في علم البيان، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤.

٣٠.التحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن، ابن أبي الاصبع المصري، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، لجنة احياء التراث الاسلامي، القاهرة، ١٣٨٣ هـ.

٣١.تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٥٣.

٣٢.التذكرة الفخرية، للصاحب بهاء الدين المنشيء الإربلي، تحقيق: نوريس حمودي القيسي وحاتم صالح الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٤.

٣٣.تزيين الأسواق في أخبار العشاق، أبو داوود الأنطاكي، دار حمد ومحيو، بيروت، ١٩٧٢.

٣٤.تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، أبو عبد الله جمال الدين بن مالك، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العرب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧.

٣٥.تفسير البيضاوي، البيضاوي، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦.

٣٦.التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني، حققه وشرحه وأعدَّ فهارسه: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

٣٧.ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، حققها وعلق عليها: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٧٦.

٣٨.الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣.

٣٩.جمهرة اشعار العرب، أبو زيد محمد أبي الخطاب القرشي، شرحه وضبطه وقدم له: علي الفاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦.

٤٠.جناس الجناس، صلاح الدين الصفدي، مطبعة الجوائب، قسطنطينية ١٢٩٩هـ.

٤١.الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نبيل فاضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.

٤٢.حاشية العلامة البناني على شرح الجلال على متن جمع الجوامع، عبد الرحمن بن جاد الله البناني المغربي، تحقيق: محمد عبد القادر، شاهين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.

٤٣.حسن التوسل إلى صناعة الترسل، شهاب الدين محمود الحلبي، تحقيق ودراسة: أكرم عثمان يوسف، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠.

٤٤.حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.

٤٥.حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥.

٤٦.حلية المحاضرة، أبو علي محمد بن الحسن بن مظفر الحاتمي، تحقيق جعفر الكتاني، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩.

٤٧.الحيوان، الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٩٦٩

٤٨.خاص الخاص، أبو منصور عبد الملك بن اسماعيل الثعالبي، قدم له: حسن الأمين، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٦.

٤٩.خزانة الأدب وغاية الأرب، أبو بكر علي بن عبد الله المعروف بابن حجة الحموي، دراسة وتحقيق: كوكب دياب، دار صادر، بيروت، ٢٠٠١.

دار العصيمي، الرياض، ١٤١٤.

٥٠.دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، حققه وقدم له: محمد رضوان الداية وفايز الداية، مكتبة سعد الدين، دمشق، ١٩٨٧.

٥١.ديوان ابن الدمينة، ، تحقيق: أحمد راتب، دار العودة بيروت، القاهرة، د.ت.

٥٢.ديوان ابن الرومي، تحقيق: حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٣.

٥٣.ديوان ابن المعتز، نشرة: ميشيل نعمان، دار صادر، بيروت لبنان، د.ت.

٥٤.ديوان ابن المعتز، تحقيق: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٥.

٥٥.ديوان ابن الوردي، حققه وعلق عليه وجمع ملحقه: أحمد فوزي الهيب، دار القلم، الكويت، ١٩٨٦.

٥٦.ديوان ابن حيوس، محمد بن سلطان المشهور بابن حيوس الغنوي الدمشقي، تحقيق: خليل مردم بك، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٥١.

٥٧.ديوان ابن خفاجة، دار صادر، بيروت (د.ت).

٥٨.ديوان ابن سناء الملك، عزّ الدين ابو القاسم هبة الله بن جعفر، تصحيح وتعليق وتقديم: محمد عبد الحق، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٥٨.

٥٩.ديوان ابن منير الطرابلسي، جمع وتقديم عمر عبد السلام تدمري، دار الجيل، بيروت، ومكتبة السائح، ١٩٨٦.

٦٠.ديوان ابن نباتة السعدي، دراسة وتحقيق: عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧.

٦١.ديوان ابن نباتة المصري، نشر: محمد القلقيلي، مطبعة التمدن، القاهرة، ط١، ١٩٠٥.

٦٢.ديوان أبي العتاهية، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨.

٦٣.ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٧٦.

٦٤.ديوان أبي نواس، حققه وضبطه وشرحه: أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.

٦٥.ديوان إسحاق الموصلي، دراسة وتحقيق: ماجد أحمد العزي، مطبعة الإيمان، بغداد، ١٩٧٠

٦٦.ديوان الأرجاني، ناصح أبي أحمد محمد بن الحسين، تحقيق: محمد قاسم مصطفى، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٧٩.

٦٧.ديوان الأعشى الكبير، شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٧.

٦٨.ديوان الإمام علي، تحقيق: محمد عبد خفاجي، دار ابن زيدون، بيروت، (د.ت).

٦٩.ديوان البحتري، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٧٧.

٧٠.ديوان البهاء زهير، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد طاهر الجبلاوي، دار المعارف ١٩٨٢.

٧١.ديوان البوصيري، تحقيق: محمد سيد كيلاني، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٥٥.

٧٢.ديوان الثعالبي، دراسة وتحقيق: محمود عبد الله الجادر، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٠.

٧٣.ديوان الحارث بن حلزة، تحقيق: هاشم الطعان، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٦٩.

٧٤.ديوان الحطيئة، رواية وشرح ابن السكيت، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٧.

٧٥.ديوان الخريمي (أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهي) جمع وتحقيق: علي جواد الطاهر، ومحمد جبار المعيبد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧١.

٧٦.ديوان السموأل، صنعة: أبي عبد الله نفطويه، تحقيق: محمد حسين آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٥.

٧٧.ديوان السيد الحميري، تحقيق: شاكر هادي شكر، دار مكتبة الحياة، بيروت دزت.

٧٨.ديوان الشاب الظريف، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النجف، ١٩٦٧.

٧٩.ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، تحقيق وشرح: صلاح الدين الهادي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨.

٨٠.ديوان الشهيد ابن زيلاق الموصلي، دراسة وجمع وتحقيق: محمود عبد الرزاق أحمد، وأدهم حمادي ذياب النعيمي، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٩٠.

٨١.ديوان الصاحب بن عباد، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٥.

٨٢.ديوان الصرصري، تحقيق: مخيمر صالح، منشورات جامعة اليرموك، إربد، د.ت.

٨٣.ديوان الصنوبري، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٠.

٨٤.ديوان الطرماح، تحقيق: عزة حسن، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٦.

٨٥.ديوان العباس بن الأحنف، شرح وتحقيق: عاتكة الخزرجي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ١٩٧٧.

٨٦.ديوان العرجي، رواية أبي الفتح عثمان بن جني، شرح وتحقيق: خضر الطائي ورشيد العبيدي، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر، يغداد، ١٩٥٦.

٨٧.ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.

٨٨.ديوان القاضي الفاضل، عبد الرحيم بن علي البيسانس، تحقيق: أحمد أحمد بدوي، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦١.

٨٩.ديوان القطامي، تحقيق: إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٠.

٩٠.ديوان المتلمس الضبعي، تحقيق وشرح وتعليق: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٧٠.

٩١.ديوان المعاني، أبو هلال العسكري، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٢هـ.

٩٢.ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧.

٩٣.ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥.

٩٤.ديوان الوأوأ الدمشقي (أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني)، تحقيق: سامي الدهان، مطبوعات الجمع العلمي بدمشق، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣.

٩٥.ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٨٤.

٩٦.ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٧٩.
٩٧.ديوان بديع الزمان الهمداني، دراسة وتحقيق يسرى عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٧.
٩٨.ديوان بشار بن برد، جمع وتحقيق وشرح: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٦.
٩٩.ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، تحقيق: عزة حسن، مطبوعات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٢.
١٠٠.ديوان توبة بن حمير الخفاجي، تحقيق: خليل إبراهيم العطية، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٦٨.
١٠١.ديوان جرير، شرح محمد حبيب، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩.
١٠٢.ديوان دعبل بن علي الخزاعي، جمع وتحقيق: عبد الصاحب الدجيلي الخزرجي، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٦٢.
١٠٣.ديوان ذي الرُّمة، شرح الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي صاحب الإمام الأصمعي، رواية الامام أبي العباس ثعلب، حققه وقدم له وعلق عليه: عبد القدوس ابو صالح، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧٢.
١٠٤.ديوان رؤبة، بن العجاج، تحقيق: وليم بن الورد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠.
١٠٥.ديوان زيد الخيل الطائي، تحقيق: نوري حمودي القيسي، مطبعة النعمان، النجف، د.ت.
١٠٦.ديوان شعر عدي بن الرقاع العاملي، تحقيق: نوري حمودي القيسي، وحاتم صالح الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٧.
١٠٧.ديوان صفي الدين الحلي، المطبعة الأدبية، بيروت ١٨٩٢.
١٠٨.ديوان طرفة بن العبد، حققه وقدم له: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ١٩٨٠.
١٠٩.ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق وشرح: محمد يوسف نجم، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ط١، ١٩٥٨.
١١٠.ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق وشرح: حسين نصار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط١، ١٩٥٧.
١١١.ديوان علقمة الفحل شرح الأعلم الشنتمري، حققه: لطفي الصقال ودرية الخطيب، دار الكتاب العربي، حلب، ط١، ١٩٦٩.
١١٢.ديوان علي بن الجهم، عني بتحقيقه: خليل مردم بك، لجنة التراث العربي، بيروت، ١٩٥٩.
١١٣.ديوان عمر بن أبي ربيعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨.
١١٤.ديوان كثير عزة، حققه: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١.
١١٥.ديوان كشاجم، تحقيق وشرح وتقديم، خيرية محمد محفوظ، مطبعة دار الجمهورية، بغداد ١٩٧٠.
١١٦.ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق وشرح: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة مصر، د.ت.
١١٧.الرد على من يقول القرآن مخلوق، أحمد بن سلمان النجاد أبو بكر، تحقيق: رضا الله محمد إدريس، مكتبة الصحابة الإسلامية، الكويت، ١٤٠٠.
١١٨.الروض الداني (المعجم الصغير): سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، ١٤٠٥ - ١٩٨٥.
١١٩.الزهد، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨.
١٢٠.الزهد، عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبد الله، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٢١.سر الفصاحة، ابو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢.
١٢٢.سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت.

١٢٣.سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
١٢٤.سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٤.
١٢٥.سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٢٦.سنن الدارقطني، علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٦.
١٢٧.سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧.
١٢٨.سنن الصغرى، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبو بكر، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤١٠ - ١٩٨٩، د.ت.
١٢٩.سنن الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١.
١٣٠.شرح الدماميني على المغني، بهامش كتاب المنصف من الكلام على مغني ابن هشام، محمد بن أحمد الشمني، المطبعة البهية، مصر د.ت.
١٣١.شرح الفوائد الضيائية في علمي المعاني والبيان، ابو الخير عصام الدين أحمد بن مصطفى الشهير بطاشكبرى زادة، دار الطباعة العامرة، د.ت.
١٣٢.شرح القصائد العشر، صنعة: الخطيب التبريزي، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ١، ١٩٧٩.
١٣٣.شرح ديوان أبي فراس الحمداني، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت.
١٣٤.شرح ديوان الحماسة، ابو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، نشره أحمد أمين وعبد السلام محمد هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٨٥.
١٣٥.شرح ديوان الخنساء، شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥.
١٣٦.شرح ديوان المتنبي، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٩.
١٣٧.شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ضبط الديوان وصححه عبد الرحمن البرقوقي، دار الاندلس، بيروت، ١٩٨٠.
١٣٨.شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤.
١٣٩.شرح ديوان صريع الغواني (مسلم بن الوليد)، عني بتحقيقه والتعليق عليه: سامي الدهان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠.
١٤٠.شرح ديوان عنترة بن شداد، تحقيق وشرح عبد المنعم رؤوف شلبي، مطبعة فن الطباعة، القاهرة، د. ت.
١٤١.شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، حققه وقدم له: إحسان عباس، وزارة الإرشاد والإنباء، الكويت، ١٩٦٢.
١٤٢.شروح سقط الزند، الدار القومية للطبعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤.
١٤٣.شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠.
١٤٤.شعر أبي هلال العسكري، جمع وتحقيق: محسن عياض، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٧٥.
١٤٥.شعر الأحوص الأنصاري، جمع وتحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٦٩.
١٤٦.شعر الأخطل صنعة السكري، تحقيق: فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة،

بيروت، ط٢، ١٩٧٩.
١٤٧.شعر الكميت بن زيد الأسدي، جمع وتقديم: داود سلوم، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٦٩
١٤٨.شعر بن طباطبا العلوي، تحقيق: جابر الخاقاني، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٥.
١٤٩.شعر زياد العجم، جمع وتحقيق ودراسة: يوسف حسين بكار، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٣.
١٥٠.شعر عبدة بن الطبيب، تحقيق: يحيى الجبوري، دار التربية، بغداد، ١٩٧١.
١٥١.شعر محمد بن وهيب الحميري، تحقيق: محمد جبار معيبد، مجلة الخليج العربي، العدد الأول، ١٩٨٥.
١٥٢.شعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢.
١٥٣.شعر يزيد بن الطثرية، صنعة حاتم الضامن، دار التربية، بغداد، (د.ت).
١٥٤.الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٩.
١٥٥.صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣.
١٥٦.صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
١٥٧.طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الحجمي، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط٢، ١٩٧٤.
١٥٨.الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، يحيى بن حمزة العلوي، أشرف على مراجعته وضبطه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢.
١٥٩.عبيد الله بن عبد الله، حياته وما تبقى من شعره، تحقيق: عبد الستار الحديثي، مجلة كلية التربية، جامعة البصرة، العدد ٢٠، ١٩٨٢.
١٦٠.العجاب في الأسباب، أبو الفضل محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: أبي عبد الرحمن فواز أحمد رمزي، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٢.
١٦١.عروس الأفراح (في شرح تلخيص المفتاح)، بهاء الدين السبكي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣.
١٦٢.العقد الفريد، ابو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه: أحمد أمين وأحمد الزين وابراهيم الابياري، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة، ط٢، ١٩٥٦.
١٦٣.عقود الجمان في المعاني والبيان، جلال الدين عبد الرحمن ابو بكر السيوطي، بشرح العلامة عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد العمري المعروف بالمرشدي، تصحيح لجنة من العلماء، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٩٥٥.
١٦٤.العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، حققه وفصله وعلق على حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١.
١٦٥.عيون الأخبار، ابو محمد بن عبد بن مسلم بن قتيبة الدينوري، شرحه وضبّطه وعلق عليه وقدم له ورتّب فهارسه: يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
١٦٦.غريب الحديث، أبو عبيد محمد بن القاسم بن سلام، تحقيق: محمد عبد المعين خان، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦.
١٦٧.الفردوس بمأثور الخطاب، أبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦.
١٦٨.الفلك الدائر على المثل السائر، ابن أبي حديد، قدم له وحققه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة،

دار الرفاعي، الرياض، ١٩٨٤.
١٦٩.فوات الوفيات، ابن شاكر الكتبي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.
١٧٠.فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦.
١٧١.قرى الضيف، عبد الله بن محمد بن عبيد، تحقيق: عبد الله بن حمد المنصور، ط١، دار أضواء السلف، الرياض، ١٩٩٧.
١٧٢.الكامل في اللغة والأدب، المبرد، عارضه بأصوله وعلق عليه: محمد ابو الفضل ابراهيم والسيد شحاته، دار نهضة مصر، القاهرة، د. ت.
١٧٣.الكامل في ضعفاء الرجال، عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد أبو أحمد الجرجاني، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩ - ١٩٨٨.
١٧٤.كتاب الزهد، أحمد بن عمر بن أبي عاصم الشيباني، تحقيق: عبد المعين عبد الحميد خان، ط٢، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٨.
١٧٥.كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٨.
١٧٦.كتاب الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦.
١٧٧.كتاب سيبويه، أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب بيروت، د.ت.
١٧٨.الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١.
١٧٩.كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي، دار الكتب العلمية، ١٤١٣ - ١٩٩٢.
١٨٠.لباب الآداب، أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، تحقيق: قحطان رشيد صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٨.
١٨١.اللزوميات أو لزوم ما لا يلزم، أبو العلاء المعري، قدم له وأشرف على إختياره وتصحيحه: عمر أبو النصر، دار الجيل، بيروت، ١٩٦٩.
١٨٢.لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)، دار صادر، بيروت، د. ت.
١٨٣.المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، قدم له وحققه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، ١٩٨٤.
١٨٤.المجتبى من السنن أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي الناشر، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب الطبعة الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦
١٨٥.مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٢.
١٨٦.مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، ١٤٠٧.
١٨٧.المجموع، شرح المهذب، محيي الدين بن شرف النووي، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، المكتبة العلمية، القاهرة، د.ت.
١٨٨.المختار من شعر بان دانيال، شمس الدين محمد بن دانيال الموصلي الكحال، اختيار صلاح الدين الصفدي، تحقيق: محمد نايف الدليمي، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، د.ت.
١٨٩.مختصر السعد (شرح تلخيص مفتاح العلوم)، سعد الدين التفتازاني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.
١٩٠.المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى

عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.
١٩١.المستقصى في أمثال العرب، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٧.
١٩٢.مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي، دار المعرفة، بيروت.
١٩٣.مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٤ - ١٩٨٤.
١٩٤.مسند إسحاق بن راهويه، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي، تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ١٤١٢ - ١٩٩١.
١٩٥.مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر.
١٩٦.مسند الشافعي، محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٩٧.مسند الشاميين سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ - ١٩٨٤.
١٩٨.مسند الشهاب محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧ - ١٩٨٦.
١٩٩.مسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦.
٢٠٠.المصباح في علم المعاني والبيان والبديع، بدر الدين محمد بن جمال الدين بن عبد الله بن مالك الأندلسي تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، المطبعة الخيرية، القاهرة، (د.ت).
٢٠١.المطول (شرح تلخيص المفتاح)، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، صححه وعلق عليه: أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٤.
٢٠٢.معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباس، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٤٧.
٢٠٣.المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥.
٢٠٤.معجم القراءات القرآنية، عبد العال سالم مكرم، وأحمد مختار عمر، مطبوعات جامعة الكويت، ط٢، ١٩٨٨.
٢٠٥.المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم الموصل، ١٤٠٤ - ١٩٨٣
٢٠٦.مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه: حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.
٢٠٧.مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، شمس الدين بن محمد بن الخطيب الشربيني، اعتنى به: محمد خليل عيتاني، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤.
٢٠٨.مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط١، ١٩٣٧.
٢٠٩.المفصل، ابو القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري، باريس، د.ت.
٢١٠.المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلى الضبيّ، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٦، ١٩٧٩.
٢١١.مقامات الحريري، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠.
٢١٢.منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٦.

٢١٣.نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، أبو علي المحسن بن علي التنوخي، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٨١.

٢١٤.نضرة الإغريض في نصرة القريض، المظفر بن الفضل العلوي، تحقيق: نهى عارف الحسن، نشر مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٦.

٢١٥.نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٩٧٩.

٢١٦.النكت على مقدمة ابن الصلاح، محمد بن جمال الدين عبد الله بن بهادر، تحقيق: زين العابدين بن محمد بلا فريج، دار أضواء السلف، الرياض ١٩٩٨.

٢١٧.نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ت.

٢١٨.نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، تحقيق وتقديم: إبراهيم السامرائي ومحمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٥.

٢١٩.نوادر الأصول في أحاديث الرسول، محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم الترمذي، تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢.

٢٢٠.همع الهوامع شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تصحيح: محمد بدر الدين النعسان، بيروت، د.ت.

٢٢١.وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨.

٢٢٢.يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور عبد الملك الثعالبي، شرح وتحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢. ١٩٨٣.

فهرس المحتويات

ŠARḤ ᶜUQŪD AL-JUMĀN FĪ AL-MAᶜĀNI WAL-BAYĀN

by

Jalāluddīn al-Sayūṭi

Edited by

Dr .Ibrahīm Muḥammad al-Ḥamdāni

and

Dr. Amīn Luqmān al-Ḥabbār

